مِنهاجُ البَراعَة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه
العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي قدس سره
صنفها
الفاضل البارع المحقق الشيخ حسن (حسن زاده) الاملى

مؤسسة التاريخ العربي

مكتبة الروضة الحيدرية

www.haydarya.com

نهج البلاغة

خطب، رسائل، كلام، وصايا
عهود، حكم، ومواعظ

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

منهاج البراعة

شرح

نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي قدس سره

طبعة جديدة

ضبط وتحقيق
علي عاشور

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم: ١١٤٤٤
التاريخ: ٢٩ / ٥ / ٢٠

المجلد الثامن عشر

دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمداً لك يا مَن ألهمتنا حقائق الإيمان، وهديتنا إلى جنابك بنور العلم والعرفان، ودعوتنا إلى مأدُبتك القرآن الفرقان، وجعلتنا أهلاً للإطّلاع على دُررٍ مكنونةٍ عند خَزَنَة، علمك، وأذنِت لنا في الفحص عن أسرارٍ مستترة عند عيبة وحيك وغيبك.

اللهمَّ صلِّ على نبيّك الخاتم، المنزل عليه كتابٌ يهدي للّتي هي أقوم؛ وعلى آله الكرام البررة، وأصحاب العصمة والمعرفة. وعلى جميع من اجتبيت من رسلك وأرسلتهم إلى عبادك. وعلى الّذين احتذوا حذوهم، واقتفوا آثارهم، واقتدوا بهديهم.

وبعد: فيقول العبد المحتاج إلى مولاه الغنيّ نجم الدِّين الحسن بن عبد الطبريّ الأملي رحمهما الله تعالى وعفى عنهما: إنَّ ما لفظه لسان ميزان القسط وباب مدينة العلم بحرٌ لا تنفد لآليء معانيه الغالية، وما أودعه في لطائف ألفاظه كنوزٌ لا يزيدها الإنفاق إلاّ كثرة وسعة، فقد تيسّر لنا بالكدِّ والجهد التامّين استخراج قبضة من تلك اللآليء والكنرر فهذه بضاعتنا المزجاة نهديها إلى بغاة علم الدِّين في شرح كلمات عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، ونطلب من الله التوفيق لاتمام الشرح على النهج السّديد، ونرجوه لكلِّ خير ونستزيد.

وهذا هو المجلّد الرابع من تكملة **«منهاج البراعة»** في شرحنا على **«نهج البلاغة»** فينتهي المنهاج به إلى ثامن عشر، فنقول مستعيناً بواهب المعاني والصور.

[تتمة المختار التاسع من كتبه عليه السلام ورسائله]

قوله عليه السلام: «وأمّا ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك ـ إلى قوله: ولا إلى غيرك» هذا الفصل جواب عن قول معاوية له عليه السلام: فإن كنت صادقاً فأمكنّا من قتلته نقتلهم به.

وقد دريت من مباحثنا السالفة أنَّ معاوية لم يجد شيئاً يستغوي به النّاس ويستميل به أهواءهم إلاّ أن قال لهم: قتل إمامكم مظلوماً فهلمّوا نطلب بدمه فاستجاب له جفاة طغام، عبيد قزام، جمعوا من كل أوب، وتلقطوا من كلّ شوب.

وأنَّ عمّار بن ياسر قال في بعض أيّام صفين ـ كما رواه أبو جعفر الطبريُّ في التاريخ ونقلناه في الجزء الخامس عشر ـ: أيّها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاءِ الّذين يبغون دم ابن عفّان، ويزعمون أنّه قتل مظلوماً، والله ما طلبتم بدمه ولكنَّ القوم ذاقوا الدُّنيا فاستحبُّوها واستمرؤوها، وعلموا أنَّ الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرّغون فيه من دنياهم، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقّون بها طاعة الناس والولاية عليهم، فخدعوا أتباعهم أن قالوا: إمامنا قتل مظلوماً، ليكونوا بذلك جبابرة ملوكاً، وتلك مكيدة بلغوا بها ما ترون، ولولا هي ما تبعهم من الناس رجلان؛ إلخ[1].

وأنَّ معاوية لم يكن وليّ دم عثمان حتّى يطلبه، بل كان ولده أولياء دمه وأشار أمير المؤمنين عليه السلام إليه تلويحاً: (**فلم أره يسعني دفعهم إليك ولا إلى غيرك**).

وأنَّ معاوية لم يكن له ولاية شرعيّة على المسلمين، ثمَّ لم يرافع إليه أحد في دم ابن عفّان شيئاً، وما ترافع إليه الخصمان فيه فأنّى له أن يطلب قتلة عثمان؟

وأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن شريكاً في دمه، بل كان في عزلة عن قتله ولم يحضر قتل عثمان يوم قتل.

ونصَّ أبو جعفر الطبريّ في التاريخ أنّه لما حصر عثمان كان عليٌّ عليه السلام بخيبر فلو رأى معاوية أنّه عليه السلام كان من قاتليه فهو خطأ، وعلمت أنَّ إسناد قتله إليه اختلاق بل في **«مروج الذهب»** للمسعودي أنه لمّا بلغ عليّاً عليه السلام أنّهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته حتّى أنَّ القوم لما اشتبكوا جرح الحسن وشجَّ قنبر.

وكذا قال المسعوديُّ: لمّا حصر الناس عثمان في داره منعوه الماء فأشرف على الناس

(١) تاريخ الطبري: ٤/٢٧، والغدير: ٩/١١١ ح ١.

وقال: ألا أحد يسقينا؟ فبلغ علياً عليه السلام طلبه للماء فبعث إليه بثلاث قرب ماء - إلخ، فراجع إلى المجلد السادس عشر.

ولو رآه وليّ المسلمين، وحاكم الشرع المبين طلب عنده حقّاً من غيره فقد كان واجباً عليه أن يرافع الدّعوى إليه عليه السلام مع الشروط المعتبرة في الترافع وما فعل معاوية ذلك.

على أنه إنّما قتله خلق كثير حتّى شهد قتله ثمانمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرون أنَّ عثمان كان يستحقُّ القتل بأحداثه.

ففي كتاب صفين لنصر بن مزاحم المنقري (**ص ١٧٦ الطبع الناصري**) مذكور أنما جرى بين عمّار بن ياسر رضوان الله عليه وعمرو بن العاصي كلام طويل في بعض أيام صفين - إلى أن قال عمرو لعمّار: فَعَلامَ تقاتلنا؟ أولسنا نعبد إلهاً واحداً، ونصلّي قبلتكم، وندعو دعوتكم، ونقرأ كتابكم، ونؤمن برسولكم؟

قال عمّار: الحمد لله الذي أخرجها من فيك إنّها لي ولأصحابي القبلة والدِّين وعبادة الرحمٰن والنبيّ صلى الله عليه وآله والكتاب من دونك ودون أصحابك؛ الحمد لله الذي قرّرك لنا بذلك دونك ودون أصحابك، وجعلك ضالا مضلا لا تعلم هادٍ أنت أم ضالّ، وجعلك أعمى وساء خبرك على ما قاتلتك عليه أنت وأصحابك، أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أُقاتل الناكثين وقد فعلت، وأمرني أن أُقاتل القاسطين فأنتم هم وأمّا المارقين فما أدري أدركهم أم لا؟ أيّها الأبتر ألست تعلم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه اللّهمَّ وال من والاه وعاد من عاداه» وأنا مولى الله ورسوله وعليّ بعده وليس لك مولى.

قال عمرو: لم تشتمني يا أبا اليقظان ولست أشتمك؟

قال عمّار: وبم تشتمني أتستطيع أن تقول إنّي عصيت الله ورسوله يوماً قطُّ؟

قال له عمرو: إنَّ فيك لمسبات سوى ذلك.

فقال عمّار: إنَّ الكريم من أكرمه الله: كنت وضيعاً فرفعني الله، ومملوكاً فأعتقني الله، وضعيفاً فقوّاني الله، وفقيراً فأغناني الله.

وقال له عمرو: فما ترى في قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب كلّ سوء، قال عمرو: فعليٌّ قتله، قال عمّار: بل الله ربُّ عليّ قتله وعليٌّ معه، قال عمرو: كنت فيمن قتله من هنا عند ابن عقبة، قال: كنت مع من قتله وأنا اليوم أُقاتل معهم، قال عمرو: فلم قتلتموه؟ قال عمّار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه، فقال عمرو: ألا تسمعون قد اعترف بقتل عثمان؟ قال عمّار: وقد قالها فرعون قبلك لقومه: ألا تسمعون[1].

(١) كتاب صفين: ١٧٦، وبحار الأنوار: ٣٣/ ٣٠.

وبالجملة إذا كان قتلة عثمان هذا الجمع العظيم وكان فيهم كبار الصحابة من الأنصار والمهاجرين ومثل عمّار بن ياسر على جلالة شأنه وعلوّ مقامه وثباته في الدّين اعترف بالمشاركة في قتله فكيف يسع أمير المؤمنين عليه السلام دفعهم إلى معاويه أو إلى غيره أوّلاً، ومع فرض تمكّنه من ذلك كيف يسوّغه الشرع قتل جمع عظيم من الأنصار والمهاجرين وكبار التابعين برجل أحدث أحداثاً نقمها الناس منه وطعنوا عليه وقتلوه بها ثانياً.

ولعلَّ قوله عليه السلام: «وأمّا ما ذكرت من أمر عثمان فإنّي نظرت في هذا الأمر وضربت أنفه وعينيه فلم أر دفعهم إليك ولا إلى غيرك» يشير إلى الوجه الأخير خاصّة.

وروي أنَّ أبا هريرة وأبا الدرداء أتيا معاوية فقالا له: عَلَامَ تقاتل عليّاً وهو أحقُّ بالأمر منك لفضله وسابقته؟

فقال: لست أُقاتله لأنّي أفضل منه ولكن ليدفع إليَّ قتلة عثمان، فخرجا من عنده وأتيا عليّاً عليه السلام فقالا له: إنَّ معاوية يزعم أنَّ قتلة عثمان عندك وفي عسرك فادفعهم إليه فإن قاتلك بعدها علمنا أنّه ظالم لك.

فقال عليٌّ عليه السلام: «إنّي لم أحضر قتل عثمان يوم قتل ولكن هل تعرفان من قتله»؟

فقالا: بلغنا أنَّ محّمد بن أبي بكر وعمّاراً والأشتر وعديَّ بن حاتم وعمرو بن الحمق وفلاناً ممّن دخل عليه.

فقال عليٌّ عليه السلام: «فامضيا إليهم فخذوهم»، فأقبلا إلى هؤلاء النفر وقالا لهم: أنتم من قتل عثمان وقد أمر أمير المؤمنين بأخذكم قال: فوقعت الصيحة في العسكر بهذا الخبر فوثب من عسكر عليّ أكثر من عشرة آلاف رجل في أيديهم السيوف وهم يقولون: كلّنا قتله، فبهت أبو هريرة وأبو الدَّرداء ثمَّ رجعا إلى معاوية وهما يقولان: لا يتمُّ هذا الأمر أبداً فأخبراه بالخبر[1].

وقد مرَّ قريب من هذه الرواية عن كتاب صفين لنصر بن مزاحم في صدر هذا الشرح قول عليّ عليه السلام لأبي مسلم الخولاني: «اغد عليَّ غداً فخذ جواب كتابك» ـ إلى قول نصر: فلبست الشيعة أسلحتها ثمَّ غدوا فملأوا المسجد وأخذوا ينادون: كلّنا قتل ابن عفّان.

وفي رواية أُخرى: لما سئل عليٌّ عليه السلام تسليمهم قال وهو على المنبر: «ليقم قتلة عثمان»، فقام أكثر من عشرة آلاف رجل من المهاجرين والأنصار وغيرهم.

(١) الأخبار الطوال: ١٦٣ بتفاوت.

فكيف يمكن تسليم أكثر من عشرة آلاف رجل جلّهم من حماة الدِّين وقواعده إلى من يطلب بدم رجل واحد قتلوه بأحداثه التي نقموها منه؟

قوله عليه السلام: «ولعمري لئن لم تنزع عن غيّك - إلى قوله: وزور لا يسرك لقيانه» هذا الفصل جواب عن قول معاوية حيث قال في كتابه مخاطباً له عليه السلام: «والذي لا إله إلاّ هو لنطلبنَّ قتلة عثمان في الجبال والرمال والبرِّ والبحر حتّى يقتلهم الله أو لتلحقن أرواحنا بالله».

ولمّا كان معاوية شمخ بأنفه وتجاوز عن حدّه وجعل الله تعالى عرضة في يمينه وهدّد الأمير وشيعته بقوله الشنيع أجابه الأمير عليه السلام وأخبره عن عاقبته السؤى بقوله ذلك: أي لعمري قسمي لئن لم تنته ولم تكفَّ عن ضلالك وخلافك لتعلمنَّ أنَّ هؤلاء المسلمين الذين يجاهدون في سبيل الله يطلبونك بعد زمان قليل، ولا يشقون عليك أن تطلبهم في البرِّ والبحر والجبال والرمال، يعني لا حاجة إلى أن تكلّف نفسك في طلبهم، بل أنّهم يطلبونك، فلا يخفى لطف كلامه وعذوبته في تهديده عليه السلام معاوية قبال كلامه في تهديده أمير المؤمنين عليه السلام.

ثمَّ هدَّده بعاقبة هذا الطلب بقوله: **(أنَّ هذا الطلب يسوءك وجدانه، وزور لا يسرُّك لقيانه)**، والظاهر أنَّ قوله عليه السلام: **(عن قليل يطلبوك)**، إشارة إلى ما سيوقع في وقعة صفين، وسيأتي نحو قوله هذا كلامه عليه السلام في آخر الكتاب الثامن والعشرين الذي كتبه إلى معاوية أيضاً جواباً: فسيطلبك من تطلب، ويقرب منك ما تستبعد - إلخ.

قوله عليه السلام: «وقد كان أبوك أتاني حين ولّى النّاس أبا بكر، إلخ» قال اليعقوبي في التاريخ **(ص ١٠٥ ج ٢ طبع النجف)** وكان فيمن تخلّف عن بيعة أبي بكر أبو سفيان بن حرب وقال: أرضيتم يا بني عبد مناف أن يلي هذا الأمر عليكم غيركم وقال لعليّ بن أبي طالب: امدد يدك أبايعك وعلي معه قصي فقال:

بني هاشم لا تطمعوا النّاس فيكم ... ولا سيّما تيم بن مرّة أو عديّ
فما الأمر إلاّ فيكم وإليكم ... وليس لها إلاّ أبو حسن عليّ
أبا حسن فاشدد بها كفّ حازم ... فإنك بالأمر الذي يرتجي ملي
وإنَّ امرءاً يرمى قصيّا وراءه ... عزيز الحمى والنّاس من غالب قصي

وقال المفيد في **«الجمل» (ص ٤٢ طبع النجف)**: في الفصل المترجم بقوله: انكار جماعة بيعة أبي بكر، بعد عدِّ عدَّة من المنكرين بيعته: وقال أبو سفيان بن حرب بن صخر بأعلى صوته: يا بني هاشم أرضيتم أن يلي عليكم بنو تيم بن مرّة حاكماً على العرب ومتى طمعت أن تتقدَّم بني هاشم في الأمر، انهضوا لدفع هؤلاءِ القوم عمّا تمالوا إليه ظلماً لكم، أما والله لأن شئتم لأملأنّها عليكم خيلاً ورجالاً ثمّ قال: بني هاشم، الأبيات.

وقال في «**الإرشاد**» (**ص ٩٠ طبع طهران ١٣٧٧**): وقد كان جاء أبو سفيان (**يعني بعد ما بدر الطّلقاء بالعقد للرجل**) إلى باب رسول الله ﷺ وعليّ والعباس متوفّران على النظر في أمره فنادى: بني هاشم لا تطمعوا، الأبيات؛ ثمَّ نادى بأعلى صوته: يا بني هاشم يا بني عبد مناف أرضيتم أن يلي عليكم أبو فصيل الرّذل ابن الرّذل أما والله لو شئتم لأملأنّها عليهم خيلاً ورجلاً.

فناداه أمير المؤمنين عليه السلام: «ارجع يا أبا سفيان فوالله ما تريد بما تقول وما زلت تكيد الإسلام وأهله ونحن مشاغيل برسول الله ﷺ وعلى كلِّ امرىء ما اكتسب وهو وليُّ ما احتقب»[(١)].

فانصرف أبو سفيان إلى المسجد فوجد بني أُمية مجتمعين فحرَّضهم على الأمر ولم ينهضوا له. وكانت فتنة عمّت، وبليّة شملت، وأسباب سوء اتّفقت، تمكّن بها الشيطان، وتعاون فيها أهل الإفك والعدوان، فتخاذل في انكارها أهل الإيمان وكان ذلك تأويل قول الله عزَّ وجلَّ، ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

خاتمة

يذكر فيها مسألة فقهية وهي أنه قد تقدّم في شرح هذا الكتاب (**ص ٣٨٣ ج ١٧**) أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ في يوم أُحد كانوا يدفنون الاثنين والثلاثة من القتلى في قبر واحد. وكذلك قد تظافرت الآثار في أنَّ ابن سعد لعنة الله عليه لما رحل من كربلاء خرج قوم من بني أسد كانوا نزولاً بالغاضرية إلى سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين وأصحابه روحي لهم الفداء فصلّوا عليهم ودفنوا الحسين عليه السلام حيث قبره الآن ودفنوا ابنه عليّ بن الحسين عند رجله وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه الذين صرعوا حوله مما يلي رجلي الحسين عليه السلام وجمعوهم فدفنوهم جميعاً معاً ودفنوا العبّاس بن عليّ عليه السلام في موضعه الذي قتل فيه على طريق الغاضريّة حيث قبره الآن.

ففيهما دلالة على جواز دفن ميّتين أو أكثر في قبر واحد، أمّا الأوّل: فلأنّه كان في حضرة رسول الله ﷺ بل كان بإذنه حيث قال ﷺ: انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه في القبر. وقال في الخبر الآخر: المروي عنه ﷺ كما في «**مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام**»: أنه قال للأنصار يوم أُحد: احفروا وأوسعوا وعمقوا واجعلوا الاثنين والثلاثة في القبر الواحد[(٢)].

---

(١) الإرشاد: ١/ ١٩٠، وبحار الأنوار: ٢٢/ ٥٢٠.

(٢) الإرشاد: ٢/ ١١٤.

وأمّا الثاني: فلأنَّ بني أسد كانوا مسلمين بل لعلّهم كانوا مؤمنين فلولا علمهم بجواز ذلك من الشرع لما فعلوه في المقام، على أنَّه لم ينكر عليهم أحد. والجواز لا خلاف فيه وإنّما الكلام في أنَّ جواز ذلك فيما تقتضيه الضرورة كما هي ظاهر المقامين سيما الثاني، أو أنَّ العمل جائز مطلقاً، ثمَّ لولا الضرورة أكان مكروهاً أو محرَّماً. وهل يفصّل في المقام بين ما كان الميتان رجلين أو امرأتين وبين ما كانا رجلاً وامرأة، وعلى الثاني بين ما كانا أجنبيّين وغير أجنبيّن وعلى التقادير كلّها هل يجوز دفن أكثر من واحد في قبر ابتداء أو مطلقاً؟.

فالمنقول عن الشيخ قدّس سرّه في «**المبسوط**»: الأولى أن يفرد لكلّ واحد منهم قبر لما روي عنهم عليهم السلام أنّه لا يدفن في قبر واحد اثنان. وقال فيه: فإن دعت الضرورة إلى ذلك جاز أن يجمع اثنان وثلاثة في قبر واحد كما فعل النبيّ صلى الله عليه وآله يوم أُحد. قال: فإذا اجتمع هؤلاء جعل الرجل ممّا يلي القبلة والصّبيان بعدهم ثمَّ الخناثي ثمّ النساء، انتهى[1].

وفي «**التهذيب**»: محّمد بن الحسن الصّفّار قال: كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام أيجوز أن يجعل (**نجعل - معاً**) الميّتين على جنازة واحدة ويصلّى عليهما؟ فوقّع عليه السلام لا يُحمل الرجل مع المرأة على سرير واحد.

ورواه في الوسائل هكذا: قال: كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام أيجوز أن يجعل الميّتين على جنازة واحدة في موضع الحاجة وقلّة الناس وإن كان الميّتان رجلاً وامرأة يحملان على سرير واحد ويصلّى عليهما؟ فوقّع عليه السلام: لا يحمل الرجل مع المرأة على سرير واحد[2].

فيستفاد من الخبر أمران: أحدهما جواز حمل الميّتين الرجلين على جنازة وثانيهما عدم جوازه إذا كان أحدهما رجلاً والآخر امرأة حتّى حال الضرورة. فيحكم على ذلك في دفنهما أيضاً على طريق الأولويّة أعني الجواز في الصورة الأُولى وعدمه في الثانية.

وقد ذهب بعض العلماء إلى حرمة دفن رجل أجنبيّ وامرأة أجنبيّة في قبر واحد ولعلّه أفتى به من ظاهر هذا الخبر وإن كان الخبر أعم شمولاً فإنّه نهى عن حمل الرَّجل والمرأة الميّتين في سرير مطلقاً.

كما أنَّ الشيخ قدّس سره حكم بجعل الرجل ممّا يلي القبلة - إلخ في الدفن من الروايات الواردة في الصلاة على الجنائز المتعدّدة المختلفة الجنس.

---

(١) المبسوط: ١/ ١٥٥.

(٢) تهذيب الأحكام: ١/ ٤٥٤ ح ١٤٨٠، ووسائل الشيعة: ٣/ ٢٠٨ ح ٤٢.

والأصل يقتضي عدم جواز دفن الميّتين في قبر حال الإختيار كما هو المنقول عن ابن سعيد في الجامع والمرسل المذكور في «**المبسوط**» ظاهر في عدم الجواز. اللّهمّ إلاّ أن يقال إنَّ ادّعاء الضرورة في واقعة أُحد غير ثابت فإذنه ﷺ دليل على الجواز مطلقاً من غير كراهة. لكن العلماء قد ذهبوا إلى القول بالكراهة في حال عدم الضرورة وبعدمها في الضرورة فمع الضرورة تزول الكراهة قطعاً.

هذا إذا دفنّا ابتداءً وأمّا إذا استلزم دفن ميّت في قبر ميّت آخر بعد دفنه نبشه فحرام لتحريم النبش أوّلاً، ولأنَّ الأوّل قد ملكه بالحيازة لكن قد يناقش على الأوّل بأنَّ الكلام في إباحة الدفن نفسه لا النبش وأحدهما غير الأخر، وعلى الثاني بعدم ثبوت حقّ للأوّل وفي المسألة كلام بعد يطلب في الكتب الفقهيّة والذي حريٌّ أن يقال في المقام: إنَّ دفن الميّتين في قبر واحد ابتداءً مكروه إذا لم تقتضِ الضرورة ومعها تزول الكراهة. وأمّا دفن ميّت في قبر آخر قبل أن يصير رميماً فحرام. وإذا كان الميّتان رجلاً وامرأة أجنبيّين فلا يترك الاحتياط في أن يفرد لكلٍّ واحد منهما قبر.

الترجمة

این کتاب نهم از باب کتب و رسائل امیر (عليه السلام) است که به معاویه نوشت.

روزی ابومسلم خولانی با گروهی از قاریان شام که از پیروان معاویه بودند بدو گفتند: تو که چون علی صحبت و قرابت با پیغمبر و سابقت در اسلام و هجرت نداری، از چه روی با وی سر کار زار داری؟

معاویه گفت: من ادّعا نمی کنم که در این صفات از وی برتر یا با وی برابرم ولکن نه این است که عثمان به ستم کشته شد؟ گفتند: آری چنین است، گفت: علی کشندگان عثمان را تسلیم ما کند تا کار به کار زار نکشد، گفتند: دراین باره بدو نامه ای نویس، معاویه نامه ای به امیر (عليه السلام)نوشت و خولانی را برای رساندن نامه به سویش گسیل داشت.

خولانی نامه را به امیر (عليه السلام) رسانید و بدو گفت: اکنون زمام تولیت امور مسلمانان در دست تو است و به خدا سوگند اگر از خود داد حق بدهی دوست ندارم که امر خلافت به دست دیگری جز تو باشد؛ همانا که عثمان مسلمان بود و خونش به ستم ریخته شد، تو امیر مایی، کشندگانش را به ما ده، چه اگر کسی به مخالفت با تو برخیزد دستهای ما به یاریت آماده و زبانهای ما در حقّت گواه و مرتورا نیز در نزد خدا و مردم عذر و حجّت خواهد بود.

امام علیّ (عليه السلام) فرمود: فردا بیا و پاسخ نامه را بستان. چون فردا بیامد، دید که مردم از نامه معاویه آگاه شده، همگی با سلاح در مسجد گرد آمده، ندا درمی دهند: ما همه کشندگان عثمانیم.

خولانی به نزد امیر (عليه السلام) آمد، امیر بدو گفت: سوگند به خدا من نخواستم که به یك چشم بهم زدنی آنان را به دست تو دهم، چه این امر را نیك نگریستم و آن را زیر و رو کردم، سزاورا ندیدم که ایشان را به دست تو یا جز تو دهم.

پس خولانی نامه بستاند و به سوی معاویه بازگشت و داستان را بدو باز نمود.

اینك ترجمه نامه معاویه

بسم الله الرّحمن الرّحیم

از معاویه پور بوسفیان به علی بن ابیطالب:

درود بر تو، با تو خدا را ستایش می کنم و نعمتهای او را سپاس می گذارم، آن که جز او خدایی نیست؛ امّا بعد همانا که خداوند به دانش خود محمد (ﷺ) را برگزید و او را امین بر وحیش و رسول به خلقش گردانید و از مسلمانان یارانی برایش برگزید که به دستیاری آنان نیرویش داد و تاییدش فرمود و رتبه آنان در نزد خدا و رسول به اندازه فضل شان در اسلام بود، پس در میان شان بعد از پیمبر کسی که در اسلام برتر و در راه خدا و رسول مخلص تر است جانشین پیمبر و جانشین جانشین او است، سپس جانشین سوّم عثمان که به ستم کشته شد.

و تو ای علی بر همه شان حسد بردی و به همه آنان ستم کردی، ما این معنی را از چپ چپ نگریستن و به خشم و تند و تیز نگاه کردن و از گفتار زشت و از آه کشیدن و دم بر آوردن دراز و از درنگ و کندی نمودنت در یاری جانشینان پیمبر پی بردیم.

تو آنی که چون شتر نر مهار کرده (چوب در بینی کشیده) به سوی هریك از خلفای رسول برای بیعتت برده اند سر باززدی و از آن کاره بودی و بهویژه به عثمان بیشتر از دیگران حسد ورزیده ای، با این که از جهت رحامت و خویشاوندی و دامادی او به پیمبر از همه سزاوارتر بود که با وی چنان کاری نکنی، پس قطع رحم کردی و خوبی های او را زشت گردانیدی و مردم را بر او شورانیدی و زیر و رو کرده ای تا از هر سوی مردم بدو رو آوردند و برعلیه او در حرم رسول خدا حمل سلاح کردند تا او را کشتند و تو حاضر بودی و ناله و فریاد او را می شنیدی و حرفی نزدی و کاری نکردی تا گمان بد درباره تو نبرند و تهمت به تو نزنند و بدانند که به قتل او راضی نبودی.

به راستی سوگند یاد می کنم که اگر به یك سو می شدی و مردم را از کشتن عثمان بازمی داشتی یك تن ما از تو برنمی گشت، علاوه این که این عمل تو آن چه را که درباره تو راجع به عثمان می پنداشتند جبران می کرد و گمان بدشان را درباره

تو محو می کرد.

و دیگر این که درنظر انصار عثمان، متّهمی که کشندگانش را جا و پناه دادی که اکنون تو را بازوان و یاران اند و همدستان و دوستان خاصّ. و با این همه شنیدم که خویشتن را از خون عثمان تبرئه می نمایی، اگر راست می گویی ما را بر آنان دست ده تا ایشان را به قصاص خون عثمان بکشیم، آنگاه به سویت شتابیم وگرنه تو و یارانت را طعمه شمشیر گردانیم.

سوگند به آن که جز او خدایی نیست اگر قاتلان عثمان در کوهها و ریگستانها و دشت و دریا پراکنده شوند، هرآینه بر آنان دست یابیم تا اینکه خدا آنان را بکشد یا این که آنان جانهای ما را به خدا بپیوندند.

ترجمه نامه امیرالمؤمنین علی (عليه السلام) در پاسخ نامه معاویه:

بسم الله الرّحمن الرّحیم

از بنده خدا علی امیرمؤمنان به معاویه پور بوسفیان:

امّا بعد همانا که بومسلم خولانی نامه ای از شما آورده که در او رسول خدا و نعمت هدایت و وحی را که خدا به او انعام فرموده ذکر کرده ای، پس حمد خدایی را که به وعده اش درباره پیمبرش وفا کرد و نصرتش را بر او تمام گردانید و مراورا در شهرها تمکین داد و بر قوم او. که دشمنی و کینه توزی با او داشتند و بر او حمله ها کردند و بغض او را در دل انباشتند و به دروغ نسبتش دادند و به قتال با او قیام کردند و بر اخراج او و اصحابش از مکّه هم پشت شدند و عرب را بر او تحریك کردند و آنان را بر جنگ او گردآوردند و تمام کوشش در کار او نمودند و کارها را بر او دگرگون کردند. پیروز گردانید، تا دین خدا. با این که آنان از آن بیزاری داشتند. آشکار شد و غالب گردید و شدیدترین مردم بر او قوم او، بهویژه خویشان نزدیك او بودند؛ مگر کسانی که خداوند آنان را حفظ کرد.

ای فرزند هند! روزگار امر شگفتی از شما بر ما پوشیده داشت؛ پیش آمدی و بدنمودی و ناروا کردی که ما را از آزمایش خدا به پیمبرش محمد (صلى الله عليه وآله) و به ما، خبر می دهی، چه در این کار چون آن کسی که خرما به هجر برد یا آن که به گستاخی استادش را که از او تیراندازی بیاموخت به تیراندازی بخواند.

در آن کتاب گفتی: "خداوند از مسلمانان یارانی برای پیمبرش برگزید که به دستیاری آنان نیرویش داد و تأییدش فرمود و رتبه آنان در نزد خدا و رسول به اندازه فضل شان در اسلام بود، پس در میانشان بعد از پیمبر کسی که در اسلام برتر و در راه خدا و رسول مخلص تر است جانشین پیمبر و جانشین جانشین او است"؛ به جانم (یا به دینم) سوگند که آن دو را در اسلام پایه ای بزرگ است و از تیر مرگی که بدانهارسیده زخمی سخت در پیکر اسلام پدید آمده؛ خداوند رحمتشان کند و نیکوترین پاداش دهاد.

و در آن نامه آورده ای که عثمان در فضل و رتبه سوّمین آنها بود؛ اگر عثمان نیکوکار بود خداوند او را به نیکوکاریش پاداش می دهد و اگر بدکار بود دیدار می کند پروردگار آمرزنده ای را که گران و بزرگ نیاید او را گناهی که بیامرزدش.

به خدای لایزال قسم که همانا امیدوارم و آرزو دارم که چون خداوند مردم را به پایه فضایل آنان در اسلام و نصیحت شان در راه خدا و رسول پاداش عطا کند بهره ما در آن از دیگران زیادتر باشد؛ چه محّمد (ﷺ) چون مبعوث به رسالت شد و به ایمان به خدا و توحید دعوت کرد، ما اهل بیت او نخستین کسانی بودیم که به او ایمان آوردیم و به آن چه آورده تصدیق کردیم.

و چند سال تمام بود که در سرزمین عرب هیچ خانواده ای جز ما خدا را پرستش نمی کردند. و قوم ما خواستند که پیغمبر ما را بکشند و بیخ و بن ما را براندازند، درباره ما چیزها اندیشیدند و کارهایی به ما روا داشتند و آب و نان را به روی ما بستند و توشه را از ما بریدند و زندگی خوش را از ما باز داشتند و ما را همنشین و همدم ترس و بیم نمودند و جاسوسان و دیده بان ها بر ما گماشتند و به کوهی سخت (شعب ابوطالب) ما را مضطر گردانیدند و برای ما آتش جنگ برافروختند و با هم پیمان بستند و همدست شدند و نوشته به میان آوردند که کار را چنان بر ما تنگ گیرند، حتّی با ما نخورند و ننوشند و ازدواج نکنند و از ایشان در تمام مدّت سال جز در موسم حجّ ایمن نبودیم تا این که پیغمبر را به دست آنها دهیم که او را بکشند و مثله اش کنند.

پس خداوند متعال ما را عزیمت آن داد که دست ستم آنان را از سر رسول بریدیم و شرّشان را از ناحیه حضرتش باز داشتیم و آنان را از حریم حرمتش دور

کردیم و در ساعات خوف، شب و روز با شمشیرها در حضور او ایستادگی نمودیم. مؤمن ما به این حفظ و حراست پیمبر طلب پاداش می کرد و امیدوار ثواب بود؛ و کافر ما حمایت از اصل و نسب و دودمان خود می کرد. (مراد این است از بنی هاشم و بنی مطّلب آنکه ایمان به رسول آورد مثل ابوطالب پدر امیرمؤمنین علی (عليه السلام) و حمزة بن عبدالمطلّب(رحمهم الله) در حمایت پیغمبر امیدوار ثواب از خدا بودند و در راه خدا دین و پیغمبر را حفظ می کردند؛ به خصوص ابوطالب (رحمه الله) که خدمت بسیار بزرگ به اسلام کرده و رنج و خدمت او از همه بیشتر بود و دین خود را از کفّار نهان می داشت تا بهتر بتواند خدمت به اسلام کند و پیغمبر او را کافل الیتیم خوانده که فرمود: "انا و کافل الیتیم کهاتین فی الجنّة" و آن که از بنی هاشم ایمان نیاورده و کافر بود چون عبّاس عموی پیغمبر و عقیل و طالب فرزندان ابی طالب و حارث و پدرش نوفل و عمویش ابوسفیان فرزندان حارث بن عبدالمطلب که در شعب ابوطالب با پیغمبر و مؤمنین محصور بودند و حمایت از رسول می کردند نه به حساب دین و رسالت بلکه برای حفظ دودمان و اصل نسب و پس از خلاصی از شعب یکی پس از دیگری اسلام آوردند. و از بنی هاشم ابولهب و پسرش همدست با کفّار بودند و آنان را کمك می کردند).

و از قریش کسانی که اسلام آورده بودند از خوفی که ما داشتیم و رنجی که در آن بودیم ایمن بودند یا به سبب هم قسمی که با مشرکان داشتند که آنان را از شر مشرکان بازمی داشت یا به سبب عشیره ای که پیش رویشان از آنها دفاع می کردند تا کسی بر آنان دست نیابد که از قتل در امان بودند، تا روزگاری بدین منوال بگذشت.

سپس خداوند پیغمبرش را امر به هجرت فرمود و بعد از آنش به قتال مشرکین اذن داد. و هنگامی که جنگ سخت می شد و مردم از ترس، عنان باز پس می کشیدند و رومی گردانیدند و دوطرف کارزار آماده جنگ می شدند، رسول خدا اهل بیت خود را بر پا می کرد و آنان را پیش می داشت که به ایشان اصحاب خود را از گرمی و سوزش نیزه ها و شمشیرها حفظ می کرد، که عبیدة بن حارث پسر عم آن حضرت در جنگ بدر کشته شد و حمزه در روز احد و جعفر طیّار و زید بن حارثه

در جنگ موته و کسی که اگر بخواهم اسمش را ببرم (مراد از این کس خود امیرالمؤمنین (عليه‌السلام)است و آن جناب خبر از خودش می دهد) چندین بار در جنگ ها با پیغمبر (صلى‌الله‌عليه‌وآله)شهادتی را که آن شهدا خواستند نیز خواسته و آرزوی آن را داشته است جز این که روزگارشان به سر آمد که به درجه رفیعه شهادت رسیدند ولی عمر وی به سر نیامده که مرگش به تأخیر افتاد. خداوند به ایشان در ازای آن کارهای شایسته که پیش فرستاده اند نیکو احسان کننده و نعمت دهنده است. و کسی از حامیان پیمبر را مختص تر به خدا در طاعت رسولش و مطیع تر به رسول در طاعت پروردگارش و شکیباتر در محنت ها و سختی ها و هنگام ترس و مواطن مکروه با پیغمبر از این چند تن که نام برده ام ندیدم و در مهاجرین خیر بسیار می شناسیم، خداوند ایشان را نیکوترین پاداش دهاد.

و در آن نامه گفتی که "من بر خلفا حسد برده ام و از بیعت به آنان کندی و خودداری نمودم و بر ایشان ستم کردم" اما ستم معاذالله که چنین باشد و من به احدی ستم کرده باشم.

و اما در خودداری از بیعت و طاعت و در کراهت به امرشان، هیچ عذری پیش کسی نیاورم و پوزش نطلبم، زیرا خداوند چون قبض روح پیمبر کرد، قریش گفتند امیر باید از ما باشد و انصار گفتند از ما؛ پس قریش گفتند محمّد رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) از ما بود، در نتیجه ما سزاواریم به امر خلافت و امارت و انصار تسلیم شدند و امارت را به قریش تفویض کردند. پس سبب برکنار شدن انصار از امارت و استحقاق قریش آن را این بود که محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) از قریش بود. و به همین بیان آن که در میان قریش به پیغمبر اولی و اقرب است به خلافت نیز باید احق و اولی باشد (مرادش از این گفتار خود آن بزرگوار است). وگرنه انصار در میان عرب از آن بهره ای بزرگ داشتند. نمی دانم اصحابم به گرفتن حقم تن دردادند یا انصار به من ظلم کردند؟ همین قدر دانم که حقّ من گرفته شد؛ واگذاشتم آن را بر ایشان، خدا از ایشان درگذرد.

اما آن چه درباره عثمان گفتی که "قطع رحم کردم و مردم را بر او شورانیدم"؛ تو خود دیده ای که عثمان در دین چه ها نمود و با مردم چه ها کرد که سرانجام کارهای او سبب قتلش شده و تو خود دانی که من در قتل او شریک

نبودم و از آن کناره گرفتم و عزلت اختیار کردم؛ مگر این که بخواهی افترا به من زنی و به دروغ نسبت به جنایتم دهی، پس هرچه خواهی بکن و هرچه دلت خواست بگو.

ای عجب از روزگار که با من قرین شد کسی (یعنی معاویه و خلفای گذشته) که در راه دین به پایه من قدم برنداشت و سابقه اش در اسلام چون سابقه من نبود؛ سابقه ای که کسی نتواند به مثل آن توسّل جوید و دعوی چنان سابقت نماید مگر کسی ادعا کند آنچه را که من نشناسمش و گمان نکنم که خدای آن را بشناسد (کنایه از این که جز آن چه گفته ام وجود ندارد و صرف ادعا است، اگر کسی ادعا کند دروغ گفته است) و حمد خدای را بر هر حال.

و امّا آن چه درباره قاتلان عثمان گفتی و از من طلب کردی که ایشان را تسلیم تو کنم؛ من در این امر نظر نمودم و نیك آن را زیر و رو کردم، ندیدم که تسلیم شان به تو و به غیر تو برایم گنجایش داشته و مقدور باشد.

به جانم ـ یا به دینم ـ سوگند اگر از گمرهیت بازنایستی و از دعوی خلافت دست برنداری خواهی دید که کشندگان عثمان خودشان به طلب تو آیند و زحمت نمی دهند که در صحرا و دریا و کوه و دشت ایشان را طلب کنی؛ جز این که طلب کردنشان تو را طلبی است که از آن خوشت نیاید و دیدارشان دیداری است که خوشنودت ننماید (کنایه از این که چنان کار را بر تو سخت کنند که دمار از روزگارت در آورند و زندگی در کام تو تلخ گردد).

ای معاویه هنگامی که مردم ابوبکر را والی قرار دادند، پدرت بوسفیان نزد من آمد و به من گفت: "تو بعد از محمّد به خلافت و امارت سزاواری؛ برخیز و حقّ خود بستان و اگر کسی با تو مخالفت کند من کفالت و حمایتت نمایم، اکنون دست دراز کن تا با تو بیعت کنم" ولی من نپذیرفتم.

و تو دانی که این سخن را پدرت به من گفت و از من خواست؛ ولی من بودم که قبول نکردم از بیم این که مبادا تفرقه میان مسلمانان چون قریب العهد به کفر بودند رخ دهد. پس پدرت به حقّ من از تو آشناتر بود و تو اگر چون پدرت حقّ مرا شناسی راه راست را یافته ای و گرنه خداوند ما را کفایت کند و از تو بی نیاز گرداند. درود بر آن که سزاوار آن است.

ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضاً
وهو الكتاب العاشر من باب المختار
من كتبه ورسائله

وَكَيْفَ أَنتَ صانِعٌ إِذا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلابيبُ ما أَنتَ فيهِ مِنْ دُنيا قَدْ تَبَهْجَتْ بِزينَتِها، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِها، دَعَتْك فَأَجَبْتَها؛ وقادَتْك فَاتَّبَعْتَها، وَأَمَرَتْكَ فأَطَعْتَها. وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ واقِفٌ على ما لا يُنْجيكَ مِنْهُ مِجَن، فَاقْعَسْ عَن هذا الأَمْرِ، وَخُذْ أُهْبَةَ الْحِسابِ، وَشَمِّرْ لِما قَدْ نَزَلَ بِكَ، وَلا تُمَكِّنِ الْغُواةَ مِنْ سَمْعِكَ؛ وَإِلاّ تَفعَلْ أُعْلِمْكَ ما أَغفَلْتَ مِنْ نَفسِكَ، فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ، وَبَلَغَ فيكَ أَمَلَهُ، وَجَرى مِنْك مَجْرى الرُّوحِ وَالدَّمِ.

وَمَتى كُنتُم يا مُعاوِيَةُ ساسَةَ الرَّعِيَّةِ وَوُلاةَ أَمْرِ الامَّةِ بِغَيْرِ قَدَم سابِقٍ وَلا شَرَفٍ باسِقٍ. وَنَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ لُزُومِ سَوابِقِ الشَّقاءِ، وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمادِياً في غِرَّةِ الأُمْنِيَّةِ مُخْتَلِفَ الْعَلانِيَةِ والسَّريرَةِ.

وَقَدْ دَعَوْتَ إِلى الْحَرْبِ فَدَعِ النّاسَ جَانِباً وَاْخرُجْ إِليَّ وَأَعْفِ الْفَريقَيْنِ مِنَ الْقِتالِ لِيُعْلَمَ أَيُّنا الْمَرينُ عَلى قَلْبِهِ، وَالْمُغَطّى عَلى بَصَرِهِ فأَنا أبو حَسَنٍ قاتِلُ جَدِّكَ وَخالِكَ وأخيكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ وَذلِكَ السَّيْفُ مَعي وبذلِكَ الْقَلْبِ أَلْقى عَدُوّي.

ما اسْتَبْدَلْتُ ديناً، وَلا اسْتَحْدَثْتُ نَبِيًا وَإِنّي لَعَلَى الْمِنْهاجِ الذي تَرَكْتُمُوهُ طائِعينَ وَدَخَلْتُمْ فيهِ مُكْرهينَ.

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثائِراً بِعُثْمانَ وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمانَ فاطْلُبْهُ مِنْ هُناكَ إن كُنْتَ طالِباً فكَأَنّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ من الْحَرْبِ إِذا عَضَّتْكَ ضَجيجَ الْجِمالِ بالأَثْقالِ وَكَأَنّي بِجَماعَتِكَ تَدْعُوني جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتابِعِ، وَالْقَضاءِ الْواقِعِ، وَمَصارِعَ بَعْدَ مَصارِعَ إِلى كِتابِ اللّهِ وَهِيَ كافِرَةٌ جاحِدَةٌ، أَوْ مُبايِعَةٌ حائِدَةٌ(١).

سند الكتاب ونقل صورته الكاملة

هذا الكتاب نقله نصر بن مزاحم المنقريّ في كتاب صفين مسنداً (**ص ٥٩، الطبع الناصريّ ١٣٠١ هـ**) والرجل توفى قبل الرّضي بمأتي سنة تقريباً. وما في النهج بعض ما في كتاب نصر على ما هو عادة الرضي كما أشرنا غير مرّة إلى أنّ غرضه الأهم انتخاب كلامه الذي

(١) نهج البلاغة (محمد عبده): ٣/ ١٢، وبحار الأنوار: ٣٣/ ١٠٢.

له براعة في الفصاحة والبلاغة، ودونك الكتاب على صورته الكاملة التي نقلها نصر:

كتب عليه السلام إلى معاوية: «بسم اللّه الرحمٰن الرَّحيم، من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان سلام على من اتّبع الهدى فإنّي أحمد الله الذي لا إلٰه إلاّ هو. أما بعد فإنّك قد رأيت من الدُّنيا وتصريفها بأهلها وإلى ما مضى منها وخير ما بقي من الدُّنيا ما أصاب العباد الصادقون فيما مضى ومن نسي الدُّنيا نسيان الآخرة يجد بينهما بوناً بعيداً.

واعلم يا معاوية أنّك قد ادّعيت أمراً لست من أهله لا في القدم ولا في الولاية ولست تقول فيه بأمر بيّن تعرف لك به أثرة، ولا لك عليه شاهدٌ من كتاب الله ولا عهد تدّعيه من رسول الله صلى الله عليه وآله.

فكيف أنت صانع إذا انقشعت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا قد انتهت بزينتها، وركنت إلى لذّتها، وخلّى فيها بينك وبين عدوٍ جاهد ملحّ مع ما عرض في نفسك من دنيا قد دعتك فأجبتها، وقادتك فاتّبعتها، وأمرتك فأطعتها، فأيس من هذا الأمر، وخذ أهبة الحساب، فإنه يوشك أن يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مِجَن.

ومتى كنتم يا معاوية ساسة للرعية، أو ولاة لأمر هذه الأُمة بغير قدم حسنٍ ولا شرفٍ سابقٍ على قومكم؛ فشمّر لما قد نزل بك، ولا تمكّن الشيطان من بغيته فيك مع أنّي أعرف أنَّ الله ورسوله صادقان فنعوذ بالله من لزوم سابق الشقا وإلاّ تفعل اعلمك ما أغفلك من نفسك فإنك مترف قد أخذ منك الشيطان مأخذه فجرى منك مجرى الدَّم في العروق.

واعلم أنَّ هذا الأمر لو كان إلى النّاس أو بأيديهم لحسدونا، ولأمتنّوا به علينا، ولكنّه قضاء ممّن امتنّ به علينا على لسان نبيّه الصادق المصدّق. لا أفلح من شكّ بعد العرفان والبيّنة. اللّهمَّ احكم بيننا وبين عدوّنا بالحقّ وأنت خير الحاكمين».

فكتب إليه عليه السلام معاوية:

بسم اللّه الرحمٰن الرَّحيم، من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب، أمّا بعد فدع الحسد فإنّك طالما لم تنتفع به ولا تفسد سابقة قدمك بشره نخوتك، فإنَّ الأعمال بخواتيمها، ولا تمحق سابقتك في حقّ من لا حقّ لك في حقّه فإنّك إن تفعل لا تضرّ بذلك إلاّ نفسك، ولا تمحق إلاّ عملك، ولا تبطل إلاّ حجّتك ولعمري ما مضى لك من السابقات لشبيه أن يكون ممحوقاً لمااجترأت عليه من سفك الدّماء، وخلاف أهل الحقّ، فاقرأ سورة الفلق وتعوّذ بالله من شرّ نفسك فإنّك الحاسد إذا حسد[1].

(١) وقعة صفين: ١١٠.

واعلم أنَّ بين صورة كتاب الأمير عليه السلام على نسخة كتاب صفين التي نقلناه عنها وبين صورته على نسخته التي نقله عنها الفاضل الشارح المعتزلي في شرحه على النهج بوناً بعيداً وتفاوتاً كثيراً ولسنانعلم أنَّ هذا الإختلاف الفاحش من أين تطرَّق إلى كتاب واحد ولم يحضرني نسخة مصحّحة من كتاب صفين ولا نسخ متعددة منه لنحكم بتّاً على صحّة نسخة، ولا يبعد أن يقال أنّه إذا دار الأمر إلى اختيار نسخة من بين النسخ وترجيحها على غيرها فالمختار هو ما في النهج لمكانة الرضي في معرفة فنون الكلام وأساليبه، كيف لا وقد كان عالماً نبيلاً، وشاعراً مفلقاً، وأديباً بارعاً، ومترسلاً قويّاً ماهراً، وفي تميز فصيح الكلام من غيره إماماً خرّيتاً يشهد على ذلك ديوان أشعاره وخطبته على النهج وسائر آثاره.

وأمّا الكتاب على نسخة الشارح المعتزلي فهذه صورته: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان سلام على من اتّبع الهدى فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو، أمّا بعد فإنّك قد رأيت مرور الدُّنيا وانقضاءها وتصرّمها بأهلها وخير ما اكتسب من الدُّنيا ما أصابه العباد الصالحون منها من التقوى ومن يقس الدُّنيا بالآخرة يجد بينهما بعيداً[(١)].

واعلم يا معاوية أنّك قد ادّعيت أمراً لست من أهله لا في القديم ولا في الحديث ولست تقول فيه بأمر بيّن يعرف له أثر ولا عليك منه شاهد ولست متعلّقاً بآية من كتاب الله ولا عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله فكيف أنت صانع إذا تقشّعت عنك غيابة ما أنت فيه من دنيا قد فتنت بزينتها، وركنت إلى لذّاتها، وخلّى بينك وبين عدوّك فيها، وهو عدوٌّ كلب مضلٌّ جاهد مليح ملح مع ما قد ثبت في نفسك من حبّها دعتك فأجبتها، وقادتك فاتّبعتها، وأمرتك فأطعتها؛ فاقعس عن هذا الأمر، وخذ أهبة الحساب فإنّه يوشك أن يقفك واقف على ما ينجيك مجنٍ.

ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية، أو ولاة لأمر هذه الأُمّة بلا قدم حسن، ولا شرف تليد على قومكم؛ فاستيقظ من سنتك وارجع إلى خالقك، وشمّر لما سينزل بك؛ ولا تمكّن عدوّك الشيطان من بغية فيك مع أنّي أعرف أنَّ الله ورسوله صادقان نعوذ بالله من لزوم سابق الشقاء، وإلاّ تفعل[(٢)] فإنّي اعلمك ما أغفلت من نفسك أنّك مترف قد أخذ منك الشيطان مأخذه فجرى منك مجرى الدَّم في العروق، ولست من أئمّة هذه الأُمّة ولا من رعاتها.

واعلم أنَّ هذا الأمر لو كان إلى النّاس أو بأيديهم لحسدوناه، ولامتنّوا علينا به، ولكنّه قضاء ممّن منحناه واختصّنا به على لسان نبيّه الصادق المصدَّق، لا أفلح من شكَّ بعد العرفان

---

(١) في نسخة: بوناً بعيداً. شرح النهج: ٨٦/١٥، ونهج السعادة: ٢٤٦/٤ ح ٩١، ووقعة صفين: ١٠٩.

(٢) في نسخة: بغيته. بحار الأنوار: ١٠٠/٣٣.

والبيّنة. ربّ احكم بيننا وبين عدوّنا بالحقّ وأنت خير الحاكمين[١].

فكتب معاوية إليه الجواب من معاوية بن أبي سفيان....... ولا تفسد سابقة جهادك بشره....... ولا تمحص سابقتك بقتال من لا حقَّ لك....... فاقرأ السورة التي يذكر فيها الفلق وتعوَّذ من نفسك فإنّك الحاسد إذا حسد.

اللغة

«تكشّفت عنك» أي ارتفعت وزالت عنك و«انقشعت» و«تقشّعت» بمعنى انكشفت وتكشّفت يقال: انقشع السحاب وتقشّع أي زال وانكشف.

«جلابيب» جمع الجلباب بكسر **(الجيم)** وسكون **(اللام)** وتخفيف **(الباء)** وبكسر **(اللام)** وتشديد **(الباء)** أيضاً: الملحفة وهي الثوب الواسع فوق جميع الثياب. وتجلبب الرّجل جلببة أي لبس الجلباب ولم تدغم لأنّها ملحقة بدحرج.

«تبهّجت» أي تحسّنت. «يوشك» بالكسر أي يقرب ويدنو ويسرع؛ يقال: أوشك يوشك إيشاكاً فهو موشك، والوشيك السريع.

قال الجوهريُّ في **«الصحاح»**: وقد أوشك فلان إيشاكاً أي أسرع السير؛ ومنه قولهم يوشك أن يكون كذا. قال جرير يهجو العباس بن يزيد الكندي:

إذا جهل الشقيُّ فلم يقدّر ببعض الأمر أوشك أن يصابا

والعلامة تقول: يوشك بفتح **(الشين)** وهي لغة رديئة، انتهى كلامه.

«يقفك واقف على ما لا ينجيك منه» أي يطلعك عليه. قال الجوهريُّ في **«الصحاح»**: وقفته على ذنبه أي اطّلعتُهُ عليه.

«مجنّ» الترس، وبعض النسخ «منج» اسم الفاعل من قوله عليه السلام **(ينجيك)**.

«اقعس عن هذا الأمر» أمر من قعس عنه قَعَساً من باب علم أي تأخّر عنه كتقاعس واقعنسس كما في **«صحاح»** الجوهري؛ وعلى نسخة نصر أمر من أيس منه إياساً من باب علم أي قنط وقطع الرجاء منه. «الأهبة» في **«الصحاح»**: تأهّب: استعدّ، وأهبة الحرب عدّتها؛ والجمع أُهب، «شمّر» فقد مضى تفسيره وتحقيقه في شرح المختار ٢٣٧ من باب الخطب **(ص ١٩٠ ج ١٦)** فراجع.

---

(١) بحار الأنوار: ٣٣/١٠١، ونهج السعادة: ٤/٢٤٩.

«الغواة» كالقضاة جمع غاوٍ أي الضال. الإغفال: الإهمال والترك. «المترف» مفعول، وفي «**الصحاح**»: أترفته النعمة أي أطغته. وفي بعض النسخ مشكول على هيئة الفاعل والصواب ما قدّمناه، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سبأ: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ [الأنبياء: ١٣].

(**المأخذ**): المنهج والمسلك، ويروى على هيئة الجمع أعني المآخذ أيضاً، وجاءت المآخذ بمعنى المصائد أيضاً.

«ساسة» جمع سائس كبطلة جمع باطل إلاّ أنّ حرف العلّة فيها ابدلت ألفاً وأصلها سيسة. «باسق» أي عالٍ رفيع، يقال: بسق فلان على أصحابه أي علاهم وبسق النخل بسوقاً أي طال وارتفعت أغصانه ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ [ق: ١٠] قال هشام أخوذي الرّمة في أبيات يرثي بها أخاه ذا الرّمة وابن عمّه أوفى بن دلهم (**الحماسة ٢٦٤**).

نعوا باسق الأفعال لا يخلفونه تكاد الجبال الصمّ منه تصدّع

«متمادياً» فاعل من التمادي وأصله المدى أي الغاية، يقال: تمادى فلان في غيّه أي دام على فعله ولجّ وبلغ فيه المدى. «الغرّة»: الغفلة. «الأمنيّة» بضمّ الهمزة واحدة الأماني: ما يتمناه الإنسان ويؤمل إدراكه وطمع الناس.

«أعف» أمر من الإعفاء، وفي بعض النسخ مشكول بضمّ (**الفاء**) وهمزة الوصل ولكنّه وهم والصواب الأوّل يقال: أعفاه من الأمر أي برّاه منه. وفي «**الصحاح**»: يقال: أعفني من الخروج معك أي دَعني منه؛ واستعفاه من الخروج معه أي سأله الاعفاء.

«المرين» اسم مفعول من ران كالمدين من دان، وفي النهاية الأثيرية: يقال: رين بالرجل ريناً إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه، وأصل الرين: الطبع والتغطية ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ [المطففين: ١٤] أي طبع وختم، ومنه حديث عليّ عليه السلام: «**التعلم** أيّنا المرين على قلبه والمغطّى على بصره»[1]؛ (**والمرين**) المفعول به الرين؛ ومنه حديث مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: ٨١] قال: هو الرّان، والرّان والرّين سواء كالذام والذيم، والعاب والعيب. انتهى كلامه.

ولا يخفى عليك أنّ ابن الأثير أشار بقوله: «ومنه حديث عليّ عليه السلام لتعلم أيّنا المريد على قلبه والمغطّى على بصره» إلى هذه الفقرة من ذلك الكتاب الذي نحن بصدد شرحه وابن الأثير هذا هو مبارك بن أبي الكرام أثير الدِّين محمّد الجزريّ توفي بموصل سنة ٦٠٦ من الهجرة.

(١) نهج البلاغة: ٣/ ١١، وبحار الأنوار: ٣٣/ ٨٧.

وفي «**الصحاح**» للجوهريّ: الرّين الطبع والدنس؛ يقال: ران على قلبه ذنبه يرين ريناً وريوناً أي غلب. وقال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ أي غلب. وقال الحسن: هو الذَّنب على الذّنب حتّى يسود القلب. وقال أبو عبيدة: كلُّ ما غلبك فقد ران ورانك وران عليك. وقال أبو زيد: يقال: رين بالرَّجل إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا قبل له به، وران النعاس في العين ورانت الخمر عليه غلبته. وقال القنانيّ الأعرابيّ: رين به أي انقطع به ورانت نفسه ترين ريناً أي خبثت وغثّت. انتهى قول الجوهريّ.

«شَدْخاً» قال الجوهري في «**الصحاح**»: الشدخ كسر الشيء الأجوف، تقول: شدخت رأسه ـ من باب منع ـ فانشدخ، وشدّخت الرّؤوس شدّد للكثرة. انتهى.

«المنهاج» كالمعراج: الطريق الواضح «ثائراً بعثمان» ثأر القتيل وبالقتيل ثَأراً أو ثُؤْرَةً من باب منع: طلب دمه وقتل قاتله فهو ثائر، وقال الشاعر كما في «**الصحاح**»:

شفيت به نفسي وأدركت ثؤرتي بني مالك هل كنت في ثُؤرتي نكساً

وقال الجوهريُّ: الثائر: الذي لا يُبْقى على شيء حتّى يدرك ثَأره. وقال المرزوقيُّ في شرح الحماسة (٦٠٧) عند قول منصور بن مسجاح:

ثَأرت رُكاب العَير منهم بِهَجْمةٍ صفايا ولا بُقْيا لِمَن هو ثائر

والثائر ليس من حقّه أن يبقى، والأصل في الثائر القاتل، فوضعه موضع الواتر المنتقم، يقال: ثأرت فلاناً وثأرت بفلان إذا قتلت قاتله.

«عضّتك» عضّه عضّاً وعضيضاً من باب منع أي أمسكه بأسنانه ويقال بالفارسية گازگرفت اورا، يقال: عضّه، وعضّ به وعضّ عليه وهما يتعاضّان إذا عضَّ كلٌّ واحد منهما صاحبه وكذلك المعاضّة والعضاض. وأعضضته الشيء فعضّه وفي الحديث فأعضّوه بهن أبيه ولا تكنوا، ويقال: أعضضته سيفي أي ضربته به. وعضّه الزمان أي اشتدّ عليه. وعضّ الشيء أي لزمه واستمسك به.

«ضجيج» مصدر من قولك ضجّ يضجّ من باب ضرب أي جلّب وصاح وجزع من شيء فالضجيج: الصياح.

«حائدة» أجوف يائي من حاد يحيد حيداً من باب باع يقال: حاد عن الطريق إذا مال عنه وعدل.

الإعراب

«من دُنيا» كلمة (**من**) بيانيّة لكلمة (**ما**)، وضمير تبهّجت وأخواتها يرجع إلى الدُّنيا وضمائر الخطاب إلى من أجاب دعوتها.

«يوشك» من أفعال المقاربة، هو وأخواه كاد وكرب من النوع الأوّل منها الذي وضع للدلالة على قرب الخبر للمسمّى باسمها. وهي تعمل عمل (**كان**) إلاّ أنَّ خبرها يجب كونه جملة ليتوجّه الحكم إلى مضمونها (**وشذّ مجيئه**) مفرداً (**فواقف**) اسم ليوشك، (**وأن يقفك**) في موضع نصب خبر له قدِّم على الاسم، وعلى صلة يقف.

(**والفاء**) في (**فاقعس**) فصيحة، (**وتفعل واعلمك**) مجزومان (**بأن**) في (**إلاّ**) لأنّ أصلها هٰهنا إن لا. وكلمة (**من**) في (**من نفسك**) بيانيّة يفسِّر كلمة (**ما**). ومفعول (**اغفلت**) العائد إلى (**ما**) محذوف أي ما أغفلته، أو يقال من نفسك متعلّق لأغفلت وإن لم نجد في المعاجم الحاضرة لدينا أن يقال أغفل منه ونحوه.

«مأخذه» مفعول لقوله أخذ، وروي المآخذ بالجمع أيضاً. وكذا مجرى الروح والدَّم لقوله جرى.

قوله: (**متى كنتم**) - إلخ - استفهام على سبيل الانكار، قوله: (**بغير قدم سابق**) استفهام آخر أيضاً على سبيل التعنيف والعتاب والانكار أي: أبغير قدم سابق وشرف باسق.

«مختلف العلانية» خبر بعد خبر لقوله (**أن تكون**)؛ والخبر الأوّل متمادياً. (**وقد دعوت**)؛ المفعول محذوف أي وقد دعوتني أو دعوتنا.

«جانباً» منصوب على الظرفية لقوله (**دع**)، واللاّم في «ليعلم» جارّة للتعليل والفعل المدخول بها مأوّل (**بأن**) المصدرية مضمرةً إلى المصدر المجرور (**باللام**)، والمعلل الأفعال الثلاثة أعني دع وأخويه التاليين له.

«قاتل جدِّك» إمّا خبر بعد خبر للضمير أنا، أو صفة لأبي حسن نحو قوله تعالى: ﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤] في كونه صفة للّه ربِّ العالمين.

«شدخاً» تميز يبيّن إبهام النسبة في قوله عليه السلام (**أنا قاتل جدّك**). «ما استبدلت ديناً» المبدل منه محذوف أي ما استبدلت ديناً بديني.

«ثائراً» حال لضمير جئت. و«جزعاً» تميز للنسبة في تدعو. (**من الضرب**) متعلّق بقوله جزعاً، (**والقضاء**) عطف على الضرب وكذا المصارع الأولى معطوفة على الضرب مجرورة بالفتح لأنّها غير منصرفة والثّانية مجرورة بالإضافة. وجملة «وهي كافرة» حالية والعامل في

الحال تدعو وضمير التأنيث يرجع إلى جماعة معاوية. **(وإلى كتاب الله)** متعلّق بتدعو. **(وجاحدة)** صفة للكافرة، **(ومبايعة)** معطوفة على الكافرة، **(وحائدة)** صفة للمبايعة.

المعنى

كتب عليه السلام هذا الكتاب إلى معاوية لمّا أراد المسير إلى أهل الشام بعدما شاور من كان معه في ذلك وأورد كلامه عليه السلام في المشاورة مع قومه وكلام عدّة من أنصاره وأعوانه في جوابه عليه السلام وكذا كلام بعض من المنافقين له عليه السلام وما دار بينهم وبين أصحابه عليه السلام نصر في كتاب صفّين ولا بأس بنقلهما لأنَّ كلمات أنصاره في المقام تزيد القاريء إيماناً.

نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن إسماعيل بن يزيد والحارث بن حصيرة عن عبد الرَّحمٰن بن عبيد أبي الكنود قال: لمّا أراد عليّ عليه السلام المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار فحمد الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعد فإنكم ميامين الرأي مراجيح الحلم مقاويل بالحقّ مباركو الفعل والأمر وقد أردنا المسير إلى عدوّنا وعدوّكم فأشيروا علينا برأيكم[1].

أقول: كلامه عليه السلام هذا مع وجازته وجودته وفصاحته وبلاغته ليس بمذكور في النهج.

كلام هاشم بن عتبة له عليه السلام

فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثمّ قال: أمّا بعد يا أمير المؤمنين فأنا بالقوم جدّ خبيرهم لك ولأشياعك أعداء وهم لمن يطلب حرث الدُّنيا أولياء، وهم مقاتلوك ومجاهدوك لا يبقون جهداً مشاحّة على الدُّنيا وضنّا بما في أيديهم منها وليس لهم إربة غيرها إلاّ ما يخدعون به الجّهال من الطلب بدم عثمان بن عفّان، كذبوا ليسوا بدمه يثارون ولكن الدُّنيا يطلبون فسر بنا إليهم فإن أجابوا إلى الحقّ فليس بعد الحقّ إلاّ الضلال، وإن أبوا إلاّ الشقاق فذلك الظنّ بهم والله ما أراهم يبايعون وفيهم أحد ممّن يطاع إذا نهى ويسمع إذا أمر.

كلام عمار بن ياسر له عليه السلام

نصر عمر بن سعد، عن الحارث بن حصيرة، عن عبد الرَّحمٰن بن عبيد أبي الكنود: أنَّ عمّار بن ياسر قام فذكر الله بما هو أهله وحمده وقال: يا أمير المؤمنين إن استطعت أن لا تقيم يوماً واحداً فاشخص بنا قبل استعار نار الفجرة واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة،

(١) بحار الأنوار: ٣٢/٣٩٧ ح ٣٦٩، والغدير: ٢/٧٧.

وادعهم إلى رشدهم وحظّهم فإن قبلوا سعدوا، وإن أبوا إلاّ حربنا، فوالله إنَّ سفك دمائهم والجدَّ في جهادهم لقربة عند الله وهو كرامة منه.

كلام قيس بن سعد له عليه السلام

وفي هذا الحديث: ثمَّ قام قيس بن سعد بن عبادة فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: يا أمير المؤمنين انكمش بنا إلى عدوّنا ولا تعرّج فوالله لجهادهم أحبّ إليّ من جهاد التُرك والروم لادهانهم في دين الله واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمّد ﷺ من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيروه وفيئنا لهم في أنفسهم حلال ونحن لهم فيما يزعمون قطين، قال: يعني رقيق.

كلام سهل بن حنيف له عليه السلام

فقال أشياخ الأنصار منهم خزيمة بن ثابت وأبو أيّوب الأنصاري وغيرهما: لم تقدَّمت أشياخ قومك، وبدأتهم يا قيس بالكلام؟ فقال: أمّا إنّي عارف بفضلكم، معظم لشأنكم ولكنّي وجدت في نفسي الضغن الذي جاش في صدوركم حين ذكرت الأحزاب. فقال بعضهم لبعض: ليقم رجل منكم فليجب أمير المؤمنين عن جماعتكم فقالوا: قم يا سهل بن حنيف فقام سهل فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: يا أمير المؤمنين نحن سلم لمن سالمت، وحرب لمن حاربت، ورأينا رأيك، ونحن كفُّ يمينك. وقد رأينا أن تقوم بهذا الأمر في أهل الكوفة فتأمرهم بالشخوص وتخبرهم بما صنع الله لهم في ذلك من الفضل فإنّهم هم أهل البلد وهم الناس؛ فإن استقاموا لك استقام لك الذي تريد وتطلب وأمّا نحن فليس عليك منّا خلاف؛ متى دعوتنا أجبناك، ومتى أمرتنا أطعناك.

كلام اربد الفزاري له عليه السلام وقتله

نصر عمر بن سعد، عن أبي مخنف، عن زكريا بن الحارث، عن أبي جيش عن معبد قال: قام عليّ عليه السلام خطيباً على منبره فكنت تحت المنبر حين حرّض الناس وأمرهم بالمسير إلى صفّين لقتال أهل الشام فبدأ فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: سيروا إلى أعداء السنن والقرآن سيروا إلى بقيّة الأحزاب وقتلة المهاجرين والأنصار. فقام رجل من بني فزارة يقال له أربد فقال: أتريد أن تسيرنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلناهم كلاّها الله[1] إذاً لا نفعل ذلك.

---

(١) نهج السعادة: ٢/٩٦، ووقعة صفين: ٩٤.
كلاها الله: مخفف كلا والله.

فقام الأشتر فقال: من لهذا أيّها النّاس؟ وهرب الفزاريُّ واشتدَّ الناس على أثره فلحق في مكان من السوق تباع فيه البرازين فوطؤه بأرجلهم وضربوه بأيديهم ونعال سيوفهم حتّى قتل، فأتى عليّ عليه السلام فقيل: يا أمير المؤمنين قتل الرجل قال: ومن قتله؟ قالوا: قتله همدان وفيهم شوبة من الناس، فقال: قتيل عميّة لا يدري من قتله، ديته من بيت مال المسلمين[١].

قال علاقة التميمي:

أعوذ بربّي أن تكون منيّتي كما مات في سوق البرازين أرْبَد

تعاوده همدان خفق نعالهم إذا رُفِعَت عنه يد وضعت يد

كلام الاشتر له عليه السلام

قال: وقام الأشتر فحمد الله وأثنى عليه فقال يا أمير المؤمنين لا يهدنك ما رأيت ولا يؤيسنّك من نصرنا ما سمعت من مقالة هذا الشقيّ الخائن إنَّ جميع من ترى من الناس شيعتك وليسوا يرغبون بأنفسهم عن نفسك ولا يحبّون بقاء بعدك فإن شئت فسر بنا إلى عدوّك والله ما ينجو من الموت من خافه ولا يعطى البقاء من أحبّه وما يعيش بآمال إلاّ شقيّ، وإنّا لَعَلى بيّنة من ربّنا، إنَّ نفساً لن تموت حتّى يأتي أجلها؛ فكيف لا نقاتل قوماً هم كما وصف أمير المؤمنين وقد وثبت عصابة منهم على طائفة من المسلمين فأسخطوا الله وأظلمت بأعمالهم الأرض وباعوا خلاقهم بعرض من الدُّنيا يسير.

فقال عليٌّ عليه السلام: «الطريق مشترك والناس في الحقّ سواء ومن اجتهد رأيه في نصيحة العامّة فله ما نوى وقد قضى ما عليه»[٢] ثمَّ نزل فدخل منزله.

كلام ابن المعتم وحنظلة العبسي المعروف بحنظلة الكاتب له عليه السلام وكانا كاتبين لمعاوية ومخالفين لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وما قال لهما قوم علي عليه السلام وأمره بهدم دار حنظلة وما جرى في ذلك

نصر عمر بن سعد قال: حدَّثني أبو زهير العبسيّ، عن النضر بن صالح: إنَّ عبد الله بن المعتم العبسي، وحنظلة بن الربيع التميمي لما أمر عليٌّ عليه السلام الناس بالمسير إلى الشام دخلا في رجال كثير من غطفان وبني تميم على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له التميميّ: يا أمير المؤمنين إنا قد مشينا إليك بنصيحة فاقبلها منّا ورأينا لك رأياً فلا تردّه علينا: فإنّا نظرنا لك

(١) الكافي: ٧/ ٣٩٤ ح١، ووسائل الشيعة: ٢٩/ ٧١ ح ٧/ ٣٥.

(٢) نهج السعادة: ٢/ ٩٧، وميزان الحكمة: ٢/ ١٠٢٨ ح ١٤٣٠.

ولمن معك، أقم وكاتب هذا الرجل ولا تعجل إلى قتال أهل الشام فإنّي والله ما أدري ولا تدري لمن تكون إذا لقيتم الغلبة وعلى من تكون الدبرة؟ وقام ابن المعتم فتكلّم وتكلّم القوم الذين دخلوا معهما بمثل ما تكلّم به.

فحمد عليٌّ ﷺ الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعد فإنَّ الله وارث العباد والبلاد وربّ السماوات والأرضين السبع وإليه ترجعون يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممّن يشاء ويعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء. أمّا الدّبرة فإنها على الضالّين العاصين ظفروا أو ظُفِر بهم. وأيم الله إنّي لأسمع كلام قوم ما أراهم يريدون أن يعرفوا معروفاً ولا ينكروا منكراً.

فقام إليه معقل بن قيس اليربوعي ثمَّ الرياحي فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ هؤلاء والله ما أتوك بنصح ولا دخلوا عليك إلاّ بغشّ فاحذرهم فإنّهم أدنى العدوّ.

فقال له مالك بن حبيب: يا أمير المؤمنين أنّه بلغني أنَّ حنظلة هذا يكاتب معاوية فادفعه إلينا نحبسه حتّى تنقضي غزاتك ثمَّ تنصرف.

وقام إلى عليّ ﷺ عياش بن ربيعة وقائد بن بكير العبسيّان فقالا: يا أمير المؤمنين إنَّ صاحبنا عبد الله بن المعتمّ قد بلغنا أنّه يكاتب معاوية فاحبسه أو أمكنّا منه نحبسه حتّى تنقضي غزاتك وتنصرف.

فأخذا (**يعني ابن المعتم وحنظلة الكاتب**) يقولان: هذا جزاء من نصركم وأشار عليكم بالرأي فيما بينكم وبين عدوّكم.

فقال لهما عليٌّ ﷺ: الله بيني وبينكم وإليه أكلكم وبه أستظهر عليكم اذهبوا حيث شئتم.

ثمَّ بعث عليٌّ ﷺ إلى حنظلة بن الربيع المعروف بحنظلة الكاتب وهو من الصحابة فقال: يا حنظلة أعليّ أم لي؟ قال: لا عليك ولا لك. قال: فما تريد؟ قال: اشخص إلى الرها فإنّه فرج من الفروج أصمد له حتّى ينقضي هذا الأمر؛ فغضب من ذلك خيار بني عمرو بن تميم وهم رهطه. فقال: إنّكم والله لا تغرّوني من ديني دعوني فأنا أعلم منكم. فقالوا: والله لئن لم تخرج مع هذا الرَّجل لا ندع فلان يخرج معك لام ولده ولا ولدها ولئن أردت ذلك لنقتلنّك فأعانه ناس من قومه فاخترطوا سيوفهم، فقال: أجّلوني حتّى أنظر فدخل منزله وأغلق بابه حتّى إذا أمس هرب إلى معاوية وخرج من بعده إليه من قومه رجال كثير، ولحق ابن المعتمّ أيضاً حتّى أتى معاوية وخرج معه أحد عشر رجلاً من قومه، وأمّا حنظلة فخرج بثلاثة وعشرين رجلاً من قومه ولكنّهما لم يقاتلا مع معاوية واعتزلا الفريقين جميعاً فقال حنظلة حين خرج إلى معاوية:

يسلّ عواة عند بابي سيوفها ونادى مناد في الهجيم لأقبلا
سأتركـكـم عوداً لأصعب فرقة إذا قلتم كلا يقول لكم بلا

قال: فلمّا هرب حنظلة أمر عليّ عليه السلام بداره فهدمت هدمها عرّيفهم بكر بن تميم وشبث ابن ربعي[1].

كلام عدي بن حاتم الطائي له عليه السلام

نصر: عمر بن سعد، عن سعد بن طريف، عن أبي المجاهد، عن المحلّ بن خليفة قال: قام عديّ بن حاتم الطائي فبدأ فحمد الله بما هو أهله وأثنى عليه ثمَّ قال: يا أمير المؤمنين ما قلت إلاّ بعلم ولا دعوت إلاّ إلى حقّ ولا أمرت إلاّ برشد فإن رأيت أن تستأني هؤلاء القوم وتستديمهم حتّى يأتيهم كتبك ويقدم عليهم رسلك فعلت فإن يقبلوا يصيبوا ويرشدوا والعافية أوسع لنا ولهم وإن يتمادوا في الشقاق ولا ينزعوا عن الغيّ فسر إليهم وقد قدَّمنا إليهم العذر ودعوناهم إلى ما في أيدينا من الحقّ فوالله لهم من الله أبعد وعلى الله أهون من قوم قاتلناهم بناحية البصرة أمس لما أجهدنا لهم الحقّ فتركوه تاوحناهم براكاء القتال حتّى بلغنا منهم ما نحب وبلغ الله منهم رضاه فيما يرى.

كلام زيد بن حصين الطائي له عليه السلام

فقام زيد بن حصين الطائي وكان من أصحاب البرانس المجتهدين فقال: الحمد لله حتّى يرضى ولا إله إلاّ الله ربّنا ومحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله نبيّنا أمّا بعد، فوالله لئن كنّا في شكّ من قتال من خالفنا لا يصلح لنا النيّة في قتالهم حتّى نستديمهم ونستأنيهم ما الأعمال إلاّ في تباب ولا السعي إلاّ في ضلال والله يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١] إنّا والله ما ارتبنا طرفة عين فيمن يبتغون دمه فكيف بأتباعه القاسية قلوبهم، القليل في الإسلام حظّهم، أعوان الظلم، ومسدّدي أساس الجور والعدوان ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ولا التابعين بإحسان.

فقام رجل من طيء فقال: يا زيد بن حصين أكلام سيّدنا عديّ بن حاتم تهجن؟ قال: فقال: ما أنت بأعرف بحقّ عديّ منّي ولكن لا أدع القول بالحقّ وإن سخط الناس، قال: فقال عديّ بن حاتم: الطريق مشترك والنّاس في الحقّ سواء فمن اجتهد رأيه في نصيحة العامّة فقد قضى الذي عليه.

---

(١) وقعة صفين: ٩٧، وشرح نهج البلاغة: ٣/ ١٧٦.

كلام أبي زبيب بن عوف له عليه السلام

نصر عمر بن سعد، عن الحراث بن حصيرة[(١)] قال: دخل أبو زبيب بن عوف على عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين لئن كنّا على الحقّ لأنت أهدانا سبيلاً وأعظمنا في الخير نصيباً ولئن كنّا في ضلالة إنك لأثقلنا ظهراً وأعظمنا وزراً أمرتنا بالمسير إلى هذا العدوّ وقد قطعنا ما بيننا وبينهم من الولاية وأظهرنا لهم العداوة نريد بذلك ما يعلم الله وفي أنفسنا من ذلك ما فيها؛ أليس الذي نحن عليه الحقّ المبين؛ والذي عليه عدوّنا الغيّ والحوب الكبير؟

فقال عليّ: شهدت أنّك إن مضيت معنا ناصراً لدعوتنا صحيح النيّة في نصرتنا قد قطعت عنهم الولاية وأظهرت لهم العداوة كما زعمت فإنّك وليّ الله تسبح في رضوانه وتركض في طاعته فأبشر أبا زبيب[(٢)].

فقال له عمّار بن ياسر: أثبت أبا زبيب ولا تشكّ في الأحزاب عدوٌّ الله ورسوله قال: فقال أبو زبيب: ما أُحبّ أنَّ لي شاهدين من هذه الأُمّة فيشهدا لي على ما سألت عنه من هذا الأمر الذي أهمّني مكانكما. قال: وخرج عمّار وهو يقول:

سيروا إلى الأحزاب أعداءِ النبيّ ... سيروا فخير الناس أتباع عليّ

هذا أوان طاب سلّ المشرفيّ ... وقودنا الخيل وهزّ السمهريّ

كلام يزيد بن قيس الأرحبي

عمر بن سعد، عن أبي روق قال: دخل يزيد بن قيس الأرحبيّ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين نحن على جهاز وعدة وأكثر الناس أهل التقوى ومن ليس بمضعف وليس به علّة فمُر مُناديك فليناد الناس يخرجوا إلى معسكرهم بالنخيلة فإنَّ أخا الحرب ليس بالسَّؤم ولا النَّوْم ولا من إذا أمكنه الفرض أجّلَها واستشار فيها ولا من يؤخّر الحرب في النوب إلى غد وبعد غد.

كلام زياد بن النضر له عليه السلام

فقال زياد بن النضر: لقد نصح لك يا أمير المؤمنين يزيد بن قيس وقال ما يعرف فتوكّل على الله وثق به واشخص بنا إلى هذا العدوّ راشداً معاناً فإن يرد الله بهم خيراً لا يدعوك رغبة عنك إلى من ليس مثلك في السابقة مع النبيّ صلى الله عليه وآله والقدم في الإسلام والقرابة من محمّد صلى الله عليه وآله

(١) في نسخة: حصين، نهج السعادة: ٢/ ١٠٠.

(٢) نهج السعادة: ٢/ ١٠١، ووقعة صفين: ١٠٠.

وإلاّ ينيبوا ويقبلوا ويأبوا إلاّ حربنا نجد حربهم علينا هيّناً ورجونا أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم بالأمس.

كلام عبد الله بن بديل له عليه السلام

ثمّ قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقال: يا أمير المؤمنين إنّ القوم لو كانوا الله يريدون أو لله يعملون ما خالفونا ولكنّ القوم إنّما يقاتلون فراراً من الأسوة وحبّاً للأثرة وضنّا بسلطانهم وكرهاً لفراق دنياهم التي في أيديهم وعلى إحن في أنفسهم وعداوة يجدونها في صدورهم لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة قتلت فيها آباءهم وإخوانهم.

ثمّ التفت إلى الناس فقال: فكيف يبايع معاوية عليّاً وقد قتل أخاه حنظلة وخاله الوليد وجدّه عتبة في موقف واحد والله ما أظنّ أن يفعلوا ولا يستقيموا لكم دون أن تقصد فيهم المران وتقطع على هامهم السيوف وتنثر حواجبهم بعُمد الحديد وتكون أُمور جمة بين الفريقين.

سب أصحاب علي عليه السلام معاوية وأتباعه وبراءتهم عنهم ومنعه عليه السلام إياهم عن السب

نصر: عمر بن سعد، عن عبد الرَّحمٰن، عن الحارث بن حصيرة، عن عبد الله بن شريك قال: خرج حجر بن عديّ وعمرو بن الحمق يظهران البراءة واللّعن من أهل الشام فأرسل إليهما عليّ عليه السلام أن كفّا عما يبلغني عنكما فأتياه فقالا يا أمير المؤمنين ألسنا محقّين؟ قال: بلى، قالا: فلم منعتنا من شتمهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين شتّامين تشتمون وتتبرّؤن ولكن لو وصفتم مساويء أعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا وكذا كان أصوب في القول وأبلغ في العذر وقلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم: اللّهمّ احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتّى يعرف الحقّ منهم من جهله، ويرعوى عن الغيّ والعدوان من لهج به كان هذا أحبّ إليّ وخيراً لكم.

فقالا: يا أمير المؤمنين نقبل عظتك ونتأدّب بأدبك.

وقال عمرو بن الحمق: إنّي والله يا أمير المؤمنين ما أحببتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك ولا إرادة مال تؤتينه ولا التماس سلطان برفع ذكرى به ولكن أحببتك لخصال خمس: إنّك ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوّل من آمن به، وزوج سيّدة نساء الأمّة فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله، وأبو الذرّيّة التي بقيت فينا من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأعظم رجلاً من المهاجرين سهماً في الجهاد، فلو أنّي كلفت نقل الجبال الرواسي، ونزح البحور الطوامي حتّى يأتي عليّ

يومي في أمر أقوى به وليّك وأوهن به عدوّك ما رأيت أنّي قد أدّيت فيه كلّ الذي يحقّ عليَّ من حقك.

فقال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: اللّهمَّ نوِّر قلبه بالتقى واهده إلى صراط مستقيم، ليت أنَّ في جندي مائة مثلك.

فقال حجر: إذا والله يا أمير المؤمنين صحَّ جندك، وقلَّ فيهم من يغشّك.

ثمَّ قام حجر فقال: يا أمير المؤمنين نحن بنو الحرب وأهل الذين [نلقحها](1) وننتجها قد ضارسنا وضارسناها ولنا أعوان ذو صلاح وعشيرة ذات عدد، ورأي مجرّب وبأس محمود، وأزمّتنا منقادة لك بالسمع والطاعة، فإن شرقت شرقنا، وإن غربت غربنا، وما أمرتنا به من أمر فعلناه.

فقال عليٌّ عليه السلام: أكلّ قومك يرى مثل رأيك؟ قال: ما رأيت منهم إلاّ حسناً وهذه يدي عنهم بالسمع والطاعة وبحسن الإجابة، فقال له عليٌّ عليه السلام خيراً(2).

قال نصر: وفي حديث عمر بن سعد قال: وكتب عليٌّ عليه السلام إلى عمّاله: فكتب إلى مخنف بن سليم وكان عامله عليه السلام على أصفهان وهمدان كتاباً وهو قوله عليه السلام:

كتابه عليه السلام إلى مخنف بن سليم وقد كان عامله عليه السلام على أصفهان وهمدان

وهذا الكتاب لم يأت به الرضي رضوان الله عليه في النهج

سلام عليك فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو أمّا بعد، فإنَّ جهاد من صدف عن الحقِّ رغبة عنه وهبّ في نعاس العمى والضلال اختياراً له فريضة على العارفين إنَّ الله يرضى عمّن أرضاه ويسخط على من عصاه وإنّا قد هممنا بالمسير إلى هؤلاء القوم الذين عملوا في عباد الله بغير ما أنزل الله واستأثروا بالفيء وعطّلوا الحدود وأماتوا الحقَّ وأظهروا في الأرض الفساد واتّخذوا الفاسقين وليجة من دون المؤمنين فإذا وليٌّ لله أعظم أحداثهم أبغضوه وأمصوه وحرّموه؛ وإذا ظالم ساعدهم على ظلمهم أحبّوه وأدنوه وبرّوه فقد أصرّوا على الظلم وأجمعوا على الخلاف وقديماً ما صدّوا عن الحقّ، وتعاونوا على الإثم وكانوا ظالمين فإذا

---

(١) زيادة عن بحار الأنوار: ٣٢/٣٩٩، وفي الأصل بياض.

(٢) نهج السعادة: ٢/١٠٦، ووقعة صفين: ١٠٤.

أتيت بكتابي هذا فاستخلف على عملك أوثق أصحابك في نفسك وأقبل إلينا لعلّك تلقى هذا العدوّ المحل فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتجامع الحقَّ وتباين الباطل فإنّه لا غناء بك ولا بك عن أجر الجهاد وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم[١]، وكتب عبد الله بن أبي رافع سنة سبع وثلاثين.

قال نصر: فاستعمل مخنف على أصبهان الحرث بن أبي الحرث بن الربيع، واستعمل على همدان سعيد بن وهب وكلاهما من قومه وأقبل حتّى شهد مع عليّ عليه السلام صفين.

كتابه عليه السلام إلى عبد الله بن عباس وقد كان عامله على البصرة وهذا الكتاب أيضاً ليس في النهج

قال نصر: وكان عليّ عليه السلام قد استخلف ابن عبّاس على البصرة فكتب عبد الله بن عبّاس إلى عليّ عليه السلام يذكر له اختلاف أهل البصرة فكتب إليه عليّ عليه السلام: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عبّاس أمّا بعد، فالحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد عبده ورسوله أمّا بعد، فقد قدمَ عليَّ رسولك وذكرت ما رأيت وبلغك عن أهل البصرة بعد انصرافي وسأُخبرك عن القوم هم من بين مقيم لرغبة يرجوها أو عقوبة يخشاها فأرغب راغبهم بالعدل عليه والانصاف له والإحسان إليه، وحلّ عقدة الخوف عن قلوبهم فإنّه ليس لأُمراء أهل البصرة في قلوبهم عظم إلاّ قليل منهم وانتهِ إلى أمري ولا تعُده، وأحسن إلى هذا الحيّ من ربيعة وكلّ من قبلك فأحسن إليهم ما استطعت إن شاء الله والسلام[٢]. وكتب عبد الله بن أبي رافع في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين.

كتابه عليه السلام إلى الأسود بن قطنة

وكتب إلى الأسود بن قطنة: أما بعد، فإنّه من لم ينتفع بما وعظ لم يحذر ما هو غابر ومن أعجبته الدُّنيا رضي بها وليست بثقة فاعتبر بما مضى تحذر ما بقي واطبخ للمسلمين قبلك من الطِّلاء ما يذهب ثلثاه وأكثر لنا من لَطَف الجند واجعله مكان ما عليهم من أرزاق الجند فإنَّ للولدان علينا حقّاً، وفي الذرّية من يخاف دعائه وهو لهم صالح والسلام[٣].

أقول: هذا الكتاب ليس بمذكور في النهج أيضاً وقد يأتي كتاب آخر له عليه السلام إلى الأسود بن قطنة، وهو الكتاب ٥٩. وجاء بعض النسخ قطيبة، والآخر: قطبة.

---

(١) بحار الأنوار: ٣٢/ ٤٠٠، ووقعة صفين: ١٠٤.
(٢) بحار الأنوار: ٣٢/ ٤٠٠، ونهج السعادة: ٤/ ١٣٠.
(٣) بحار الأنوار: ٣٢/ ٤٠١.

كتابه عليه السلام إلى عبد الله بن عامر، وهذا الكتاب أيضاً لا يوجد في النهج

قال نصر: وكتب عليه السلام إلى عبد الله بن عامر: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عامر؛ أمّا بعد فإنَّ خير الناس عند الله عزَّ وجلَّ أقوَمهم لله بالطاعة فيما له وعليه وأقوَلُهم بالحقّ ولو كان مُرًّا فإنَّ الحقّ به قامت السماوات والأرض ولتكن سريرتك كعلانيتك؛ وليكن حكمك واحداً، وطريقك مستقيمة فإنَّ البصرة مهبط الشيطان فلا تفتحنَّ على يد أحد منهم باباً لا نطيق سدّه نحن ولا أنت والسلام[1].

وكتب إلى عبد الله بن عبّاس - إلخ. هذا الكتاب هو الذي أتى به الرَّضيُّ رضوان الله عليه في موضعين الأوَّل هو الكتاب ٢٢ أوَّله: أمّا بعد فإنَّ المرء قد يسرّه درك ما لم يكن ليفوته، وإنّما ذكره مرَّتين لاختلاف الرواية في صورته وسيأتي شرحه في محلّه بعون الله تعالى.

قال نصر: وكتب عليه السلام إلى أُمراء الخراج: بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى أُمراء الخراج: أمّا بعد، فإنّه من لم يحذر ما هو صائر إليه - إلخ. وهو الكتاب ٥١ من النهج وسيأتي تفصيله وشرحه إنشاء الله تعالى.

قال نصر: وكتب إلى معاوية - إلخ. وهو الكتاب العاشر من النهج الذي نحن بصدد شرحه.

وكتب إلى عمرو بن العاص - إلخ. وهو الكتاب ٤٩ من النهج أوَّله: فإنَّ الدُّنيا مشغلة عن غيرها - إلخ. وسيأتي شرحه إنشاء الله تعالى فقد آن لنا أن نرجع إلى شرح جمل الكتاب:

قوله عليه السلام: «بسم الله - إلى قوله: بأهلها» وعظ عليه السلام معاوية بعد تسمية الله وتحميده بأنَّ الدُّنيا منقضية متصرِّمة ومتصرِّفة بأهلها أنحاءَ التصرّف فقد أشابت الصغير وأفنت الكبير وأبنائها فيها كأنّما قد قضوا نحبهم وانصرمت آجالهم فإنَّ الموت قريب، والدُّنيا دار مقرّ. وليس الناس للدُّنيا خلقوا؛ وبالجملة أنّه عليه السلام وعظه وذكّره بمرور الدُّنيا وتصرّمها بأهلها لعلَّ العظة والتذكرة تنفعانه، ولكن معاوية زيّن له الحياة الدُّنيا وصار قلبه أشدّ قسوة من الحجارة فأنّى له أن يذَّكّر، وينفعه نصحه عليه السلام؛ قال عزَّ من قائل في سورة الأعلى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾ [الأعلى: ٩ - ١٣].

(١) بحار الأنوار: ٣٢/ ٤٠١، ونهج السعادة: ٤/ ٢٢١ ح ٧٩.

قوله عليه السلام: «وخير ما بقي من الدُّنيا ما أصاب العباد الصادقون فيما مضى» هذه عظة أُخرى له. وكلمة (**من**) الجارة صلة (**بقي**) لأنّها بيانيّة تبيّن (**ما**)، (**وما**) الثانية خبر خير، (**والعباد**) فاعل أصاب، والضمير العائد إلى (**ما**) الثانية محذوف أي ما أصابه العباد لأنّه يجوز حذف العائد المنصوب إذا كان متصلاً منصوباً وناصبه فعل أو وصف غير صلة (**الألف**) (**واللاّم**) نحو يعلم ما يسرّون وما يعلنون أي يسرّونه ويعلنونه. ولم (**يبيّن**) ما الثانية ليذهب نفس السامع إلى كلّ مذهب خير ورأسه التقوى كما أتى بها في نسخة الشارح المعتزلي. (**وما**) الثالثة يمكن أن تفسّر إمّا بالزّمان أي في الزّمان الذي مضى من عمرهم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ إلى قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٢٤] أو بالأمور والأفعال ونحوهما أي فيَ بيّن الأمور التي مضت منهم وصدرت عنهم فتذكير الفعل على هذا الوجه باعتبار ظاهرها.

قوله عليه السلام: «ومن نسي الدُّنيا نسيان الآخرة يجد بينهما بوناً بعيداً» كانت نسخة الشارح المعتزلي: «من يقس الدُّنيا بالآخرة يجد بينهما بوناً بعيداً» ومعناه واضح والغرض أنَّ العاقل لا يبيع الدار الباقية بالفانية ولا يخرب الأُولى لأجل الثانية قال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الدهر: ٢٨].

وأمّا النسخة الأُخرى فمعناه أنَّ من زهد في الدُّنيا مثل من زهد في الآخرة يجد بين الدُّنيا والآخرة بوناً بعيداً، أي يجد ذلك الذي ترك الدُّنيا بينه وبين من ترك الآخرة في الآخرة بوناً بعيداً فإنَّ الأوّل له درجات عند ربّه والثاني ينسى في الآخرة؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأعراف: ٥١].

أو يقال: من نسي حظوظ الدُّنيا وترك الشهوات النفسانيّة لأجل أن لا يُنسى في الآخرة فيجد بينهما بوناً بعيداً، ولعلَّ غيري يفهم معنى آخر أدقّ وألطف ممّا تبادر إليه ذهني.

ومعلوم أنَّ غرضه عليه السلام ترغيب معاوية في ما ينفعه؛ وتحذيره ممّا يوجب نكال الآخرة. ونقل العبارة الشارح البحراني هكذا: «ومن نفس الدُّنيا بشأن الأخرة ـ إلخ» والظاهر أنَّ (**نفس**) في نسخته تحريف (**يقس**)؛ لأنَّ نفس ثلاثياً أو مزيداً لم يجيء لمعنى يناسب المقام، أو أنّه تحريف (**ينسى**).

قوله عليه السلام: «واعلم يا معاوية ـ إلى قوله من رسول الله» يعني أنَّ معاوية ادّعى مقام الخلافة والإمامة وليس من أهله وذلك لأنَّ هذا المقام هو خلافة الله وخلافة الرّسول ولا بدَّ لمن يدَّعيه شاهد من كتاب الله وعهد من الرَّسول، وقد قدَّمنا طائفة من البحث عن الخلافة

وأوصاف الإمام في شرح المختار ٢٣٧ من باب الخطب وقد حرّرنا هناك أنّ الإمام يجب أن يكون منصوباً من عند الله تعالى، ومعصوماً من الذُّنوب مطلقاً لما دريت أن ذلك المقام عهد الله ولا ينال عهده الظالمين، فراجع.

وقوله عليه السلام: ولا لك عليه شاهد من كتاب الله، ولا عهد تدّعيه من رسول الله؛ صريح بأنَّ الخلافة ليست زعامة عادية عامية تثبت بالشورى؛ بل هي رئاسة عامّة إليهّة في أمور الدِّين والدُّنيا والفائز بهذا المنصب الإلٰهي إنَّما يفوز به بنصِّ الله تعالى ورسوله.

ثمَّ إنَّ معنى العبارة على نسخة الفاضل الشارح أعني قوله عليه السلام: «إنّك قد ادّعيت أمراً لست من أهله لا في القديم ولا في الحديث» بيّن لا يحتاج إلى التفسير وأمّا على النسخة الأخرى أعني قوله عليه السلام: «إنّك قد ادّعيت أمراً لست من أهله لا في القدم ولا في الولاية» فلعلّ معناها: إنّك ادّعيت أمر الخلافة لست من أهله لا في القديم على أن يقرأ القدم بكسر القاف وفتح الدال بمعنى مقابل الحدوث، ويحتمل بعيداً أن يقرأ بفتحهما نحو قوله الآتي في هذا الكتاب: **(بغير قدم سابق)**، ونحو ما مضى منه عليه السلام في الكتاب السابق: **(إذا صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي)**. ولا في الولاية بكسر الواو أي الإمارة لأنَّ الولاية الإلهيّة تلزم التدبير والعلم بالدِّين وسائر ما يجب أن يكون صاحب هذه الرتبة واجدها ومنها أن يكون وليّ العهد بنصّ الله تعالى ورسوله ولم تكن لمعاوية الولاية. ولعلَّ حرف التعريف فيها يشير إلى أنَّ الولاية المعهودة يجب أن تكون لخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ويؤيّد ما فسّرنا قول عمّار بن ياسر في صفين حيث قال: أيّها النّاس اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذي يبغون دم ابن عفّان - إلى قوله: ولم يكن للقوم **(يعني بهم معاوية وأتباعه)** سابقة في الإسلام يستحقّون بها طاعة النّاس والولاية عليهم فخدعوا أتباعهم، إلى آخر ما روينا عن الطبري في ص ٢٨٦ ج ١٥ ورواه نصر أيضاً في كتاب صفين ص ١٦٥ من الطبع الناصري.

وأظنّ أنَّ الأصل في الموضعين هو النسخة التي نقلناها عن نصر والتي نقلها الشارح المذكور عنه مصحّفة وذلك أنَّ نسختنا لا تخلو من أعضال وغرابة ولما لم يكن الذهن يستأنس بها في جليّ النظر حرِّفت إلى ما ترى كما هو دأب الناس في ماله غرابة.

قوله عليه السلام: «فكيف أنت صانع إذا - إلى قوله: **فأطعتها**» العبارة في نسخ النهج مذكورة **(بالواو)** مكان **(الفاء)** أي «وكيف أنت صانع» والصواب **(الفاء)** دون **(الواو)** وذلك لأنَّ العبارة متفرّعة على ما قبلها **(والفاء)** هذه فصيحة تنبيء عن محذوف يدلّ عليه ما قبلها أي إذا لم يكن لك في ادّعائك هذا الأمر شاهد من كتاب الله، ولا عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا أمر بيّن تعرف لك به أثرة فكيف أنت صانع - إلخ.

أي فماذا تفعل إذا ارتفعت وزالت عنك ما كانت تغطيك وتواريك من جلابيب ما أنت فيه من دنيا فبقيت مكشوفاً غير مستور منها.

والغرض أنَّ معاوية لم يكن له هذا الشأن العظيم الإلٰهي إلاّ أنَّ الدُّنيا فتنته بزينتها وغرّته وخدعته فتجاوز عن حدّه فادّعى ما لم يكن له، وكأنّه عليه السلام أشار بقوله (**جلابيب**) حيث أتى بلفظ الجمع إلى كثرة اغتراره من الدُّنيا وتوغّله فيها وإحاطتها به كأنَّ خدعتها إيّاه في كلِّ مرَّة كانت ملحفة غشيته. وبقوله: فأجبتها فاتّبعتها، فأطعتها؛ إلى أنّه استغشى ثيابها أيضاً.

ثمَّ إنَّ من تصدّى لخدعة الغير لا بدَّ له من أن يلبس الباطل في ثياب الحقّ ويزين المنكر ويزخرفه حتّى يزوّر عليه الأمر فيصطاده بتلك الشرك المموّهة؛ ولذا قال عليه السلام: (**قد تبهّجت بزينتها وخدعت بلذّتها**).

قوله عليه السلام: «وإنّه يوشك أن يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجنّ» أجرى عليه السلام المخاطب مجرى الغافل عن شيء ثمَّ أخبره بذلك الشيء كقول الشاعر:

جاء شقيق عارض رمحه ... إنَّ بني عمّك فيهم رماح

وذلك لأنَّ أعمال معاوية تشبه عمل من لم يقرَّ بالموت ولم يذعن بالحساب والجزاء، فأخبره تذكيراً له بأنَّ مطلعاً يطلعه عن قريب على (ما) لا يتّقى منه بترس ولا ينجيه منه منجٍ. ولم يبيّن كلمة ما ليعمّ الموت وما يتبعه من أحوال ما بعد الموت وأهواله. وما لزم معاوية ممّا اكتسبها من معاصي الله والتجاوز عن حدوده فإنّها صارت رينا على قلبه فماله من محيص قال عزَّ من قائل: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١] وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾.

والظاهر أنَّ المراد من الواقف هو الله تعالى، أو ملك الموت؛ أو الموت، أو أنّه عليه السلام أراد به نفسه ويخبره عن عواقبه النازلة عليه في صفّين كقوله عليه السلام في ذيل هذا الكتاب: (**كأنّي قد رأيتك تضجُّ من الحرب**) - إلخ. وإن كان الأخير لا يناسب سياق الكلام.

قوله عليه السلام: «فاقعس عن هذا الأمر» (**الفاء**) فصيحة وأخذ عليه السلام أن ينفّره ويحذّره من سوء أعماله أي إذا كان الموت آتيك عن قريب وأنت رهين ما اكتسبت فتأخّر عمّا تدّعيه واقطع الرجاء منه وأمسك عن أباطيلك، وتنحّ عن أضاليلك.

قوله عليه السلام: «وخذ أهبة الحساب» عطف على قوله (**اقعس**)، أي تأهّب واستعدَّ لحسابك يوم يقوم النّاس لربِّ العالمين قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ١] وقال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦].

قوله عليه السلام: «وشمّر لما قد نزل بك» عبّر ما يأتي بلفظ الماضي لتحقّق وقوعه عن قريب حتّى كأنّه وقع. ثمّ إنّه عليه السلام خوّفه من سوء مآله ونكال مآبه في الآخرة بقوله **(شمّر لما قد نزل بك)** أي تهيّأ لأمر هائل وخطب عظيم لما قد دريت من مباحثنا السالفة أنه يقال: فلا شدّ عقد إزاره، أو كشف عن ساقيه أو شمّر عن ساقيه، أو شمّر ذيله، أو نحوها إذا تهيّأ لأمر هائل وخطب عظيم وفظيع.

ويمكن أن يكون مراده عليه السلام بقوله هذا تهديده وإنذاره من عواقبه وإخباره بما ينزل به ويفضحه في وقعة صفين كقوله عليه السلام له في ذيل كتابه هذا: **(فكأنّي قد رأيتك تضجّ من الحرب)** ـ إلخ. ولكن المعنى الأوّل أوفق بسياق الكلام.

قوله عليه السلام: «ولا تمكّن الغواة من سمعك» يقال مكّنه وأمكنه من الشيء إذا جعل له عليه سلطاناً وقدرة. أي لا تسلّطهم على سمعك ولا تسمع منهم ما يوحون إليك ولا تشاورهم فإنّهم يغوونك فيردونك لأنّ اتّباع الأراء الباطلة مردية وذلك لأنّ بعد الحقّ ليس إلاّ الضلال.

ومن هؤلاء الغواة عبيد الله بن عمر، علمت في شرح المختار ٢٣٦ من باب الخطب وشرح المختار الأوّل من باب الكتب: أنّ عمر لما ضرب في غلس الصبح واشتبه الأمر في ضاربه سمع ابنه عبيد الله قوماً يقولون قتله العلج فظنّ أنّهم يعنون الهرمزان فبادر عبيد الله إليه فقتله قبل أن يموت عمر؛ فسمع عمر بما فعل ابنه فقال: قد أخطأ عبيد الله إنّ الذي ضربني أبو لؤلؤة وإن عشت لأقيدنّه به فإنّ عليّاً لا يقبل منه الدية وهو موليه. فلمّا مات عمر وتولّى عثمان طالبه عليّ عليه السلام بقود عبيد الله وقال: إنّه قتل مولاي ـ يعني الهرمزان ـ ظلماً وأنا وليّه، فقال عثمان: قتل بالأمس عمر واليوم تقتل ابنه حسب آل عمر مصابهم به وامتنع من تسليمه إلى عليّ. وقال عليّ: لئن أمكنني الدّهر منه يوماً لأقتلنّه به[1]، فلمّا ولي عليّ عليه السلام هرب عبيد الله إلى الشام والتجأ إلى معاوية وخرج معه إلى حرب صفين فقتله عليّ عليه السلام في حرب صفين.

ومنهم ذو الكلاع، ومنهم مروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ومنهم عمرو بن العاصي وكثير ممّن أشرنا إليهم في الشروح السالفة قد استحبّوا الدُّنيا وأسرّوا الكفر وجعلوا قتل عثمان عرضة لأغراضهم النفسانيّة وأهوائهم الشيطانية فخدعوا أتباعهم بقولهم قتل إمامنا مظلوماً.

قوله عليه السلام: «وإلاّ تفعل أُعلمك ما أغفلت من نفسك» أي إن لا تردع نفسك عن الغيّ والضلال ولا تتأخّر عن هذا الأمر الذي تدّعيه ولا تتّعظ بما وعظتك به ولا تفعل ما أمرتك

---

(١) الخرائج والجرائح: ١/ ٢١٢، وبحار الأنوار: ٣٠/ ٢٧٣.

فإنّي أُعلم نفسك التي أهملتها وتركتها. وإهمال النفس إرخاء عنانها وإرسالها فيما تشاء وعدم روضها في طاعة الله، ولا يخفى على عاقل أنَّ النفس أبيّة العنان ولا تنقاد لحكم العقل إلاّ أن تروّض وتمنع ممّا تهويه وتشتهيه فلو اهملت ولم تلجم لسلكت طريقة عمياء فإنّها أمّارة بالسوء، فطوبى لامرىء ألجم نفسه وأمسكها عن معاصي الله وقادها إلى طاعته تعالى.

ولم يبيّن عليه السلام متعلّق الإعلام أعني أنّه لم يقل بماذا يُعلمه ليعمّ جميع تبعاتها. يعني أنّك إن لم تنته عن أباطيلك ولم تمتثل أمري لأُذيقنّك حرّ السيوف وشرارة الموت حتّى تعلم نفسك ما كانت عليها من الأوزار التي اكتسبتها بإهمالك إيّاها.

ويمكن أن يكون من نفسك متعلّق أغفلت، فعلى متعلّق الأعلام مذكور لكنه مبهم فيندرج في حكم الأوّل.

قوله عليه السلام: «فإنّك مترف ـ إلى قوله: والدَّم» الظاهر من سياق العبارة دالّ على أنَّ **(الفاء)** تعليليّة لقوله عليه السلام: **(أعلمك)**؛ لا لقوله: **(أغفلت)**. أي أعلمك نفسك المهملة لأنك ممّن أطغته النعمة واستكنّ فيه الشيطان وتسلّط عليه وفعل فيه ما شاء من الآمال والأهواء، وجرى فيه مجرى الروح والدَّم، والمراد أنَّ معاوية تجاوز عن حدود الله بترفه فلا بدَّ للإمام المبسوط اليد من أن يسدّه عن التجاوز إمّا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوّلاً، وإمّا بحرّ الأسنّة والسيوف إن لم ينته عن التجاوز ثانياً ولذا قال عليه السلام: **(وإلاّ تفعل أُعلمك)** ـ إلخ.

وقوله عليه السلام: **(وجرى منك مجرى الروح والدَّم)** إشارة إلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ الشيطان ليجري من بني آدم مجرى الدَّم[1]. وحمل الروح على معنى الروح البخاري أولى من حمله على النفس الناطقة المجرَّدة لمكان مجرى وذلك لأنَّ للنفس النّاطقة تعلّق تدبير وتصرف للبدن ولا يقال إنّها جارية فيه بخلاف الروح البخاري فإنّه ليس بمجرَّد بل جسم لطيف.

قوله عليه السلام: «ومتى كنتم ـ إلى قوله: سوابق الشقاء» هذا استفهام انكار، وقد قدَّمنا في مباحثنا السالفة أنَّ الفائز برتبة الخلافة يجب أن يكون في جميع الصفات الكمالية أفضل من غيره طول عمره، فلو كان لغيره سابقة الشرف والتقدُّم في الأُمور لم يكن له أهليّة ذلك المقام.

وقوله عليه السلام: «بغير قدم سابق ولا شرف باسق» استفهام على سبيل التقريع والتعنيف والعتاب والانكار، أي هل كنتم ساسة الرعية وولاة أمر الأُمّة بغير قدم سابق يعني أنّى يكون

(١) نهج البلاغة: ٢/ ١٣٩ ح ٤، ومستدرك الوسائل: ١٦/ ٢٢٠ ح ١٦.

كذلك أن يلي أحد أمور الأمّة بغير قدم سابق ولا شرف سابق؟

وقوله عليه السلام: «ونعوذ بالله - إلخ» كأنّما يشير إلى ما جرى فيه القضاء الإلٰهي من لزوم سوابق الشقاء فإنّه لا يبدّل ولا يغيّر ونعم ما قال الخواجه عبد الله الأنصاري بالفارسيّة: إلٰهي همه از آخر ترسند وعبد الله از أول زيرا آنچه رفته درأول، در آخر نميشود مبدّل.

قوله عليه السلام: «وأحذِّرك أن تكون متمادياً في غرة الأمنية» أي أُخوفك من أن تدوم وتستمرّ في غفلة الأمال الباطلة والأهواء المردية كادّعائه الخلافة. أي انتهِ عنه فإنّ عاقبته وخيمة.

قوله عليه السلام: «مختلف العلانية والسريرة» أي أُحذِّرك أن تكون منافقاً، ومعلوم أنّ المنافق أضرّ بالدِّين من الكافر فإنّ من كان معلوم الحال يتّقى منه؛ والمنافق يردّ الناس عن صراط الله القهقرى يظهر الإيمان ويصير إلى الكفر. وكان لمعاوية في ذلك النصيب الأوفر.

وفي الكافي بإسناده عن سعيد بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مثل المنافق مثل جذع النخل أراد صاحبه أن ينتفع به في بعض بنائه فلم يستقم له في الموضع الذي أراد فحوّله في موضع آخر فلم يستقم له، وكان آخر ذلك أن أحرقه بالنّار[1].

رؤية النبي صلى الله عليه وآله بني أمية في المنام على صور قرود تصعد منبره وترد الناس عن الإسلام القهقرى

قال الفيض في تفسير الصافي عند قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].

العيّاشيّ عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ﴾؟ فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أري أنّ رجالاً من بني تيم وعديّ على المنابر يردون النّاس عن الصراط القهقرى؛ قيل: والشجرة الملعونة؟ قال: هم بنو أُميّة[2].

وعن الصادق عليه السلام مثله إلاّ أنه قال: رأى أنّ رجالاً على المنابر يردّون النّاس ضلالاً رزيق وزفر.

أقول: وهما كنايتان عن الأوّلين وتيم وعديّ جدّاهما.

قال: وفي رواية أُخرى عنه عليه السلام: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد رأى رجالاً من نار على منابر

---

(١) الكافي: ٢/٣٩٦ ح ٥، وميزان الحكمة: ٤/٨٣١ ح ٤.

(٢) بحار الأنوار: ٣١/٥٢٧ ح ٣١، وتفسير الصافي: ٣/١٩٩ ح ٦٠.

من نار يردُّون الناس على أعقابهم القهقرى؛ قال: ولسنا نسمّي أحداً، وفي أخرى: إنّا لا نسمّي الرجال ولكن رسول الله ﷺ رأى قوماً على منبره يضلّون الناس بعده على الصراط القهقرى[1].

وفي رواية أُخرى قال: رأيت الليلة صبيان بني أُميّة يرقون على منبري هذا فقلت: يا ربِّ معي؟ فقال: لا ولكن بعدك.

وفي الكافي عن أحدهما عليه السلام: أصبح رسول الله ﷺ يوماً كئيباً حزيناً؛ فقال له عليّ عليه السلام: ما لي أراك يا رسول الله كئيباً حزيناً؟ فقال: وكيف لا أكون كذلك وقد رأيت في ليلتي هذه أنَّ بني تيم وبني عديّ وبني أُميّة يصعدون منبري هذا يردّون النّاس عن الإسلام القهقرى، فقلت، يا ربِّ في حياتي أو بعد موتي؟ فقال: بعد موتك[2].

أقول: معنى هذا الخبر مستفيض بين الخاصّة والعامّة إلاّ أنَّ العامّة رووا تارة أنّه رأى قوماً من بني أُميّة يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة، فقال هو حظّهم من الدُّنيا يعطونه بإسلامهم.

وأُخرى أنَّ قروداً تصعد منبره وتنزل فساءه ذلك واغتمّ به.

والقمّي قال: نزلت لما رأى النبيّ ﷺ في نومه كأنَّ قروداً تصعد منبره فساءه ذلك وغمّه غمّاً شديداً فأنزل الله: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنة لهم ليعمهوا فيها والشجرة الملعونة كذا نزلت وهم بنو أُميّة[3].

والعياشيّ عن الباقر عليه السلام: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنة لهم ليعمهوا فيها والشجرة الملعونة في القرآن يعني بني أُميّة[4].

ومضمراً أنّه سئل عن هذه الآية فقال: إنَّ رسول الله ﷺ نام فرأى أنَّ بني أُميّة يصعدون منبره يصدّون الناس كلّما صعد منهم رجل رأى رسول الله ﷺ الذلّة والمسكنة فاستيقظ جزوعاً عن ذلك فكان الذين رآهم اثني عشر رجلاً من بني أُميّة فأتاهم، فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية، ثمّ قال جبرئيل: إنَّ بني أُميّة لا يملكون شيئاً إلاّ ملك أهل البيت ضعفيه[5].

---

(١) الكافي: ٤/١٥٩ ح ١٠، ومدينة المعاجز: ٦/١٤٠.

(٢) الكافي: ٨/٣٤٥ ح ٥٤٣.

(٣) تفسير القمي: ٢/٢١، والتفسير الصافي: ٣/٢٠٠.

(٤) تفسير العياشي: ٢/٢٩٧ ح ٩٣، والتفسير الصافي: ٣/٢٠٠.

(٥) بحار الأنوار: ٣١/٥٢٨، وتفسير العياشي: ٢/٢٩٨ ح ١٠١.

وفي الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال: أما إنَّ معاوية وابنه سيليانها بعد عثمان ثمَّ يليها سبعة من ولد الحكم بن أبي العاص واحداً بعد واحد يكمله اثني عشر إمام ضلالة وهم الذين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله على منبره يردّون الأمّة على أدبارهم القهقرى، عشرة منهم من بني أُمية ورجلان أسّسا ذلك لهم وعليهما أوزار هذه الأمّة إلى يوم القيامة(١).

وفي مقدّمة الصحيفة السجّاديّة عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذته نعسة وهو على منبره فرأى في منامه رجالاً ينزون على منبره نزو القردة يردّون الناس على أعقابهم القهقرى فاستوى رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً والحزن يعرف في وجهه فأتاه جبرئيل بهذه الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ الآية يعني بن أميّة قال: يا جبرئيل أعلى عهدي يكونون وفي زمني؟ قال: لا ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشراً ثمَّ تدور رحى الإسلام على رأس خمس وثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمساً ثمَّ لا بدَّ من رحى ضلالة في قائمة على قطبها ثمَّ ملك الفراعنة، قال: وأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۞﴾ [القدر: ١ ـ ٣] تملكها بنوا أُميّة ليس فيها ليلة القدر فاطّلع الله نبيّه أنَّ بني أُميّة تملك سلطان هذه الأمّة وملكها وطول هذه الأمّة فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتّى يأذن الله بزوال ملكهم وهم في ذلك مستشعرون عداوتنا أهل البيت وبغضنا. أخبر الله نبيّه بما يلقى أهل بيت محمّد وأهل مودّتهم وشيعتهم منهم في أيّامهم وملكهم(٢).

أقول: إنّما أرى صلى الله عليه وآله ردّ النّاس عن الإسلام القهقرى لأنَّ الناس كانوا يظهرون الإسلام وكانوا يصلّون إلى القبلة ومع هذا كانوا يخرجون عن الإسلام شيئاً فشيئاً كالذي يرتدّ عن الصراط السوي القهقرى ويكون وجهه إلى الحقّ حتّى إذا بلغ غاية سعيه رأى نفسه في الجحيم.

وفي الاحتجاج عن الحسن بن عليّ عليه السلام في حديث أنّه قال لمروان بن الحكم: أمّا أنت يا مروان فلست أنا سببتك ولا سببت أباك ولكن الله عزَّ وجلَّ لعنك ولعن أباك وأهل بيتك وذرّيتك وما خرج من صلب أبيك إلى يوم القيامة على لسان محمّد صلى الله عليه وآله؛ يا مروان ما تنكر أنت ولا أحد ممّن حضر هذه الأمّة من رسول الله صلى الله عليه وآله لك ولأبيك من قبلك وما زادك الله يا مروان بما خوّفك إلاّ طغياناً كبيراً وصدق الله وصدق رسوله، يقوله الله تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ وأنت يا مروان وذرّيتك

(١) كتاب سليم بن قيس: ٢١٢، وبحار الأنوار: ٣١/٤٢٧.

(٢) التفسير الصافي: ٣/٢٠١.

الشجرة الملعونة في القرآن(١).

عن رسول الله ﷺ وعن أمير المؤمنين ؑ في حديث: وجعل أهل الكتاب القائمين به والعاملين بظاهره وباطنه من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها أي يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت وجعل أعدائها أهل الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره ولو علم المنافقون لعنهم الله ما عليهم من ترك هذه الآيات التي بيّنت لك تأويلها لأسقطوها مع ما أسقطوا منه(٢).

أقول: وفي قوله سبحانه: فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً لطافة لا يخفى، انتهى ما أتى به الفيض قدّس سرّه في هذا المقام من تفسيره.

جميع ملك بني أمية كان ألف شهر كاملة

لما انجرّ الكلام إلى ذكر الحديث في **(أنّ ليلة القدر خير من ألف شهر تملكها بنو أُمية ليس فيها ليلة القدر)** يعجبني أن أذكر مقدار المدّة من الزّمان وما ملكت فيه بنو أُميّة من الأعوام على التفصيل ليزداد القاريء بصيرة في ما أخبره الله تعالى ورسوله وآل الرسول وقد ذكر المسعوديّ المتوفى سنة ٣٤٦ هـ في **«مروج الذهب» (ص ١٩٨ ج ٢ طبع مصر ١٣٤٦ هـ)**: كان جميع ملك بني أُميّة إلى أن بويع أبو العبّاس السفّاح ألف شهر كاملة لا تزيد ولا تنقص لأنّهم ملكوا تسعين سنة واحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً.

قال المسعوديّ: والنّاس متباينون في تواريخ أيّامهم والمعوّل على ما نورده وهو الصحيح عند أهل البحث ومن عنى بأخبار هذا العالم وهو: أنّ معاوية بن أبي سفيان ملك عشرين سنة، ويزيد بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً، ومعاوية بن يزيد شهراً واحد عشر يوماً، ومروان بن الحكم ثمانية أشهر وخمسة أيّام، وعبد الملك بن مروان إحدى وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً، والوليد بن عبد الملك تسع سنين وثمانية أشهر ويومين، وسليمان بن عبد الملك سنتين وستّة أشهر وخمسة عشر يوماً، وعمر بن عبد العزيز سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيّام، ويزيد بن عبد الملك أربع سنين وثلاثة عشر يوماً، وهشام بن عبد الملك تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيّام، والوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة وثلاثة أشهر، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك شهرين وعشرة أيّام وأسقطنا أيّام

(١) الاحتجاج: ١/٤١٦، وبحار الأنوار: ٤٤/٨٦.

(٢) تفسير الصافي: ٣/٢٠٢، والاحتجاج: ١/٣٧٦.

إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك كإسقاطنا أيّام إبراهيم بن المهدي أن يعدّ في الخلفاء العبّاسيّين، ومروان بن محمّد بن مروان خمس سنين وشهرين وعشرة أيّام إلى أن بويع السفّاح فتكون الجملة تسعين سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً، يضاف إلى ذلك الثمانية أشهر التي كان مروان يقاتل فيها بني العبّاس إلى أن قتل فيصير ملكهم إحدى وتسعين سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً يوضع من ذلك أيّام الحسن بن عليّ وهي خمسة أشهر وعشرة أيّام، وتوضع أيّام عبد الله بن الزبير إلى الوقت الذي قتل فيه وهي سبع سنين وعشرة أشهر وثلاثة أيّام فيصير الباقي بعد ذلك ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر يكون ذلك ألف شهر سواء.

قال: وقد ذكر قوم إنَّ تأويل قوله عزَّ وجلَّ: **(ليلة القدر خيرمن ألف شهر)** ما ذكرناه من أيّامهم. وقد روي عن ابن عبّاس أنّه قال: والله ليملكنّ بنو العبّاس ضعف ما ملكته بنو أُميّة باليوم يومين بالشهر شهرين وبالسنة سنتين وبالخليفة خليفتين، انتهى ما أردنا من نقل كلام المسعودي في المروج.

قوله عليه السلام: «وقد دعوت إلى الحرب ـ إلى قوله: والمغطّى على بصره» أي قد دعوتنا إلى الحرب؛ وقد قدّمنا في شرح «**المختار**» ٢٣٦ من باب الخطب أنَّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام نادى: يا معاوية علام يقتل النّاس بيني وبينك؟ هلمّ أُحاكمك إلى الله فأيّنا قتل صاحبه استقامت له الأمور[1]. وقد ذكرنا شعر المتنبّي وحكاية سيف الدولة مع الأخشيد المناسبة للمقام فراجع إلى ص٣١٦ ج١٥.

وأفاد الشارح المعتزلي في «**المقام**» بقوله: وإنّما قال أمير المؤمنين عليه السلام هذه الكلمة ـ يعني: أيّنا المرين على قلبه والمغطّى على بصره ـ لأنَّ معاوية قالها في رسالة كتبها ووقفت عليها من كتاب أبي العبّاس يعقوب بن أبي أحمد الصيمري الذي جمعه في كلام عليّ عليه السلام وخطبه وأوّلها: أمّا بعد، فإنّك المطبوع على قلبك المغطّى على بصرك، الشرّ من شيمتك، والعتوّ من خليقتك، فشمّر للحرب، وأصبر للضرب فوالله ليرجعنَّ الأمر إلى ما علمت والعاقبة للمتقين؛ هيهات هيهات إحظاءك ما تمنّى وهوى قلبك فيما هوى؛ فاربع على ظَلعك وقس شبرك بفترك تعلم أين حالك من حال من تزن الجبال حلمه ويفصل بين أهل الشك علمه والسلام.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا بعد يا ابن صخر، يا ابن اللّعين؛ يزن الجبال فيما زعمت حلمك ويفصل بين أهل الشك علمك وأنت الجاهل القليل الفقه، المتفاوت العقل، الشارد عن الدّين، وقلت: فشمّر للحرب واصبر فإن كنت صادقاً فيما تزعم ويعينك عليه ابن

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ٢٩.

النابغة، فدع النّاس جانباً واعف الفريقين من القتال وابرز إليّ لتعلم أيّنا المرين على قلبه، المغطّى على بصره. فأنا أبو الحسن حقاً قاتل أخيك وخالك وجدّك شدخاً يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب ألقى عدوّي[1].

قوله عليه السلام: «فأنا أبو حسن» كان يعرف ويكنّى عليه السلام بأبي حسن ومن الأمثال السائرة من صدر الإسلام إلى الآن قولهم: قضيّة لا أبا حسن فيها. ولم يأت **(بالألف) (واللام)** في ابنه رعاية للتواضع وهضم النفس لا استصغاراً لابنه عليه السلام نعوذ بالله لأنَّ حرف التعريف يدلّ على التعظيم والتجليل فما كان يعجبه عليه السلام ادخاله على اسم ابنه، وإن كان الأعداء يذكرونه بلا حرف التعريف احتقاراً فقد قال الشيخ الأجلّ أبو الفتح الكراجكي المتوفّى سنة ٤٤٩ هـ في كتابه المترجم بكتاب **«التعجّب» (ص ٤٤ طبع إيران ١٣٢٢ هـ)**:

ومن عجيب أمرهم وظاهر بغضهم لأهل البيت عليهم السلام أنّهم إذا ذكروا الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام الذي هو ولد رسول الله وريحانته وقرّة عينه والذي نحله الإمامة وشهد له بالجنّة حذف من اسمه الألف واللام ويقال حسن بن عليّ ولأولاده أولاد حسن استصغاراً واحتقاراً لذكره، ثمّ يقولون مع ذلك: الحسن البصري فيثبتون في اسمه **(الألف) (واللام)** إجلالاً له وإعظاماً وتفخيماً لذكره وإكراماً، وذلك أنَّ هذا البصري كان متجاوزاً عن ولاية أهل البيت عليهم السلام وهو القائل في عثمان قتله الكفّار وخذله المنافقون ولم يكن في المدينة يوم قتله إلاّ قاتل وخاذل فنسب جميع المهاجرين والأنصار إلى الكفر والنفاق، وتخلّف عن الإمام الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام ثمّ خرج مع قتيبة بن مسلم في جند الحجّاج إلى خراسان[2].

قوله عليه السلام: «قاتل جدّك وخالك وأخيك شدخاً يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب ألقى عدوّي» وقد تكرر هذا الكلام منه عليه السلام في عدّة كتبه إلى معاوية: فقد يأتي في آخر المختار ٢٨ من هذا الباب قوله عليه السلام: **(قد صحبتهم ذرّية بدريّة وسيوف هاشميّة قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدّك وأهلك وما هي من الظالمين ببعيد)**؛ وفي **«المختار»** ٦٤ من هذا الباب أيضاً قوله عليه السلام: **(وعندي السّيف الذي أعضضته بجدّك وخالك وأخيك في مقام واحد)**.

وجدُّه هذا هو جدُّه لأُمّه هند عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، فإنَّ عتبة كان أبا هند وخاله هو الوليد بن عتبة، وأخوه هو حنظلة بن أبي سفيان وقد مضى كلام عبد الله بن بديل رحمه الله تعالى في صدر شرح هذا الكتاب: فكيف يبايع معاوية عليّاً وقد قتل أخاه حنظلة وخاله

(١) نهج البلاغة: ٣/١١، والصحيح من السيرة: ٥/٤٧.
(٢) التعجب: ٤٣.

الوليد وجدّه عتبة في موقف واحد.

قوله عليه السلام: «ودخلتم فيه مكرهين» قد مضى كلام أبي اليقظان عمّار رحمه الله في معاوية وأتباعه أنّهم ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر حتّى وجدوا عليه أعواناً، وكذا كلام غير واحد من الصحابة ومن تثنى عليهم الخناصر فيهم في شرح «**المختار**» ٢٣٦ من باب الخطب فراجع إلى ص ٣٧٠ ج ١٥.

أقول: كلام أبي اليقظان مأخوذ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام كما يأتي في «**المختار**» ١٦ من هذا الباب: فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر فلما وجدوا أعواناً عليه أظهروه.

قوله عليه السلام: «وزعمت أنّك ـ إلى قوله: إن كنت طالباً» قد أشرنا في الشروح السالفة غير مرّة إلى أنَّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كان في عزلة عن دم عثمان وأبرأ النّاس منه وقد دريت في شرح «**المختار**» الأول من باب كتبه عليه السلام أنّ عمرو بن العاص كان شديد التحريض والتأليب على عثمان، وأنَّ عثمان لما أبى أن يخلع نفسه تولّى طلحة والزبير حصاره، وأنَّ عائشة كانت أوّل من طعن على عثمان وأطمع الناس فيه وكانت تقول: اقتلوا نعثلاً فقد فجر، نقله الدينوريّ في «**الإمامة**» و«**السياسة**» وكانت تقول للناس: إنَّ فيكم فرعون هذه الأُمّة تعني به عثمان.

ومراده عليه السلام من كلامه هذا أنَّ معاوية إن كان صادقاً في قوله أنّه يطلب بدم عثمان ولم يكن غرضه استغواء الناس ولم يجعل دمه عرضة لأهوائه الردية المردية، فليطلبه من حيث وقع دمه يعني من قتله وألّب الناس على قتله أي من طلحة والزبير وعائشة وعمرو بن العاصي وأمثالهم.

قوله عليه السلام: «فكأنّي قد رأيتك ـ إلخ» إخبار بما يأتي على معاوية وأتباعه في غزوة صفين من الذلّة والمسكنة والهوان أوّلاً بقوله جزعاً من الضرب المتتابع والقضاء الواقع ومصارع بعد مصارع.

وبحيلة عمرو بن العاص في رفع مصاحف لما ظهرت هزيمة أهل الشام ثانياً. وقد أتينا بنبذة ما وقعت في صفين في شرح «**المختار**» ٢٣٦ من باب الخطب، وقال اليعقوبي في «**التاريخ**» ص ١٦٤ ج ٢ طبع النجف: ثمّ وجّه عليّ عليه السلام إلى معاوية يدعوه ويسأله الرجوع أن لا يفرّق الأُمّة بسفك الدّماء فأبى إلاّ الحرب فكانت الحرب في صفّين سنة سبع وثلاثين وأقامت بينهم أربعين صباحاً، وكان مع عليّ يوم صفين من أهل بدر سبعون رجلاً وممّن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل ومن سائر المهاجرين والأنصار أربعمائة رجل، ولم يكن مع معاوية من الأنصار إلاّ النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد.

قال: وصدقت نيات أصحاب عليّ عليه السلام في القتال وقام عمّار بن ياسر فصاح في النّاس فاجتمع إليه خلق عظيم فقال: والله إنّهم لو هزمونا حتّى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ وأنّهم على الباطل؛ ثمّ قال: ألا من رائح إلى الجنّة فتبعه خلق فضرب حول سرادق معاوية فقاتل القوم قتالاً وقتل عمّار بن ياسر واشتدّت الحرب في تلك العشية ونادى النّاس قتل صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله تقتل عمّاراً الفئة الباغية.

قال: وزحف أصحاب عليّ عليه السلام وظهروا على أصحاب معاوية ظهوراً شديداً حتّى لصقوا به فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه فقال له عمرو بن العاص: إلى أين؟ قال: قد نزل ما ترى فما عندك؟ قال: لم يبق إلاّ حيلة واحدة أن ترفع المصاحف فتدعوهم إلى ما فيها فتستكفهم وتكسر من حدّهم وتفت في أعضادهم.

قال معاوية: فشأنك، فرفعوا المصاحف ودعوهم إلى التحكيم بما فيها وقالوا ندعوكم إلى كتاب الله فقال عليّ عليه السلام: إنّها مكيدة وليسوا بأصحاب قرآن[1].

وإنّما قال عليه السلام: **(فكأني قد رأيتك)** - إلخ، لأنّ الزّمان والمكان وسائر الأجسام والجسمانيّات إنّما هي حجب لنا وأمّا الحجج الإلهيّة فإنّهم يرون الوقائع في متن العالم على ما هي عليه.

ثمّ لا يخفى لطافة كلامه عليه السلام في ذلك حيث أتى بلفظ الماضي وقال: قد رأيتك وما قال فكأنّي أرى، لئلا يتوهّم متوهّم أنّه عليه السلام لما رأى ما جرى بينه وبين معاوية وتمهّد لهما تَفرّسَ فيما سيكون لمعاوية وجنده من هزيمة وذلّة وهوان.

على أنّ غاية ما يمكن أن يقال لمن كان له حزم لو تفرّس في نحو هذه الأُمور أن يتفرّس في أمور كليّة مثلاً: أنّ له ظفراً على خصمه وأمّا أن يتفرّس في جزئيات الوقائع التي لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم ولا يتيسّر لغيرهم العلم بها عادة فلا؛ فانظر في قوله عليه السلام: **(وكأنّي بجماعتك تدعوني إلى كتاب الله نظر دراية وإنصاف)** هل يمكن أن يقال إنّه عليه السلام لما رأى مقدّمات الأمور تفرّس في رفعهم المصاحف فيما يأتي من زمان طويل وأمد مديد؟ وما أرى هذا الظنّ بمن له خبرة في الأُمور ومن جانب المراء والتعصّب ونظر بعيني العقل والفهم.

وقد نقل اليعقوبيّ في **«التاريخ» (ص ١٦٩ ج ٢ طبع النجف)** خطبة له عليه السلام لما قدم الكوفة بعضها قوله عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني فإنّي عن قليل مقتول فما يحبس أشقاها أن

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٨٨.

يخضبها بدم أعلاها فَلَوَ الذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تضلّ مائة أو تهدي مائة إلاّ أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها إلى يوم القيامة ـ إلخ[١].

وقد مضى نحو كلامه هذا قوله عليه السلام في الخطبة ٩٩ **(لكأنّي انظر إلى ضلّيلٍ قد نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان)** إلخ. وقوله عليه السلام في الخطبة ١٨٧ **(أيّها النّاس سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض)** ـ إلخ.

قوله عليه السلام: «وهي كافرة جاحدة أو مبائعة حائدة» كان أتباع معاوية صنفين، وقوله عليه السلام: **(وهي كافرة جاحدة)** يشير إلى المنافقين من جماعته، وقوله: **(أو مبائعة حائدة)** إلى الذين بايعوه ثمّ نكثوا عهده يقال حاد عن الأمر أي مال وعدل عنه. وقد روى الفريقان في جوامعهم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: أنّه يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، والناكثون أصحاب الجمل، والقاسطون أصحاب معاوية والمارقون خوارج نهروان.

(١) الأمالي: ٢٦٧ ح ٤٩٣، ونهج البلاغة: ١/ ١٨٢ ح ٣٩.

الترجمة

این نامه ای است که امیر (عليه السلام) در جواب نامه معاویه نوشت:

معاویه به امیرالمؤمنین علیّ (عليه السلام) نوشت: تویی آن که مهر غفلت و زنگ گناه بر دلش زده و پرده هوی و هوس بر چشمش افکنده شد. بدی خوی تو و گردنکشی و تجاوز سرشت ات است و از این روی آماده جنگ باش و برای ضرب و شکنجه دیدن شکیبا. قسم به خدا کار به جایی کشد که خود دانی و عاقبت برای پرهیزکاران است. چه بسا دور است رسیدنت به آرزویت و به خواسته دلت. پس از آن چه که از عهده ات خارج و از طاقتت دور است دست بدار و خودداری کن. و وجبت را به درنه ات اندازه گیر(۳) تا بدانی تفاوت حال تو و آن که بردباریش هم سنگ کوه ها و دانش او تمیز مردم گاه شكّ و شبهه می باشد تا چه حدّ است؛ والسلام.

نامه امیر (عليه السلام) در پاسخ معاویه

امیر (عليه السلام) در جواب وی نوشت:

بسم الله الرّحمن الرّحیم

از بنده خدا علی امیرالمؤمنان به معاویه پورسفیان:

امّا بعد درود بر آن که پیرو راه رشاد است، ستایش می کنم آن که را جز او خدایی نیست. ای معاویه، می بینی که دنیا با اهلش چگونه به سر می برد، بهترین توشه در روزگار آن است که بندگان شایسته گردآوردند؛ آن که دنیا را به آخرت بسنجد و چشم از دنیا بپوشد و کار آخرت نماید تفاوت این سرا و آن سرا را بسیار می یابد.

ای معاویه، ادّعای امری (مقام خلافت و امامت) می کنی که سزاوار آن نیستی، نه در سابقگی و نه در ولایت عهدی و امر بیّن و حجّتی نداری که بدان درباره تو مکرمت و برگزیدگی شناخته شود؛ و نه مر تو را برای این مقام از قرآن

شاهدی است و نه از رسول خدا عهدی؛ پس چه خواهی کرد آنگاه که پرده ها از تو برداشته شود و رسوا گردی، پردهای دنیایی که خود را به زینتش آراسته و به لذّتش فریفته است و تو را خوانده و اجابتش کرده ای و افسارت را کشیده و پیرویش نموده ای و سر در پی او نهادی و فرمانت داد و فرمان بردی.

همانا به زودی کسی آگاهت کند بر آن چه که کسی نتواند از آن برهاندت. و یا به هیچ دافعی از خود نتوانی دفع کرد. پس از این ادّعا دست بدار و دور شو و برای حساب آماده باش و بر آن چه که بر تو فرود آید دامن بر میان زن و به حرف گمراهان گوش مده.

و اگر چنین نکنی، جانت را که ترکش گفته ای و افسارش را رها کرده ای اعلام کنم بدان چه که خواهم اعلام کرد. یا بدان چه که خود را از آن غافل کرده ای اعلام خواهم کرد. که نعمت فراوان تو را سرکش کرده و در طغیان افکنده است و در تو شیطان راه یافته. یا این که دامهای خود را در تو نهاده. و به آرزوی خود رسیده و در تو چون جان و خون در جریان است.

ای معاویه، کی شما مدیر امور رعیت و والی امر این امّت بوده اید؟ آیا بی سابقه و اثر نیکو و پایه بلند و ارجمند باید صاحب آن مقام باشید؟ به خدا پناه می برم از لزوم رقم بدبختی که از قلم قضای الهی گذشته است. بپرهیز از این که پیوسته در غفلت آرزوها به سر بری و دورو باشی.

ما را به جنگ خوانده ای؛ اگر راست گویی مردم را به یك سوی نه و هر دو سپاه را از آن معاف دار و تنها با من درآی تا دانسته شود کدام یك از ما زنگ بر دلش زده و پرده هوس برچشمش افکنده شد، که منم آن ابوحسنی که در جنگ بدر نیا و خالوی و برادرت را سرکوفتم و هریك را طعمه شمشیر کرده ام، همان شمشیر با من است و با همان دل به دشمن رو کنم. نه دینم را به دینی تبدیل کرده ام و نه پیغمبری از نو گرفته ام و من بر همان راه روشنم که شما به اختیار ترکش گفته اید و با اکره بدان در آمدید.

گویی که به خونخواهی عثمان آمدم، تو که خود دانی خونش را که ریخته است، از آن کس بخواه.

هان ای معاویه، به دهان اژدهای جنگ بینمت که دندانش را در تو چنان فرو برده که بسان شتران زیر بار گران ناله ات درگرفته است؛ و سپاهت را که یا کفرکیشند و یا پیمان شکن بینمی که از دیدن ضربت های پی درپی و قضای بهوقوع پیوسته یکی پس از دیگری بر خاك هلاك افتاده مرا به کتاب خدا خوانند.

بدان اگر مقام امامت و خلافت به دست مردم بودی و این کار بدیشان برگزار می شدی، هرآینه بر ما رشك می بردند و منت می نهادند، لکن این مشیّت الهی و قضای آسمانی است که خداوند از زبان پیمبر راستگویش که خود به راستیش تصدیق کرده است به ما موهبت فرموده و ارزانی داشته است. آن که پس از روشن شدن حق و اقامه بیّنه و برهان بر حقانیت آن دو دل باشد و شك و شبهه نماید رستگار نخواهد شد. بارخدایا، میان ما و دشمن ما به حق حکم بفرما که تو بهترین حاکمی.

ترجمه نامه امیر (عليه السلام) در پاسخ نامه معاویه مطابق نسخه صیمری چنین است: ای پسر صخر، ای فرزند لعین، پنداری که کوه ها هموزن حلم تو و تمیز اهل شك علم تو است و حال این که نادانی کم فهم و پریشان عقل و رمیده از دینی.

به من گفتی که آماده جنگ باش و صابر. اگر راستگویی و ابن نابغه (عمرو بن عاص) تو را کمك است مردم را به یك سوی نه و هر دو سپاه را از کارزار معاف دار و تنها با من درآی تا دانسته شود کدام یك از ما زنگ بر دلش زده و پرده هوس بر چشمش افکنده شد که منم همان ابوالحسن که در جنگ بدر برادر و خالو و نیایت را سرکوفتم و طعمه شمشیر کرده ام، همان شمشیر با من است و با همان دل به دشمن رو کنم.

پاسخ معاویه به امیرالمؤمنين (عليه السلام)

معاویه در جواب امیر (عليه السلام) نوشت:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

از معاوية بن ابی سفیان به علی بن ابی طالب

امّا بعد؛ دست از حسد بردار که هیچگاه از آن سودی نبری و گامی که در راه دین از پیش برگرفته ای به آز بزرگ منشی و خودخواهی تباه مکن که کارها وابسته

به پایان است و سابقه ات را در حق کسی که بر او حقی نداری نابود مگردان که اگر چنان کنی جز خویشتن را آزار نکنی و جز کارت را نابود نگردانی و جز حجّتت را باطل ننمایی.

به جانم سوگند، آن همه سابقه خدمت در دین که داشته ای به خون هایی که ریخته ای و خلاف با مردم حق کرده ای شسته ای و فرا آب داده ای. پس سوره "قل اعوذ بربّ الفلق" را بخوان و از شرّ نفس خود به خدا پناه ببر، چه تویی آن حاسدی که خدا در فلق فرمود: "و من شرّ حاسد اذا حسد".

ومن وصية له عليه السلام وصى بها جيشاً بعثه إلى العدو وكلامه هذا هو المختار الحادي عشر من باب الكتب والرسائل

فَإذا نَزَلْتُم بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ في قُبُلِ الأَشْرافِ أَوْ سِفاحِ الْجِبالِ، أَوْ أَثْناءِ الأَنْهارِ كَيْما يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً وَدُونَكُمْ مَرَدًّا. وَلْتَكُنْ مُقاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ واحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ. وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَباءَ في صَياصِي الْجِبالِ، وَمَناكِبِ الْهِضابِ؛ لِئَلا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكانِ مَخافَةٍ أَوْ أَمْنٍ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ، وعُيُونُ الْمُقَدِّمَةِ طَلائِعُهُمْ.

وَإِيّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ فَإِذا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَميعاً، وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَميعاً، وَإِذا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّماحَ كِفَّةً؛ وَلاَ تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلا غِراراً. أَوْ مَضْمَضَةً[1].

سندها ونقلها على صورتها الكاملة على رواية نصرفى صفين والحسن بن علي بن شعبة في تحف العقول

قد روى كلامه هذا نصر بن مزاحم المنقري الكوفي في كتابه في «**صفين**» مسنداً (**ص ٦٦ من الطبع الناصري**) وما أتى به الرضيُّ في النهج فملتقط ممّا أتى به نصر في صفين وأشرنا غير مرةٍ إلى أنّ عادة الرضيّ التقاط الفصيح والبليغ من كلامه عليه السلام وإن كان هذا الكتاب على صورته الكاملة من محاسن كتبه عليه السلام. وقد دريت في شروح الكتب السالفة أنَّ نصراً في نفسه ثقة، وفي نقله ثبت؛ وأنّه كان يعيش قبل الرضيّ بمائتي سنة تقريباً؛ فدونك الوصيّة على ما رواها نصر:

عن نصر: عمر بن سعد، حدَّثني يزيد بن خالد بن قطن أنَّ عليّاً عليه السلام حين أراد المسير إلى النخيلة دعا زياد بن النضر وشريح بن هاني وكانا على مذحج والأشعريين فقال: يا زياد اتّق الله في كلّ ممسى ومصبح وخفف على نفسك الدُّنياالغرور ولا تأمنها على حال من البلاء. واعلم أنّك إن لم ترع نفسك عن كثير ممّا يجب مخافة مكروهه سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرّ فكن لنفسك مانعاً وادعاً من البغي والظلم والعدوان فإنّي قد ولّيتك هذا الجند فلا تستطيلنَّ عليهم وإنَّ خيركم عند الله أتقاكم، وتعلّم من عالمهم [علّم] جاهلهم

(١) بحار الأنوار: ٣٢/ ٤١٢، ومستدرك الوسائل: ١١/ ٤١ ح٧.

وأحلم عن سفيههم فإنّك إنّما تدرك الخير بالحلم وكفّ الأذى والجهد(١).

أقول: كلامه هذا مذكور في النهج المعنون بقول الرضيّ: ومن وصيّة له عليه السلام وصّى به شريح بن هاني لمّا جعله على مقدّمته إلى الشام: اتّق الله في كلّ صباح ومساء وخف على نفسك الدُّنيا ـ إلخ. وهو «**المختار**» ٥٦ من باب الكتب والرسائل وبين النسختين أعني بين ما في النهج وكتاب «**صفين**» لنصر اختلاف في الجملة وسيأتي شرحها وتحقيقها في محلّها إن شاء الله تعالى، فلنرجع إلى ما أتى به نصر في كتاب «**صفين**».

فقال زياد: أوصيت يا أمير المؤمنين حافظاً لوصيّتك مؤدّباً بأدبك، يرى الرشد في نفاذ أمرك، والغيّ في تضييع عهدك.

فأمرهما أن يأخذا في طريق واحد ولا يختلفا. وبعثهما في أثنى عشر ألفاً. على مقدّمته شريح بن هاني على طائفة من الجند وزياد على جماعة. فأخذ شريح يعتزل بمن معه من أصحابه على حدة ولا يقرب بزياد بن النضر. فكتب زياد مع غلام له أو مولى يقال له شوذب:

كتاب زياد بن النضر إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام

لعبد الله عليّ أمير المؤمنين من زياد بن النضر سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو؛ أمّا بعد، فإنّك ولّيتني أمر النّاس وأنَّ شريحاً لا يرى لي عليه طاعة ولا حقّاً وذلك من فعله بي استخفافاً بأمرك وتركاً لعهدك.

كتاب شريح بن هاني إليه عليه السلام

وكتب شريح بن هاني ـ إليه عليه السلام ـ سلام عليك فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو أمّا بعد، فإنَّ زياد بن النضر حين أشركته في أمرك وولّيته جنداً من جنودك تنكّر واستكبر ومال به العجب والخيلاء والزهو إلى ما لا يرضاه الربُّ تبارك وتعالى من القول والفعل، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعزله عنّا ويبعث مكانه من يحبّ فليفعل فإنّا له كارهون والسلام.

(١) تحف العقول: ١٩١، وبحار الأنوار: ٣٢/ ٤١٠.

كتابه عليه السلام إلى زياد بن النضر وشريح بن هاني في جواب كتابهما وهذا الكتاب هو الذي أتى به الرضى في النهج وعنونه بقوله ومن وصية له عليه السلام وصى بها جيشاً بعثه إلى العدو أعني تلك الوصية التي نحن بصدد شرحها الآن على صورتها الكاملة على رواية نصر

فكتب إليهما عليٌّ عليه السلام: بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم، من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى زياد بن النضر وشريح بن هاني، سلام عليكما فإنّي أحمد إليكما الله الذي لا إله إلاّ هو؛ أمّا بعد، فإنّي قد ولّيت مقدمتي زياد بن النضر وأمّرته عليها وشريح على طائفة منها أمير، فإن أنتما جمعكهما بأس فزياد بن النضر على الناس، وإن افترقتما فكلّ واحد منكما أمير على الطائفة التي ولّيناه أمرها.

فاعلما أنَّ مقدِّمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم. فإذا أنتما خرجتما من بلادكما فلا تسئما من توجيه الطّلائع، من نقض[1] الشعاب والشجر والخَمَر في كلّ جانب كيلا يغترَّكما عدوّ، أو يكون لهم كمين.

ولا تسيّرنَّ الكتائب إلاّ من لدن الصباح إلى المساء إلاّ على تعبية؛ فإن دهمكم دهم، أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدّمتم في التعبية.

وإذا نزلتم بعدوّ أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبل الأشراف أو سفاح الجبال أو أثناء الأنهار كي ما يكون ذلك لكم ردءاً، وتكون مقاتلتكم من وجه أو اثنين.

واجعلوا رقباءكم في صياصي الجبال، وبأعالي الأشراف، ومناكب الأنهار يرون لكم لئلا يأتيكم عدّو من مكان مخافة أو أمن.

وإيّاكم والتفرُّق فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا رحلتم فارحلوا جميعاً وإذا غشيكم ليل فنزلتم فحفّوا عسكركم بالرماح والأترسة **(والترسة)**؛ ورماتكم يلُون ترستكم ورماحكم وما أقمتم فكذلك فافعلوا كيلا تصاب لكم غفلة، ولا تلفى لكم غرة؛ فما قوم حفّوا عسكرهم برماحهم وترستهم من ليل أو نهار إلاّ كانوا كأنّهم في حصون.

واحرسا عسكركما بأنفسكما، وإيّاكما أن تذوقا نوماً حتّى تصبحا إلاّ غراراً أو مضمضة، ثمّ ليكن ذلك شأنكما ودأبكما حتى تنتهيا إلى عدوّكما، وليكن عندي كلّ يوم

---

(١) في نسخة: نفض. مستدرك الوسائل: ١١/ ٤٠ ح ١٢٣٨١.

خبركما، ورسول من قبلكما؛ فإنّي ولا شيء إلاّ ما شاء الله حثيث السير في آثاركما، عليكما في حربكما بالتُّؤَدة، وإيّاكم والعجلة إلاّ أن تمكّنكم فرصة بعد الإعذار والحجّة، وإيّاكما أن تقاتلا حتّى أقدم عليكما إلاّ أن تبديا، أو يأتيكما أمري إن شاء الله والسّلام[١].

صورة الكتاب على رواية ابن شعبة

قد رواه أيضاً الشيخ العالم الجليل أبو محمّد الحسن بن عليّ بن شعبة الحرّاني المتوفّى ٣٣٢ هـ في **«تحف العقول»** عن آل الرسول (**ص ٤٤ طبع إيران ١٣٠٣ هـ**) لكنّه رحمه الله نقل أنّ هذا الكتاب كتبه إلى زياد بن النضر فقط فإنّه بعدما أتى بالوصيّة التي وصّى بها زياد بن النضر حين أنفذه على مقدّمته إلى صفين وهي قوله عليه السلام: **(اتق الله في كل ممسى ومصبح)** - إلى قوله: **(وكفّ الأذى والجهد)** - كما رواها نصر قال: ثمّ أردفه بكتاب يوصيه فيه ويحذّره: اعلم أنّ مقدِّمة القوم عيونهم، وعيون المقدِّمة طلائعهم، فإذا أنت خرجت من بلادك، ودنوت من عدوّك فلا تسأم من توجيه الطلائع في كلّ ناحية وفي بعض الشعاب والشجر والخمر وفي كلّ جانب حتّى لا يغيّركم عدوّكم ويكون لكم كمين، ولا تسير الكتائب والقنابل من لدن الصباح إلى المساء إلاّ تعبية، فإن دهمكم أمر أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدّمتم في التعبية، وإذا نزلتم بعدوّ فليكن معسكركم في إقبال الإشراف، أو في سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار كي ما تكون لكم ردءاً ودونكم مرداً. ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد واثنين، واجعلوا رقباءكم في صياصي الجبال، وبأعلى الأشراف، وبمناكب الأنهار يُريئون لكم ثقلاً يأتيكم عدوّ من مكان مخافة أو أمن، وإذا نزلتم فانزلوا جمعياً، وإذا رحلتم فارحلوا جميعاً، وإذا غشيكم اللّيل فنزلتم فحفّوا عسكركم بالرماح والترسة، واجعلوا رماتكم يلون ترستكم كي لا تصاب لكم غرّة، ولا تلقى لكم غفلة. واحرس عسكرك بنفسك. وإيّاك أن ترقد أو تصبح إلاّ غراراً أو مضمضة، ثمّ ليكن ذلك شأنك ودأبك حتّى تنتهي إلى عدوّك. وعليك بالتأنّي في حربك. وإيّاك والعجلة إلاّ أن تمكنك فرصة. وإيّاك أن تقاتل إلاّ أن يبدؤوك أو يأتيك أمري والسّلام عليك ورحمة الله[٢].

ثمّ إنَّ كتابه هذا على رواية **«تحف العقول»** منقول في أبواب الجهاد من البحار (**ص ٩٨ ج ٢١ من الطبع الكمباني وفي ص ٦٢٧ ج ٨ منه أيضاً**) وعلى رواية صفين لنصر منقول في باب بغي معاوية وامتناع أمير المؤمنين عليه السلام تأميره من البحار (**ص ٤٧٧ ج ٨ من ذلك الطبع**).

(١) بحار الأنوار: ٣٢/ ٤١٢، ونهج السعادة: ٤/ ٢٣٨.

(٢) تحف العقول: ١٩٢، وبحار الأنوار: ٣٣/ ٤٦٦.

اللغة

«أحمد إليكما الله» قال المرزوقيُّ في شرح «**الحماسة**» ٩٣: الحمد: الثناء على الرجال بما فيه من الخصال المرتضاة، وبهذا المعنى فارق الشكر، لأنَّ الشكر لا يكون إلاّ على صنيعة، انتهى.

أقول: الظاهر من قوله: وبهذا المعنى فارق الشكر، أنّه أراد أن يبيّن مورد افتراق معنيي الحمد والشكر، وإلاّ فالحمد أعمّ من الشكر لأنّك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ولا تشكره على صفاته.

وأمّا معنى قوله: (**أحمد إليكما الله**) فقال ابن الأثير في «**النهاية**»: وفي كتابه ﷺ (**أمّا بعد فإنّي أحمد إليك الله**) أي أحمده معك فأقام إلى مقام مع. وقيل: معناه أحمد إليك نعمة الله بتحديثك إيّاها.

«ولّيت» من التولية يقال: ولّى الأمير فلاناً الأمر إذا جعله والياً عليه. وفي «**صحاح**» الجوهريّ: ولاّه الأمير عمل كذا، ووّلاه بيع الشيء وتولّى العمل أي تقلّد.

«مقدّمتي» في «**الصحاح**»: مقدّمة الجيش بكسر (**الدال**): أوّله. وفي «**النهاية**» الأثيرية وفي كتاب معاوية إلى ملك الروم: (**لأكوننّ مقدّمته إليك**) أي الجماعة التي تتقدم الجيش من قدّم بمعنى تقدّم؛ وقد استعيرت لكلّ شيء فقيل: مقدّمة الكتاب ومقدّمة الكلام بكسر (**الدال**) وقد يفتح. «أمّرته عليها» أي جعلته أميراً عليها يقال: أمّره إذا ولاّه الإمارة وحكّمه.

«عيونهم» العيون واحد العين بفتح العين، ومعناه هٰهنا: الجاسوس والراصد ويقال بالفارسية ديدبان ففي «**الصحاح**»: العين: الديدبان والجاسوس. وفي «**النهاية**» الأثيريّة: وفي الحديث أنّه بعث بسبسة عيناً يوم بدر أي جاسوساً. واعتان له إذا أتاه بالخبر؛ ومنه حديث الحديبيّة كان الله قد قطع عيناً من المشركين أي كفى الله منهم من كان يرصدنا ويتجسّس علينا أخبارنا.

«طلائعهم» جمع طليعة وطليعة الجيش هم القوم الذين يبعثون ليطّلعوا طِلْعَ العدوّ كالجواسيس. «لا تسئما» أي لا تملّا، يقال سئم الشيء يسئم سآمة من باب علم أي ملّه وضجر منه؛ والسآمة: الملل والضجر.

«نقض» النقض (**بالقاف**): الهدم، ولكنّي أرى أنّ (**النقض**) مصحّف والصواب النفض (**بالفاء**) ففي «**صحاح**» الجوهريّ: وقد نفضت المكان واستنفضته وتنفضته أي نظرت جميع ما فيه قال زهير:

وتنفض عنها غَيْبَ كلِّ خَميلة   وتخشى رُماة الغَوث من كلّ مرصد

واستنفض القومُ أي بعثوا النفيضة، ويقال: إذا تكلّمت ليلاً فانفض أي التفت هل ترى من تكره؟ والنفض بالتحريك: الجماعة يبعثون في الأرض لينظروا هل فيها عدوٌّ أو خوف، وكذلك النفيضة نحو الطليعة.

وفي «**النهاية**» الأثيريّة: وفي حديث أبي بكر والغار: أنا أنفض لك ما حولت أي أحرسك وأطوف هل ترى طلباً؟ يقال: نفضت المكان واستنفضته وتنفّضته إذا نظرت جميع ما فيه. (**والنفضة**) بفتح (**الفاء**) وسكونها، (**والنفيضة**) قوم يبعثون متحسّسين هل يرون عدوّاً أو خوفاً.

«الشعاب» بكسر الشين جمع الشعب بكسرها أيضاً أي الطريق في الجبل. وما انفرج بين الجبلين، ومسيل الماء في بطن أرض.

«الخَمَر» بالتحريك كلّما سترك وواراك من الشجر والجبال ونحوها؛ قال ابن الأثير في «**النهاية**»: ومنه حديث أبي قتادة فابغنا مكاناً خمراً أي ساتراً بتكاثف شجره. وفي «**الصحاح**»: تقول: توارى الصيد منّي في خمر الوادي. وفي «**البيان والتبيين**» للجاحظ ص ٢١٠ ج ٣ قال الشاعر:

ثمّ أرميكم بوجه بارز   لست أمشي لعدوّي بخَمَر

«كمين» الكمين: القوم يكمنون للعدوّ ويستخفون في مكمن لا يفطن له ثمّ ينتهزون غرّة العدوّ فينهضون عليه، من قولهم كمن كموناً من بابي نصر وعلم إذا اختفى وتوارى. ومنه قولهم: هذا أمر فيه كمن؛ أي دغل لا يفطن له.

«الكتائب» جمع الكتيبة من كتبت أي جمعت، تقول: فلان كتّب الكتائب تكتيباً أي عبّى كتيبةً كتيبةً، وتكتّبت الخيلُ أي تجمّعت فالكتيبة من الجيش ما جمع فلم ينتشر؛ أَلْحَقَ (**الهاء**) بها لأنّه جعل اسماً. وفي «**النهاية**» الأثيريّة: في حديث السقيفة نحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، الكتيبة: القطعة العظيمة من الجيش، والجمع الكتائب.

قال الفرّار السُّلمي (**الحماسة ٣٨**).

وكتيبة لبّستُها بكتيبةٍ   حتّى إذا التبست نفضتُ لها يدي

فتركتهم تقص الرّماح ظهورهم   من بين منعفر وآخر مسند

في شرح المرزوقي عليها: هذا يتبجّح بأنّه مهياج شرّ وأذى، وجماع بين كتائب شتّى تتقاتل من دونه، ثمّ يخرج هو من بينهم غير مُبال بما يُجرون إليه، ولا مفكّرٍ فيما ينتج من

الشّر فيهم، فيقول: رُبّ كتيبة خلطتها بكتيبة. فلما اختلطت نفضت يدي منهم ولهم وخلّيتهم وشأنهم.

«فإن دهمكم دهم» دهمه أمر أي فاجأة وغشيه من بابي منع وعلم وفي «**الحماسة**» ٧١.

وكم دهمتني من خطوب مُلمّةٍ صبرتُ عليها ثمّ لم أتخشّع

قال الجوهريُّ في «**الصحاح**»: الدّهم. العدد الكثير؛ والجمع الدُّهوم وقال الشاعر:

جئنا بدَهمٍ يدهم الدّهوما مَجرٍ كأنَّ فوقه النجوما

وفي «**النهاية**» الأثيرية: في الحديث لما نزل قوله تعالى تسعة عشرة (**المدثر: ٣١**) قال أبو جهل: أما تستطيعون يا معشر قريش وأنتم الدّهم أن يغلب كلّ عشرة منكم واحداً؟ الدّهم: العدد الكثير. ومنه الحديث محمّد في الدّهم بهذا القوز[١] وحديث بشير بن سعد فأدركه الدّهم عند اللّيل، والحديث الآخر من أراد أهل المدينة بدهم أي بأمر عظيم وغائلة؛ من أمر يدهمهم أي يفجأهم.

«معسكر» على هيئة المفعول: موضع العسكر أي الجيش ويقال بالفارسية: لشكرگاه.

«قبل» في «**الصحاح**»: القبل ـ بضمّ (**القاف**) وسكون (**الباء**) ـ والقبل ـ بضمّهما ـ: نقيض الدّبر والدُّبرُ ـ كذلك ويقال: أنزل بِقُبل هذا الجبل أي بسفحه. انتهى قوله. وفي «**النهاية**»: القبل: ما استقبلك من الشيء، فقبل الأشراف ما استقبلك منها. وجاء في بعض النسخ قبيل مصغّراً؛ وفي بعضها الأخر: قبل بكسر (**القاف**) وفتح (**الباء**) ولكن الأوّل هو الصواب.

«الأشراف» جمع الشرف محرّكة ففي «**الصحاح**»: الشّرَف: العلوّ والمكان العالي. وقال الشاعر:

آتي النديّ فلا يقرّب مجلسي وأقود للشَّرَف الرفيع حماري

يقول: إنّي خرفت فلا ينتفع برأيي، وكبرت فلا استطيع أن أركب من الأرض حماري إلاّ من مكان عالٍ وجبلٍ مشرف عالٍ.

«سفاح» بكسر أوّله جمع السفح بالفتح. وفي «**الصحاح**»: سفح الجبل أسفله حيث يسفح فيه الماء وهو مضطجعه، وقال المرزوقيُّ في شرح «**الحماسة**» ٣٣:

فلما أتينا السفح من بطن حائلٍ بحيث تلاقي طلحها وسيالها

دعوا لنزار وانتمينا لِطَيّىء كأسد الشرى إقدامها ونزالها

---

(١) الغارات: ١/ ٢٨٢ ح ٢.

القوز بالفتح: العالي من الرمل كأنه جبل.

ما هذا لفظه: والسفح أسفل الجبل ولاشتهاره بما وضع له أغنى عن إضافته إلى الجبل.

«أثناء الأنهار» منعطفاتها، جمع الثني بكسر الأوّل وسكون الثاني. وفي **«الصحاح»**: قال أبو عبيد: الثِّني من الوادي والجبال مُنْعَطَفُه.

«ردءاً» الرِّدء بالكسر فالسكون: العون والناصر، تقول: ردأت الرجل ردءاً من باب منع، وأردأته بمعنى أعنته. وأردأته بنفسي: إذا كنت له ردءاً. وفي القرآن الكريم: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [القصص: ٣٤] وجمع الردء أرداء.

«رقباء» جمع الرقيب، والرقيب الحافظ والراصد والحارس تقول رقبه رقوباً من باب نصر إذا رصده وحرسه، ورقيب الجيش طليعتهم وعينهم أيضاً.

«صياصي» جمع الصيصة والصيصية وفي **«الصحاح»**: الصيصة: شوكة الحائك التي يسوّى بها السداة واللحمة؛ ومنه صيصة الديك التي في رجله، وصياصي البقر قرونها، وربما كانت تركّب في الرماح مكان الأسنّة. والصياصي: الحصون. انتهى.

وفي **«النهاية»** الأثيريّة: فيه ـ يعني في الحديث ـ أنه ذكر فتنة تكون في أقطار الأرض كأنّها صياصي بقر أي قرونها، واحدها صيصية بالتخفيف. وقيل: شبّه الرماح التي تشرع في الفتنة وما يشبهها من سائر السلاح بقرون بقر مجتمعة، ومنه حديث أبي هريرة أصحاب الدّجال شواربهم كالصياصي يعني أنّها أطالوها وفتلوها حتّى صارت كأنّها قرون بقر، والصيصة أيضاً الوتد الذي يقلع به التمر، والصنارة التي يغزل بها وينسج.

أقول: فبما ذكرنا من معاني الصياصي يمكن أن يكون معنى صياصى الجبال رؤوسها لأنّ أحد معانيها القرون وأحد معاني القرون رؤوس الجبال، كما يمكن أن تكون الإضافة من قبيل لجين الماء أي الجبال التي كالحصون أو أنّها حصون لأنه يمتنع بها كما أنّ ذا القرن يمتنع بقرنه.

«مناكب» جمع المنكب بفتح (**الميم**) وكسر (**الكاف**)، وفي **«الصحاح»**: المنكب من الأرض: الموضع المرتفع.

«الهضاب» بكسر (**الهاء**) جمع الهضبة بفتحها، وفي **«الصحاح»**: الهضبة: الجبل المنبسط على وجه الأرض والجمع هِضَب وهِضاب.

«الأترسة» الصواب الترسة، والأولى مصحّفة. والترسة جمع التُّرس وهي صفحة من الفولاد تحمل للوقاية من السيف ونحوه ويقال بالفارسيّة: سپر، وفي **«الصحاح»**: التّرس

جمعه تِرسة وتِراس وأتراس وتُروس، قال يعقوب: ولا تقل أترسَة. انتهى.

«رماتكم» الرُّماة جمع الرامي كالمشاة جمع الماشي. وأصلها الرَمَيَة كالطلبة أبدلت **(ياؤها) (ألفاً)**.

«لا تلفى» أي لا توجد. تقول: ألفيت الشيء إذا وجدته. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠].

«كفّة» بكسر **(الكاف)** أي مستديرة بحيث تحفّ العسكر وتصير حصناً لهم. وفي **«الصحاح»**: كُفَّة القميص بالضمّ: ما استدار حول الذيل. وكان الأصمعي يقول: كلّ ما استطال فهو كُفَّة بالضمّ نحو كفّة الثوب وهي حاشيته، وكفّه الرّمل وجمعه كفاف؛ وكلّ ما استدار فهو كِفَّة بالكسر نحو كفّة الميزان، وكِفّة الصائد وهي حبالته، وكفّة اللثة وهي ما انحدر منها. قال: ويقال: كَفّة الميزان أيضاً بالفتح والجمع كِفف. انتهى.

وقال المرزوقي في شرح **«الحماسة»** ٥٦:

مَلأت عليه الأرض حتّى كأنّها ... من الضّيق في عينيه كِفّة حابل

(والكفّة) يجوز أن يريد به الحفيرة التي ينصب الحابل فيها الحبالة، ويجوز أن يريد بها قترته، ويجوز أن يريد بها عين الحبالة لأنها تجعل كالطّوق وهذا أقرب لأنّ الخليل فسّر الكفّة على ذلك.

أقول: المراد منها هٰهنا أن يحفّوا العسكر بالرماح والترسة حتّى تكون حصناً لهم كما بين في نسخة نصر وسيتّضح في المعنى أيضاً. وقد غلط بعض الشراح حيث فسّر قوله عليه السلام **(فاجعلوا الرّماح كفّة)** بقوله: **(ليكون الرماح حولكم ككفّة الميزان)** أي مجموعة.

«غراراً» الغرار بالكسر، أحد معانيه: النوم القليل، تقول العرب: ما نومه إلا غرار. وقال **تأبّط شرًّا** كما في ديوان **«الحماسة»** من اختيار أبي تمّام **(حماسة ١٦٥)**:

وقالوا لها لا تنكحيه فإنّه ... لأوّل نصل أن تُلاقى مجمعاً
قليل غِرار النوم أكبر همّه ... دم الثار أو يلقى كميّاً مسفّعا

«مضمضة» هٰهنا كناية عن قلّة النوم، والأصل في المضمضة: تحريك الماء في الفم والمضمضة في النوم أن تنام خفيفاً ثمّ تستيقظ ثمّ تنام خفيفاً وهكذا تشبّها بمضمضة الماء في الفم، وفي **«الصحاح»**: يقال: ما مضمضت عيني بنوم أي ما نمت وتمضمض النعاس في عينه، قال الراجز:

وصاحب نبّهته لينهضا ... إذا الكرى في عينه تمضمضا

«حثيث» أي مسرع، يقال: ولّى حثيثاً أي مسرعاً، وفي القرآن الكريم ﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤] «التؤدة» بضمّ (التاء) وفتح (الهمزة) (والدال): الرزانة والتأنّي والرّفق مقابل العجلة، وأصلها من وأد كالتّوآد على وزن التكرار. وفي «الصحاح»: إتّأد في مشيه وتوأدّ في مشيه وهو افتعل وتفعّل من التّوءدة وأصل (التاء) في اتّأد (واو) يقال: اتّئد في أمرك أي تثبّت وفي «الحماسة» ٧٤:

إنّي امرؤ مكرم نفسي ومتّئد من أن اقاذعها حتّى أجازيها

الإعراب

(مقدمتي وزياد) مفعولان لقوله (ولّيت) فإذا أنتما خرجتما، (الفاء) فصيحة، وفي كلّ جانب متعلّق بكلّ واحد من التوجيه والنفض (فإن دهمكم)؛ (الفاء) تعليلية لقوله (إلاّ على تعبية) وضمير (يرون) يرجع إلى الرقباء (والفاء) في (فإذا نزلتم) فصيحة، (فحفّوا) جواب إذا الثالثة، (والفاء) في (فنزلتم) تفريع على غشيكم (فما قوم حفّوا)؛ (الفاء) تعليلية لقوله: (فحفّوا عسكركم بالرماح) إلخ. وقوله ﷺ: (كي لا تصاب) - إلى قوله: (غرّة)، يمكن أن يكون تعليلاً لقوله (حفّوا) كما يمكن أن يكون تعليلاً لقوله: (وما أقمتم) وإن كان بالأوّل أوفق، (حثيث السير) خبر (إنّ)، وقوله ﷺ (ولا شيء إلاّ ما شاء الله) جملة معترضة وقعت بين اسم إنّ وخبرها.

المعنى

كتابه هذا من محاسن كتبه ﷺ لفظاً ومعنى ويا ليت الشريف الرضيّ رضوان الله عليه أتى بصورته الكاملة في النهج من دون التقاط بعضه ورفض بعضه الآخر.

ثمّ إنّ الكتاب مشتمل على قوانين كليّة أصلية لا بدّ لمن تولى إمارة جيش أن يستعملها في الحرب كي يظفر على الخصم. ولا تختصّ تلك القوانين بعصر دون عصر بل تعمّ الأعصار والدُّهور؛ فلا مجال لأحد في أن يقول: إنَّ الكتاب يتضمّن على قوانين الحرب في تلك الأعصار السالفة دون هذه الأزمان غاية الأمر أنَّ أدوات الحرب تغيّرت، ولو تأمّل في الكتاب من تدرب في فنون المحاربة يجد قائله بطلاً محامياً ومحارباً خرّيتا في فنون الحرب، وأميراً لمن يكن له في طول دهره إلاّ تعبية العساكر وتهيئة سلاح الحرب وتعليم فنون القتال، وأعمال الروية في كيفية مقابلة العساكر وتهيئة سلاح الحرب وتعليم فنون القتال، واعمال الروية في كيفية تعبية العساكر وتهيئة سلاح الحرب وتعليم فنون القتال، واعمال الروية في كيفية مقابلة المقاتل في المعارك؛ مع أنّه ﷺ كان في جميع الصفات الكماليّة إماماً وقدوة، فدونك بما تضمّن الكتاب:

قوله عليه السلام: «وإن افترقتما فكلّ واحد منكما أمير على الطائفة التي ولّيناه أمرها» وقد دريت أنّه عليه السلام كتب إليهما هذا الكتاب بعد اعتزال شريح عن زياد وتنحّى زياد عنه، ثمَّ إنَّ الشركة في أمثال هذه الأمور قلّما تتّفق؛ على أنَّ الاجتماع على راية واحدة وأمير واحد أقرب إلى الظفر على الخصم من التساند في الحرب وقد أجمعوا على أنَّ الشركة ردّية في ثلاثة أشياء: في المُلك، والحرب والزّوجة.

قوله عليه السلام: «فاعلما أنَّ مقدّمة القوم عيونهم - إلخ» قد أتى عليه السلام في هذا الكتاب بأحد وعشرين دستوراً ممّا لا بدَّ أن يراعيها أمير الجيش طلباً للظفر على الخصم وهي ما يلي:

الأول: أنَّ القوم لا بدَّ لهم من مقدّمة.

الثاني: أنَّ المقدّمة لا بدّ من أن يكونوا أكياساً حذّاقاً بصراء لأنّهم عيون القوم فالمقدّمة من القوم بمنزلة العين من الجسد وكما أنَّ العين جاسوس للبدن تحفظه من المهالك وتراقبه عن المهاوي كذلك المقدّمة للقوم، ففي كتاب «**الحرب من عيون الأخبار**» لابن قتيبة الدينوريّ (**ص ١١٧ ج ١ طبع مصر**): ذكر عبد الملك بن صالح الهاشمي أنَّ خالد بن برمك حين فصل مع قحطبة من خراسان، بينا هو على سطح بيت في قرية قد نزلاها وهم يتغدّون نظر إلى الصحراء فرأى أقاطيع ظباء قد أقبلت من جهة الصحاري حتّى كادت تخالط العسكر، فقال لقحطبة: أيّها الأمير ناد في النّاس: يا خيل الله اركبي، فإنَّ العدوّ قد نهد إليك وحثَّ، وغاية أصحابك أن يُسرجوا ويلجموا قبل أن يروا سُرعان الخيل، فقام قحطبة مذعوراً فلم ير شيئاً يروعه ولم يعاين غباراً، فقال لخالد: ما هذا الرأي؟ فقال خالد: أيّها الأمير لا تتشاغل بي ونادِ في النّاس، أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت وفارقت مواضعها حتّى خالطت النّاس! إنَّ وراءها لجمعاً كثيفاً، قال: فوالله ما أسرجوا ولا ألجموا حتّى رأوا ساطع الغبار فسلموا، ولولا ذلك لكان الجيش قد اصطلم.

الثالث: أنَّ للمقدّمة لا بدَّ من طلائع.

الرابع: أنَّ الطلائع عيون المقدّمة فالكلام في المقدّمة كالكلام في الطلائع بل الطلائع يجب أن يكونوا أكيس من المقدّمة لأنّهم عيون العيون.

الخامس: أن يوجّهوا الطلائع في كلّ جانب يظنّ فيه كمين مرّة بعد مرّة كما يستفاد من قوله عليه السلام (**فلا تسئما**) أي لا تملاً من كثرة توجيه الطلائع.

السادس: أن يبعثوا النفيضة كرّة بعد كرّة كما يستفاد من قوله عليه السلام (**فلا تسئما**) أيضاً في كلّ جانب يظنّ فيه عدوّ في مكمن واغترار لينظروا في الشعاب وفي وراء الشجر والخمر. وعلّل هذين القسمين بقوله (**كي لا يغترّكما عدوّ**)، أو يكون لهم كمين وهذان القسمان في

الحقيقة متفرّعان على ما قبلهما ولذا أتى (**بفاء**) الفصيحة بعد قوله (**فاعلما أنّ مقدّمة القوم عيونهم وعيون المقدّمة طلائعهم**).

السابع: أن لا تسيّر الكتائب في اللّيل لما في اللّيل من خوف الوقوع إلى التهلكة فحصر السير في النهار بقوله إلاّ من لدن الصباح إلى المساء.

الثامن: أنّ سير الكتائب إذا كان في اللّيل فلا بدّ من أن يكونوا على تعبية أي على تهيئة وتجهيز من قبل أن تسير الكتائب وعلّل ذلك بقوله: (**فإن دهمكم دهم أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدّمتم في التعبية**).

التاسع: إذا نزلوا بعدوّ أو نزل العدوُ بهم فليكن المعسكر في قبل الأماكن العالية أو أسافل الجبال، أو منعطفات الأنهار وعلّل ذلك بقوله (**كيما يكون لكم ردءاً ودونكم مردًا**).

العاشر: أن تكون المقاتلة من وجه واحد أو اثنين وذلك لأنَّ المقاتلة إذا كانت من وجوه شتّى تشتّتت القوى فيتطرّق الوهن والضعف في الجند فيستلزم ظفر الخصم عليهم. والغرض من هذا الكلام أنَّ الجيش ينبغي لهم أن يجعلوا معسكرهم في قبل الأشراف أو سفاح الجبال أو أثناء الأنهار كي لا يحمل عليهم الخصم من كلّ جانب بل من جانب واحد أو من جانبين والجوانب الأخرى تكون مصونة بالجبال والأنهار. وإن لم توجد الجبال والأنهار فيحفر الخندق حول العسكر كما فعله الإمام سيّد الشهداء أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام في كربلاء.

الحادي عشر: لا بدَّ للقوم من رقباء.

الثاني عشر: أن يجعل الرقباء في رؤوس الجبال والتلال ونحوهما من موضع مرتفع بحيث يرون للقوم؛ والسرُّ في ذلك أنّهم إذا كانوا في مواضع مرتفعة على مرئى قومهم يرون الخصم عن بعيد فيخبرون قومهم فلا ينزل الخصم عليهم بغتة كما صرح عليه السلام بذلك (**لئلا يأتيكم عدوّ من مكان مخافة أو أمن**).

الثالث عشر: أن يحذروا من التفرّق لأنّ الاجتماع يوجب الهيبة والعظمة تجاه الخصم فيستلزم وهنه وانكساره. وفي القرآن الكريم: ﴿**ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزّراع ليغيظ بهم الكفّار**﴾ [الفتح ٢٩] (**آخر الفتح**).

وفرّع على التحذير من التفرُّق قوله: (**فإذا نزلتم**) وأتى (**بالفاء**) الفصيحة أي إذا كان التفرّق محذوراً منه (**فانزلوا جميعاً وارحلوا جميعاً**).

الرابع عشر: أن يحفّ العسكر بالرماح والترسة كي تصير الرماح والترسة حصناً لهم

وعلّل ذلك بقوله: **(فما قوم حفّوا عسكرهم برماحهم وترستهم من ليل أو نهار إلاّ كانوا كأنّهم في حصون)**.

الخامس عشر: أنّ الرّماة يلون الترسة والرّماح. والمراد أنّ كلّ من تدرب في فنّ من فنون الحرب يلي أمره ولما أمرهم بأن يحفّوا العسكر بالرماح والترسة أشار إلى أنّ الرماة يلون الترسة والرماح لأنّ ذلك أربط للجاش وأتقن وآكد في الحراسة.

السادس عشر: إذا أقام الجيش في منزل وإن كانت الإقامة في النهار فكذلك عليهم أن يحفّوا العسكر بالترسة والرماح يجعلوا شأن الترسة والرماح على الرماة، وأشار إلى هذا الدستور بقوله: **(وما أقمتم فكذلك فافعلوا)**، وإنّما قيدنا الإقامة بالنّهار لأنه عليه السلام بعدما أمر بعمله في اللّيل بقوله: **(وإذا غشيكم ليل)** - إلخ أتى بقوله: **(هذا وما أقمتم)** - إلخ. ثمّ إنّه عليه السلام بعد ذلك يقول: **(فما قوم حفّوا عسكرهم برماح وترستهم من ليل أو نهار إلاّ كانوا كأنّهم في حصون)** فأتى باللّيل والنهار على سبيل اللفّ والنشر المرتّبين، فقوله: **(من ليل)** يشير إلى قوله: **(وإذا غشيكم ليل)**، وقوله عليه السلام: **(أو نهار)** يشير إلى قوله: **(فما أقمتم فكذلك فافعلوا)** غاية الأمر أن يقال فما أقمتم يعمّ الجديدين. فلا ضير أيضاً، ثمّ علّله بقوله: **(كي لا تصاب لكم غفلة ولا تلفى لكم غرّة)**. وذلك لأنّهم إذا اعتادوا أن يحفّوا العسكر بالرماح والترسة مهما أقاموا لا تفوتهم الكفّة في اللّيل ولذا قال عليه السلام: **(كي لا تصاب بكم غفلة ولا تلفى لكم غرّة)**، وأن جعل قوله عليه السلام: **(كي لا تصاب)** دليلاً لقوله **(فحفّوا عسكركم)** فالأمر أوضح.

السابع عشر: أن يحفظ الأمير قومهم بنفسه ولا يحمله على غيره لأنّه إذا جانب العسكر لا يراقبهم غيره من أفراد الجند كما ينبغي، فربّما ينجرّ إلى فرار بعض أو استيلاء الخصم على غفلة وغيرهما من المفاسد.

وفي نوادر الراونديّ بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال الحسن بن علي عليهما السلام: كان عليّ عليه السلام يباشر القتال بنفسه ولا يأخذ السلب **(البحار الكمبانيّ ص ١٠٠ ج ٢١)**[(١)].

الثامن عشر: لا يجتنبوا من النوم الطويل بل من القليل أيضاً إلاّ غراراً أو مضمضة لئلا يدهمهم الخصم وهم نيام.

التاسع عشر: أنّ عليهم التأنّي والرفق في الحرب والتحذّر من العجلة. ثمّ استثنى الحكم بالتأنّي بقوله: **(إلاّ أن تمكنكم فرصة بعد الاعذار والحجّة)**.

---

(١) مستدرك الوسائل: ١١/١٢٧ ح ١٢٦١٥، وكتاب النوادر: ١٣٨.

العشرون: أن يقدّموا الإعذار والحجّة والنصح قبل الحرب.

الواحد والعشرون: أنَّ لا يقدّموا في الحرب ولا يبتدؤوا فيه، وسيجيء الكلام في هذين الوجهين في المختارين ١٤ و١٥ من هذا الباب إن شاء الله تعالى.

ثمَّ إنَّ في الفصل السابع والثلاثين من الباب الثالث من مقدّمة ابن خلدون مطالب مفيدة في الحروب وسياستها وما يتعلّق بها ومذاهب الأُمم فيها وأقسامها، وقال فيه: وانظر وصيَّة عليّ رضي الله عنه وتحريضه لأصحابه يوم صفين تجد كثيراً من علم الحرب ولم يكن أحد أبصر بها منه قال في كلام له: **(فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص)** - إلخ. فمن شاء فليطلبها **(ص ٢٧٠ طبع مصر)**.

الترجمة

این کتاب یازدهم از باب مختار کتب و رسائل امیر (عليه السلام) است که در آن لشکری را که به سوی دشمنی گسیل داشت به دستورهایی وصیت کرده است.

امیر (عليه السلام) این نامه را به شریح بن هانی و زیاد بن نضر نوشت گاهی که آن دو را بر لشکری امارت داد و در اثنای راه به مخالفت یکدیگر اقدام کردند و هریك نامه ای به امیرالمؤمنین (عليه السلام)نوشت و از مخالفت دیگری حضرتش را اعلام کرد. و زیاد نامه نوشت که شریح از طاعت من سر باز زد و برای من حقی روا نمی دارد و امر امیر را سبك شمرده و پیمانش را ترك گفت و شریح نامه نوشت که زیاد تکبّر نمود و بدخویی کرد و عُجب و خودبینی و فخر او را به گفتار و کرداری که خداوند از آن خرسند نیست کشانید و از امیر (عليه السلام) عزلش را درخواست کرد. چون نامه آن دو به آن بزرگوار رسید در جوابشان مرقوم فرمود:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

از بنده خدا علی امیرالمؤمنین به زیاد بن نضر و شریح بن هانی

درود بر شما؛ من با شما حمد می کنم خدایی را که نیست جز او خدایی؛ امّا بعد همانا که تولیت مقدّمه لشگر را به زیاد برگزار کرده ام و او را امیر بر آنان گردانیدم و شریح بر طایفه ای از ایشان امیر است. پس اگر کار شما به وفاق کشید زیاد بر مردم امیر است و اگر به خلاف انجامید هریکی بر طائفه ای که شما را بر آن ها والی گردانیدم امیر خواهد بود.

بدانید که مقدّمه لشگر دیدبانشان اند و طلیعه دیدبان مقدّمه اند (مقدّمه، گروهی هستند که پیشاپیش لشگرند و جاسوس شان و طلیعه نفری چند که جاسوس مقدّمه اند)، ازاین روی چون از شهر خود به در رفتید از فرستادن طلیعه ها به گوشه و کنار و این سوی و آن سوی خودداری نکنید و از تفتیش و تجسّس در درّه ها و پشت درختها و کوهها و مانند آن ها از هر سوی کوتاهی نکنید و از کثرت این کار ملال نگیرید که مبادا دشمن در کمین باشد و ناگهان شما را بفریبد و غفلت گیر کند.

و باید که سپاه از شب روی بر حذر باشند و فقط از بامداد تا شامگاه راه بپیمایند، مگر این که اگر بخواهند شبروی کنند از پیش آمادگی داشته و خود را مجهّز کرده باشند که اگر دشمن نابهنگام روی آورد شما نیز آماده و از پیش برای دفاع در تعبیه بوده و تهیّه دیده باشید.

پس هرگاه بر سر دشمن فرود آیید یا دشمن بر شما فرود آید، باید لشکرگاه شما در پیش جاهای بلند یا دامنه کوهها یا در خم جوی ها باشد تا شما را از شرّ دشمنان مددی و در پیش رویتان از آنان سدّ و مانعی بود و باید که کارزارتان از یك روی یا دو روی باشد (یعنی جهات دیگر باید به کوه یا به نهر محفوظ باشد که دشمن از هر طرف دست نیابد و حمله نکند).

و دیده بانها و پاسبان های لشگر را بر سر کوهها و بر بلندی پشته ها قرار دهید تا دشمن از رهگذر خوف یا امن بر سر شما ناگهان فرود نیابد.

و باید که از پراکندگی بپرهیزید، از این روی هرگاه فرود می آیید همگی یك بار فرود آیید و اگر کوچ می کنید همگی یك بار کوچ کنید. و هرگاه شب فرا رسد و فرود آمدید نیزه ها و سپرها را در گرداگرد لشکر، دیوار لشکر کنید و کار نیزه ها و سپرها را به تیراندازان واگذارید و اگر روز هم در جایی فرود آمدید همین کار کنید تا مبادا که در غفلت باشید و ناگهان دشمن بر شما بتازد، چه هیچ لشکری خواه در شب جایی فرود آیند و خواه در روز، گرداگرد خود را به نیزه ها و سپرها نگرفتند مگر این که گویی در دیواری قرار گرفتند. و باید خودتان لشکر را بپایید و بپرهیزید از خواب تا به بیداری شب به روز آورید مگر این که خواب اندکی مضمضه کنید و باید بدین سان که گفته ام خوی کنید و پایدار باشید تا با دشمن روبروی شوید. و باید هر روز از شما خبر داشته باشم. و من به خواست خدا به سرعت از پی شما خواهم آمد و باید در جنگ تانّی کنید و از شتاب دوری جویید مگر این که گاهی فرصت شما را به شتاب در جنگ پس از آن که حجّت را بر خصم به پند و اندرز تمام کرده باشید دست دهد. و مبادا تا من نیامدم اقدام به جنگ کنید. مگر این که دشمن افتتاح و ابتدای به جنگ کند یا این که دستور من به خواست خدا برسد؛ والسلام.

ومن وصية له عليه السلام لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له وكلامه هذا هو المختار الثاني عشر من باب كتبه ورسائله وعهوده ووصاياه عليه السلام

إتَّقِ اللّهَ الذي لا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقائِهِ وَلاَ مُنْتَهى لَكَ دُونَهُ. وَلاَ تُقاتِلَنَّ إلا مَنْ قاتَلَكَ. وَسِرِ الْبَرْدَيْنِ. وَغَوِّرْ بِالناسِ. وَرَفِّهْ في السَّيْرِ. وَلا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ فَإِنَّ اللّهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وَقَدَّرَهُ مُقاماً لا ظَعْناً، فَأَرِحْ فيهِ بَدَنَكَ، وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ. فَإِذا وَقَفْتَ حينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ، أَوْ حينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ فَسِرْ عَلى بَرَكَةِ اللّهِ. فَإِذا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحابِكَ وَسَطاً، وَلا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُريدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ وَلا تَباعَدْ مِنْهُمْ تَباعُدَ مَنْ يَهابُ الْبَأْسَ حَتّى يَأْتِيَكَ أَمْري. وَلا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ عَلى قِتالِهِمْ قَبْلَ دُعائِهِمْ وَالإِعْذارِ إِلَيْهِمْ[١].

ذكر سندها والكلام في تلفيقها

رواها نصر بن مزاحم المنقريّ التميميّ الكوفيّ الملقب بالعطّار من معاصري محمّد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام باقر علوم الأوّلين والآخرين في كتاب «صفين» **(ص ٧٨ من الطبع الناصري)** عن عمر بن سعد، عن أبي مخنف، عن نمير بن وعلة، عن أبي الودّاك: أنَّ عليّاً بعث من المدائن معقل بن قيس في ثلاثة آلاف وقال له:

خذ على الموصل ثمَّ نصيبين ثمَّ القنى بالرقّة فإنّي موافيها وسكّن النّاس وآمنهم، ولا تقاتل إلاّ من قاتلك، وسر البردين، وغورّ بالناس، وأقم اللّيل، ورفّه في السير، ولا تسر أوّل اللّيل، فإنَّ الله جعله سكناً، أرح فيه بدنك وجندك وظهرك فإذا كان السحر وحين ينبطح الفجر فسر[٢].

فخرج - يعني معقل بن قيس - حتّى أتى الحديثة - وهي إذ ذاك منزل الناس إنّما بنى مدينة الموصل بعد ذلك محمّد بن مروان - فإذا هم بكبشين ينتطحان ومع معقل بن قيس رجل من خثعم يقال له شداد بن أبي ربيعة قتل بعد ذلك مع الحروريّة فأخذ يقول: إيه إيه فقال معقل: ما تقول؟ قال: فجاء رجلان نحو الكبشين فأخذ كلّ واحد منهما كبشاً ثمَّ انصرفا، فقال الخثعميُّ لمعقل: لا تَغلبون ولا تُغلبون قاله له: من أين علمت ذلك؟ قال: أما أبصرت

(١) بحار الأنوار: ٣٢/٣٩٦، ونهج السعادة: ٢/١٣٨.

(٢) بحار الأنوار: ٣٢/٤٢٨، ونهج السعادة: ٢/١٣٨.

الكبشين أحدهما مشرق والآخر مغرب التقيا فاقتتلا وانتطحا فلم يزل كلّ واحد منهما من صاحبه منتصفاً حتّى أتى كلّ واحد منهما صاحبه فانطلق به، فقال له معقل: أو يكون خيراً ممّا تقول يا أخا خثعم؟ ثمّ مضوا حتّى أتوا عليّاً بالرقة. انتهى كلام نصر.

أقول: وصيّته عليه السلام لمعقل على نسخة نصر لا تتجاوز عن قوله **(حين ينبطح الفجر فسر)** كما نقلناها عنه وذيلها كان من وصيّته عليه السلام لمالك الأشتر وقد رواها نصر في «**صفين**» أيضاً (ص ٨١) وسيأتي تمام وصيّته لمالك في شرح «**المختار**» الثالث عشر من هذا الباب أعني المختار التالي لهذه الوصيّة وقدّمنا صورة وصيّته عليه السلام لمالك المتضمّنة لما في ذيل هذه الوصيّة لمعقل عن أبي جعفر الطبري في شرح «**المختار**» ٢٣٦ من باب الخطب أيضاً فراجع إلى ص ٢٢١ من ج ١ من تكملة المنهاج.

فبما روينا عن الطبريّ وما يأتي عن نصر في «**صفين**» المتحدين في صورة تلك الوصيّة لمالك المتضمنة لذيل هذه الوصيّة، علم أنّ هذه الوصيّة لمعقل ملفّقة من وصيّتين صدرها من وصيّته عليه السلام لمعقل وذيلها لمالك. والشريف الرضي قدّس سرُّه مال إلى أنّها وصيّة واحدة قالها لمعقل وقد علمت ما فيه. على أنّ إسقاط بعض عباراته عليه السلام وتلفيق بعض آخر إلى خطبة أو كتاب غير عزيز في النهج وقد دريت أنّه من عادة الرضيّ رحمه الله لأنّ ما كان يهمّه التقاط الفصيح من كلامه عليه السلام اللهمّ إلاّ أن يقال أنّه ظفر برواية أخرى لا توافق ما في تاريخ أبي جعفر الطبريّ وما في «**صفين**» لنصروعدّ فيها جميع هذه الوصيّة وصيّة واحدة لمعقل ولم نظفر بها.

والذي يسهّل الخطب أن يقال إنّ الأمير عليه السلام كتب مضموناً واحداً ودستوراً فارداً إلى أكثر من واحد من أمراء جيشه، فإنّ ما يجب أن يراعيها هذا من قوانين الحرب يجب أن يراعيها ذاك أيضاً. غاية الأمر أنّ نصراً لم ينقل وصيّته عليه السلام لمعقل كاملةً وذلك لأنّ ظاهر كلام الشريف الرّضي رحمه الله يأبى عن أن يقال إنّ هذه الوصيّة ملفّقة من وصيّتين وهو رحمه الله أجلّ شأناً من أن يسند وصيّته عليه السلام لمالك إلى أنّه وصيّته لمعقل، والمواضع التي أسقطت بعض كلامه عليه السلام ولفقت بعضه الآخر تغاير المقام، فتأمّل.

اللغة

«دونه» قد مضى ذكر معاني دون في شرح المختار السادس من كتبه عليه السلام ورسائله، وهٰهنا بمعنى سوى أي ليس لك سواه منتهى.

«سر» أمر من السير كما أنّ قوله: **(لا تسر)** نهى عنه ومشتقّ منه.

«البردان» الغداة والعشيّ، قال الجوهريُّ في «**الصحاح**»: البردان: العصران، وكذلك

الأبرَدان وهما الغداة والعشيُّ، ويقال: ظلاّهما وقال ـ يعني الشاعر ـ:

إذا الأرطى توسّد أبرديه خدود جوازئ بالرّمل عين

أقول: البيت للشمّاخ بن ضرار نقله الجاحظ في «**البيان والتبيين**» أيضاً (**ص ٢٥١ ج ٢**) والجوازي بقر الوحش، والعين جمع العيناء، والعصران ثني على التغليب أي الصبح والعصر كقولك صلاة الظهرين وفسّرهما ثانياً بقوله: وهما (**الغداة والعشيّ**).

قال ابن الأثير في «**النهاية**»: فيه ـ يعني في الحديث ـ: من صلّى البردين دخل الجنّة، البردان والأبردان: الغداة والعشيّ وقيل: ظلاّهما، ومنه حديث ابن الزبير: كان يسير بنا الأبردين؛ وحديثه الآخر مع فضالة بن أبي شريك: وسربها البردين.

أقول: وستأتي رواية هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: سيروا البردين[1].

«غوّر» أمر من التغوير مأخوذ من الغائرة أي الظهيرة، وفي «**الصحاح**»: التغوير: القيلولة، يقال: غوّروا أي انزلوا للقائلة. قال أبو عبيد: يقال للقائلة: الغائرة. وفي «**النهاية**» الأثيرية: وفي حديث السائب لما ورد على عمر بفتح نهاوند قال: ويحك ما وراءك؟ فوالله ما بتّ هذه اللّيلة إلاّ تغويراً؛ يريد بقدر النومة القليلة التي تكون عند القائلة. يقال غوّر القوم إذا قالوا.

«رفّه» أمر من الترفيه أي الإراحة والتخفيف والتّنفيس والتوسيع، أو من رفّه الراعي الإبل إذا أوردها متى شاء، وفي «**الصحاح**»: رفهت الإبل بالفتح ترفه رفهاً ورفوهاً إذا وردت الماء كلّ يوم متى شاءت والاسم الرِّفه بالكسر. وأرفتها أنا. ورفّه ترفيهاً ورفاهية على فعالية ورفهنية وهو ملحق بالخماسي (**بالألف**) في آخره وإنّما صارت (**ياء**) لكسرة ما قبلها، ويقال بيني وبينك ليلة رافهة وثلاث ليال روافه إذا كان يسار فيهنّ سيراً ليّناً، ورفّه عن غريمك أي نفّس عنه، والأوّل أوسع وأعم وبأسلوب الكلام وسياقه أدلّ وألصق، وسيأتي تقرير كلّ واحد منهما في المعنى.

«سكناً» السكن بالتحريك: ما سكنت إليه.

«ظعناً» الظعن: الارتحال، يقال: ظعن ظَعْناً وظَعَناً من باب منع أي سار ورحل. وفي القرآن الكريم: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ

---

(١) المحاسن: ٢/٣٤٦ ح ٩، والكافي: ٨/٣١٣ ح ٤٨٨.

ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ﴾ [النحل: ٨٠].

«أرح» على وزن أقم أمر من الأراحة. «روِّح» أمر من الترويح. والظهر هنا بمعنى الركاب، لا بمعنى خلاف البطن. قال الجوهريُّ في «الصحاح»: الظَّهر: الركاب. وبنو فلان مظهرون إذا كان لهم ظهر ينقلون عليه كما يقال مُنجبون إذا كانوا أصحاب نجائب. انتهى كلامه.

والركاب: الإبل التي يسار عليها؛ الواحدة راحلة ولا واحد لها من لفظها والجمع الركب مثال الكتب. فيكون معنى الترويح من قولهم روّح فلان إبله ترويحاً إذا ردّها إلى المراح. قال الجوهريُّ: أراح إبله أي ردّها إلى المراح وكذلك الترويح. ولا يكون ذلك إلاّ بعد الزوال، انتهى.

«ينبطح» يقال: انبطح الرجل إذا اسبطرّ على وجهه ممتداً على وجه الأرض وهٰهنا كناية عن الانبساط والإتّساع فينبطح أي ينبسط ويتّسع ومنه البطحاء والأبطح أي مسيل واسع فيه دقاق الحصى. وتبطّح السّيل أي اتّسع في البطحاء.

«ينشب الحرب» ينشب مضارع من باب الإفعال. في «الصّحاح»: نشب الشيء في الشيء بالكسر ـ من باب علم ـ نشوباً أي علق. وأنشبته أنا فيه أي أعلقته فانتشب وأنشب الصائد: أعلق، ويقال: نشبت الحرب بينهم.

«يهاب» أجوف يائيّ تقول: هابه يهابه هَيباً وهَيبة ومهابة إذا خافه وحذره فهو هائب وهيوب، ورجل مهيب أي يهابه الناس «البأس»: الحرب. «الشنآن»: البغض والعدواة.

الإعراب

في بعض النسخ «بالسير» **(الباء)** بمعنى **(في)**. ومذكور في نسختنا العتيقة في السير مكان بالسير «فإن الله» **(الفاء)** للتعليل. والتي بعدها فصيحة للتفريع والنتيجة. «فسر» **(الفاء)** جواب **(إذا)** كالّتي بعدها. «دنوّ» مفعول مطلق لقوله **(لا تدن)**. وكذلك تباعد لقوله **(ولا تباعد)**، وفي نسخة الطبري كما أشرنا إليها آنفاً مذكور: بعد من يهاب، وهو بضمّ **(الباء)** مفعول مطلقاً أيضاً إلاّ أنه ليس من باب عامله أعني لا تباعد على وزان قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧﴾. «حتى يأتيك أمري» غاية لكلا النهيين المقدّمين ومتعلق بكلا الفعلين أعني **(لا تدن)**، **(ولا تباعد)**. «قبل» ظرف لقوله: **(ولا يحملنكم)**.

المعنى

قد أتى عليه السلام في هذه الوصيّة بأمور يدلّ بعضها على كمال رأفته بالنّاس، والآخر على نهاية بصارته في البأس. وقد جمع عليه السلام فيها بين الأضداد وألّف بين الأشتات، وإذا ضمّت

هذه الوصيّة إلى التي قبلها واللاتي بعدها تزيد المجاهد بصيرة في فنون الحرب، ومع ذلك تذكّره بتقوى الله وتحذّره عن اتّباع الهوى وتنشطه وتشجعه في الجهاد في سبيل الله تعالى. ولو تأمّل فيها متأملٍ وفكر فيها متفكّر علم أنَّ عليها مسحة من العلم الإلهي وفيها عبقة من الكلام النبويّ. وأنَّ قائلها كان على بيّنة من ربّه وبصيرة في الدّين ولم يكن في قلبه زيغ عن سواء الطريق. وما كان همّه إلاّ إطفاء نار الفتنة وانقاذ الناس ممّا فيه الهلكة وإنفاذهم إلى ما فيه سعادة جمّة. فانظر في فقرات هذه الوصيّة، افتتحها بتقوى الله واختتمها بالكفّ عن القتال قبل الاعذار والدّعاء، ووسّط فيها قوله: (**فسر على بركة الله**)، وصدّر فيها بالأوامر، وأردفها بالنواهي ولعمري إنَّ محاسنها فوق أن تحوم حولها العبارة وإنّما هي تدرك ولا توصف وستقف على بعضها في أثناء الشرح فلنتعرّض لشرح فقراتها وجملها على قدر الوسع والاستطاعة.

قوله عليه السلام: «اتق الله - إلى قوله: دونه» أمره بتقوى الله أوّلاً لأنّها خير زاد وكان عليه السلام كثيراً ما يوصي أصحابه بتقوى الله ففي الكافي بإسناده عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يوصي أصحابه ويقول: أوصيكم بتقوى الله فإنها غبطة الطالب الراجي وثقة الهارب اللاجيء واستشعروا التقوى شعاراً باطناً واذكروا الله ذكراً خالصاً تحبوا به أفضل الحياة وتسلكوا به طريق النجاة إلخ (**ص ٦٢ ج ١٤ من «الوافي»**)[١].

وفي الفقيه عن سليم بن قيس الهلالي قال: شهدت وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن - يعني حين ضربه ابن ملجم - وأشهد على وصيّته الحسين ومحمّداً وجميع ولده ورؤساء شيعته - إلى أن قال: قال عليه السلام: ثمَّ إنّي أُوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغه كتابي من المؤمنين بتقوى الله ربّكم (**ص ٧٩ ج ٢ من «الوافي»**)[٢].

ثمَّ وصف الله تعالى بما فيه تخويف وتشجيع وذلك أنّه عليه السلام لما أنفذ معقل بن قيس في ثلاثة آلاف مقدّمة له إلى الشّام توجّه إلى معقل أمران: الأوّل إمارة ثلاثة آلاف رجل، الثاني الجهاد في سبيل الله. والإمارة سلطان قد توجب البغي والطغيان إلاّ من عصمه الله عن اتّباع الشيطان؛ والجهاد بذل النفس دونه تعالى والجود بالنفس أقصى غاية الجود. فعلى الأوّل خوّفه بقوله: (**الله لا بدّ لك من لقائه ولا منتهى لك دونه**)؛ أي خف الله تعالى واتّقه فإنّك لو عصيته وظلمت من دونك من الجيش وعدلت عن العدل فيهم فاعلم أنّما لا بدّ لك من لقاء الله تعالى وليس منتهى لك غيره فإذاً يجازيك ويعاقبك بما أسلفت من سوء أعمالك فكن على حذر من طوع الهوى.

(١) الكافي: ١٧/٨ ح ٣، ونهج السعادة: ٥٣/٧ ح ٢.

(٢) شرح أصول الكافي: ١٤٨/٦ ح١، وبحار الأنوار: ٢١٣/٤٢.

وعلى الثاني شجّعه بذلك القول أيضاً على الجهاد أي لا تخف من الجهاد فإنّك لو تجود بنفسك فقتلت في سبيل الله فاعلم أنّما تلقى الله تعالى وليس لك سواه منتهى، فإذا كان منتهى أمرك إليه ولا بدّ لك من لقائه فهو تعالى يجزيك بما قدمت. قال عزّ من قائل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١] وقال تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾ [النساء: ٧٤].

قوله عليه السلام: «ولا تُقاتلنّ إلاّ من قاتلك» في «**الكافي**» وفي حديث عبد الله بن جندب عن أبيه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر في كلّ موطن لقينا فيه عدوّنا فيقول: لا تقاتلوا القوم حتّى يبدؤوكم فإنّكم بحمد الله على حجّة وترككم إيّاهم حتّى يبدؤوكم حجّة لكم أُخرى فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا لهم مدبراً ولا تجيزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثّلوا بقتيل(١). انتهى.

وأقول: سيأتي تمام الكلام في سيرته عليه السلام في الحروب في شرح «**المختار**» الرابع عشر من هذا الباب.

ثمّ اعلم أنّ أولياء الله شأنهم أجلّ وقدرهم أعظم من أن يقاتلوا النّاس لغير رضا الله تعالى فإنّهم مأمورون أوّلا لإحياء النفوس وإنارة العقول والهداية إلى جناب الربّ جلّ وعلا إلاّ أنّ طائفة من النّاس لمّا استحوذ عليهم الشيطان طغوا ونهضوا إلى هدم بناء الدين، أو صاروا جراثيم مؤذية راسخة في أُصول شجرة الفضيلة التي غرسها النبيّ بإذن الله تعالى فكان واجباً على النبيّ أو الوليّ أن يجتاحوا أُصول الجراثيم لئلا تطرق المفاسد والفواحش في الاجتماع الإنسانيّ ولذا ترى أنّ الافتتاح في كلّ غزوة إنّما كان من معاندي الأنبياء والأولياء. وأمّا الأنبياء والأولياء فكانوا يأمرون جيوشهم قبل الغزوات بدعاء الكفّار إلى ما فيه حياتهم الدائمة وسعادتهم الباقية، والاعذار إليهم، وإتمام الحجّة عليهم، وبأن لا يقاتلوا إلاّ من قاتلهم لأنّ قتال غير المقاتل ظلم وهم مبرّؤون عنه.

وبما ذكرنا يعلم فضيلة المجاهد في سبيل الله ودرجة سيف به ينتظم أُمور الناس ويؤمن الخائفون ويعبد الله المؤمنون، وسرّ بعض الأيات القائلة بأنّه لو لم يكن السيف لفسدت

---

(١) الكافي: ٥/ ٣٨ ح ٣، ووسائل الشيعة: ١٥/ ٩٢ ح ٢٠٠٥٣.

الأرض كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ وكذا سرّ بعض الأخبار الذي ينادي بأعلى صوته أنَّ الناس لمّا أبوا أن يقبلوا أمر الله رسوله بالقتال: ففي «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خيول الغزاة في الدُّنيا خيولهم في الجنّة وإن أردية الغزاة لسيوفهم[١].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أخبرني جبرئيل بأمر قرّت به عيني وفرح به قلبي قال: يا محمّد من غزا من أُمتك في سبيل الله فأصابه قطرة من السماء أو صداع كتب الله له شهادة[٢].

وفيه: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الخير كلّه في السيف وتحت ظلّ السيف، ولا يقيم الناس إلاّ السيف، والسيوف مقاليد الجنّة والنّار[٣].

أقول: يعني أنَّ السيف الذي يشهره المسلم مجاهداً في سبيل الله فهو مقلاد الجنّة أي مفتاحها له، وأنَّ الذي يشهره الكافر مفتاح النّار له.

وفيه عن معمّر عن أبي جعفر عليه السلام قال: الخير كلّه في السيف وتحت السيف وفي ظلّ السيف.

وفيه عن عمر بن أبان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ الله تعالى بعث رسوله بالإسلام إلى النّاس عشر سنين فأبوا أن يقبلوا حتّى أمره بالقتال، فالخير في السيف وتحت السيف والأمر يعود كما بدا[٤].

أقول: وقوله عليه السلام: **(والأمر يعود كما بدا)** إشارة إلى دولة القائم عليه السلام والروايات في ذلك كثيرة جدًّا تشير إلى سرّ فارد وحقيقة واحدة.

قوله عليه السلام: «وسر البردين» أمره أن يسير في الغداة والعشيّ لأنّ السير في طرفي النّهار يكون أهون، وطيّ الطريق فيهما يكون أكثر، والتعب يكون أقلّ لبرد الهواء وطيبها في هاتين الساعتين. وفي الباب التاسع من أبواب آداب السفر من حجّ الوسائل عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: سيروا البردين، قلت: إنّا نتخوف الهوام قال: إن أصابكم شيء فهو خير لكم ثمّ إنّكم مضمونون.

(١) الكافي: ٥/٣ ح ٣، ووسائل الشيعة: ١٥/١١.
(٢) الكافي: ٥/٣ ح ٣، والأمالي: ٦٧٣ ح ٩٠٥.
(٣) الكافي: ٥/٣ ح ١، والأمالي: ٦٧٤ ح ٩٠٩.
(٤) الكافي: ٥/٧ ح ٧، ووسائل الشيعة: ١٥/١٥ ح ١٩٩١٤.

قوله عليه السلام: «وغوّر بالناس» أي أنزل بهم للقائلة أي منتصف النهار وذلك لأنَّ السير في الغائرة يستلزم شدَّة الحرّ الموجبة للتعب والكلال. والقائلة هي وقت القيلولة والإستراحة. قال تعالى: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ﴾ [النور: ٥٨].

قوله عليه السلام: «ورفّه بالسّير» سياق الكلام يدلّ على أنّه عليه السلام أمره أن يرفّه جيشه في السير أي يوسّعهم فيه ويرفق بسيرهم ولا يوجفهم لكي لا يتعب الركاب والركبان، ولا يتأخّر بعض الجيش عن بعض فلولا التأنّي والرِّفق في السير لانجرّ الأمر إلى التفرقة والكلال وغيرهما من المضارّ في الجند والدواب فكأنّه عليه السلام قال له: هوّن بالسير ولا تتعب نفسك ولا دابّتك بالوجيف.

وإن أخذناه من قولهم: رفّه الرّاعي الإبل متى شاء فمتعلّق رفِّه يكون خاصّاً أي رفّه الركاب بالسير. فيكون توصية له في أن يراعي حالها في السير ولا يمنعها من الماء والكلاء ويوسّع في الانفاق عليها، ومن وصيّة لقمان لابنه: وإذا قربت من المنزل فأنزل عن دابّتك وابدأ بعلفها فإنّها نفسك - إلخ. رواها الكلينيُّ في **«الكافي»** والصدوق في **«الفقيه»** وأتى بها الفيض في **«الوافي»** (ص ٦٦ ج ٨).

وفي الباب التاسع من أبواب **«أحكام الدواب من حجّ الوسائل»** عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: للدّابّة على صاحبها ستّة حقوق: لا يحملها فوق طاقتها، ولا يتّخذ ظهرها مجالس يتحدّث عليها، ويبدأ بعلفها إذا نزل، ولا يسمها، ولا يضربها في وجهها فإنها تسبّح، ويعرض عليها الماء إذا مرّ به(١).

قوله عليه السلام: «ولا تسر أوَّل اللّيل - إلى قوله: ظعناً» نهى عن السير في أوَّل اللّيل نهي كراهة لا نهي تحريم وكلامه هذا ممّا يستدلّ به في الفقه على كراهة السير أوَّل اللّيل كما استدلّ به العاملي رحمه الله عليها في الباب التاسع من أبواب **«آداب السفر من حجّ الوسائل»**. ثمّ علّل النهي بقوله: **(فإنّ الله جعله سكناً)** أي موضعاً تسكنون فيه وقت إقامتكم. وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦]. ثمَّ أكّده بقوله: **(وقدّره مقاماً لا ظعناً)**. أطلق لفظ الظعن على اللّيل مجازاً لأنَّ اللّيل ليس بزمان الظعن لا أنه ليس بظعن إطلاق اسم المظروف الذي هو الظعن على الظرف الذي هو الليل، بخلاف اطلاق المقام عليه لأنَّ المقام بضمّ **(الميم)** اسم زمان من الإقامة فأطلق عليه حقيقة.

على أنَّ أوَّل اللّيل يكون حين تنشر الشياطين كما وردت به روايات عن **أئمّتنا** المعصومين عليهم السلام: ففي **«الكافي»** بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ إبليس عليه

(١) الكافي: ٦/ ٥٣٧ ح ١، والأمالي: ٥٩٧.

لعائن الله إنّما يبثّ جنوده من حين تغيب الشمس وحين تطلع فأكثروا ذكر الله تعالى في هاتين الساعتين وتعوّذوا بالله من شرّ إبليس وجنوده وعوّذوا صغاركم هاتين الساعتين فإنّهما ساعتا غفلة.

وفي «**الفقيه**» عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ إبليس إنّما يبثُّ جنود اللّيل من حين تغيب الشمس إلى مغيب الشفق ويبثّ جنود النهار من حين يطلع الفجر إلى مطلع الشمس. وذكر أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يقول: أكثروا ذكر الله تعالى في هاتين الساعتين[1] - إلى آخر الحديث المروي عن «**الكافي**» ورواهما الفيض في «**الوافي**» (**ص ٢٣٢ ج ٥**).

إن قلت: هل يدلّ الخبران على كراهة السير أوّل اللّيل؟

قلت: لا كلام في كراهة السير أوّل اللّيل وقد دلّت عليها أخبار أخرى أيضاً كما دلّت على استحباب اختيار آخر اللّيل للسّير ففي الباب التاسع من أبواب «**آداب السفر من حجّ الوسائل**» عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليكم بالسفر باللّيل فإنَّ الأرض تطوى باللّيل. وفيه عن حمّاد بن عيسى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال لقمان لابنه: يا بنيَّ إيّاك والسير في أوّل اللّيل وسر في آخره[2].

وعلى رواية الكلينيّ: إيّاك والسير في أوّل الليل وعليك بالتعريس والدّلجة وقد أتى بهما الطباطبائي قدّس سرّه في أوّل الحجّ من العروة الوثقى وأفتى بهما كذلك، وسيأتي نقل روايات أُخرى دالّة على كراهة السير أوّل اللّيل واستحبابه في آخره وفي البردين عن قريب.

وأمّا دلالة الخبرين على ذلك فغير معلومة لأنّهما يأمران بإكثار ذكر الله تعالى في هاتين الساعتين والتعوذ بالله فيهما من شرّ إبليس وجنوده فلا بأس أن يسير السائر فيهما ذاكراً متعوّذاً، اللّهمَّ إلاّ أن يقال: إنَّ دلالة تلك الأخبار على تحذير السير في أوّل اللّيل وكراهته فيه وعلى أنّه ساعة غفلة إنّما تكون من حيث إنه وقت تنشر الشياطين فإذا كانت هذه الساعة في الحضر ساعة غفلة ففي السفر أولى، لأنَّ اضطراب البال في السفر أكثر وإنّما كانت الساعة ساعة غفلة لأنّها وقت اختتام الأعمال فالناس يعرضون ساعتئذٍ عما كانوا فيها من الأشغال وينسلون في الإقبال إلى بيوتهم من كلّ جانب فيشتغلون بالاكتنان، فترى الناس فيها أشتاتاً فطائفة أسرعت إلى تغليق الدّكاكين، وأُخرى إلى التأهّب للّيل، وأُخرى كذا وكذا؛ وبعكسها في الساعة الآخرى أعني حين تطلع الشمس فالناس في هاتين الساعتين في أُمور دنياهم متوغّلون، وإلى كلّ جانب ينسلون فسمّيتا لما ذكرنا ساعتي غفلة.

---

(١) الكافي: ٢/ ٥٢٢ ح ٢، ووسائل الشيعة: ٤/ ١٠٦٤ ح ٥.

(٢) الكافي: ٨/ ٣١٤ ح ٤٨٩، ووسائل الشيعة: ١١/ ٣٦٥.

قوله عليه السلام: «فأرح فيه بدنك» أي إذا كان الله تعالى قدّر اللّيل سكناً ومقاماً فأرح فيه بدنك وليرح الجيش أبدانهم.

قوله عليه السلام: «وروّح ظهرك» بين الظهر والبدن إيهام التناسب نحو بيت السقط:

وحرفٍ كنونٍ تحت راء ولم يكن بدالٍ يؤمّ الرسم غيّره النقط

ففي الجمع بين الحرف والراء والدّال والنقط إيهام أنَّ المراد منها معانيها، وليس كذلك؛ إلاّ أنَّ النون في البيت كان على معناه المتبادر من حروف المعجم والمراد من الحرف الناقة المهزولة، **(وراءٍ)** اسم فاعل من رأيته، **(ودال)** اسم فاعل من دلأ الركائب إذا رفق بسوقها. **(والنقط)** ما تقاطر على الرسوم من المطر، شبّه الناقة في الدّقة والإنحناء بنون ومدح حبيبته بأنّها تجلّ عن أن تركب من النوق ما هي في الضمر والإنحناء كالنون يركبها الأعرابي لزيارة الأطلال فيضرب ريتها إذ لا حراك بها من شدّة الهزال بل مراكب الحبيبة سمان ذوات أسنمة.

وكذلك في «**المقام**» أنَّ الجمع بين البدن والظهر يوهم أنَّ المراد من الظهر هو خلاف البطن وليس كذلك بل المراد منه الركاب أي روّح ركابك في اللّيل بمعنى ردّها إلى المراح. فأراد عليه السلام بلفظ الظهر معناه البعيد كقول القاضي أبي الفضل بن عياض يصف ربيعاً بارداً:

أو الغزالة من طول المدى خرفت فما تفرّق بين الجدي والحمل

يعني كأنَّ الشمس من كبرها وطول مدتها صارت خرفة قليلة العقل فنزلت في برج الجدي في أوان الحلول ببرج الحمل، إذ الجدي من البروج الشتوية، والحمل من الربيعيّة، والمراد من الغزالة معناها البعيد أي الشمس، ومعناها القريب: الرَّشأ وكذلك الكلام في قوله عليه السلام: **(ظهرك)**؛ إلاّ أنَّ القاضي قد قرن بها ما يلائم المعنى القريب الذي ليس بمراد كالجدي والحمل؛ وهو عليه السلام أتى بما يلائم كلا المعنيين القريب والبعيد أعني روّح وإن كان المراد ما يلائم البعيد كما دريت في اللّغة، وما يلائم القريب إنّما كان من قولهم روّح فلان الرجل إذا أراحه ولكنه ليس بمراد.

قوله عليه السلام: «فإذا وقفت - إلى قوله: بركة الله» يمكن أن تفسّر هذه الفقرة على ثلاثة أوجه:

الأوّل: أنَّ الأمير عليه السلام أمر معقل بن قيس بأن يكون وقت انبساط السحر أو انفجار الفجر يقظاً وذلك أنّه لما تولّى من قبله عليه السلام إمارة الجيش وصار قائدهم فلا بدَّ له من أن يكون قبل ظعن القوم يقظان ليهيّأ أصحابه للسير ويستعدّهم للإرتحال ويكون ناظر أعمالهم وقائماً عليهم يراقبهم حتّى لا يفوته بعض ما يصلح لهم.

الثاني: أن تكون صلة وقف كلمة (إلى) المحذوفة فمعناه إذا وقفت اللّيل إلى حين ينبطح السحر فسر على بركة الله؛ فكأنّه عليه السلام أمره بأن يريح بدنه ويروّح ظهره في اللّيل ونهاه عن السير فيه إلى أن ينبطح السحر.

الثالث: أن تكون صلة الفعل كلمة (**على**) أي إذا وقفت على حين ينبطح السحر بمعنى إذا اطلعت على انبطاحه فسر على بركة الله لأنَّ وقف مع (**على**) يفيد معنى الاطلاع يقال: وقفه على ذنبه إذا اطلعه عليه؛ فكأنّه عليه السلام أمره أن لا ينام هو ولا عسكره على حدّ يفوتهم السحر نظير قوله عليه السلام في الوصية السابقة: (**ولا تذوقوا النوم إلاّ غراراً أو مضمضة**)، فكأنَّ الوجه الأوّل أنسب بسياق الكلام من الأخيرين.

ثمَّ اعلم أنَّ السحر يكون قبيل الصبح وهو على قسمين: السحر الأعلى وهو ما قبل انصداع الفجر، والسحر الآخر وهو عند انصداعه والظاهر من قوله عليه السلام: (**ينبطح السحر**) أنَّ المراد منه السحر الثاني فيؤل معنى كلامه إلى أنّه عليه السلام أمر ابن قيس بأن يسير إمّا في السحر الثّاني أو حين انشقَّ الفجر أي الفجر الصادق، فعلى هذا كأنّما السحر خارج عن اللّيل حقيقة لأنَّ اللّيل يتمّ حين انصداع الفجر.

وأمّا على نسخة نصر في «**صفين**» أعني: فإذا كان السحر أو حين ينبطح الفجر فسر؛ فالسحر خارج عن اللّيل حكماً لأنَّ الظاهر من قوله عليه السلام: (**ولا تسر أوّل اللّيل فإنَّ الله جعله ساكناً**) أنَّ الدَّليل أعني قوله: (**فإنَّ الله جعله ساكناً**) راجع إلى قوله (**أوّل اللّيل**) فالكراهة تختصّ بأوّل اللّيل فيستثنى أخر اللّيل عن حكم الكراهة فكلامه عليه السلام هذا كغيره من روايات أُخرى مخصّصة لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ الآية المتقدّمة، والأخبار يأمر بعضها بالسير في اللّيل مطلقاً وينهى الأخرى عن السير فيه كذلك فقد تقرّر في أُصول الفقه صحّة تخصيص الكتاب بالسنّة، والسنّة بالسنّة أيضاً، فعليك بطائفة من أخبار وردت في «**المقام**» رواها العاملي قدّس سرّه في الباب التاسع من أبواب آداب السفر من حجِّ الوسائل:

بإسناده عن جميل بن درّاج وحمّاد بن عثمان جميعاً، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الأرض تطوى في آخر اللّيل[1].

وعن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: سيروا البردين؛ قلت: إنّا نتخوّف الهوام، قال: إن أصابكم شيء فهو خير لكم ثمَّ إنّكم مضمونون.

(١) الكافي: ٥/ ٤٢١ ح ١، ووسائل الشيعة: ١/ ٢٧٠ ح ٧٠٦.

وعن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليكم بالسفر باللّيل فإنَّ الأرض تطوى باللّيل[١].

وعن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يقول النّاس: تطوى لنا الأرض باللّيل كيف تطوى؟ قال: هكذا[٢] ثمَّ عطف ثوبه.

وعن يعقوب بن سالم رفعه إلى عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا نزلتم فسطاطاً أو خبأ فلا تخرجوا فإنّكم على غرة[٣].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: اتّقوا الخروج بعد نومة فإن لله دواراً بينها يفعلون ما يؤمرون[٤].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله على اليمن فقال لي وهو يوصيني ما حار من استخار ولا ندم من استشار، يا عليّ عليك بالدلجة فإنَّ الأرض تطوى باللّيل ما لا تطوى بالنهار، يا عليّ اغد على اسم الله فإنَّ الله تعالى بارك لأُمّتي في بكورها[٥].

وعن حمّاد بن عيسى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لقمان لابنه: يا بنيَّ إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك ـ إلى أن قال: وإيّاك والسير في أوّل اللّيل وسر في آخره. قال: ورواه الكلينيُّ ـ إلاّ أنّه قال: وإيّاك والسير في أوّل اللّيل وعليك بالتعريس والدلجة من لدن نصف اللّيل إلى آخره[٦].

أقول: قد ذكر طائفة من وصيّة لقمان لابنه ومنها هذه النبذة التي رواها حماد عن الصادق عليه السلام ابن قتيبة الدّينوري في كتاب «**الحرب من عيون الأخبار**» ص ١٣٥ ج ١ طبع مصر ١٣٨٣ هـ.

بيان: قال الجوهريُّ في «**الصحاح**»: أدلج القوم إذا ساروا من أوّل اللّيل؛ والاسم الدَّلَج بالتحريك والدُّلْجَة والدَّلْجَة أيضاً مثل بُرهَة من الدهر وبَرْهَة، فإن ساروا من آخل اللّيل فقد ادَّلجوا بالتشديد (**يعني بتشديد الدال**) والاسم الدَّلجة والدُّلجَة. انتهى كلامه. والتعريس: نزول

---

(١) شرح أصول الكافي: ١٢/٤٣٨ ح ٤٨٩.
(٢) المحاسن: ٢/٣٤٦ ح ١٣، والكافي: ٨/٣١٤ ح ٤٩٠.
(٣) المحاسن: ٢/٣٤٧ ح ١٨، وبحار الأنوار: ٧٣/٢٧٨ ح ١٤.
(٤) المحاسن: ٣٤٧ ح ١٩، ووسائل الشيعة: ٥/٣١٩.
(٥) وسائل الشيعة: ٧/٤٠٦ ح ٩٧٠٤، وموسوعة الإمام الجواد: ٢/٥٤٤ ح ١٠١٥.
(٦) المحاسن: ٢/٣٧٦، والكافي: ٨/٣٤٩.

المسافر آخر اللّيل للنوم والاستراحة من قولهم عرّس القوم إذا نزلوا في السفر في آخر اللّيل للاستراحة كما في مجمع البحرين وأقرب الموارد، وربّما استعمل الإدلاج بالتخفيف لسير آخر اللّيل كقول الشاعر: اصبر على السير والإدلاج في السحر. كما أنَّ الإدّلاج بالتشديد قد يستعمل لسير اللّيل كلّه.

وأقول: فبما قدّمنا دريت وجه الجمع بين تلك الأخبار. ثمّ إنَّ مقتضى الجمع أن تكون الدّلجة اسماً من ادّلج القوم بتشديد الدال لأنَّ قول رسول الله ﷺ لعليّ: يا عليُّ عليك بالدّلجة فإنَّ الأرض تطوى باللّيل، ما لا تطوى بالنهار، وإن كان لا يفرّق بين أوّل اللّيل وآخره إلاّ أنَّ رواية الصادق عليه السلام حكاية عن لقمان وإيّاك والسير في أوّل اللّيل وعليك بالتعريس والدّلجة من لدن نصف اللّيل إلى آخره، تبيّن بأنَّ المراد من الدلجة في قول الرسول عليه السلام هو اسم من الادّلاج المشدّد أي السير في آخر اللّيل.

وبما حقّقنا دريت أنَّ ما ذهب إليه الطريحي في مادّة دلج من المجمع حيث قال: «في الحديث عليكم بالدّلجة» وهو سير اللّيل يقال أدلج بالتخفيف إذا سار من أوّل اللّيل وبالتشديد إذا سار من آخره والاسم منهما الدّلجة بالضمّ والفتح، ومنهم من يجعل الإدلاج للّيل كلّه، وكأنّه المراد هنا لما في آخر الحديث، **(فإنّ الأرض تطوى)** ولم يفرّق بين أوّل اللّيل وآخره ليس بصواب.

الكلام في حدوث الفجر وتعاكس الصبح والشفق والبحث عن مسائل شتى متنوعة

واعلم أنَّ الشمس أعظم جرماً من الأرض بكثير وهي على الحساب الذي أورده غياث الدّين جمشيد الكاشي في رسالته المفيدة الأنيقة المترجمة بسلّم السماء ثلاثمائة وستّ وعشرون مثلاً للأرض.

وقد بيّن اسطرخس في الشكل الثّاني من كتابه في جرمي النيّرين: أنَّ الكرة إذ أقبلت الضوء من كرة أُخرى أعظم منها كان المستضيء منها أعظم من نصفها، فلمّا كانت الشمس والأرض كرّيتان والشمس أعظم منها بكثير فالأرض تستضيء أكثر من نصفها من الشمس دائماً. وتحدث بين المستضيء والمظلم من الأرض دائرة صغيرة إذ الجزء المضيء من الأرض أعظم من النصف كما علمت، فهي لا تنصّف كرة الأرض وقد بيّن في محلّه أنَّ الدائرة العظيمة هي التي تنصّف الكرة التي فرضت عليها.

ثمّ اعلم أنَّ ما يقبل الضوء يجب أن يكون كثيفاً مانعاً من نفوذ الضوء فيه، فلو لم يكن

مانعاً كالهواء والزجاج المشفّين لم يقبلا الضوء فالأرض لكثافتها المانعة من نفوذ الضوء قابلة له وكذا كرة البخار المحيطة بها، وأمّا ما فوق كرة البخار من الهواء لا يستضيء بضياء الشمس أصلاً لكونها مشفَّة في الغاية وينفذ النور فيها ولا ينعكس فإذا وقع ضوء الشمس على الأرض يستضيء وجهها المواجه لها بها، ولمّا كانت الأرض كروية الشكل تقريباً والشمس أعظم منها يكون ظلّها على شكل مخروط مستدير فإنَّ الكرة المنيرة لو كانت مساوية للمستنيرة يكون الظلُّ على شكل الإستوانة المستديرة لا المخروط المستدير، ثمَّ قاعدة المخروط المستدير من ظلِّ الأرض هي تلك الدائرة الصغيرة تحيط بها هذه القاعدة وسطح مستدير يرتفع منها ويستدقُّ شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهي في أفلاك الزهرة، ويكون لا محالة قاعدة مخروطة الظلِّ نحو جرم الشمس وسهمه في مقابلة جرمها أبداً، ففي منتصف اللّيل يكون السَّهم على دائرة نصف النهار فوق الأرض إمّا قائماً على سطح الأفق الحسّي إن كانت الشمس على سمت القدم، أو مائلاً إلى جهة القطب الظاهر إن كانت عن سمت القدم في جهة القطب الخفيّ، أو إلى جهة القطب الخفيّ إن كانت عن سمت القدم في جهة القطب الظاهر؛ ولكن يتساوى بعده عن الشرق والغرب في جميع الصّور.

ولا يخفى على ذي دربة في الفنِّ أنَّ هذا مخصوص بما إذا لم يتّصل الصبح بالشفق إذ حينئذ قبل أن يميل المخروط إلى جانب الغرب يصير الشعاع المحيط به مرئيّاً كما ستزيدك فيه بياناً.

ثمَّ إنَّ كرة البخار هواء متكاثف بسبب مخالطة الأجزاء الأرضيَّة والمائيَّة المتصاعدتين من كرتيهما بحرارة الشمس أو غيرها على شكل كرة محيطة بالأرض على مركزها وسطح موازٍ لسطحها وهي مختلفة القوام فما هو أقرب منهما إلى الأرض أكثف ممّا هو أبعد، لأنَّ تصاعد الألطف أكثر بالطبع من الأكثف وقد بيِّن في الأبعاد والأجرام أنَّ بُعدَ سطحها الأعلى عن سطح الأرض اثنان وخمسون ميلاً تقريباً.

ومخروط الظلِّ يثقب كرة البخار ولا يحيط بها وذلك لأنَّ قاعدة المخروط سطح دائرة محيطها هو الفصل المشترك بين المضيء والمظلم من كرة الأرض وتلك الدائرة صغيرة أعني أنَّ القاعدة أصغر من عظيمة مفروضة على كرة الأرض كما دريت فتكون أصغر كثيراً من عظيمة كرة البخار لأنَّها محيطة بالأرض. فما وقع من كرة البخار داخل هذا المخروط لا يستضيء بضياء الشمس وما سواه من كرة البخار مستنيرة أبداً لكثافتها وإحاطة الشمس بها لكنّها لا ترى في اللّيل لبعدها عن البصر.

فإذا كانت الشمس تحت الأرض قريبة من الأُفق فما يُرى من القطعة المستنيرة من كرة البخار فوق الأُفق إن كان في الجانب الشرقي يسمّى صبحاً، وإن كان في الجانب الغربي

يسمّى شفقاً وهما متعاكسان أي متشابهان شكلاً ومتقابلان وضعاً، فإنَّ أوَّل الصّبح بياض مستدقٍّ مستطيل منتصب، ثمَّ بياض عريض منبسط في عرض الأُفق مستدير كنصف دائرة يضيء به العالم، ثمَّ حمرة. وأوَّل الشفق حمرة، ثمَّ بياض عريض منبسط مستدير، ثمَّ بياض مستدقٍّ مستطيل منتصب.

وهما مختلفان لوناً أيضاً لاختلاف ما يستضيء من الجوّ بضياء الشمس بسبب اختلاف لون البخار فإنّه يكون في أواخر اللّيل مائلاً إلى الصّفاء والبياض لرطوبة المكتسبة من برودة اللّيل؛ وإلى الصفرة في أوائله لغلبة الحرّ الدخاني المكتسب من حرارة النهار مع أنَّ الكثيف كلّما كان أكثر صفاء وبياضاً كان أضوء والشعاع المنعكس عنه أقوى.

واعلم أنَّ النوع الأوَّل من الفجر أعني ذلك البياض المستدقّ المستطيل المنتصب يعرف بالصبح الأوَّل، والصبح الكاذب، ويلقّب بذنب السرحان. أمّا بالأوَّل فلسبقه لأنّه أوَّل ما يرى فوق الأُفق من نور الشمس.

وأمّا بالكاذب فلكون ما يقرب من الأُفق بعد مظلماً أي لو كان يصدق أنّه نور الشمس لكان المنير ما يلي الشمس دون ما يبعد منها.

وقيل: سمّي بالكاذب لأنّه تعقبّه ظلمة تكذّبه فإنّه إذا طلع الصبح الثاني انعدم ضوء الصبح الأوَّل.

وفيه أنَّ ضوء الصبح الأوَّل لا يعدم بطلوع الصبح الثاني بل يخفى عن البصر لضعفه وغلبة الضوء الشديد الطاري أعني ضوء الصبح الثاني عليه كما هو حكم النور الضعيف في قبال القويّ منه، ولذا يخفى ضياء الكواكب في ضوء الشمس فلا يصحُّ أن يقال إنَّ ظلمة تعقّبه وتكذّبه أيضاً لأنّه لا تعقبّه ظلمة بل يكون وقتئذ ما قرب من الأُفق مظلماً، وإنّما يعقّبه ضوء قوى عليه.

وأمّا بذنب السرحان فلدقّته واستطالته تشبيهاً له به إذا شاله ولاستطالته يسمّى بالفجر المستطيل أيضاً.

قال المسعود بن السعد بن السّلمان:

وليلٍ كأنَّ الشمس زلّت ممرَّها ... وليس لها نحو المشارق مرجع
نظرت إليه والظّلام كأنّه ... من الجوّ غِربانٌ على الأرض وُقّع
فقلت لنفسي طال ليلي وليس لي ... من الهمّ منجاة في الصّبر مفزع
أرى ذنب السّرحان في الجوّ طالعاً ... وهل ممكن قرن الغزالة تطلع؟

ومراده من الغزالة معناها البعيد أعني الشمس، قال الحافظ:

شود غزال خورشيد صيد لا غر من　　گرآهويى چوتو اندر كنار من باشى

وقال الخاقاني الشرواني في قصيدة مدح بهامنوجهر شروانشاه (**ص ٣٧٩ طبع طهران ١٣٣٦ هـ ش**):

صبحدم آب خضر نوش ازلب جام گوهوى　　كز ظلمات بحر جست آينه سكندرى

شاهد طارم فلك رست زديو هفت سر　　ريخت بهرد ريچه آغچه ززشش سرى

غاليه ساى آسمان سودبر آتشين صدف　　از پي مغزخاكيان لخلخه هاى عنبرى

يوسف روزجلوه كردازدم گرگ وميكند　　يوسف گرگ مست ما دعوى روزپيكرى

والنوع الثاني من الفجر أعني ذلك البياض العريض المنبسط في عرض الأُفق المستدير كنصف دائرة يضيء به العالم يسمّى بالصّبح الثاني، والصّبح الصادق، والفجر المستطير، والصّديع.

أمّا بالثاني فلكونه في مقابل الأوّل؛ وأمّا بالصّادق لأنَّ ضياءه أصدق من الضياء الأوّل، ولأنّه في إزاء الكاذب؛ وأمّا بالمستطير فمن قولهم استطار الفجر إذا انتشر وتبيّن، وسيأتي قول رسول الله ﷺ: لا يغرنّكم الفجر المستطيل فكلوا واشربوا حتّى يطلع الفجر المستطير[1].

وأمّا بالصّديع لأنّه انصداع ظلمة عن نور والصدع: الشّق والفرق والفصل كما مضى تفصيله في شرح «**المختار**» ٢٢٩ من باب الخطب (**ص ٩ ج ١٥**). وقد وردت في التعبير عن الصّديع رواية عن الصادق عليه السلام رواها شيخ الطائفة الطوسي قدّس سرّه في «**التهذيب**» بإسناده عن الحضرمي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: متى أصلّي ركعتي الفجر؟ قال: حين يعترض الفجر وهو الذي تسميّه العرب الصّديع[2] (**ص ٥٣ ج ٥ من «الوافي»**).

ولا يتعلّق بالنّوع الأوّل شيء من الأحكام الشرعيّة، ولا من العادات الرَّسميّة غالباً، بل يتعلّق بالنوع الثاني منه كما تدلّ عليه بعض الآيات القرآنيّة وأخبار مستفيضة إن لم تكن متواترة وردت في هذا المعنى وسيجيء نقل طائفة منها إن شاء الله تعالى.

وإنّما قيّدنا الحكم بقولنا غالباً لأنَّ نبذة من عبادات نفليّة تتعلّق بطلوع الفجر الأوّل: منها دخول وقت فضيلة الوتر فإنَّ أفضل أوقاتها ما بين الفجرين كما رواه شيخ الطائفة قدّس

(١) الدر المنثور: ١/ ٢٠٠ وفيه: لايمنعكم من سحوركم.

(٢) تهذيب الأحكام: ٢/ ١٣٣ ح ٥١٧، وسائل الشيعة: ٣/ ١٩٤ ح ١٠.

سرّه في التهذيب **(وفي الوافي ص ٥٣ ج ٥)** بإسناده عن إسماعيل بن سعد الأشعري قال: سألت أبا الحسن الرّضا عليه السلام عن ساعات الوتر فقال: أحبُّها إليَّ الفجر الأوّل[١] - الحديث.

فإنَّ قوله عليه السلام: أحبُّها إليَّ، يدلُّ على أنَّ وقت فضيلته الفجر الأوّل.

وفي الكافي والتهذيب بإسنادهما عن ابن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أفضل ساعات الوتر فقال: الفجر الأوّل[٢] **(ص ٥٣ ج ٥ من الوافي)**.

وفي أوائل مفتاح الفلاح للشيخ الأجلّ العلاّمة البهائي قدّس سرّه أنّه روي أنَّ رجلاً سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن الوتر أوّل اللّيل فلم يُجبه فلمّا كان بين الصّبحين خرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسجد فنادى أين السائل عن الوتر؟ ثلاث مرّات، نعم ساعة الوتر هذه[٣]، ثمَّ قام عليه السلام فأوتر.

فإنَّ المراد من قوله: بين الصّبحين هو بين الفجرين أي الكاذب والصّادق كما لا يخفى.

ومنها وقت نافلتي الصّبح ففي **«التهذيب»** بإسناده عن البزنطيّ قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: ركعتي الفجر أُصلّيهما قبل الفجر، وبعد الفجر؟ فقال: قال أبو جعفر عليه السلام: احش بهما صلاة اللّيل وصلّهما قبل الفجر[٤]. **(ص ٥٣ ج ٥ من «الوافي»)**.

وفي **«الكافي»** و**«التهذيب»** بإسنادهما عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: الركعتان اللّتان قبل الغداة أين موضعهما؟ فقال: قبل طلوع الفجر فإذا طلع الفجر فقد دخل وقت الغداة. **(ص ٥٣ ج ٥ من «الوافي»)**.

وفي **«التهذيب»** بإسناده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن ركعتي الفجر قبل الفجر أو بعد الفجر؟ فقال: قبل الفجر إنّهما من صلاة اللّيل ثلاث عشرة ركعة صلاة اللّيل - الحديث[٥]. **(ص ٥٣ ج ٥ من «الوافي»)**.

وفيه بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: ركعتا الفجر من صلاة

---

(١) تهذيب الأحكام: ٢/٣٣٩ ح ١٤٠١. وسائل الشيعة: ٣/١٩٧ ح ٤٠.

(٢) تهذيب الأحكام: ٢/٣٣٦ ح ١٣٨٨، بحار الأنوار: ٨٤/ ٢٢.

(٣) وسائل الشيعة: ٤/ ٢٧٢ ح ١٥٤٠.

(٤) الاستبصار: ١/ ٢٨٤، تهذيب الأحكام: ٢/ ١٣٣.

(٥) الاستبصار: ١/ ٢٨٣ ح ١٠٣١، تهذيب الأحكام: ٢/ ١٣٣ ح٥١٣.

اللّيل هي؟ قال: نعم[1]. (ص ٥٣ ج ٥ من «الوافي»).

وكذا غيرها من الرّوايات الواردة في ذلك عن أصحاب العصمة ﷺ. وإنّما تدلّ على ما أشرنا إليه؟ لأنَّ المراد من الفجر إذا أُطلق هو الفجر الثاني، على أنَّ قوله ﷺ: «فإذا طلع الفجر فقد دخل وقت الغداة» قرينة دالّة على ذلك. وأنَّ قوله ﷺ: احش بهما صلاة اللّيل، وإنّهما من صلاة اللّيل وغيرهما ترشدنا إلى أنَّ وقت النافلتين بين الفجرين، وقد علمت أنَّ الوتر الذي هي من صلاة اللّيل كان أفضل أوقاتها بين الفجرين فنافلتا الصّبح وقتهما بعد صلاة الوتر وقبل الفجر الثاني أي بين الفجرين فيتمّ المطلوب.

نعم إن طلع الفجر الثاني ولم يكن قد صلّى صلاّهما إلى أن يحمّر الأُفق فإن احمرّ ولم يكن قد صلّى أخّرهما إلى بعد الفريضة، كما ورد بها روايات عنهم ﷺ.

وبما قدَّمنا علمت أن ما جنح إليه العلاّمة البيروني في «**القانون المسعوديّ**» (**٩٤٩ ج ٢**) من أنه لا يتعلّق بالفجر الأوّل شيء من الأحكام الشرعيّة ولا من العادات الرسميّة، ليس باطلاقه صحيحاً.

فالأحكام الشرعيّة أكثرها متعلّقة بالثاني فالمرويُّ عن النبيّ ﷺ: لا يغرنّكم الفجر المستطيل فكلوا واشربوا حتّى يطلع الفجر المستطير[2]، فأوّل النهار طلوع الفجر الثاني، ويدلّ عليه القرآن الكريم: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧] فالخيط الأبيض بياض الفجر المعترض الممدود المستطيل أي الفجر الثاني لأنّه أوسع ضياءً ويناسب قوله تعالى حتّى يتبيّن، والخيط الأسود سواد اللّيل، قال أبو داود الأياديُّ في الخيط الأبيض:

ولما أضاءت لنا غدوةً ولاح من الصبح خيطٌ أنارا

وقال آخر في الخيط الأسود:

قد كاد يبدو وبدت تباشره وسدف الخيط البهيم ساتره

ففي الآية استعارة عجيبة والمراد حتّى يتبيّن بياض الصبح من سواد اللّيل وعبّرهما بالخيطين مجازاً.

والظاهر أنَّ وجه تشبيههما بالخيط لدقّتهما كالخيط لأنَّ بياض الصبح في أوّل طلوعه يكون مشرقاً خافياً فيزداد انتشاراً، وسواد اللّيل وقتئذٍ يكون منقضياً مولّياً فيزداد استتاراً فهما

---

(١) تهذيب الأحكام: ٢/ ١٣٣، وسائل الشيعة: ٤/ ٢٦٤ ح ٥١١٠.

(٢) بحار الأنوار: ٥٦/ ١٢.

جميعاً ضعيفان دقيقان كالخيط.

وتحقيقه أنَّ الفصل المشترك بين ما انفجر أي انشقَّ من الضياء وبين ما هو مظلم بعد يشبه خيطين اتّصلا عرضاً فالذي انتهى إليه الضياء الخيط الأبيض والذي ابتدأ منه الظلام الخيط الأسود.

وكلمة (من) بيانيّة أي الخيط الأبيض من الفجر؛ واستغنى به عن بيان الخيط الأسود لأنّه يعلم بالتّبع، وقد مال بعض إلى أنّها للتبعيض وقد علمت بما حققنا أنّه وهم.

وروي أنَّ عديَّ بن حاتم قال: لما نزلت: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾ الآية قلت للنبيّ ﷺ: إنّي وضعت خيطين من شعر أبيض وأسود فكنت أنظر فيهما فلا يتبيّن لي فضحك رسول الله ﷺ حتّى رؤيت نواجده ثمَّ قال: يا ابن حاتم إنّما ذلك بياض النهار وسواد اللّيل[1].

وقد نقله المفسرون بألفاظ مختلفة تؤل إلى ما نقلناه، فالآية تدلّ على أوّل النهار طلوع الفجر الثاني.

وفي «**الكافي**» بإسناده عن حمّاد، عن الحلبيّ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر فقال: بياض النهار من سواد اللّيل[2] - إلخ. **(ص ٣٤ ج ٧ من «الوافي»)**.

واعلم أنَّ البياض المستدقّ المستطيل المنتصب الموازي لذنب السرحان آخر الشفق قلّما أن يتنبّه له الناس ويدركونه، والسرّ في ذلك أنَّ الهواء حينئذ يكون كدراً جدًّا بسبب ما يكون الناس فيه من الأشغال وبغلبة الحرّ الدّخاني المكتسبة من حرارة النهار؛ بخلاف الصّبح فإنَّ الهواء فيه يكون مائلاً إلى الصفاء والبياض لرطوبة المكتسبة من برودة اللّيل ولعدم أشغال معتدّة تكدّره، فبتلك العوائق الطارئة أنَّ ذنب السرحان لا يُرى في الشفق، لا كما ذهب إليه العلاّمة أبو ريحان البيروني في «**القانون المسعوديّ**» **(ص ٩٤٩ ج ٢ طبع حيدر آباد الدكن ١٣٧٤ هـ)** وتبعه المحقق الشريف والفاضل الفخري وغيرهما حيث قال: وإنّما لا يتنبّه النّاس له لأنَّ وقته عند اختتام الأعمال واشتغالهم بالإكتنان وأمّا وقت الصبح فالعادة فيه جارية باستكمال الرّاحة والتهيّؤ للتصرُّف فهم فيه منتظرون طليعة النهار ليأخذوا في الإنتشار، فلذلك ظهر لهم هذا وخفي ذلك. انتهى كلامه.

---

(١) تفسير مجمع البيان: ٢/٢٣، وفقه القرآن: ١/٢٠٢.

(٢) الكافي: ٤/٩٨ ح ٣، والوافي: ٧/٣٤.

كيف لم يكن هذا الدّليل عليلاً؟ ولو ينتظر أحد غروب الشفق لا يدرك ذلك الخيط الشبيه بذنب السرحان غالباً كما يدركه أوّل طلوع الصبح.

وجملة الأمر أنَّ هذا الحكم رياضيّ لا يخصّص ولا يعتريه ريب ولا يشوبه عيب إلاّ أنَّ الطواريء تمنعنا عن إدراكه.

فبما حققناه في «**المقام**» دريت وهن ما ذهب إليه المولى أحمد النراقي رحمه الله في (**الخزائن**) حيث قال: إشكال رياضيٌ وهو أنَّ الرياضيّين علّلوا الفجر الكاذب ونسبوه إلى الشمس وضوئها ولو كان كذلك ينبغي أن يكون في المغرب أيضاً كذلك يعني إذا غابت الشمس يظهر بعد قليل بياض مستطيل شبيه بذنب السرحان وليس كذلك، انتهى كلامه. فراجع إلى (**ص ١٦٥ من كتاب «الخزائن» الذي طبع في طهران عاصمة إيران سنة ١٣٨٠ هـ**) على تصحيحنا وتعليقنا عليه.

وإن شئنا ثنينا البيان على تحرير أدقّ وبرهنّاه ببرهان هندسيّ أتمّ فنقول: إنَّ ظلَّ الأرض مخروط مستدير والمخروط المستدير كما عرّفه اقليدس في صدر المقالة الحادية عشر من الأصول ما يحوزه مثلث قائم الزاوية أثبت أحد ضلعي الزاوية القائمة محوراً لا يزول وأدير المثلث إلى أن يعود إلى موضعه، وسهمه الضلع الثابت وقاعدته دائرة وسهم المخروط مارٌّ بمركز القاعدة عمود عليها أبداً، وقد بيّن في محلّه أنَّ مركز الشمس والأرض أبداً على سهم مخروط ضلّ الأرض فليمرَّ سطح بمركزي الشمس والأرض وسهم المخروط وهذا السطح قائم على قاعدة المخروط على زوايا قوائم كما برهن في الشكل الثامن عشر من المقالة الحادية عشر من الأصول. ثمَّ ليحدث من ذلك السطح مثلّث حادُّ الزوايا قاعدته على الأفق وضلعاه على سطح مخروط الظلّ.

أمّا كون المثلّث حادّ الزوايا فنقول إنَّ زاويتي قاعدته حادّتان لأنَّ سهم المخروط قائم على القاعدة ومارٌّ بمركزها، وقطر قاعدة المخروط قاعدة المثلّث فمنتصف القطر موقع عمود السهم فينقسم المثلّث بمثلّثين يكون سهم المخروط ضلعهما المشترك، ونصف قطر قاعدة المخروط قاعدة كلّ واحد منهما، والزّاويتان اللّتان بين السهم ونصفي القطر قائمتان، لأنَّ السهم عمود على القطر، فالزوايتان الأخريان أعني زاويتي قاعدة المثلّث الأعظم حادّتان لأنَّ المثلّث على البسيط المستوى تعدل زواياه الثلاث قائمتين فإذا كانت إحدى زواياه قائمة فلا بدَّ من أن تكون كلّ واحدة من زوايتيه الأخريين أقل من قائمة أعني حادّة، والمثلّثان متساويان زواياهما كلّ لنظيره متساوية كما برهن في الرابع، وفي الثّاني والثلاثين من أولى (**الأصول**).

وإنّما قيّدنا المثلّث على البسيط المستوى لأنّه إذا كان على كرة أمكن أن يبلغ جميع

زواياه الثلاث إلى أعظم من قائمتين، كما برهن في الشكل الحادي عشر من أولى **(أكرمانا لأؤوس)**.

وإنّما كانت زاوية رأسه حادّة لأنّها لو لم تكن حادّة لكانت إمّا قائمة أو منفرجة فكان وتره أعظم من كلّ من ضلعي المخروط لأنّهما وترا حادّتين وقد بيّن في التاسع عشر من أولى الأصول أنَّ الزاوية العظمى من المثلّث يوترها الضلع الأطول وكان وترها قطر قاعدة المخروط الذي هو أصغر من قطر الأرض وقد تبيّن في الأبعاد والأجرام أنَّ رأس المخروط في أفلاك الزهرة وأنَّ بعد مقعر فلك الزهرة، أعظم من قطر الأرض بكثير.

وإنّما كان قطر قاعدة المخروط أصغر من قطر الأرض لأنَّ الأرض أصغر من الشمس بكثير فتقبل منها الضوء وقد علمت أنَّ الكرة إذا قبلت الضوء من كرة أُخرى أعظم منها كان المستضيء منها أعظم من نصفها ولذا تحدث بين المستضيء والمظلم من الأرض دائرة صغيرة هي قاعدة مخروط الظلّ فيكون قطره أصغر من قطر الأرض.

وأمّا كون قاعدة المثلّث على الأفق فلأنَّ قطر قاعدة المخروط يكون دائماً موازياً لأُفق موضع مّا قريباً من الحسّي، وفي «**المقام**» خاصّة إذا كان نصف اللّيل كان قطر قاعدة المخروط موازياً لأُفق الناظر قريباً من الأُفق الحسّي.

فإذا دريت ما قدّمنا لك فنقول: وليفرض هذا المثلّث في سطح ممتدّ فيما بين المشرق والمغرب فوق الأرض إن كان المطلوب تميز الصبح، وبينهما تحتها إن كان المقصود تميز الشّفق، بحيث إن أحد الضلعين على القاعدة يلي الشمس، ولا شكّ أنَّ الأقرب من الضلع الذي يلي الشمس إلى الناظر يكون موقع العمود الخارج من البصر الواقع على ذلك الضلع ثمَّ الأقرب فالأقرب منه، لا موضع اتّصال الضلع بالأُفق؛ فإذن أوّل ما يُرى نور الشمس يرى فوق الأُفق كخطٍ مستقيم منطبق على الضلع المذكور، ويكون ما يقرب من الأُفق بعدُ مظلماً، ولذلك يسمّى ذلك النور المرئيّ في المشرق بالصبح الأوّل والصبح الكاذب.

وإن شئت قلت إنَّ أوّل ما يرى من الشعاع المحيط بالمخروط أعني أقربه إلى موضع النّاظر هو موضع خطّ يخرج من بصره إليه في سطح دائرة سمتيّة أعني دائرة ارتفاع تمرّ بمركز الشمس حال كون ذلك الخطّ عموداً على الخطّ المماسّ للشمس والأرض جميعاً الذي هو في سطح الفصل المشترك بين الشعاع والظّل، فيرى الضوء مرتفعاً عن الأُفق مستطيلاً وما بينه وبين الأُفق مظلماً وهو الصبح الكاذب؛ فتبصّر.

ثمَّ إذا قربت الشمس من الأُفق الشرقيّ جدّاً ينبسط النور فصار الأفق منيراً يصير الصّبح صادقاً ثمَّ يزداد نوره لحظة فلحظة إلى أن تظهر الحمرة. وقد علمت أنَّ الشفق يكون بعكس الصبح.

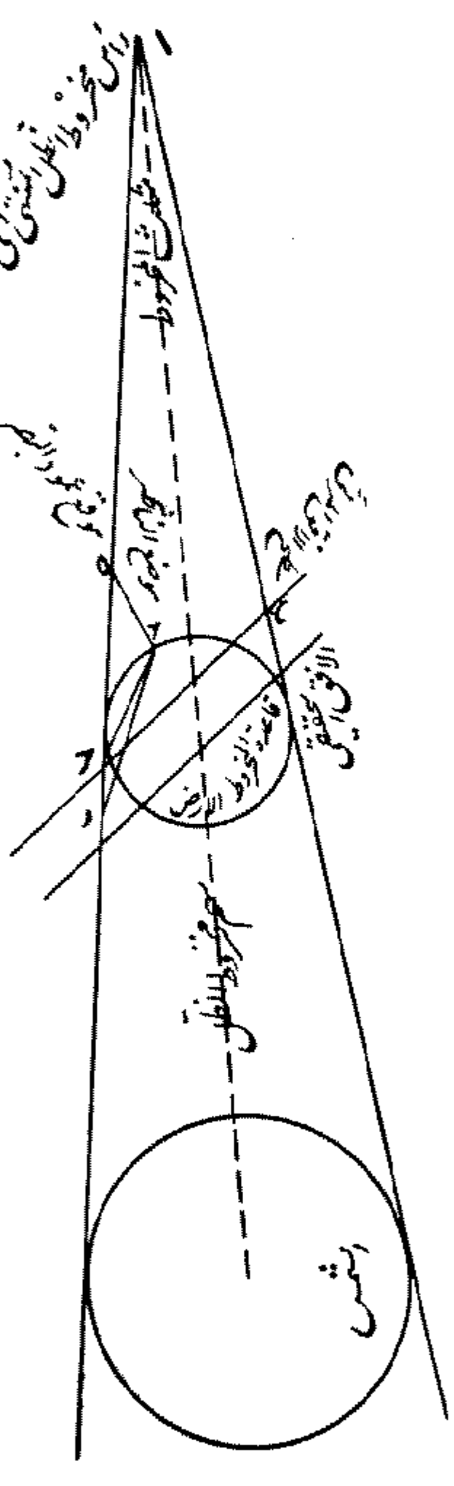

والحمرة التي ترى فوق الأفق في الصبح والشفق إنّما تتكوّن من اختلاط النور القوى والظلمة، وليكن ذلك في ذكرك حين يسير بك قطارٌ في نَفَق السكّة الحديديّة، أو سيّارة في نَفَقٍ؛ سيّما إذا كنت مواجهاً للشمس وكان النّفق ذا طولٍ فإذا ظهر مخرج النّفق من بعيد ترى حمرة كحمرة الصبح والشفق قد تكوّنت من اختلاط شعاع الشمس من خارج النفق والظلمة في داخله.

ولنمثّل لك مثالاً توضيحاً للمراد فليفرض (ا ب حـ) مثلّث المخروط و (ا حـ) الضلع الذي يلي الشمس و (ب حـ) سطح الأُفق المرئي و (د) موضع الناظر و (ه) موقع عمود البصر ونخرج من موضع الناظر عمود (د ه) على (ا حـ و) هذا العمود لا يمكن أن يقع على (حـ) لأن زاوية (د حـ ه) الداخلة في المثلّث حادة كما دريت. وزاويتاه قائمتان لأنَّ (د ه) عمود فيلزم إذن تساوي الحادة والقائمة (هف).

وكذلك لا يمكن أن يقع خارجاً عن جانب (حـ)، مثلاً أن يقع على (ر) لأنّه يلزم أن يجتمع في مثلّث (د ر حـ) قائمة ومنفرجة وقد بين امتناع اجتماعهما في مثلّث مستو. أمّا الزاوية القائمة فلأنَّ (د ر) عمود بالفرض على ضلع (ا حـ).

وأمّا المنفرجة فلأنَّ زاوية (د حـ ه) كانت حادَّة (فد حـ د) منفرجة لا محالة لأنه برهن في الثالث عشر من أولى الأُصول إذا قام خط على خط كيف كان حدثت عن جنبتيه زاويتان إما قائمتان أو متساويتان معاً لقائمتين فإذا كانت إحداهما حادّة بقيت الأُخرى منفرجة.

وأمّا امتناع اجتماعهما في مثلّث مستوٍ فلأنّه إذا كان إحدى زواياه قائمة فلا بدَّ من أن تعادل الأُخريان قائمة فلو كانت أحدهما منفرجة تعادل زواياه الثلاث أكثر من قائمتين (هف).

وبمثل هذا البيان نقول: إنَّ هذا العمود لا يمكن أن يقع على (ا) أعني رأس المخروط

ولا خارجاً من جانبه فيقع موقع العمود فيما بين نقطي (ا حـ)، ثمّ نقول: إنّ (د ه) وتر حادّة و (د حـ) وتر قائمة، فالأوّل أقصر من الثاني بالتاسع عشر من أولى الأُصول بل أقصر من كلّ خطّ يخرج من موضع الناظر إلى (ا حـ) لكونه وتر قائمة فتكون نقطة (ه) موقع العمود أقرب النقاط إلى البصر فيكون خط (د ه) من بين الخطوط الخارجة من البصر إلى ضلع (ا حـ) أقلّ مسافة منها فيرى أوّلاً موقع العمود أعني نقطة (ه) لقربه من البصر ثمّ بعض ما كان من الضلع المذكور فوق موقع العمود وتحته القريبين منه دون البعض الآخر لبعده عنه، فلذلك يرى بعض الأجزاء المرئي من الضلع المذكور كخطّ مستقيم شبيه بذنب السرحان إذا شال ذنبه.

وأمّا ما يقرب من الأُفق فيكون بعد مظلماً ولا يرى نور الشمس الذي وراء الظل لبعده عن البصر لأنّ لكلّ مُبصَرٍ غايةً من البعد والقرب إذا جاوزهما لم يبصر كما حقّق في محلّه وأشرنا إلى شرائط الرؤية في شرحنا على الكتاب الثامن فراجع.

على أنّ الهواء الذي عند الأُفق يكون أكثف وأغلظ بخلاف الهواء الذي ارتفع عنه ولا يخفى عليك أنّ للطافة الهواء وكثافته دخلاً في ظهور الضوء وعدمه.

فإن قلت: ما قدمت إنّما يتمّ لو كان خط (د ه) العمود الواقع على (ا حـ) شعاع البصر فتكون نقطة (د) بمنزلة عين الناظر مرتفعة على الأُفق على حدّ قامته، والاشكال فيه أن صورة مثلّث (د حـ ه) إنّما تتحقّق لو كانت نقطة (د) على سطح الأُفق الحسّي لا مرتفعة عنه، ولو اعتبر كونها عليه فأين قامة الناظر؟

قلت: قامة الناظر في أمثال هذه الأُمور كنقطة لا تخلّ بالمقصود فلا يضرّنا في المقام اعتبار قامته وعدمه.

وأمّا ما وعدنا من زيادة بيان في اتّصال الصبح بالشفق في بعض الآفاق فنقول: قد علم بالتجربة أنّ انحطاط الشمس عند أوّل طلوع الصبح الكاذب وآخر الشفق ثمانية عشر درجة ففي الآفاق التي يكون عروضها ثماني وأربعين درجة وثلاث وثلاثين دقيقة شماليّة كانت أو جنوبيّة يتصل آخر الشفق وهو عند غاية انحطاط الشمس عن الأُفق بأوّل الصبح الكاذب إذا كانت الشمس في المنقلب الصيفي أعني أوّل السرطان في الآفاق الشماليّة وأوّل الجدي في الآفاق الجنوبيّة.

وذلك لأنّ أُفقاً كان عرضه ٣′٣ ٨°٤ يكون تمام عرضه ٢′٧ ١°٤ فإذا نقص منه الميل الكلّي أعني الميل المنقلب الصيفي وهو في سنتنا هذه وهي سنة ١٣٨٥ هـ بلغ ٢′٧ ٣°٢ تقريباً بقي ١٨ درجة؛ وتكون غاية انحطاط المنقلب الصيفي في هذا الأُفق ١٨ درجة لا محالة ولا يخفى عليك أنّ غاية انحطاطه حينئذ قوس من نصف النهار بين المنقلب عند كونه

تحت الأرض وبين قطب أوّل السموت من الجانب الأقرب، ولمّا كانت الشمس بلا عرض أعني أنّها في سطح دائرة منقطة البروج دائماً فإذا بلغت إلى هذا المنقلب تكون غاية انحطاطها عن ذلك الأفق ١٨ درجة فيكون آخر الشفق أي غاية انحطاطها مبدأ الصبح الأوّل.

وهذا أوّل عرض يتفق فيه اتّصال الصبح بالشفق وفي الآفاق التي جاوزت عروضها ذلك المقدار إلى أن بلغ عرضها مثل تمام الميل الأعظم أعني ٣َ٣ً ٦ ٦°٥ يتناقص انحطاط الشمس عن الأفق عند كونها في المنقلب الصيفي عن ذلك المقدار أي يكون انحطاط أقلّ من ١٨ درجة فلا محالة تكون عن جنبتي المنقلب نقطتان غاية انحطاطهما تكون ١٨ درجة فما دامت الشمس في القوس التي بين النقطتين يتّصل الشفق بالصبح وطلوع الصبح يكون قبل تمام غروب الشفق فيتداخل الصبح والشفق فيكون زمان ما من ساعاتهما ويكثر هذا الزمان كلّما ازداد العرض لأنَّ العرض كلّما كان الأكثر كانت تلك القوس الواقعة بين النقطتين أعظم.

وإذا بلغ العرض مثل تمام الميل الكلّي فما فوقها فلا يكون للشمس في المنقلب الصيفي انحطاط أصلاً لأنَّ مدار المنقلب على الأوّل يكون أعظم المدارات الأبديّة الظهور وعلى الثاني يدور فوق الأفق.

وبما حرّرنا دريت أنَّ قول الفاضل البرجنديّ في شرح التذكرة في «**المقام**» حيث فسّر نهاية المقدار في كلام الخواجة: «وفيما جاوزت عروضها ذلك المقدار» بقوله: إلى أن بلغ عرض تسعين، ليس بصواب. والحقّ فيه التفصيل.

ثمَّ إنَّ في «**المقام**» مباحث أنيقة ومطالب دقيقة حرّرناها في رسالتنا المدوّنة في الوقت والقبلة فليرجع الطالب إليها. ولعلّنا نشير إلى طائفة منها في شرح كتابه عليه السلام إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة إنشاء الله تعالى والله تعالى نحمد ونستزيد.

تذييل: قد ذكرنا أنَّ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ يدلّ على أنَّ المراد من الفجر هو الثاني وقد رويت أخبار عديدة من أئمّتنا المعصومين عليهم السلام فيه: ففي «**الكافي**» عن عليّ بن مهزيار قال: كتب أبو الحسن بن الحصين إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام معي جعلت فداك قد اختلف موالوك في صلاة الفجر فمنهم من يصلّي إذا طلع الفجر الأوّل المستطيل في السماء، ومنهم من يصلّي إذا اعترض في أسفل الأفق واستبان؛ ولست أعرف أفضل الوقتين فأُصلّي فيه فإن رأيت أن تعلمني أفضل الوقتين وتحدّه لي وكيف أصنع مع القمر والفجر لا يتبيّن معه حتّى يحمرّ ويصبح؟ وكيف أصنع مع الغيم؟ وما حدّ ذلك في السفر والحضر؟ فعلت إن شاء الله تعالى.

فكتب بخطّه وقراءته: الفجر يرحمك الله هو الخيط الأبيض المعترض ليس هو الأبيض صعداء؛ فلا تصلّ في سفر ولا حضر حتّى تبيّنه فإنّ الله تعالى لم يجعل خلقه في شبهة من هذا فقال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ والخيط الأبيض هو المعترض الذي يحرم به الأكل والشرب في الصوم وكذلك هو الذي يوجب به الصلاة. أتى به الفيض في («**الوافي**» **في ص ٥١ ج ٥**). والعاملي في باب أنّ أوّل وقت الصبح طلوع الفجر الثاني المعترض في الأفق دون الفجر الأوّل المستطيل من صلاة الوسائل، ورواه في «**التهذيب**» بأدنى تفاوت في ألفاظه.

وفي «**التهذيب**» عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي ركعتي الصبح وهي الفجر إذا اعترض الفجر وأضاء حسناً(١).

وفي «**الفقيه**»: وروي أنّ وقت الغداة إذا اعترض الفجر فأضاء حسناً. رواه في ذلك الباب من الوسائل أيضاً.

وفي «**الكافي**» و«**التهذيب**» و«**الفقيه**»، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الصبح هو الذي إذا رأيته(٢) معترضاً كأنّه نباض سورى(٣).

أقول: النباض بتقديم النون على الباء من نبض الماء إذا سال وربما قريء بالباء فالياء والمراد منه نهرى سورى على وزن بشرى موضع بالعراق وقد دلّ عليه ما في «**التهذيب**» عن هشام بن الهذيل، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: سألت عن وقت صلاة الفجر فقال: حين يعترض الفجر فتراه مثل نهر سورى(٤). رواه في ذلك الباب من الوسائل أيضاً.

وفي «**التهذيب**» عن أبي بصير المكفوف قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصائم متى يحرم عليه الطعام، فقال: إذا كانت الفجر كالقبطيّة البيضاء(٥)، الخبر.

أقول: القبطيّة بضم القاف: الثوب من ثياب مصر رقيقة بيضاء منسوب إلى القبط وهم أهل مصر هذا في الثياب، وأمّا في النّاس فقبطيّ بالكسر كما في «**النهاية**» الأثيريّة.

وفي الباب التالي من ذلك الباب المقدّم من الوسائل: عن زريق، عن أبي عبد الله عليه السلام

---

(١) بحار الأنوار: ٧٩/ ٣٧٠، والصحيح من السيرة: ٥/ ١٨٠.
(٢) في نسخة: كان.
(٣) الكافي: ٣/ ٢٨٣ ح ٢، والاستبصار: ١/ ٢٧٥ ح ٩٩٧.
(٤) تهذيب الأحكام: ٢/ ٣٧ ح ١١٧، ووسائل الشيعة: ٤٠/ ٢١٢.
(٥) الاستبصار: ١/ ٢٧٦ ح ١٠٠٢، تهذيب الأحكام: ٢/ ٣٩ ح ١٢٢.

أنّه كان يصلّي الغداة بغلس عند طلوع الفجر الصادق أوّل ما يبدو قبل أن يستعرض.

أقول: والأخبار بهذا المضمون المرويّة عن أئمتنا عليهم السلام كثيرة رويت أكثرها في الكتب الأربعة وكتابي الصلاة والصوم من الوسائل وغيرها من الجوامع تدلّ على ما قدّمنا من أنّ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ﴾ يدلّ على أنّ المراد من الفجر الفجر الصّادق وأنّ الأحكام الشرعيّة والعادات الرسميّة إنّما تتعلّق به لا بالكاذب.

قوله عليه السلام: «فإذا لقيت العدوّ فقف من أصحابك وسطاً» أمره عليه السلام أن يقف عند لقاء العدوّ في وسط الجيش وذلك لأنّ أمير الجيش إذا كان حينئذ في وسط الجيش يكون نسبته إلى كلّ جوانب على السواء فكان أقدر على إبلاغ أوامره ونواهيه إلى الجميع، وعلى الإحاطة بهم والتّسلّط عليهم.

على أنّ أمير الجيش بمنزلة القطب فيهم فينبغي لهم أن يكونوا حوله على نسبة سواء، ويقوه بأنفسهم وينتظروا أمره ولا يبعدوا عنه بعداً ربّما يوجب اختلال نظامهم.

وأنّه بمنزلة القلب من جسد العسكر فيجب عليه وعليهم العناية التامّة في حفظه وحراسته وذلك لأنّ موت احد من أفراد الجيش لا يوجب اضمحلالهم بخلاف الأمير لأنّه من الأعضاء الرئيسة التي ينتفي الكلّ بانتفائه فهلاك رئيس القوم يوجب انهدامهم وانهزامهم فنعم ما قاله الشاعر:

لك العزّ إن مولاك عزّ فإن يهن فأنت لدى بحبوحة الهون كائن

فإذا كان في وسط القوم فكأنّه في حصن حصين يمنع الخصم عن الظفر عليه.

وقوله عليه السلام: «ولا تدن من القوم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب ـ إلخ» بعدما أمره عليه السلام بما دريت أخذ أن ينهيه عن عدّة أُمور فمنها: أن لا يدنو من القوم دنوّ من يريد أن يوقع الفتنة ويقيم الحرب وذلك لما قدّمنا من أنّ أولياء الله ما أمروا بسفك الدماء وقتل النفوس إلاّ بعد أن أبى النّاس إلاّ نفوراً وطغياناً، فعند ذلك كان أمر ربّهم حتماً مقضيّاً في اجتياحهم لئلا يختلّ بهم انتظام الاجتماع البشري وقد قيل: إنّ ما يزع السلطان أكثر ممّا يزع القرآن وما يلتئم بالسنان لا ينتظم بالبرهان. وقد تقدّم في ص ٣٩ ج ٢ من «**التكلمة**»، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الخير كلّه في السيف وتحت ظلّ السيف ولا يقيم الناس إلاّ السيف والسيوف مقاليد الجنّة والنار[١]. رواه الكلينيّ في «**الكافي**» وقد تقدّم وبيانه آنفاً. وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى

(١) الكافي: ٥/٢، الأمالي: ٦٧٤ ح ٩٠٩.

ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة ٢٥٤]. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٢] والآيتان مسوقتان إلى الجهاد في سبيل الله بالسيف كما يدلّ عليه سياق الآيات التي قبلهما، فراجع.

ثمّ انظر في سيرة قائد الغرّ المحجّلين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في حروبه، لا يأذن القوم أن يواجهوا الخصم إلى حدّ يشعر بارادة إيقاع الفتنة فتبصر أنّ الحجج الإلهيّة والذين تولّوا أُمور الدّين بعدهم بإذنهم شأنهم أجلّ ممّا توهّمه الجاهلون وعزّوهم إلى كثير ممّا ليس إلاّ فرية واختلاق.

ومنها: أن يتباعد عنهم تباعد من يؤذن بخوفه من البأس أي الحرب لأنّ ذلك يشعر بالوهن والضعف والخوف من العدوّ فيوجب أن يطمع العدوّ فيه. ثمّ ضرب له في هذين النهيين غاية فقال: **(حتّى يأتيك أمري)**.

ومنها أن لا يحملنّ معقل بن قيس وأصحابه بغض القوم وعداوتهم إيّاهم على أن يقاتلوهم قبل أن يعذروا إليهم الدّعاء ويمنحوهم النصح ويتمّوا الحجّة عليهم ويدعوهم إلى الإمام الحق. وفي **«الكافي»** (**«الوافي»** ص ١٦ ج ٩) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لمّا وجّهني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن فقال: يا عليّ لا تقاتل أحداً حتّى تدعوه إلى الإسلام وأيم الله لئن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك ممّا طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه[1].

ويستحبّ أن تكون الدّعوة بما في النصّ كما يأتي تفصيله في شرح **«المختار»** الخامس عشر من هذا الباب إن شاء الله تعالى.

فلو كان القتال بمجرّد عداوة الخصم يخرج كونه طاعة بل قتال في سبيل هوى النفس وتشفّيها، فلا أقلّ من أن يكون مشوباً بغير طاعة الله وقد قال تعالى وتقدّس: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] والجهاد عبادة فلا بدّ فيه من خلوص النيّة. وتأبى نفسي إلاّ نقل جملة ما أجاد العارف الرُّومي في المثنوي من أبيات تناسب المقام جدًّا:

از علي آموز اخلاص عمل — شير حق راداں منزّه از دغل
در غزا بر پهلوانى دست يافت — زود شمشيري بر آورد وشتافت
او خدو أنداخت بر روى علي — افتخار هر نبيّ وهر وليّ

---

(١) الكافي: ٥/٣٦ ح ٢، وبحار الأنوار: ٩/١٦٧ ح ١٤.

او خدو أنداخت برروپی که ماه　　سجده آرد پیش اودرسجده گاه
در زمان انداخت شمشیر آن علي　　کرد او أندر غزایش کاهلی
گشت حیران آن مبارز زین عمل　　از نمودن عفو ورحم بی محل
گفت بر من تیغ تیز افراشتی　　از چه افکندی مرا بگذا شتی
آن چه دیدی از پیکار من　　تا شدی تو سست در اشکار من
آن چه دیدی که چنین خشمت نشست　　تا چنین برقي نمود وباز جست
آن چه دیدی که مرازان عکس دید　　در دل وجان شعله أي آمد پدید
آن چه دیدی بهتراز کون ومکان　　که به ازجان بود وبخشیدیم جان
در شجاعت شیر ربّا نیستی　　در مروّت خود ندانم کیستی
در مروّت ابر موسایی به تیه　　کآمد ازوی خوان ونان بی شبیه
أي علي که جمله عقل ودیده أي　　شمّه أي واگو ازآن چه دیده ای
تیغ علمت جان ما را چاك كرد　　آب علمت خاك ما را پاك كرد
باز گو دانم که این اسرار هوست　　زانکه بی شمشیر کشتن کار اوست
باز گو ای باز عرش خوش شکار　　تاچه دیدی این زمان از کردگار
چشم تو ادراك غیب آموخته　　چشمهای حاضران بر دوخته
راز بگشا ای عليّ مرتضی　　اي پس از سوء القضا حسن القضا
یاتوواگو آنچه عقلت یافته است　　یا بگویم آنچه بر من تافته است
ازتوبر من تافت چون داری نهان　　میفشانی نور چون مه بی زبان
لیك اگر درگفت آید قرص ماه　　شب روان را زودتر آرد براه
از غلط ایمن شوند واز ذهول　　باگ مه غالب شودبر بانگ غول
ماه بة گفتن چو باشد رهنما　　چون بگوید شد ضیا اندرضیا
چون تو بابی آن مدینه علم را　　چون شعاعی آفتاب حلم را
باز باش أي باب بر جویای باب　　تا رسند ازتو قشور اندر لباب
باز باش ای باب رحمت تا ابد　　بارگاه ما له کفواً أحد
پس بگفت آن نو مسلمان وليّ　　از سر مستیّ ولذّت با عليّ
که بفرما یا أمیر المؤمنین　　تا بجنبد جان بتن همچون جنین
باز گو ای باز پر افروخته　　با شه وبا ساعدش آموخته

باز گو ای باز عنقا گیر شاه ای سپاه اشکن بخودنی با سپاه
امّت وحدی یکی وصد هزار بازگو ای بنده بازت را شکار
درمحلّ قهراین رحمت زچیست اژدها را دست دادن کار کیست
گفت من تیغ از پی حق میزنم بنده، حقّم نه مأمور تنم
شیر حقّم نیستم شیر هوا فعل من بردین من باشد گوا
من چو تیغم وآن زننده آفتاب ما رمیت إذ رمیت در حراب
رخت خودرا من زره برداشتم غیر حق را من عدم انگاشتم
گفت أمیر المؤمنین با آن جوان که بهنگام نبرد اي پهلوان
چون خدو انداختی برروی من نفس جنبید وتبه شد خوی من
نیم بهر حق شد ونیمی هوا شرکت اندر کار حق نبودروا
گفت من تخم جفا مي کاشتم من ترا نوعی دگر پنداشتم
تو ترازوی أحد خو بوده ای بل زبانه هرترازو بوده ای
من غلام آنچراغ شمع خو که چراغت روشنی پذرفت از و
عرضه کن برمن شهادت راکه من مر تورا دیدم سر افراز زمن
قرب پنجه کس زخویش وقوم او عاشقانه سوی دین کردند رو
او بتیغ حلم چندین خلق را وا خرید از تیغ چندین حلق را
تیغ حلم از تیغ آهن تیزتر بل ز صد لشگر ظفر أنگیزتر

الترجمة

این وصیّتی است که امیر (عليه السلام) به معقل بن قیس ریاحی. هنگامی که وی را با لشگری سه هزار نفری مقدّمه خود کرده بود و به سوی شام گسیل داشت. فرمود: بترس از خدایی که ناچار بازگشت بدو است و سرانجامت تنها او است، جنگ مکن مگر با کسی که با تو سر جنگ دارد و در دو طرف روز (صبح و عصر که هوا خنك است) راه میرو و در نیم روز لشگر را فرودآر تا بیاسایند و سبك و آسان راه میرو. و در اول شب سیر مکن که خدا آن را برای آرمیدن قرار داده و برای اقامت تقدیر فرموده نه کوچ کردن، پس در آن تنت و ستورانت را آسایش ده تا به پهن شدن آثار سحر و پیدایش سپیده صبح آگاه شدی، با درخواست برکت از خدای سیر میکن و چون دشمن را دیدی در میان لشگر قرار گیر و به دشمن چندان نزدیك مشو چون نزدیك شدن کسی که آهنگ درگرفتن آتش جنگ دارد و چندان از آنان دور مشو چون دور شدن کسی که از جنگ هراس دارد تا فرمان من در رسد و مبادا که دشمنی آنان، شما را پیش از آن که با آنان اتمام حجت کنید و مرایشان را به راه حق بخوانید و عذر خود را بدیشان تمام گردانید به جنگ وادارد.

ومن كتاب له عليه السلام إلى أميرين من أمراء جيشه وهو المختار الثالث عشر من باب كتبه ورسائله عليه السلام

وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُما وَعَلى مَنْ في حَيِّزِكُما مالِكَ بْنَ الْحارِثِ الأَشْتَرَ فَاسْمَعا لَهُ وَأَطِيعاهُ وَاجْعَلاهُ دِرْعاً وَمِجَنًا فَإِنَّهُ مِمَّنْ لا يُخافُ وَهْنُهُ (وَهْيُهُ ـ نسخة) وَلاَ سَقْطَتُهُ، وَلا بُطْؤُهُ عَمَّا الإِسْراعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلا إِسْراعُهُ إِلى مَا الْبُطْؤُ عَنْهُ أَمْثَلُ[١].

مصدر الكتاب وسنده

نقل الكتاب مسنداً أبو جعفر الطبريُّ المتوفّى (٣١٠ هـ) في التاريخ بأدنى اختلاف وقد مضى نقله في شرح الخطبة ٢٣٦ فراجع إلى ص ٢٢١ من ج ١ من تكملة المنهاج.

ورواه مسنداً نصر بن مزاحم المنقريّ في كتاب «**صفين**» (**ص ٨١ من الطبع الناصري**)، وأتى به المجلسيّ في المجلّد الثامن من «**البحار**» (**ص ٤٧٨ من الطبع الكمباني**). وما أتى به الرضيّ في «**النهج**» فهو بعض هذا الكتاب وقد أسقط منه قريباً من سطر فدونك الكتاب بصورته الكاملة على ما رواه نصر وإن كان يوافق ما نقله الطبريّ تقريباً وقد نقل قبل.

قال نصر: وقال خالد بن قطن: فلمّا قطع عليٌّ عليه السلام الفرات دعا زياد بن النضر وشريح ابن هاني فسرحهما أمامه نحو معاوية على حالهما الذي كانا عليه حين خرجا من الكوفة في اثنى عشر ألفاً وقد كانا حيث سرحهما من الكوفة أخذا على شاطيء الفرات من قبل البرّ ممّا يلي الكوفة حتّى بلغا عانات فبلغهم أخذ عليّ عليه السلام على طريق الجزيرة، وبلغهما أنَّ معاوية أقبل في جنود الشام من دمشق لاستقبال عليّ عليه السلام فقالا: لا والله ما هذا لنا برأى أن نسير وبيننا وبين أمير المؤمنين هذا البحر، وما لنا خير أن نلقى جموع أهل الشام بقلّة من عددنا منقطعين من العدد والمدد فذهبوا ليعبروا من عانات، فمنعهم أهل عانات وحبسوا عندهم السفن فأقبلوا راجعين حتّى عبروا من هيت، ثمَّ لحقوا عليّاً بقرية دون قرقيسياء وقد أرادوا أهل عانات فتحصنوا منهم فلمّا لحقت المقدّمة عليّاً قال: مقدّمتي تأتي ورائي. فتقدّم إليه زياد وشريح فأخبره الذي رأيا؛ فقال: قد أصبتما رشد كما، فلمّا عبر الفرات قدّمهما أمامه نحو معاوية، فلما انتهوا إلى معاوية لقيهم أبو الأعور في جند أهل الشام فدعوهم إلى الدخول في طاعة أمير المؤمنين فأبوا؛ فبعثوا إلى عليّ أنا قد لقينا أبا الأعور السلمي بسور

(١) نهج البلاغة: ٣/ ١٤ ح ١٣، وبحار الأنوار: ٣٢/ ٤١٤ ح ٣٧٤.

الروم في جند من أهل الشام فدعوناهم وأصحابه إلى الدخول في طاعتك فأبوا علينا فمرنا بأمرك. فأرسل عليّ عليه السلام إلى الأشتر فقال:

يا مالِ إنَّ زياداً وشريحاً أرسلا إليَّ يُعلِماني أنّهما لقيا أبا الأعور السلميّ في جندٍ من أهل الشام بسور الروم فنبأني الرسول أنّه تركهم متواقفين فالنجاء إلى أصحابك النجاء، فإذا أتيتهم فأنت عليهم وإيّاك أن تبدأ القوم بقتالٍ إلاّ أن يبدؤوك حتّى تلقاهم وتسمع منهم ولا يجرمنّكم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرَّة بعد مرَّة واجعل على ميمنتك زياداً، وعلى ميسرتك شريحاً، وقف بين أصحابك وسطاً، ولا تدنُ منهم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب، ولا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتّى أقدم إليك فإنّي حثيث السير إليك إن شاء الله.

وكان الرسول الحارث بن جمهان الجعفيّ. وكتب إليهما: أمّا بعد فإنّي قد أمّرت عليكما مالكاً فاسمعا له وأطيعا أمره فإنّه ممّن لا يخاف رهقه ولا سقاطه ولا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم، ولا الإسراع إلى ما البطؤ عنه أمثل. وقد أمرته بمثل الذي أمرتكما ألاّ يبدأ القوم بقتال حتّى يلقاهم فيدعوهم ويعذر إليهم[1].

اللغة

(الحيّز): أصله من الواو. وقد يقال: الحَيزْ مخفّفاً مثل هَيِّن وهَيْن، ولَيِّن ولَيْن. قال الجوهريّ: الحيّز ما انضمّ إلى الدار من مرافقها وكلّ ناحية حيّز، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الآية [الأنفال: ١٦] أي صائراً إلى حيّز.

«درعاً» الدرع بكسر الدّال وسكون الراء مصنوع من حديد يلبس في الحروب للوقاية من الضرب والطعن، يقال بالفارسية: زره. مؤنّثة وقد يذكر جمعه القليل أدرع وأدراع فإذا كثرت فهي الدروع. رجلٌ دارع أي لابس الدرع أي عليه درع كأنّه ذو درع مثل تامر، قال السموأل بن عاديا اليهوديّ:

وأسيافنا في كلّ شرق ومغرب بها من قراع الدّارعين فلول

في أبيات له أتى بها الجاحظ في «البيان والتبيين» (ص ١٨٥ ج ٣ طبع مصر) ودرع المرأة قميصها وهو مذكّر والجمع أدراع قاله الجوهريّ.

«المجنّ» بالكسر: الترس وهو اسم آلة من الجنّ والجمع مجانّ بالفتح. وكذا المجنّة

(١) بحار الأنوار: ٣٢/ ٤٣٢، ونهج السعادة: ٤/ ٢٣٩ ح ٨٧.

والجُنّة. وأصل الجنّ ستر الشيء عن الحاسّة والترس يجنّ صاحبه والجنّة: (**السترة**) يقال: استجنّ بجُنّة أي استتر بسترة. قال عزَّ من قائل: ﴿اتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾، وفي «**الكافي**» عن الصّادق عليه السلام: الصوم جنّة[1]، وفي «**التهذيب**» و«**الفقه**» عن رسول الله صلى الله عليه وآله: الصوم جنّة من النّار[2]، والولد ما دام في بطن أُمّه جنين جمعه أجنّة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾، والجنان بالفتح القلب لكونه مستوراً عن الحاسة وكذا سميّ الجنّ جنّا لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار وعلى هذا القياس ما اشتقّ من الجنّ فإنّه لا يخلو فيه معنى الاستتار.

«الوهن»: الضعف و«السقطة»: الغلطة والخطأ، وفي نسختي الطبريّ ونصر: فإنّه ممّن لا يخاف رهقه ولا سقاطه، «الرهق» محرّكة: السفه، والنوك والخفّة وركوب الشرّ والظلم وغشيان المحارم، وفي «**النهاية**» الأثيريّة: وفي حديث عليّ عليه السلام أنّه وعظ رجلاً في صحبة رجل رهق، أي فيه خفّة وحدّة، يقال: رجل فيه رهق إذا كان يخف إلى الشرّ ويغشاه، والرهق السفه، وغشيان المحارم ومنه حديث أبي وائل أنّه صلّى على امرأة كانت ترهق أي تتهم بشرّ، ومنه الحديث سلك رجلان مفازة أحدهما عابد والآخر به رهق، انتهى. وفي القرآن الكريم: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣]. وروي: ولا وهيه، وهو قريب من الوهن معنى.

«السقاط» ككتاب قال الجوهريّ في «**الصحاح**»: السَقْطَة العَثْرَة والزلّة.

وكذلك السقاط. قال سويد بن أبي كاهل:

كيف يرجون سقاطي بعدما ... جلّل الرأس مشيبٌ وصلع

وقال المرزوقي في شرح «**الحماسة**» ٧٦٩: يقال لمن لم يأت مأتى الكِرام: هو يساقط. قال الشاعر: كيف يرجون. البيت.

«أحزم» الحزم: ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة والحذر من فواته من قولهم حزمت الشيء أي شددته، وهذا الرأي أحزم من هذا أي أدخل في باب الحزم والاحتياط.

«أمثل» قال ابن الأثير في «**النهاية**»: وفيه ـ يعني في الحديث ـ أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل أي الأشرف فالأشرف والأعلى فالأعلى في الرتبة والمنزلة. يقال هذا أمثل من هذا أي أفضل وأدنى إلى الخير، وأماثل النّاس خيارهم، ومنه حديث التراويح قال عمر: لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل أي أولى وأصوب.

---

(١) الكافي: ٤/ ٦٢ ح ١.

(٢) المحاسن: ١/ ٢٨٧، والكافي: ٢/ ١٩.

الإعراب

(من في حيّزكما): معطوف على الضمير المجرور المقدّم ولذا أعاد الجارّ لأنّ الضمير المتّصل بالجارّ لشدّة اتّصاله به صار كالجزء له ولا يجوز العطف على جزء الكلمة، **(مالك)** منصوب بأمرت ومفعول له، **(والأشتر)** صفة له، **(والفاء)** الأُولى للتسبيب لأنّ المعطوف بها متسبّب عن المعطوف عليه، ولك أن تجعلها فصيحة والثانية للتعليل، وكلمتا **(من)** موصولتان اسميّتان **(ولا يخاف)** فعل مجهول، وضمير **(وهنه وسقطته)** راجعان إليه وأفردا مراعاة للفظ نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام: ٢٥] ويسمى هذا الضمير في النحو بالعائد.

(ولا بطؤه) عطف على وهنه أي لا يخاف بطؤه، **(وعمّا)** صلة للبطوء **(وما)** موصولة وضمير إليه عائدها باعتبار اللّفظ **(وأحزم)** خبر للإسراع وكذا القياس في الجملة التالية ليها.

المعنى

قد علمت بما قدّمنا هٰهنا عن نصر وفي **(ص ٢٢١ ج ١)** من «**التكملة**» عن الطبري أنّ الأميرين هما زياد بن نضر وشريح بن هانيء وقد مضى نقل كتابهما إلى الأمير ﷺ وكتابه ﷺ إليهما في شرح الكتاب الحادي عشر وسيأتي أيضاً وصيّة له ﷺ وصّى بها شريح بن هانيء لما جعله على مقدّمته إلى الشام وهو الكتاب السادس والخمسون أوله: **(اتّق الله في كلّ صباح ومساء)** ـ إلخ.

قال ابن عبد البرّ في «**الاستيعاب**»: شريح بن هانيء بن يزيد بن الحارث الحارثي بن كعب، جاهلي إسلامي، يكنّى أبا المقدام وأبوه هانيء بن يزيد، له صحبة قد ذكرناه في بابه. وشريح هذا من أجلّة أصحاب عليّ رضي الله عنه.

وقال في باب هانيء في ترجمة أبيه: هانيء بن يزيد بن نهيك، ويقال هانيء ابن كعب المذحجي، ويقال: الحارثي، ويقال: الضبّي، وهو هانيء بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن الضباب، وهو سلمة بن الحارث بن ربيعة بن الحارث بن كعب الضبابي المذحجي الحارثي. وهو والد شريح بن هانيء. وكان يكنّى في الجاهلية أبا الحكم لأنّه كان يحكم بينهم فكنّاه رسول الله ﷺ بأبي شريح، إذ وفد عليه، وهو مشهور بكنيته، شهد المشاهد كلّها، روى عنه ابنه شريح بن هانيء عن أبيه، عن جدّه، وكان ابنه شريح من جِلّة التابعين ومن كبار أصحاب عليّ رضي الله عنه وممّن شهد معه مشاهده كلّها. انتهى.

قوله ﷺ: «وقد أمّرت عليكما وعلى من في حيّزكما مالك بن الحارث الأشتر» أي

(١) شرح النهج: ١٣٨/١٧.

جعلت مالكاً أميراً عليكما وعلى من كان في كنفكما وتحت أمارتكما وفي ناحيتكما وقد دريت بما قدّمنا أنَّ الأمير عليه السلام سرّح زياداً وشريحاً نحو معاوية في اثنى عشر ألفاً.

قوله عليه السلام: «فاسمعا له وأطيعاه» تفريع على تأميره مالكاً عليهما وعلى من في حيّزهما فأمرهما أن يسمعا له ويطيعاه أي أن لا يخالفاه ما أمرهما فإنَّ مخالفة الأمير فيما أمر توجب التفرق الموجب للهزيمة وقلّما غلب قوم اجتمعت كلمتهم. وقد استشار قوم أكثم بن صيفيّ في حرب قوم أرادوهم وسألوه أن يوصيهم فقال: أقلّوا الخلاف على أُمرائكم. واعلموا أنّ كثرة الصياح من الفشل والمرء يعجز لا محالة، تثبّتوا فإنَّ أحزم الفريقين الرّكين، ورُبَّتَ عَجَلة تُعقب رَيثاً، واتّزروا للحرب، وادّرعوا اللّيل فإنّه أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختلف عليه نقله ابن قتيبة الدينوريّ في كتاب «**الحرب من عيون الأخبار**».

ثمَّ إنَّ النسخ المطبوعة من «**النهج**» وبعض النسخ الخطيّة أيضاً تخالف ما اخترنا من قوله عليه السلام في كلمة «أطيعاه» فإنّها موافقة في عدم الضمير المنصوب فيها وما أتينا به هو ما اختاره السيّد الرضيّ رحمه الله أعني أنّها من نسخة قوبلت بنسخته رضوان الله عليه.

قوله عليه السلام: «واجعلاه درعاً ومجنّا» عطف على قوله عليه السلام اسمعاله، أمرهما بعد الأمر بالسمع والإطاعة أن لا يفارقاه قطّ فإنّه لحسن تدبيره وطول باعه في فنون الحرب درع ومجنّ أي واق وحافظ عن الخصم فحذّرهما بأبلغ وجه وأحسن طور عن التأبّي لأمره والمفارقة عنه حتّى أنّهما لو اقتحما في الحرب بدونه كأنّهما دخلاها بلا درع ولا مجنّ.

ومن كلامه عليه السلام هذا يعلم جلالة قدر الأشتر وعظم أمره كيف لا وقد جعله لذلك الجيش الكثيف درعاً ومجنّاً ولا يليق بهذا الوصف عن مثل أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ من كان بطلاً محامياً ومجاهداً شديد البأس ورابط الجأش. وقال الجاحظ في «**البيان والتبيين**» (**ص ٢٥٧ ج ٣ طبع القاهرة**): يعقوب بن داود قال: ذمّ رجل الأشتر، فقال له رجلٌ من النخع: اسكت فإنَّ حياته هزمت أهل الشام، وموته هزم أهل العراق.

قوله عليه السلام: «فإنّه ممّن لا يخاف - إلخ» الظاهر أنَّ هذا التعليل يتعلّق بقوله عليه السلام أمّرت عليكما أي إنّما أمّرت مالكاً عليكما وعلى من في حيّزكما لأنّه ممّن لا يخاف وهنه - إلخ. فدلّ كلامه عليه السلام على أنَّ هذا الأمر لا يصلح إلاّ لم اجتمعت فيه تلك الأوصاف.

ويمكن أن يتعلّق بقوله عليه السلام (**فاسمعا له وتاليبه**) وكأنَّ الأوّل أولى وأجدر يعني أنَّ مالكاً ممّن لا يخاف أحد ضعفه وعثرته في المعارك لثبات قدمه في المهالك ثمّ وصفه بأنّه حازم في الأمور وبصير فيها بحيث لا يبطىء فيما الإسراع إليه أقرب إلى الحزم، وكذلك لا يسرع فيما الإبطاء عنه أولى وأنسب بل يبطىء عن ما ينبغي الإبطاء عنه، ويسرع إلى ما يليق الإسراع إليه.

ثمّ إنَّ وصفه عليه السلام مالكاً بها يدلّ على تثبّته عند الهزائز، وشجاعته قبال الأبطال وكثرة حذاقته في الأمور حيث عرّفه أوّلاً بأنّه ممّن لا يخاف وهنه ولا سقطته وثانياً بأنّه يبطىء في محلّه ويسرع كذلك ولا ريب أنّه إذا كان قوم أميرهم جباناً فمحال أن يرتقوا إلى المدارج العالية وينالوا المراتب السامية فإنَّ الجبن يوجب الوهن الموجب للسقطة في الأمور كلّها فأمير الجيش إذا أدركه الجبن أدركته الهزيمة بلا تراخ. والخطيب إذا أدركه الجبن كلَّ عن التكلّم بلا كلام بل ربّما لم يقدر على التفوّه أو إن تفوّه فكثيراً مّا يهجُر وكذا الحكم في غير الخطيب أيضاً وقد مضى طائفة من كلامنا في ذلك في شرح «**المختار**» ٢٣١ من باب الخطب (**ص ٣٤ ج ١ من «التكملة»**).

قال ابن قتيبة الدينوري في كتاب «**الحرب من عيون الأخبار**» في أخبار الجبناء (**ص ١٦٥ ج ١ طبع مصر**): كان خالد بن عبد الله من الجبناء خرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب المغيرية [من الرافضة] وهو من بجيلة فقال من الدّهش: أطعموني ماء فذكّره بعضهم فقال:

عاد الظلوم ظليماً حين جُدَّ به واستطعم الماء لمّا جدّ في الهرب

وقال (**ص ١٦٤ منه**): أبو منذر قال: حدّثنا زيد بن وهب، قال: قال لي عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: عجباً لابن النّابغة! يزعم أنّي تَلعابة أُعافس وأُمارس! أما وشرّ القول أكذبه، إنّه يسأل فيلحف ويُسأل فيبخل فإذا كان عند البأس فإنّه امرؤ زاجر ما لم تأخذ السيوف مأخذها من هام القوم، فإذا كان كذلك كان أكبر همّه أن يُبرقط ويمنح الناس استه. قبحه الله وترحه(١).

أقول: وقد أتى الرضيُّ رحمه الله في «**النهج**» بكلامه عليه السلام هذا لابن النابغة إلاّ أنَّ بين النسختين تفاوتاً في الجملة كمّاً وكيفاً، والرضيّ توفّي ٤٠٦ هـ وابن قتيبة ٢٧٦ هـ.

قال: وقال عبد الملك بن مروان في أُمية بن عبد الله بن خالد:

إذا صوّت العصفور طار فؤاده وليث حديد الناب عند الثرائد

قال: قال ابن المقفع: الجبن مقتلة، والحرص محرمة فانظر فيما رأيت وسمعت: من قتل في الحرب مُقبلا أكثر أم من قتل مُدبراً؟ وانظر من يطلب إليك بالإجمال والتكرّم أحق أن تسخو نفسك له بالعطية أم من يطلب إليك بالشره والحرص؟

قال: المدائني قال: رأى عمرو بن العاص معاوية يوماً يضحك فقال له: ممَّ تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنّك؟ قال: أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءتك يوم ابن

---

(١) بحار الأنوار: ٤١/١٤٧، والغدير: ٢/١٣٨.

أبي طالب أما والله لقد وافقته منّاناً كريماً، ولو شاء أن يقتلك لقتلك. قال عمرو: يا أمير المؤمنين أما واللّهِ إنى لعَنْ يمينك حين دعاك إلى البِراز فاحولّت عيناك وربا سَحْرك وبدا منك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فاضحك أو دَع.

أقول: وقد مضى كلامنا على التفصيل في دعوة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام معاوية إلى البراز والحيلة الشنيعة التي احتال بها ابن النابغة في شرح «**المختار**» ٢٣٦ من باب الخطب **(ص ٣١٦ إلى ٣١٩ ج ١)**.

قال الشاعر:

يفرّ الجبان عن أبيه وأُمّه ويحمى شجاع القوم من لا يناسبه

والأخبار في الجبناء كثيرة جداً لا يخلو أكثرها عن لطافة وإنما أتينا بشر ذمة منها روماً للتنوّع في الكلام الموجب لرفع الكلال.

قوله عليه السلام: «وقد أمرته بمثل الذي أمرتكما ألاّ يبدأ القوم - إلخ». قد دريت من الكتاب الذي أرسله عليه السلام إلى الأشتر على ما رواه نصر وأبو جعفر أنه عليه السلام قال له: **(إياك أن تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدؤوك)** - إلخ. فيكون كلامه عليه السلام بمثل الذي أمرتكما بمعنى مثل الذي آمر كما الآن. وسيأتي إن شاء الله تعالى تفصيل الكلام في نهيه عليه السلام أمراء جيشه عن أن يبدؤوا القوم بقتال في شرح الكتاب التالي لهذا الكتاب أعني الكتاب الرابع عشر، وترجمة مالك الأشتر رضوان الله عليه في شرح الكتاب ٣٨ أوله من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله - إلخ.

ثمّ ينبغي أن يتأمّل الأديب الحاذق في الكتاب كيف نسجه الأمير عليه السلام على أسلوب بلغ من البلاغة ما يعدّ في السحر سيّما ذيله: **(ولا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم ولا إسراعه إلى ما البطؤ عنه أمثل)**.

الترجمة

یکی از کتابهای امیر (عليه السلام) است که به دو امیری از امیران سپاهش نوشته است:

همانا که بر شما و بر هرکه در کنف شما و در تحت امارت شما است مالك بن حارث اشتر را امیر گردانیدم، پس بشنوید امر او را و فرمان برید و وی را زره و سپر خود بگردانید، چه او کسی است که بیم سستی و لغزش در او نمی رود و خوف درنگی در کاری که سرعت بدان به احتیاط نزدیکتر و سرعت به کاری که تأنّی در آن بهتر است درباره او راه ندارد.

ومن وصيته عليه السلام لعسكره بصفين وكلامه هذا هو المختار الرابع عشر من باب كتبه ورسائله عليه السلام

لا تُقاتِلُوهُمْ حَتّى يَبْدَؤوكُمْ فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللّهِ على حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيّاهُمْ حَتّى يَبْدَؤوكُمْ حُجَّةٌ أُخرى لَكُمْ عَلَيْهِمْ. فَإِذا كانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللّهِ فَلا تَقْتُلُوا مُدْبِراً؛ وَلا تُصِيبُوا مُعْوِراً؛ وَلاَ تُجْهِزُوا على جَرِيحٍ؛ وَلا تَهِيجُوا النِّساءَ بِأَذى وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْراضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرائَكُمْ فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفاتُ القُوى والأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ. إِنْ كُنّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ. وَإِنْ كانَ الرَّجُلُ لَيَتَناوَلُ الْمَرْأَةَ في الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفِهْرِ أَوِ الْهِراوَةِ فَيُعَيَّرُ بِها وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ[1].

بيان مصادر الوصية وإسنادها بطرق كثيرة من الفريقين ونقل نسخها

قد رواها الفريقان في الجوامع الروائية بأسناد عديدة وصور كثيرة متفاوتة وفي بعضها زيادة لم يذكرها الرضيّ رحمه الله.

فقد رواها نصر بن مزاحم المنقري الكوفي المتوفّى سنة ٢١٢ هـ في كتاب **«صفين»** (ص ١٠٦ **من الطبع الناصري**) حيث قال: نصر عمر بن سعد وحدّثني رجل عن عبد الله بن جندب، عن أبيه أنّ علياً عليه السلام كان يأمرنا في كلّ موطن لقينا معه عدّوه يقول: لا تقاتلوا القوم حتّى يبدؤوكم فإنّكم بحمد الله على حجّة وترككم إيّاهم حتّى يبدؤوكم حجّة أُخرى لكم عليهم، فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً إلاّ بإذني، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلاّ ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة إلاّ بإذني، وإن شتمن أعراضكم وتناولن أُمراءكم وصلحاءكم فإنّهنّ ضعاف القوى والأنفس والعقول ولقد كنّا وإنّا لنؤمر بالكفّ عنّهنّ وإنّهنّ لمشركات وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهليّة بالهراوة والحديد فيعيّر بها عقبه من بعده.

وفي **«الجامع الكافي»** لثقة الإسلام الكليني قدّس سرّه المتوفّى سنة ٣٢٩ هـ كتاب **«الجهاد» (ص ٣٣٨ طبع ١٣١٥ هـ)**: وفي حديث عبد الله بن جندب، عن أبي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر في كلّ موطن لقينا فيه عدوّنا فيقول: لا تقاتلوا القوم حتّى يبدؤوكم فإنّكم بحمد الله على حجّة، وترككم إيّاهم حتى يبدؤوكم حجّة لكم أُخرى فإذا هزمتموهم فلا

(١) نهج البلاغة: ٣/ ١٥، الكافي: ٥/ ٣٨ ح ٣.

تقتلوا مدبراً، ولا تجيزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل. («**الوافي**» ص ١٩ ج ٩)[(١)].

وفي «**مروج الذهب**» للمسعوديّ المتوفى ٣٤٦ هـ (**ص ٩ ج ٢ طبع مصر ١٣٤٦ هـ**) قام عليّ عليه السلام (**يعني في حرب الجمل**) فقال: أيها النّاس إذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً، ولا تتبعوا مولياً، ولا تطلبوا مدبراً، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، ولا تهتكوا ستراً، ولا تقربوا من أموالهم إلاّ ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع أو عبد أو أمة وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب الله.

وقد روى أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد الطبريّ المتوفي ٣١٠ هـ في تاريخه (**ص ٦ ج ٤ طبع مصر**) بإسناده عن عبد الرّحمٰن بن جندب الأزديّ، عن أبيه أنّ عليّاً عليه السلام كان يأمرنا في كلّ موطن لقينا معه عدوّه يقول: لا تقاتلوا القوم - إلى آخر ما نقلنا عن نصر - فإنّ الروايتين متّحدتان تقريباً، على أنّ رواية الطبري قد نقلناها في شرح «**المختار**» ٢٣٦ (**ص ٢٢٢ ج ١٥**) وفي «**البحار**» نقلاً عن «**الكافي**»: وفي حديث عبد الرَّحمٰن بن جندب، عن أبيه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر - إلخ (**ص ٦٢٤ ج ٨ من الطبع الكمباني**).

وأقول: يشبه أن يكون عبد الله بن جندب حرّف في تاريخ الطبريّ بعبد الرَّحمٰن بن جندب، لأنّ نصراً والكلينيّ رويا هذه الرواية عن عبد الله بن جندب، عن أبيه بلا اختلاف ورواها الطبريّ عن ابن جندب، عن أبيه أيضاً وصورة الرواية في الجميع واحدة ولولا عبد الرّحمن مكان عبد الله في التاريخ لكانت صورة السند أيضاً واحدة.

وفي «**الجامع الكافي**» أيضاً (**ص ٣٣٨ من كتاب الجهاد طبع ١٣١٥ هـ**): وفي حديث مالك بن أعين قال: حرّض أمير المؤمنين صلوات الله عليه الناس بصفّين فقال: إنّ الله عزّ وجلّ قد دلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم وتشفى بكم على الخير: الإيمان بالله، والجهاد في سبيل الله؛ وجعل ثوابه مغفرة للذّنب، ومساكن طيّبة في جنّات عدن. وقال جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ٤] فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص فقدّموا الدّارع، وأخّروا الحاسر، وعضّوا على النواجد فإنه أنبأ للسيوف عن الهام. والتووا أطراف الرماح فإنّه أمور للأسنّة. وغضّوا الأبصار فإنه أربط للجاش وأسكن للقلوب. وأميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل وأولى بالوقار. ولا تميلوا براياتكم ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلاّ مع شجعانكم فإنّ المانع للذّمار والصابر عند نزول الحقائق أهل الحفاظ. ولا تمثلوا بقتيل. وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً. ولا

(١) الكافي: ٣٨/٥ ح ٣، ووسائل الشيعة: ٩٢/١٥ ح ١.

تدخلوا داراً. ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلاّ ما وجدتم في عسكرهم. ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنّهنّ ضعاف القوى والأنفس والعقول وقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهنّ وهنّ مشركات وإن كان الرجل ليتناول المرأة فيعيّر بها وعقبه من بعده. واعلموا أنّ أهل الحفاظ هم الذين يحفّون براياتهم ويكتنفونها ويصيرون حفافيها ووراءها وأمامها ولا يضيعونها. لا يتأخرون عنها فيسلّموها. ولا يتقدّمون عليها فيفردوها. رحم الله امرءاً واسى أخاه بنفسه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه فيكتسب بذلك اللائمة ويأتي بدناءة وكيف لا يكون كذلك وهو يقاتل اثنين وهذا ممسك يده قد خلّى قرنه على أخيه هارباً منه ينظر إليه وهذا فمن يفعله يمقته الله فلا تعرَّضوا لمقت الله عزّ وجلّ فإنما ممرّكم إلى الله وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٦] وأيم الله لئن فررتم من سيوف العاجلة لا تسلمون من سيوف الأجلة فاستعينوا بالصبر والصدق فإنما ينزل النصر بعد الصبر فجاهدوا في الله حقَّ جهاده ولا قوّة إلاّ بالله (**«الوافي» ص ١٩ ج ٩**)(١).

أقول: قد أتى الرضيّ رحمه الله ببعض هذا الحديث المنقول من **«الكافي» في «المختار»** ١٢٢ من باب الخطب أوّله: فقدّموا الدارع وأخّروا الحاسر - إلخ. وسيأتي نقل روايات أخرى في ذلك في **«المختار»** ١٦ من هذا الباب إنشاء الله تعالى.

ثمَّ على روايتي **«الكافي»** كانت الوصيّة ملفّقة منهما صدرها من حديث عبد الله بن جندب وذيلها من حديث مالك بن أعين.

اللغة

«يبدؤوكم» مهموز اللاّم من البدأ يقال: بدأ الشيء وبه يبدأ بدءاً من باب منع أي افتتحه وقدمه والبدأ والبديء: الأوّل. ومنه قولهم افعله باديءَ بدء على وزن فَعْل، وباديءَ بديء على وزن فعيل أي أوّل شيء.

«الحجّة» بالضمّ: الدّليل والبرهان. والجمع حُجَج وحِجاج. قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] تقول: حاجَّه فحجّه أي غلبه بالحجّة. واحتجّ على خصمه أي ادّعى وأتى بالحجّة. واحتجّ بالشيء جعله حُجّةً وعُذراً له. وقال الراغب في المفردات: الحجة الدلالة المُبيِّنة للحجّة أي المقصد المستقيم، والذي يقتضي صحّة أحد النقيضين.

«الهزيمة» هزم العدوّ هَزماً من باب ضرب أي كسرهم وفلّهم. وهُزِمَت الجيش هَزْماً وهزيمة فانهزموا أي وقعت عليهم الهزيمة. قال الراغب في المفردات: أصل الهزم غمز

(١) الكافي: ٥/ ٤، ووسائل الشيعة: ١٥/ ٩٦.

الشيء اليابس حتى ينحطم كهزم الشَّنّ، وهَزم القِثّاء والبطيخ ومنه الهزيمة لأنه كما يعبّر عنه بذلك يعبّرنه بالحطم والكسر، قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥١] - ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ⑪﴾ [ص: ١١] وأصابته هازمة الدهر أي كاسِرة كفاقرةٌ. وهزم الرعد تكسّر صوته.

«معور» من العورة. قال الجوهريُّ في «**الصحاح**»: العورة كلُّ خَلَل يتخوّف منه في ثغر أو حرب، وعورات الجبال شقوقها. وهذا مكان معور أي يخاف فيه القطع.

وقال ابن الأثير في «**النهاية**»: كلُّ عيب وخلل في شيء فهو عورة ومنه حديث عليّ عليه السلام (**ولا تجهزوا على جريح ولا تصيبوا معوراً**). أعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضّرب فيه. انتهى.

وقد أعور لك الصيد وأعورك: أمكنك. قال تأبّط شراً (**الحماسة ٧٧**).

أقول للحيانِ وقد صَفِرَتْ لهم وطابي ويَومي ضيّق الحَجر مُعوِرٌ

وقال المرزوقيّ في شرحه: ومُعور من أعور لك الشيء إذا بدت لك عورته وهي موضع المخافة. قال الله تعالى في الحكاية عن المنافقين لما قعدوا عن نصرة النبيّ صلى الله عليه وآله: إنَّ بيوتنا عورة، أي واهية يجب سترها وتحصينها بالرجال وكما قيل: يوم معور قيل: مكان معور أي مخوف. ويقال: عوِرَ المكان إذا صار كذلك. وقال بعضهم: كلّ ما طلبته فأمكنك فقد أعورك وأعور لك.

العورة: سوأة الإنسان، وذلك كناية وأصلها من العار وذلك لما يلحق في ظهوره من العار أي المذمّة ولذلك سمّي النساء عورةً ومن ذلك العوراء للكلمة القبيحة. قاله الراغب في المفردات في غريب القرآن.

«ولا تجهزوا على جريح» الجريح فعيل بمعنى المفعول أي المجروح وهو المصاب بجرح، جمعه جرحى كقتيل وقتلى. يستوي فيه المذكّر والمؤنث يقال: رجل جريح وامرأة جريح.

أجهز على الجريح اجهازاً أي شدَّ عليه وأسرع وأتمَّ قتله.

وفي «**الصحاح**» أجهزت على الجريح إذا أسرعت قتله وقد تمّمت عليه، ولا تقل أجَزْتُ على الجريح. انتهى.

أقول: وتردّه رواية «**الجامع الكافي**» المتقدّمة «ولا تجيزوا على جريح». وروايته الأُخرى بإسناده، عن عبد الله بن شريك، عن أبيه قال: لما هزم الناس يوم الجمل قال أمير

المؤمنين عليه السلام: لا تتبعوا مولّياً ولا تجهزوا على جريح ومن أغلق بابه فهو آمن، فلما كان يوم صفين قتل المقبل والمدبر وأجاز على الجريح، الحديث.(١)

وروايته الأُخرى عن الصادق عليه السلام: وجريحهم يجاز عليه(٢) **(ص ١٨ ج ٩ من «الوافي»)** والإجازة على الجريح كالاجهاز عليه معنى.

قال ابن الأثير في **«النهاية»**: وفيه ـ يعني في الحديث ـ هل تنتظرون إلاّ مرضاً مفسداً أو موتاً مجهزاً أي سريعاً يقال: أجهز على الجريح يجهز إذا أسرع قتله ومنه حديث عليّ عليه السلام لا يجهز على جريحهم أي من صرع منهم وكفى قتاله لا يقتل لأنهم مسلمون والقصد من قتالهم دفع شرّهم فإذا لم يمكن ذلك إلاّ بقتلهم قتلوا، ومنه حديث ابن مسعود أنه أتى على أبي جهل وهو صريع فأجهز عليه. انتهى.

ثمّ إنَّ ما عليه أهل اللغة وما ذهب إليه فقهاء الفريقين في الكتب الفقهية وشرّاح الأحاديث أنَّ كلمة **(تجهزوا)** **(ويجهز)** وأمثالهما في المقام مشتقة من الإجهاز إلا أن كلمة **(تجهزوا)** مشكولة في نسخة مخطوطة من النهج قوبلت بنسخة السيد الرضيّ رضي الله عنه بفتح **(الجيم)** وكسر **(الهاء)** المشدّدة أعني أنها مأخوذة من التجهيز ولكنّ الوجه الأوّل أنسب وأصوب ولذا اخترناه في المتن.

«لا تهيجوا» في بعض النسخ مشكولة بضم **(التاء)** وفتح **(الهاء)** وكسر **(الياء)** المشدَّدة من التّهييج، وفي بعضها بضمّ **(التاء)** وكسر **(الهاء)** من الإهاجة، ونسخة الرضيّ رضوان الله عليه مشكولة بفتح **(التاء)** وكسر **(الهاء)** يقال: هاج الشيء يهيج هَيْجاً وهِياجَةً وهِياجاً وهَيَجاناً أي ثار وانبعث، وهاجَ الشيءَ بالشيءَ أثاره وبعثه يتعدّى ولا يتعدّى. وكذا يقال: هيّج الشيء تهييجاً إذا أثاره وبعثه إلاّ أنَّ كثرة المباني تدلّ على كثرة المعاني فلا بدَّ في التهييج من زيادة الهيجان ومبالغته وتكثيره والظاهر أنّه لا حاجة في المقام إلى المبالغة والتكثير. وأمّا القراءة الثانية فما وجدت لها معنى يناسب المقام وأظنّها مصحّفة فقراءة الرضيّ متعيّنة.

«أعراضكم» الأعراض جمع العِرْض بكسر **(العين)** المهملة وسكون **(الراء)** أحد معانيه النفس يقال: أكرمت عنه عرضي أي صنت عنه نفسي.

قال عتبة بن بُجَيْر الحارثي **(باب الأضياف من الحماسة، الحماسة ٦٧٤)**:

فقام أبو ضيف كريمٌ كأنّه ... وقد جَدّ من فَرط الفكاهة مازح

إلى جِذامِ مالٍ قد نَهِكنا سَوامهُ ... وأعراضُنا فيه بواقٍ صحائحُ

---

(١) الكافي: ٥/ ٣٣ ح ٥، وتهذيب الأحكام: ٦/ ١٥٦ ح ٧٠.

(٢) الكافي: ٥/ ٣٣ ح ٥، ووسائل الشيعة: ١٥/ ٧٤ ح ٢٠٠١٣.

قال المرزوقيّ في الشرح: يعني بأبي الضيف نفسه، وجعله كالمازح المفاكه لما أظهره من التطلق والبشاشة واظهار السرور بما يأتي من توفير الضيافة والاحتفال فيه وإيناس الضيف والبسط منه محتفاً بالضيافة، ويريد بالقيام غير الذي هو ضدّ القعود وإنّما يريد به الاشتغال له بما يؤنّسه ويرحّب منزله ويطيّب قلبه، على ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾، لأنّه لم يرد القيام المضادّ للقعود بل أراد التهيّوء والتشمّر له، والجذم: الأصل، ومعنى نهكنا سوامه أثرنا في السائمة من المال بما عوّدناها من النحر والتفريق ويقال: نهكه المرض إذا أضرّ به، وقوله: وأعراضنا فيه بواق صحائح أي نفوسنا باقية على حدّها من الظَّلَفِ والصّيانة، لم تشنها الأفعال الذميمة، ولا كسرتها التكاليف المبخّلة فهي سليمة لا آفة بها ولا عار يكتنفها، وإن كانت أموالنا مشفوهة مفرّقةً، انتهى ملخّصاً.

وفي **«الصحاح»**: يقال فلان تقيّ العرض أي بريءٌ من أن يشتم أو يعاب، وقد قيل: عرض الرجل حسبه، انتهى.

أقول: كثيراً مَا يستعمل العرض في الحسب ومنه قول بَشامَة بن الغدير:

دافعت عن أعراضها فمنعتها ولديّ في أمثالها أمثالها

ذوو العِرض من القوم أي أشرافهم، وفلان عَرب العِرض أي لئيم الأسلاف والعرض ما يفتخر الإنسان به من حسب أو شرف، وما يصونه الإنسان من نفسه أو سلفه أو من يلزمه أمره أو موضع المدح والذّم منه.

«الفِهر» بالكسر الحجر ملْء الكفّ يذكّر ويؤنّث والجمع أفهار وقيل هو الحجر مطلقاً، وفي الحديث: لمّا نزلت تبّت يدا أبي لهب، ، جاءت امرأته وفي يدها فهر، نقله ابن الأثير في **«النهاية»**، قال مزرّد بن ضرار (**«البيان والتبيين»** ج ٣ ص ٧٧):

فجاء على بَكر ثِفال يكدّه عصاه استه وَجْءَ العُجايَة بالفهر

البكر الفتى من الإبل، والثفال: البطيء، الوجء: الضرب، العجاية: العصب يضرب حتّى يلين، أي جاء على بكر ثقيل في مشيه ولم يكن له عصا يضربه بها حتّى يسير بل يحرّك ويضرب استه عليه بشدّة نحو ضرب العجاية بالفهر.

«الهِراوة» بالكسر: العصاء الضخمة جمعها الهَراوي بالفتح كالمطايا: تقول: هروتُه وتهرّيته إذا ضربته بها، قال فضالة بن شريك الأسدي (**ص ١٥ ج ٣ من «البيان والتبيين»**):

دعا ابن مُطيع للبياع فجئتُه إلى بيعةٍ قلبي لها غير آلف
فناولني خَشناء لمّا لمستُها بكفّي ليست من أكفّ الخلائف
من الشّثنات الكُزم أنكرتُ مسّها وليست من البيض الرّقاق اللّطائف

معاودةً حملُ الهراوي لقومها فروراً إذا ما كان يوم التسايف

وفي هامشه: وكان من خبر الشعر أنَّ عبد الله بن الزبير كان قد ولّى عبد الله بن مطيع الكوفة فكان ينشر الدّعوة ويتقبّل البيعة لابن الزبير، حتّى إذا نهض المختار بن أبي عبيد ودعا لنفسه، طرد عن الكوفة فيمن طرد عبد الله بن مطيع فقال فضالة الشعر، وقد رواه أبو الفرج في «**الأغاني**» (١٠ : ١٦٤) برواية أبسط.

واعلم أنَّ جمع الهراوة والاداوة وأمثالهما كان قياسه هراوي واداوي على وزن فعائل نحو رسالة ورسائل لكنّهم تجنّبوه وفعلوا به ما فعلوا بالمطايا والخطايا وجعلوا فعائل فعالى وأبدلوا هنا (**الواو**) لتدلّ على أنّه قد كانت في الواحدة (**واو**) ظاهرة. قالوا أداوى وهراوى فهذه (**الواو**) بَدَلٌ من (**الألف**) الزائدة في أداوة وهراوة (**والألف**) التي في آخر الأداوى والهراوى بدل من (**الواو**) التي في أداوة وهراوة والزموا (**الواو**) هاهنا كما الزموا (**الياء**) في المطاياء. قاله الجوهريُّ في أدو من «**الصحاح**».

«عقبه» عقب الرجل ولده وولد ولده وفيها لغتان عَقِب وعَقْب بالتسكين وهي مؤنثة عن الأخفش كما في «**صحاح**» الجوهريّ جمعها أعقاب.

الإعراب

(**الفاء**) في فإنّكم لتعليل النهي عن القتال بدواً، (**على حجة**) خبر لإنّ بحمد الله معترضة، (**حجة**) خبر للترك وأخرى صفة للحجة، (**لكم وعليكم**) متعلّقان بها، (**الفاء**) في (**فلا تقتلوا**) جواب إذا، (**بأذى**) متعلّق (**بلا تهيجوا**)، (**الواو**) في (**وإن شتمن**) للوصل (**وسببن**) عطف على (**شتمن**)، (**والفاء**) في (**فانّهنّ**) لتعليل النهي عن هيجانهنّ بأذى (**إن**) في (**إن كنّا**) مخفّفة عن المثقّلة وفيه ضمير الشأن وتلزم (**اللام**) خبرها فرقاً بينها وبين (**إن**) النافية، (**الواو**) في (**وانهن**) للحال، (**الواو**) في (**وإن كان**) عطف على إن كنّا، (**وإن**) هذه مخففة من المثقلة أيضاً وقيل للشرط وهو وهم، (**واللام**) في خبرها كالأولى (**ويعير**) فعل مجهول ضميره يرجع إلى الرجل، (**وعقبه**) مرفوعة بيعيّر بالعطف أعني أنّها معطوفة على الضمير المستكن المرفوع في (**فيعيّر**).

ولما كان الضمير المرفوع المتّصل بارزاً كان أو مستتراً ينزل من عامله منزلة الجزء فالعطف عليه لا يحسن في فصيح الكلام إلاّ بعد توكيده بتوكيد لفظي مرادف له بأن يكون بضمير منفصل نحو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنبياء: ٥٤] ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] بتوكيد معنوي كقول الشاعر:

دعوتم أجمعون ومن يليكم برؤيتنا وكنا الظافرينا

(**أو**) بعد فاصل أيّ فاصل كان بين المعطوف عليه والمعطوف نحو قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ

عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣] وكقول الأمير عليه السلام: فيعيّر بها وعقبه من بعده. أو بعد فصل (بلا) النافية بين حرف العطف والمعطوف نحو قوله تعالى: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

المعنى

قد علم بما قدّمنا من مصادر هذه الوصيّة أنَّ رواية نصر والطبري هي أقرب الروايات إليها متناً من غيرها لكن روايتهما لم تخصّها بصفين بل رويا عن جندب أنّه قال: أنَّ عليّاً عليه السلام كان يأمرنا في كلّ موطن لقينا معه عدوّه يقول تلك الوصيّة وقد نصّ الرضيُّ بأنّه عليه السلام وصّى بها عسكره بصفين، نعم إنَّ للكلينيّ قدّس سرّه فيها روايتين ذكر في إحداهما أنّه عليه السلام قالها بصفّين كما دريت إلاّ أنَّ روايته هذه تشمل على ذيل هذه الوصيّة من قوله عليه السلام: **(ولا تهيجوا امرأة بأذى)** ـ إلى آخرها.

والذي يسهّل الخطب أنَّ كلام الرضيّ لا يدلّ على الحصر والتخصيص وقد اتّفق الرواة وتظافرت الروايات في أنّه عليه السلام كان يأمرهم في كلّ موطن لقيهم العدوّ بها.

والعدوّ الخارج على الإمام المعصوم عليه السلام إن كان من المسلمين يعرف في كتاب الجهاد من الكتب الفقهيّة بالباغي، ومن هذه الوصيّة وممّا نتلوها عليك إن شاء الله تعالى يعلم طائفة من أحكام القتال مع البغاة.

ومن البغاة الخارجين على أمير المؤمنين عليه السلام أصحاب الجمل حاربوه في البصرة وأتباع معاوية حاربوه في صفين، والخوارج حاربوه في نهروان.

وعن عليّ عليه السلام أنّه قال: أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ففعلت ما أُمرت.

وقد مرَّ قوله في أواخر الخطبة القاصعة: وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض فأمّا الناكثون فقد قاتلت، وأمّا القاسطون فقد جاهدت وأمّا المارقة فقد دوّخت ـ إلخ.

وكذا قوله عليه السلام في الخطبة الشقشقيّة: فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أُخرى، وفسق آخرون كأنّهم لم يسمعوا كلام الله سبحانه حيث يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾ [القصص: ٨٣] بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنّهم حليت الدُّنيا في أعينهم وراقهم زبرجها[1] ـ إلخ.

وفي المجلس الخامس عشر من أمالي الطوسيّ قدّس سرّه في حديث طويل أنَّ

---

(١) نهج البلاغة: ١/ ٣٦، ومناقب آل أبي طالب: ٢/ ٤٩.

رسول الله ﷺ قال لأمّ سلمة: يا أمّ سلمة! اسمعي واشهدي هذا عليّ بن أبي طالب سيّد المسلمين وإمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، قلت: يا رسول الله من الناكثون؟ قال ﷺ: الذين يبايعون بالمدينة وينكثون بالبصرة. قلت: ومن القاسطون؟ قال ﷺ: معاوية وأصحابه من أهل الشام. قلت: ومن المارقون؟ قال ﷺ: أصحاب نهروان[1]. الحديث.

فالناكثون أصحاب الجمل لأنّهم نكثوا بيعتهم، والقاسطون أهل الشام أتباع معاوية لأنّهم جاروا في حكمهم وبغوا عليه، والمارقون الخوارج لأنّهم مرقوا من الدّين كما يمرق السهم من الرمية.

وقد روى نصر بن مزاحم في «صفين» (ص ١٧٦ من الطبع الناصري) في حديث طويل دار بين أبي اليقظان عمّار بن ياسر رحمهما الله تعالى وبين عمرو بن عاص في وقعة صفين أنّ أبا اليقظان قال له: وسأخبرك على ما قاتلتك عليه أنت وأصحابك أمرني رسول الله ﷺ أن أُقاتل الناكثين وقد فعلت، وأمرني أن أقاتل القاسطين فأنتم هم، وأمّا المارقين فما أدري أدركهم أم لا، أيّها الأبتر ألست تعلم أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه[2] - إلخ.

وقال الشارح المعتزلي في شرح «النهج»: روى إبراهيم بن ديزيل الهمدانيّ في كتاب «صفين» عن يحيى بن سليمان، عن يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي غَنِيَّة عن أبيه، عن إسماعيل بن رجا، عن أبيه، ومحمّد بن فضيل، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجا، عن أبي سعيد الخدري رحمه الله قال: كنّا مع رسول الله ﷺ فانقطع شسع نعله فألقاها إلى عليّ عليه السلام يصلحها، ثمّ قال: إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، فقال عمر بن الخطّاب: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا ولكنّه ذاكم خاصف النعل[3] ويد عليّ عليه السلام يصلحها، قال أبو سعيد: فأتيت عليّاً عليه السلام فبشّرته بذلك فلم يحفل به كأنّه شيء قد كان علمه من قبل[4]. نقله عنه المجلسي رحمه الله في ثامن «البحار» ص ٤٥٧.

أقول: الخبر المرويّ عن رسول الله ﷺ بأنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام يقاتل بعده الناكثين والقاسطين والمارقين ممّا اتّفقت عليه الأمّة وقد روي في جوامع الفريقين بوجوه عديدة وطرق

(١) الأمالي: ٤٢٦.
(٢) الكافي: ٤/١٤٩ ح ٣، ومسائل علي بن جعفر: ١٤٥ ح ١٧٥.
(٣) الكافي: ٥/١٢، والخصال: ٢٧٦.
(٤) شرح النهج: ٣/٢٠٧، والدرجات الرفيعة: ٣٩٨.

كثيرة وقد أفرد في فتن البحار باباً لذلك (ص ٤٥٤ ج ٨) فهذا الخبر الدالّ على الأخبار الصريحة بالغيب من معجزاته ودلائل نبوّته وهذا ممّا لا تخالجه شكوك ولا تمازجه ظنون.

وإنّما يعرف الخارج على الإمام العادل بالباغي لقوله رسول الله ﷺ عمّار بن ياسر رحمهما الله: إنّما تقتلك الفئة الباغية، وهذا الخبر ممّا اتفقت الأُمّة على نقله وقد مضى الكلام فيه من أنَّ هذا الحديث لا تناله يد الانكار، وقد رواه البخاري والمسلم في صحيحهما وقال الحافظ السيوطي أنّه من الأخبار المتواترة ونقله أكثر من عشرة من الصحابي. فراجع إلى شرح «**المختار**» ٢٣٦ من الخطب في ترجمة عمّار (**ج ١٥ ص ٢٧٤ - ٢٩٩**).

ولقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩].

إن قلت: فالآية تدلّ على أنَّ الخارجين على الإمام العادل مؤمنون وأنتم قد ذهبتم في المباحث السالفة إلى أنّهم كافرون وادّعيتم على أنّه مذهب الجلّ من الإماميّة فكيف التوفيق وما جوابك عن الآية؟

قلت: أوّلاً: الآية لا تدلّ على أنّهما إذا اقتتلا بقيا على الإيمان ويطلق عليهما هذا الاسم ولا يمتنع أن يفسق إحدى الطائفتين أو تفسقا جميعاً - كما في تفسير المجمع - إلاّ أنَّ الأدلّة القطعيّة لما كانت ناطقة بعصمة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأنه حجّة الله على خلقه وخليفة رسوله وأنَّ الفسق لا يتطرّق عليه أبداً علمنا أنّه عليه السلام كان باقياً على الإيمان وما كان باغياً على أحد بل الباغي غيره.

وثانياً: أنه تعالى إنّما سمّى البغاة مؤمنين في الظاهر كما قال: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأنفال: ٥، ٦] وهذه صفة المنافقين بلا خلاف فالآية لا تدلّ على أنَّ البغاة على الإيمان واقعاً.

وثالثاً: أنَّ خبر الأسياف أعني خبر حفص بن غياث المروي في «**الكافي**» و«**التهذيب**» وتفسير عليّ ابن إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام دالّ على أنَّ الخارج على الإمام العادل باغ بالمعنى الذي ذهبنا إليه وقد أشهد الإمام عليه السلام الآية على ذلك المعنى ولا بأس بنقل الخبر وإن كان طويلاً لاشتماله على فوائد كثيرة من أحكام الجهاد ووجوهه وغيرها، روى الكليني في كتاب «**الجهاد**» من «**الكافي**» بإسناده عن المنقري، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأل رجل أبي صلوات الله عليه عن حروب أمير المؤمنين عليه السلام وكان السائل من محبّينا فقال له أبو جعفر عليه السلام: بعث الله محمّداً ﷺ بخمسة أسياف: ثلاثة منها

شاهرة فلا تغمد حتّى تضع الحرب أوزارها ولن تضع الحرب أوزارها حتّى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت الشمس من مغربها أمن النّاس كلّهم في ذلك اليوم فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، وسيف منها مكفوف، وسيف منها مغمود سلّه إلى غيرنا وحكمه إلينا(١).

وأمّا السيوف الثلاثة الشاهرة فسيف على مشركي العرب قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا﴾ - يعني آمنوا - ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ فهؤلاء لا يقبل منهم إلاّ القتل أو الدخول في الإسلام وأموالهم وذراريهم سبى على ما سنّ رسول الله ﷺ فإنّه سبى وعفى وقبل الفداء.

والسيف الثاني على أهل الذّمّة قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ نزلت هذه الآية في أهل الذمة ثمّ نسخها قوله عزّ وجلّ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ فمن كان منهم في دار الإسلام فلن يقبل منهم إلاّ الجزية أو القتل ومالهم فيء وذراريهم سبى وإذا قبلوا الجزية على أنفسهم حرم علينا سبيهم، وحرمت أموالهم، وحلّت لنا مناكحتهم، ومن كان منهم في دار الحرب حلّ لنا سبيلهم وأموالهم، ولم تحل لنا مناكحتهم ولم يقبل منهم إلاّ الدّخول في دار الإسلام أو الجزية أو القتل.

والسيف الثالث سيف على مشركي العجم يعني التُّرك والديلم والخزر، قال الله عزّ وجلّ في أوّل السورة التي يذكر فيها الذين كفروا فقصّ قصّتهم ثمّ قال: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ فأمّا قوله: فإمّا منّاً بعد يعني بعد السبي منهم، وإمّا فداء يعني المفاداة بينهم وبين أهل الإسلام فهؤلاء لن يقبل منهم إلاّ القتل أو الدخول في الإسلام ولا تحلّ لنا مناكحتهم ما داموا في دار الحرب.

وأمّا السيف المكفوف فسيف على أهل البغي والتأويل قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ فلمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: إنّ منكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل فسأل النبيّ ﷺ من هو؟ فقال: هو خاصف النعل يعني أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وقال عمّار بن ياسر: قاتلت بهذا الراية مع رسول الله ﷺ ثلاثاً وهذه الرابعة والله لو ضربونا حتّى يبلغوا بنا السعفات من هجر لعلمنا أنّا على الحق وأنّهم على

(١) الكافي: ٥/ ١٠ ح٢، والخصال: ٢٧٤ ح ١٨.

الباطل، وكانت السيرة فيهم من أمير المؤمنين عليه السلام ما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل مكّة يوم فتح مكّة فإنّه لم يسب لهم ذرّية وقال: من أغلق بابه فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن؛ وكذلك قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه يوم البصرة نادى فيهم: لا تسبوا لهم ذرّية، ولا تجهزوا على جريح، ولا تتبعوا مدبراً، ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن[(١)].

وأمّا السيف المغمود فالسيف الذي يقوم به القصاص قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ فسلّه إلى أولياء المقتول وحكمه إلينا فهذه السيوف التي بعث الله محمّد صلى الله عليه وآله فمن جحدها أو جحد واحداً منها أو شيئاً من سيرها وأحكامها فقد كفر بما أنزل الله على محمّد صلى الله عليه وآله. انتهى الخبر الشريف وسيأتي بياننا فيه إن شاء الله تعالى.

ورابعاً بعد الاغماض عن الاستشهاد بالآية على هذا المعنى، والتمسك بهذا الخبر في بيانها علمنا أيضاً أنَّ من حارب الإمام العادل كافر بالأدلّة التي أشرنا إلى طائفة منها في المجلّد الأوّل من هذه **«التكملة» (ص ٣٦٧ ـ ٣٧٩)** وفي المجلّد الثالث منها **(ص ٧٦)** فراجع. وستأتي طائفة من الروايات الأُخرى المنقولة عن أئمّة الدِّين الدالّة على ذلك في شرح **«المختار» ١٦** من هذا الباب إن شاء الله تعالى.

ونزيدك بصيرة بنقل ما أفاده علم الهدى في **«الانتصار» (ص ١٢٧ طبع طهران ١٣١٥)** قال قدّس سرّه: وممّا انفردت به الإمامية القول بأنَّ من حارب الإمام العادل وبغي عليه وخرج عن التزام طاعته يجري مجرى محارب النبي صلى الله عليه وآله وخالف طاعته في الحكم عليه بالكفر، وإن اختلفت أحكامهما من وجه آخر في المدافعة[(٢)] والموارثة وكيفيّه الغنيمة من أموالهم وخالف باقي الفقهاء في ذلك وذهب المحصّلون منهم والمحقّقون إلى أن محاربي الإمام العادل فسّاق تجب البراءة منهم وقطع الولاية لهم من غير انتهاء إلى التكفير. وذهب قوم من حشو أصحاب الحديث إلى أنَّ الباغي مجتهد وخطأه يجري مجرى الخطأ. في سائر مسائل الإجتهاد.

والذي يدلّ على صحّة ما ذهبنا إليه إجماع الطائفة.

وأيضاً فإنَّ الإمام عندنا يجب معرفته وتلزم طاعته كوجوب[(٣)] المعرفة بالنبيّ صلى الله عليه وآله، ولزوم طاعته كالمعرفة بالله تعالى وكما أنَّ جحد تلك المعارف والتشكيك فيها كفر كذلك هذه المعرفة.

---

(١) الكافي: ٥/٧ ح ٧، وبحار الأنوار: ٦٧/٢٧ ح ٣٤.

(٢) في نسخة: المدافنة.

(٣) في نسخة: لوجوب.

وأيضاً فقد دلّ الدَّليل على وجوب عصمة الإمام من كلّ القبائح وكلّ من ذهب إلى وجوب عصمته ذهب إلى كفر الباغي عليه والخالف لطاعته، والتفرقة بين الأمرين خلاف إجماع الأُمّة.

فإن قيل: لو كان ما ذكرتم بالغاً إلى حدّ الكفر لوجب أن يكون مرتدًا أو أن تكون أحكامه أحكام المرتدّين وأجمعت الأُمّة على أنَّ أحكام الباغي تخالف أحكام المرتدّ وكيف يكون مرتدًّا وهو يشهد الشهادتين، ويقوم بالعبادات؟

قلنا: ليس يمتنع أن يكون الباغي له حكم المرتدّ في الإنسلاخ عن الإيمان واستحقاق العقاب[1] العظيم وإن كانت الأحكام الشرعيّة في مدافنه وموارثه وغير ذلك تخالف أحكام المرتدّ، كما كان الكافر الذمّي مشاركاً للحربي في الكفر والخروج عن الإيمان وإن اختلفت أحكامهما الشرعيّة.

فأمّا إظهار الشهادتين فليس بدالّ على كمال الإيمان ألا ترى أنَّ من أظهرهما وجحد وجوب الفرائض والعبادات لا يكون مؤمناً بل كافراً؟ وكذلك إقامة بعض العبادات من صلاة وغيرها، ومن جحد أكثر العبادات وأوجبها من طاعة إمام زمانه ونصرته لم ينفعه أن يقوم بعبادة أُخرى وغيرها.

وأمّا ما يذهب إليه قوم من غفلة الحشوية من عذر الباغي وإلحاقه بأهل الاجتهاد فمن الأقوال البعيدة من الصواب، ومن المعلوم ضرورة أنَّ الأمّة أطبقت في الصدر الأوّل على ذمّ البغاة على أمير المؤمنين ﷺ ومحاربته والبراءة منهم ولم يقم لهم أحد في ذلك عذراً، وهذا المعنى قد شرحناه في كتبنا وفرغناه وبلغنا فيه النهاية وهذه الجملة هٰهنا كافية.

فإن اعترض المخالف على ما ذكرناه بالخبر الذي يرويه معمّر بن سليمان عن عبد الرَّحمٰن بن الحكم الغفاري، عن عديسة بنت أهبان بن صيفي قالت: جاء عليّ ﷺ إلى أبي فقال: ألا تخرج معنا؟ قال: ابن عمّك وخليلك أمرني إذا اختلف الناس أن أتّخذ شيئاً من خشب.

أو بالخبر الذي يروي عن أبي ذرٍّ رحمة الله عليه أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: كيف بك إذا رأيت أحجار الزيت وقد غرقت بالدَّم؟ قال: قلت: ما اختار الله لي ورسوله، قال: تلحق، أو قال: عليك بمن أنت منه، قال: قلت: أفلا آخذ بسيفي وأضعه على عاتقي؟ قال: شاركت القوم إذاً، قلت فما تأمرني يا رسول الله؟ قال: ألزم بيتك، قلت: فإن دخل عليَّ

(١) في نسخة: العذاب.

بيتي؟ قال: فإن خفت أن يبهرك شعاع السيف فألق رداءك على وجهك يبوء بإثمه وإثمك[١].

قلنا: هذان الخبران وأمثالهما لا يرجع بهما عن المعلوم والمقطوع بالأدلّة عليه بلا دليل وهي معارضة بما هو أظهر منها وأقوى وأولى من وجوب قتال الفئة الباغية ونصرة الحقّ ومعونة الإمام العادل، ولو لم يرو في ذلك إلاّ ما رواه الخاص والعام والوليّ والعدوّ من قوله عليه السلام: حربك يا عليُّ حربي وسلمك يا عليُّ سلمي، وقد علمنا أنّه عليه السلام لم يرد أنَّ نفس هذه الحرب تلك بل أراد تساوي تلك الأحكام فيجب أن تكون أحكام محاربيه هي أحكام محاربي النبيّ صلى الله عليه وآله إلاّ ما خصّصه الدّليل.

وما روي أيضاً من قوله: اللّهمّ انصر من نصره واخذل من خذله[٢].

ولأنّه عليه السلام لما استنصره في قتال أهل الجمل وصفين ونهروان أجابته الأُمّة بأسرها ووجوه الصحابة وأعيان التابعين وسارعوا إلى نصرته ومعونته[٣] ولم يحتجّ أحد عليه بشيء ممّا تضمّنه هذان الخبران الخبيثان الضعيفان.

على أنَّ الخبر الأوَّل قد روي على خلاف هذا الوجه لأنَّ أهدم بن الحارث **(كذا)** قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أهبان **(كذا)** أما أنك إن بقيت بعدي سترى في أصحابي اختلافاً فإن بقيت إلى ذلك اليوم فاجعل سيفك يا أهبان من عراجين، وقد يجوز أن يريد عليه السلام بالاختلاف الذي يرجع إلى القول والمذاهب دون المقاتلة والمحاربة.

على أنَّ هذا الخبر ما يمنع من قتال أهل الردَّة عند بغيهم ومجاهرتهم فهو أيضاً غير مانع من قتال كلّ باغ وخارج عن طاعة الإمام.

فأمّا الخبر الثّاني فممّا يضعفه أن أبا ذرّ رحمة الله عليه لم يبلغ إلى وقعة أحجار الزيت لأنَّ ذلك إنّما كان محمّد بن عبد الله بن الحسن في أوّل أيّام[٤] المنصوب وأبو ذرّ مات في أيّام عثمان فكيف يقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف بك في وقت لا يبقى إليه.

على أنَّ أبا ذرّ رضي الله عنه كان معروفاً بانكار المنكر بلسانه وبلوغه فيه أبعد الغايات والمجاهدات في إنكاره وكيف يسمع من الرسول صلى الله عليه وآله ما يقتضي خلاف ذلك. انتهى كلامه قدّس سرّه.

---

(١) أحكام القرآن: ٢/ ٥٠٤، وكتاب الفتن: ٨٤ بتفوات.

(٢) مائة منقبة: ٤٦، وبحار الأنوار: ٣٧/ ١٤٩.

(٣) في نسخة: معاونته.

(٤) في نسخة: يوم.

ثمّ اعلم أنَّ القوم ذهبوا إلى أنَّ في الآية خمس فوائد: إحداها: أنَّ البغاة على الإيمان لأنَّ الله سمّاهم مؤمنين.

الثانية: وجوب قتالهم فقال: فقاتلوا التي تبغي.

الثالثة: القتال إلى غاية وهو أنَّ يفيئوا إلى أمر الله بتوبة أو غيرها.

الرابعة: أنَّ الصلح إذا وقع بينهم فلا تبعة على أهل البغي في دم ولا مال لأنّه ذكر الصلح أخيراً كما ذكره أوّلاً ولم يذكر تبعة فلو كانت واجبة ذكرها.

الخامسة: أنَّ فيها دلالة على أنَّ من كان عليه حقّ فمنعه بعد المطالبة به حلّ قتاله فإنَّ الله لما أوجب قتال هؤلاء لمنع حقّ كان كلّ من منع حقّاً بمثابتهم وعلى كلّ أحد قتالهم.

أقول: أمّا الأولى فقد دريت ما فيها، وعلمت أنَّ تسميتهم البغاة ليس بالمعنى الذي مال إليه بعضهم من أنّه ليس بذمّ ولا نقصان وهم أهل الاجتهاد اجتهدوا فأخطأوا بمنزلة طائفة خالفوا من الفقهاء أو بالمعنى الآخر الذي مال إليها بعض آخر منهم من أنهم فسّاق تجب البراءة منهم وقطع الولاية لهم من غير انتهاء إلى الكفر، بل الذي بالمعنى ذهبنا إليه من أنَّ تسميتهم بذلك ذمّ وكفر، وقد استدلّ عليه أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾ [التوبة: ١٢].

وبقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤].

وقد مضى وجه الاستدلال بهما في شرح **«المختار» ٢٣٦ من الخطب (ص ٣٧٧ ج ١ من «التكملة»)**.

وقد روى الفريقان أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كرّاراً غير فرّار[1]، فتبصّر.

وبقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: ٧٣].

وذلك لأنَّ المنافق من ظاهره الإسلام وكذلك الباغي لإظهاره الإسلام وخروجه عنه ببغيه على إمامه فهو حقيق باسم النفاق، ولذلك قال النبيُّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: لا يحبك إلاّ

(١) الكافي: ٨/ ٣٥١، وعلل الشرائع: ١/ ١٦٢، ومسند أحمد: ١/ ٩٩ ـ ١٨٥، وصحيح البخاري: ٤/ ٢٠.

مؤمن تقيّ ولا يبغضك إلاّ منافق شقيّ[1] رواه النسائي في صحيحه ورويناه أيضاً نحن في أخبارنا، ومن يحاربه لا يحبّه قطعاً فيكون منافقاً وهو المطلوب، ولا يلزم من عدم جهاد النبيّ ﷺ للمنافقين عدم ذلك بعده.

وأمّا الثانية فصحيحة، وقد يستدلّ أيضاً على قتال البغاة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩] بعموم وجوب طاعة أُولي الأمر.

وأمّا الثالثة فكالثانية.

وأمّا الرابعة فليست بصحيحة عندنا الإماميّة فإنّ الباغي إذا أتلف مالاً أو نفساً ضمنه، نعم إن كان المتلف من أهل العدل فلا ضمان عليه لأنّ الله تعالى أوجب على أهل العدل قتالهم فكيف يوجب عليه القتال ويوجب عليه الضمان إذا أتلف مالاً لهم أو قتل نفساً منهم؟ كما إذا أتلف الحربيُّ مالاً أو نفساً من أموال المسلمين ونفوسهم ثمَّ أسلم فإنّه لا يضمن ولا يقاد لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ [الأنفال: ٣٨] ولخبر الجبّ.

وتفصيل هذه الأحكام موكول على الفقه والبحث عنها يوجب التطويل والخروج عن موضوع الكتاب، على أنَّ الجهاد مشروط بحضور الإمام العادل وأمره وهو أعلم بأحكام الله من غيره.

وأمّا لخامسة فكالرّابعة لأنَّ العلّة التي ذكروها لجواز القتال مستنبطة ليست بحجّة، ولأنَّ الحقوق متفاوتة فلا يوجب قتال البغاة لمنع حقّ خاص، قتال كلّ من منع حقّاً من الحقوق.

على أنَّ الآية كما أفاد شيخ الطائفة قدّس سرّه في «**المبسوط**» خطاب للأُمّة دون آحاد الأمّة وليس من حيث قال: فقاتلوا التي تبغي فأتى بلفظ الجمع ينبغي أن يتناول الجميع لأنَّ ذلك يجري مجرى قوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ ولا خلاف أنَّ هذا خطاب للأُمّة ونحن وإن وجبت علينا طاعة الإمام في قتال هؤلاء، فإنَّ قتالنا تبع لقتال الإمام وليس لنا الانفراد بقتالهم.

وأمّا ما وعدنا من بيان خبر الأسياف فنقول: قوله عليه السلام: (**شاهرة**) أي مجرّدة من الغمد. قوله: (**حتّى تضع الحرب أوزارها**) أي حتّى تنقضي لأنَّ أهلها يضعون أسلحتهم حينئذ، وسمّي السلاح وزراً لأنه ثقل على لابسه، أو لأنَّ أصل الوزر ما يحمله الإنسان فسمّي السلاح أوزاراً لأنه يُحمل قال الأعشى:

---

(١) عوالي اللئالي: ٤/ ٨٥، وبحار الأنوار: ٣٩/ ٦١.

وأعددت للحرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكوراً
ومن نسج داود يحدو بها على أثر الحيّ عيراً فعيراً

قوله عليه السلام: **(حتّى تطلع الشمس من مغربها)**، قد جاءت روايات في علامات ظهور الإمام القائم عليه السلام نقلها المحقّق الفيض قدّس سرّه في **«الوافي»** (ص ١٠٦ ـ ١١٤ من ج ٢) والمحدّث الجليل المجلسي في **«البحار»** (ج ١٣ ص ١٥٠ ـ ١٧٢ من الطبع الكمباني) وأتى بطائفة منها الشيخ الأجل المفيد في **«الإرشاد»** (ص ٣٣٦ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) منها طلوع الشمس من المغرب.

وكذلك قد جاءت روايات أُخرى في شروط الساعة وقيام القيامة منها طلوع الشمس من المغرب، ففي الخرائج والجرائح للراونديّ (**ص ١٩٥ طبع إيران ١٣٠١هـ**): قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: عشر علامات قبل الساعة لا بدّ منها: السفياني، والدّجال، والدّخان، وخروج القائم، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم(١). الحديث.

وفي أوّل كتاب **«الجهاد»** من **«المبسوط»** لشيخ الطائفة قدّس سرّه أنّه روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا تنقطع الهجرة حتّى تنقطع التّوبة ولا تنقطع التّوبة حتّى تطلع الشمس من مغربها(٢).

فإن كانت كلمة **(أمن)** في قوله عليه السلام **(فإذا طلعت الشمس من مغربها أمن الناس)** فعلاً ثلاثياً مجرّداً فالمراد أنّ الحرب لن تضع أوزارها حتّى أن يظهر الإمام القائم عليه السلام لأنّ الله يملأ به الأرض عدلاً بعدما ملئت جوراً وظلماً، روى عليُّ بن عقبة، عن أبيه قال: إذا قام القائم عليه السلام حكم بالعدل وارتفع في أيّامه الجور وأمنت به السبل وأخرجت الأرض بركاتها وردّ كلّ حق إلى أهله ولم يبق أهل دين حتّى يظهروا الإسلام ويعترفوا بالإيمان ـ الخ (**«الإرشاد» ص ٣٤٣**).

لكنّ الصواب أنّ الكلمة فعل ماض من الإيمان بقرينة قوله: **(فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها)** ـ إلخ. وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوٓا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وإنّما لم ينفعها إيمانها حينئذ لأنّ باب التوبة ينسدّ بظهور آيات القيامة، وأنّ التكليف

(١) الخرائج والجرائح: ٣/١١٤٨ ح ٨٥.
(٢) بحار الأنوار: ٦٤/٣٥٩، ومكاتيب الرسول: ٣/٦١٧.

يزول عند ظهورها، وقال عزّ من قائل: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [السجدة: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [الغافر: ٨٤، ٨٥].

ثمّ إنّه عليه السلام جعل السيوف الشاهرة مقابلة جهاد أهل البغي ومعلوم أنّ جهاد أهل البغي إنّما يكون بإذن الإمام عليه السلام فهو جار إذا كان الإمام حاضراً باسط اليد، وأمّا جهاد غيرهم من المشركين فالظاهر من قوله عليه السلام ثلاثة منها شاهرة دالة على جواز قتالهم في زمان الغيبة أيضاً وفي الحديث كما في «**مجمع البيان**» في تفسير سورة محمّد صلى الله عليه وآله عن النبيّ: والجهاد ماض مذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمّتي الدّجال[1]، لكنّ جهادهم لمّا كان مشروطاً بوجود الإمام أو من نصبه كما حقّق في محلّه فالمراد أنّها شاهرة إلى قيام الساعة إذا خيف على بيضة الإسلام إلاّ أنّه لا يكون جهاداً بل كان دفاعاً وقد تجب المحاربة على وجه الدّفع من دون حضور الإمام أو من نصبه إذا خيف كذلك.

قوله: عليه السلام (**على أهل الذمّة**)، أهل الذمّة هم اليهود والنصارى والمجوس وإنّما يجب جهادهم إذا أخلّوا بشرائط الذمّة.

قوله عليه السلام: (**وإذا قبلوا الجزية على أنفسهم حرم علينا سبيهم، وحرمت أموالهم، وحلّت لنا مناكحتهم**). واعلم أنّه لا خلاف في عدم جواز نكاح غير الكتابية للمسلم وأمّا في جواز الكتابيّة فقد اختلفت الأقوال فيه وأتى بها العلاّمة قدّس سرّه في «**المختلف**» قال: قال المفيد رحمة الله: نكاح الكافرة محرّم سواء اليهود والنصارى والمجوس واطلق النكاح مع أنّه قسّمه أوّلاً إلى نكاح المتعة والدائم وملك اليمين ومقتضى هذا تحريم الجمع.

وقال الصدوق في «**المقنع**»: ولا يتزوّج اليهوديّة والنصرانيّة على حرّة متعة وغير متعة. وروى هذا اللّفظ في كتاب من لا يحضره الفقيه عن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام، ثمّ روى عن الحسن التفليسي، عن الرّضا عليه السلام أنّه سأله يتمتّع الرجل من اليهوديّة والنصرانيّة؟ قال: يتمتّع[2].

وسوّغ الشيخ في «**النهاية**» التمتّع باليهوديّة والنصرانيّة دون من عداهما من ضروب الكفّار ومقتضاه تحريم المجوسيّة.

وقال سلاّر: يجوز نكاح الكتابيّات متعة.

---

(١) مباديء الوصول: ٦٦.

(٢) مختلف الشيعة: ٧/ ٢٢٠، وجواهر الكلام: ٣٠/ ٣٧.

وقال ابن إدريس: لا بأس أن يعقد على اليهوديّة والنصرانيّة هذا النكاح في حال الإختيار فأمّا من عدا هذين الجنسين من سائر أصناف الكفّار سواء كانت مجوسية أو غيرها، كافرة أصل أو مرتدّة، أو كافرة ملّة فلا يجوز العقد عليها ولا وطيها حتّى تتوب من كفرها.

وقال شيخنا أبو جعفر في نهايته: يكره التمتّع بالمجوسيّة وليس ذلك بمحظور وهذا خبر أورده إيراداً لا اعتقاداً لأنَّ إجماع أصحابنا بخلافه.

وشيخنا المفيد في مقنعته يقول: لا يجوز العقد على المجوسيّة وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ وهذا عام وخصصنا اليهوديّة والنصرانيّة بدليل الإجماع وبقى الباقي على عمومه. انتهى ما أردنا من نقل كلامه من «**المختلف**».

أقول: الأصل في المسألة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الممتحنة: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ [البقرة: ٢٢١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ﴾ [النساء: ٢٥] وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر: ٢٠] ونحوها من آيات أُخرى.

فالآية الأُولى دلّت أوّلاً: على عدم جواز رجوع الزّوجة إذا أسلمت إلى زوجها الكافر، وكان رسول الله ﷺ يمتحن من جاءه من المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام ثمّ يحبسها ويعطى أزواجهنَّ مهورهنَّ.

وثانياً: على أنَّ المؤمنات لسن بحلّ للكفّار وأنَّ الكفّار لا يحلّون لهنَّ فهي دالّة على منع النكاح مطلقاً سواء كانا يهوديين أو نصرانيّين أو مجوسيين أو غيرها من أقسام الكفّار، وسواء كان النكاح دائماً أو مؤجلاً أو ملك يمين.

وثالثاً: على تحريم نكاح المسلم الكوافر بقوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ وعمومها شامل على جميع أقسام الكفر وعلى جميع أقسام النكاح.

وفي «**مجمع البيان**»: قال الزهريُّ: ولما نزلت هذه الآية وفيها قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ

ٱلْكَوَافِرِ﴾ طلّق عمر بن الخطّاب امرأتين كانتا له بمكّة مشركتين قرينة بنت أبي أُميّة بن المغيرة فتزوّجها بعده معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما بمكّة، والأُخرى أُم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعيّة أُمّ عبد الله بن عمر فتزوَّجها أبو جهم بن حذافة بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما.

وكانت عند طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ففرَّق بينهما الإسلام حين نهى القرآن عن التمسّك بعصم الكوافر وكان طلحة قد هاجر وهي بمكة عند قومها كافرة، ثمَّ تزوَّجها في الإسلام بعد طلحة خالد بن سعيد بن العاص بن أُميّة وكانت ممّن فرّت إلى رسول الله ﷺ من نساء الكفّار فحبسها وزوّجها خالداً.

وأميمة بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحداحة ففرّت منه وهو يومئذ كافر إلى رسول الله ﷺ فزوّجها رسول الله سهل بن حنيف فولدت عبد الله بن سهل. قال الشعبيُّ وكانت زينب بنت رسول الله ﷺ امرأة أبي العاص بن الربيع فأسلمت ولحقت بالنبيِّ في المدينة وأقام أبو العاص مشركاً بمكّة ثمَّ أتى المدينة فأمنته زينب ثمَّ أسلم فردّها عليه رسول الله ﷺ.

وقال الجبائيّ: لم يدخل في شرط صلح الحديبيّة إلاّ ردّ الرجال دون النساء ولم يجر للنساء ذكر وإنَّ أُمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط جاءت مسلمة مهاجرة من مكّة فجاء أخواها إلى المدينة فسألا رسول الله ﷺ ردّها عليهما فقال رسول الله ﷺ أنَّ الشرط بيننا في الرجال لا في النساء فلم يردّها عليهما. قال الجبائي: وإنّما لم يجر هذا الشرط في النساء لأنَّ المرأة إذا أسلمت لم تحلّ لزوجها الكافر فكيف تردّ عليه وقد وقعت الفرقة بينهما(١).

والآية الثانية دالّة صريحة أيضاً على عدم جواز نكاح المشركات أي الكافرات وكذا على عدم جواز نكاح المشركين أي الكافرين واليهود والنصارى من المشركين قال عزَّ من قائل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١] فسمّاهم مشركين نعم أنَّ الظاهر من قوله: «خير من مشركة» وكذا «خير من مشرك» يومىء إلى جواز نكاح المشركة للمسلم ونكاح المشرك للمسلمة، فتأمّل.

ثمَّ أنّه تعالى علق النهي على الغاية التي هي الإيمان والتعليق يدلّ على اشتراط الإيمان

(١) مجمع البيان: ٩/٤٥٣، وتفسير نور الثقلين: ٥/٣٠٥ ح ٢٠.

في النكاح، ثمَّ أكّد ذلك بقوله أولئك يدعون إلى النّار لأنَّ الغالب يدعو الزّوج زوجته إلى النّار بل ربّما يدعو أحدهما صاحبه إلى النّار ويأخذ أحد الزوجين من دين الآخر.

قال في «**المجمع**»: وهي - يعني هذه الآية - عامّة عندنا في تحريم مناكحة جميع الكفّار من أهل الكتاب وغيرهم وليست بمنسوخة ولا مخصوصة.

والآية الثالثة دلّت على المطلوب أيضاً حيث وصف الفتيات بالمؤمنات أي لا يجوز نكاح الفتيات الكافرات إن لم يستطع الناكح طولاً. كما أنّها دالّة على تحريم نكاح الكافرة الحرّة عليه إن لم يستطع طولاً حيث لم يجوّز مع عدم الاستطاعة بالمحصنات أي المؤمنات الحرائر نكاح الحرَّة من الكافرات.

والرابعة تدلّ بظاهرها على نفي التساوي في جميع الأحكام التي من جملتها المناكحة.

إن قلت: قد دلّت آية أخرى على جواز نكاح الكتابيات وهي قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة: ٥] فكيف التوفيق؟

قلت: قد نهت الآيات المتقدّمة عن نكاح الكوافر كما دريت وقد يجوز حمل هذه الآية على من أسلم منهنَّ ومن الجائز أن فرّق الشرع قبل ورود الآية بين المؤمنة التي لم تكن قطّ كافرة، وبين من كانت كافرة ثمَّ آمنت ففي بيان ذلك والجمع بين الأمرين في الإباحة فائدة، كما في «**الانتصار**»، وقد حكى الطبرسيُّ في «**مجمع البيان**» عن أبي القاسم البلخي أنَّ قوماً كانوا يتحرَّجون من العقد على من أسلمت عن كفر فبيّن سبحانه أنه لا حرج في ذلك فلهذا أفردهنَّ بالذكر.

وإن قيل: إنَّ ظاهر الآية وسياقها في مقام الإمتنان والتسهيل، فتأبى عن ذلك الحمل.

قلنا: إنَّ النكاح على ثلاثة أقسام: نكاح المتعة، والدائم، وملك اليمين وقد نطق القرآن الكريم بنكاح المتعة في قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤] وهو المنقول عن غير واحد من الصحابة والتابعين وجماعة معروفة الأقوال منهم أمير المؤمنين عليه السلام وعبد الله بن عبّاس وعبد الله بن مسعود ومجاهد وعطا وأنّهم يقرأون ﴿فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن﴾ [النساء: ٢٤] وقد روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري وسلمة بن الأكوع وأبي سعيد الخدري والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير وابن جريج أنّهم كانوا يفتون بها وقد أجاز الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام نكاح الكتابيات متعة لا دائماً وأهل البيت أدرى بما فيه، فالآية باقية على الإمتنان والتسهيل غاية الأمر أنها تبيّن حكم

نكاح واحد من بين الثلاثة ولا ضير فيه فإنَّ نكاح المتعة نكاح، وعلى هذا المعنى يحمل ما روى أنَّ عمّاراً نكح نصرانيّة، ونكح طلحة نصرانيّة، ونكح حذيفة يهوديّة.

على أنّه قد وردت روايات على أنّها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ ففي «**الكافي**» بإسناده عن ابن رئاب، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله سبحانه: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؟ قال: هذه منسوخة بقوله[1]: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾.

وفيه بإسناده عن ابن فضّال، عن الحسن بن الجهم قال: قال لي أبو الحسن الرّضا عليه السلام: يا با محمّد! ما تقول في رجل يتزوّج نصرانية على مسلمة؟ قلت: جعلت فداك وما قولي بين يديك؟ قال: لتقولنّ فإنّ ذلك تعلم به قولي، قلت: لا يجوز تزويج نصرانيّة على مسلمة ولا على غير مسلمة، قال: ولم؟ قلت: لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾، قال: فما تقول: في هذه الآية[2]: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؟ قلت: فقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾ نسخت هذه الآية فتبسّم ثمَّ سكت.

نعم إنَّ في نسخ الآية بالآيتين كلاماً وهو أنَّ الفريقين رووا عدَّة روايات في أنَّ المائدة آخر سورة نزلت وآية تحليل نكاح الكتابيات منها وتقديم الناسخ على المنسوخ نزولاً ليس بصحيح، ففي «**الإتقان**» للسيوطي: أخرج الترمذي والحاكم عن عائشة قالت: آخر سورة نزلت المائدة فما وجدتم فيها من حلال فاستحلّوه ـ الحديث.

وفي «**مجمع البيان**»: روى العياشيّ بإسناده، عن عيسى بن عبد الله، عن أبيه عن جدّه، عن عليّ عليه السلام قال: كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً وإنّما يؤخذ من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بأخذه وكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء[3] ـ إلخ.

لكن غير واحدة من الروايات ناطقة بأنَّ آخر السور نزولاً ليس المائدة، ففي «**الاتقان**»: أخرج مسلم عن ابن عبّاس قال: آخر سورة نزلت إذا جاء نصر الله والفتح، وأخرج الترمذي والحاكم عن عبد الله بن عمر قال: آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح ـ يعني إذا جاء نصر الله، وفي حديث عثمان المشهور براءة من آخر القرآن نزولاً، وفي «**مجمع البيان**» للطبرسيّ في تفسير سورة هل أتى أنَّ التّوبة آخر سورة نزولاً ونزلت المائدة قبلها.

---

(١) الكافي: ٥/٣٥٨ ح ٨، وبحار الأنوار: ٢/٢٧٩ ح ٤٠.
(٢) الكافي: ٥/٣٥٧ ح ٦، وبحار الأنوار: ٢/٢٧٨ ح ٣٨.
(٣) تفسير القرطبي: ١/٦٠.

أقول: سلمنا أنَّ المائدة ليست آخر السور نزولاً أمّا أنَّ نزولها كان بعد البقرة فلا كلام فيه بل في «**المجمع**» في تفسير السورة المذكورة أنَّ البقرة أوّل سورة نزلت بالمدينة فالإشكال في تقديم الناسخ على المنسوخ باق بحاله، اللّهم إلاّ أن يقال يجوز أن يكون نزول الآيتين الناسختين في البقرة بعد نزول الآية المنسوخة في المائدة إلاّ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعلها بأمر الله تعالى في ذلك الموضع من سورة المائدة كما أنَّ آية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فجعلها رأس الثمانين والمائتين من البقرة بأمر الأمين جبرائيل عليه السلام كما في «**المجمع**» و«**الكشاف**» و«**أنوار التنزيل**» وغيرها. فتأمّل.

وبالجملة لو لم نقل بنسخ الآية لكانت بياناً لنكاح المتعة وتجويزه كما دريت.

ولقائل أن يقول: إنَّ قوله تعالى في البقرة: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ الآية غير الكتابيّة من عبدة الأوثان وغيرهم من الذين ليس لهم كتاب بدليل الافتراق بينهما في قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ [البينة: ١].

قلت: قد دلّت الآية المتقدّمة من التوبة على أنّ اليهود والنصارى من المشركين وافتراقهما في آية لعناية خاصّة لا يدلّ على عدم كون أهل الكتاب مشركين.

وبالجملة القول بجواز نكاح الكتابيّة للمسلم بالدوام مشكل جدًّا وأمّا نكاحها متعة أعني مؤجّلاً، أو ملك يمين فلا بأس به.

وروايات الباب طائفة منها صريحة في أنَّ نكاح الكافرة سواء كانت عابدة وثن أو مجوسيّة أو يهوديّة أو نصرانيّة محرّم منها رواية ابن الجهم المتقدّمة المنقولة عن «**الكافي**».

وفيه أيضاً بإسناده عن ابن رئاب، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا ينبغي نكاح أهل الكتاب، قلت: جعلت فداك وأين تحريمه؟ قال: قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾.

وفيه بإسناده، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا ينبغي للمسلم أن يتزوّج يهوديّة ولا نصرانيّة وهو يجد مسلمة حرّة أو أمة[1].

وأُخرى منها تجوز النكاح لكنّها يحتمل وجوهاً من التأويل كما أشار إليها شيخ الطائفة في «**التهذيب**» منها أن تكون هذه الأخبار خرجت مخرج التقيّة لأنّ كلّ من خالفنا يذهب إلى

(١) الكافي: ٥/ ٣٥٨ ح ٩، والاستبصار: ٢/ ١٨٣ ح ٦٦٣.

إباحة ذلك فيجوز أن تكون هذه الأخبار وردت وفقاً لهم.

ومنها أن تكون هذه الأخبار تناولت إباحة من لا تكون مستبصرة معتقدة للكفر متديّنة به بل تكون مستضعفة فإنَّ نكاح من يجري هذا المجرى جائز.

ومنها أن يكون ذلك إباحة في حال الضرورة وعند عدم المسلمة ويجري ذلك المجرى إباحة الميتة والدم عند الخوف على النفس.

ومنها أن تكون هذه إباحة في العقد عليهنّ عقد المتعة وإن شئت تفصيلها فعليك **«بالتهذيب»**.

ثمّ إنَّ في خبر الأسياف تفصيلاً آخر في **«المقام»** وهو أنّ أهل الذمّة إذا قبلوا الجزية حلّت للمسلم مناكحتهم وأمّا إذا كانوا في دار الحرب فلا.

ومثله مرويٌّ عن النبيّ ﷺ أيضاً ففي تفسير القميّ أنّه ﷺ قال: وإنّما يحلّ نكاح أهل الكتاب الذين يؤدُّون الجزية وغيرهم لم تحلّ مناكحتهم(١).

أقول: الخبران يدلاّن على جواز نكاحهم مع انعقاد الذمّة وإنّما لم يجز بدونه لأنّهم حينئذ محاربون فتشملهم الأحكام الواردة على المحاربين.

قوله عليه السلام: **(فلن يقبل منهم إلاّ الجزية أو القتل)** - إلخ.

أقول: أهل الكتاب أي اليهود والنصارى يجوز إقرارهم على دينهم ببذل الجزية وكذا حكم من لهم شبهة كتاب أي المجوس فيقرون على دينهم ببذل الجزية، ومتى امتنع أهل الكتاب من بذل الجزية قوتلوا وسبيت ذراريهم ونساءهم وأموالهم تكون فيئاً، وأمّا من لا كتاب له ولا شبهة كتاب من عباد الأصنام والأوثان والكواكب وغيرهم فلا يقرّون على دينهم ببذل الجزية.

قوله عليه السلام: **(والسيف الثالث سيف على مشركي العجم)** - إلخ.

أقول: لما ذكر الإمام عليه السلام في هذا الخبر أحكام أهل الذّمة على حدة علم أنَّ المراد من مشركي العرب والعجم سوى أهل الكتاب منهما وهذا واضح وإنّما الكلام في ذكر كلّ من مشركي العرب والعجم منفرداً، وذلك لأنَّ أحكام المشركين الذين ليس لهم كتاب واحد ولا تختلف أحكامها باختلاف البلاد والأقاليم والألسنة ولم نجد في الكتب الفقهية من تعرَّض بالتفصيل والتفريق بين مشركي العرب والعجم وما نعلم سبب انفراد مشركي العجم، بالذكر إلاّ أنَّ العلاّمة المجلسي قدّس سرّه قال في مرآة العقول: وإنّما أفرده عليه السلام **(يعني السيف**

---

(١) الكافي: ٥/٤٣٥ ح ٤، وتهذيب: ٦/٣٨٧ ح ١١٥٤.

الثالث) بالذكر لعلمه بأنّ قوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ نزل فيه والمخاطب بالقتال فيه أمّة النبيّ ﷺ لأنه لم يقاتلهم وإنّما قاتلهم الله. انتهى فتأمّل.

قوله عليه السلام: (**فسيف على أهل البغي والتأويل**) ـ وقال رسول الله ﷺ: إنّ منكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل[١].

أقول: في حديث عليّ عليه السلام: (**ما من آية إلا وعلّمني تأويلها**)[٢] أي معناها الخفيّ الذي هو غير المعنى الظاهري لما تقرّر من أنّ لكل آية ظهراً أو بطناً والمراد أنه ﷺ أطلعه على تلك الخفيّات المصونة والأسرار المكنونة. قاله الطريحي في «**مجمع البحرين**».

وقال المجلسيُّ رحمه الله في «**مرآة العقول**»: لعلّ كون قتال التأويل لكون الآية غير نصّ في خصوص طائفة إذ الباغي أنّه على الحقّ وخصمه باغ أو المراد به أن آيات قتال المشركين والكافرين يشملهم في تأويل القرآن. انتهى.

وأقول: هذا البيان يناسب قول رسول الله ﷺ أنّ منكم من يقاتل بعدي على التأويل. وأمّا الظاهر من كلام أبي جعفر عليه السلام فسيف على أهل البغي والتأويل فإنّما المراد أنّ الخارجين على الإمام العادل هم أهل البغي والتأويل ويؤيد ما ذكرنا قول أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه الآتي (**كتاب ٥٥**) إلى معاوية خطاباً إليه: (**فعدوت على طلب الدُّنيا بتأويل القرآن فطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني**) إلخ. حيث طلب معاوية القصاص لعثمان وأوّل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ الآية ونحوه من آيات أُخرى بما أراد حتّى ألّب الناس على أمير المؤمنين عليه السلام وسيأتي كلامنا في تحقيق التأويل في تفسير كتابه عليه السلام إلى ابنه المجتبى عليه السلام عند قوله: (**وأن أبتدؤك بتعليم كتاب الله وتأويله**) إلخ.

قوله عليه السلام: وقال عمّار بن ياسر: قاتلت بهذه الراية إلخ.

أقول: الراية إشارة إلى راية معاوية في بدر وأُحد وحنين. وهذه الرابعة يعني وقعة صفين وقد مرّ كلامنا في تفسير قوله هذا وقوله: (**والله لو ضربونا حتّى يبلغوا بنا السعفات**) من هجر في شرح «**المختار**» ٢٣٦ (**ج ١٥ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٩**).

فقد آن أن نشرح جمل الوصيّة فنقول قوله: «لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم» **نهى أصحابه** عن الإبتداء بالحرب وقد دريت من حديث عبد الله بن جندب المنقول من «**الكافي**» أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام كان يأمر أصحابه في كلّ موطن لقيهم عدوّهم بقوله: (**لا تقاتلوا القوم حتّى**

(١) الكافي: ٥/ ١٢، وتهذيب الأحكام: ٤/ ١١٦.

(٢) الكافي: ٥/ ١٢، وتحف العقول: ٢٩٠.

يبدؤوكم): إلخ. وإنّما نهاهم عن الابتداء بها لأنّه دعوة إلى المبارزة والداعي إليها باغ وقد قال عليه السلام لابنه الإمام المجتبى عليه السلام كما يأتي في باب «**المختار**» من حكمه عليه السلام **(الحكمة ٢٣٣)**: لا تدعونّ إلى مبارزة وإن دعيت بها فأجب فإن الدّاعي باغ والباغي مصروع. انتهى وفي كتاب «**الحرب من عيون الأخبار**» لابن قتيبة (**ص ١٢٨ ج ١ طبع مصر**): العتبي عن أبيه قال: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام لابنه الحسن: يا بُنيّ لا تدعوَنّ أحداً البِراز ولا يدعونّك أحد إليه إلاّ أجبته فإنّه بَغى[1].

وقال عزّ من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣].

ومن الأمثال القديمة قولهم: لا ظفر مع بغي. أتى به ابن القتيبة في كتاب «**الحرب من عيون الأخبار**» (**ص ١١١ ج ١**).

وفي باب حكم طلب المبارزة من كتاب «**الجهاد**» من الوسائل بإسناده عن ابن القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دعى رجل بعض بني هاشم إلى البراز فأبى أن يبارزه فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ما منعك أن تبارزه؟ فقال: كان فارس العرب وخشيت أن يغلبني؛ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: فإنّه بغى عليك ولو بارزته لغلبته ولو بغى جبل على جبل لهدم الباغي[2].

وفي هذا الباب من الوسائل أيضاً: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنَّ الحسين[3] بن عليّ دعى رجلاً إلى المبارزة فعلم به أمير المؤمنين عليه السلام فقال: لئن عدت إلى مثل هذا لأُعاقبنّك؛ ولئن دعاك أحد إلى مثلها فلم تجبه لاعاقبنّك أما علمت أنه بغى[4].

وقد مضى في «**شرح المختار**» ٢٣٦ أنَّ معاوية لمّا كف أمير المؤمنين وعسكره في صفين عن الماء ثمّ أخذ أصحاب الأمير عليه السلام الماء عنهم وصار الماء في أيديهم قال بعضهم: لا نسقي معاوية وأتباعة الماء أرسل أمير المؤمنين عليه السلام إليهم أن خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا إلى عسكركم وخلّوا عن معاوية وعسكره فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم (**ص ٢٢٧ ج ١٥**).

قوله عليه السلام: «فإنكم بحمد الله على حجّة» علّل النّهي عن القتال بدواً بأن أتباعه عليه السلام على حجّة وبيّنة ويقين من ربّهم وأنّهم على الطريق الواضح من حيث إنّهم شايعوا الإمام الحقّ فهم على الصراط السوّي والجادّة الوسطى. وأهل الحقّ لا يقاتلون أحداً بغير حق

---

(١) نهج السعادة: ٢/ ٢٢٩، وترجمة الإمام الحسين: ٣٦٦ ح ٣٠٨.
(٢) بحار الأنوار: ٣٣/ ٤٤٦ ح ٦٥٨، وتذكرة الفقهاء: ٩/ ٨٠.
(٣) في نسخة: الحسن.
(٤) تهذيب الأحكام: ٦/ ١٦٩ ح ٣٢٤، ووسائل الشيعة: ١٥/ ٩٠ ح ٤.

وحجج الله لم يؤمروا بالقتل والقتال بل أُمروا بإحياء النفوس وتزكيتها من الأرجاس والأدناس وتعليمهم الكتاب والحكمة فأنّى لهم أن يبدؤا بالقتال وقد قالوا: إنّ البادي بالحرب باغ.

وإنّما قال: بحمد الله، لأنَّ الكون على حجّة من أعظم نعم الله تعالى لا تعادله نعمة فيجب على المنعم عليه حمد المنعم.

قوله عليه السلام: «وترككم إياهم حتّى يبدؤوكم حجّة أُخرى لكم عليهم» قد علمت أنَّ البادي بالحرب باغ والإمام الحقّ مطلقاً على حجة فإنّه ينظر بنور الله فإذا بدؤا بالحرب فقد تحقّق بغيهم عليه فيجب عليه قتالهم لقوله تعالى: ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾.

ثمَّ إنَّ البادىء بالحرب معتد فيجب على الإمام الاعتداء عليه قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وإنَّ محارب الإمام العادل محارب الله ورسوله فقد دريت من المباحث السالفة أنَّ الفريقين نقلاً عنه صلى الله عليه وآله أنه قال لأمير المؤمنين عليه السلام: حربك يا عليّ حربي.

على أنَّ الباغي عليه من الذين يسعون في الأرض فساداً فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة: ٣٣].

وبالجملة أنَّ وجود الإمام عليه السلام حجّة عليهم فيجب عليهم اتّباع أمره واقتفاء أثره والتأسي به فإذا طغوا وأعرضوا عن أمره وحاربوه وجازاهم على فعالهم وطغيانهم تمّت الحجة عليهم وانقطع عذرهم وفاءً لحقّ الإعتداء فهم محاربون والإمام عليه السلام وعسكره حينئذ مدافعون فهذه حجّة أُخرى لهم عليهم.

ثمَّ ينبغي للقاريء الكريم الطالب نهج القويم أن يتأمّل في سيرة سفراء الله في أهل البغي حقّ التأمّل والتدبّر حتّى يرى بعين العدل والإنصاف أنّهم لم يكونوا في سدد قتال النّاس وقتلهم بل شأنهم في القتال والقتل شأن من يجتثّ نبات السوء من مزرعة، أو كمن يقلع ويطرد أشواكاً واقعة على طريق مانعة عن العبور عنها، أو كمثل الذي يقتل جراثيم مؤذية تؤذي شجرة مثمرة في حديقته. لأنَّ الله تعالى بعثهم رحمة للناس كافّة يدعوهم إلى ما يحييهم حياة طيّبة، ويسلكهم إلى الفوز والنجاح والسعادة الأبديّة إلاّ أنَّ طائفة من أراذل الناس وأوباشهم وأشرارهم لمّا ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون واتّخذوا دين الله وعباده سخريّاً

وأرادوا أن يطفؤا نور الله بألسنتهم وأسنّتهم، وسيوفهم ورماحهم، وكانوا يضلّون الناس ويغوونهم حقّ عليهم العذاب بأيدي أهل الحقّ دفاعاً عن حوزة الإسلام السامية، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال عزّ من قائل: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً﴾ [الحج: ٤٢].

وقد روى ثقة الإسلام الكليني قدّس سرّه في الباب الثامن من كتاب **«الجهاد»** من **«الكافي»** بإسناده عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن وقال لي: يا عليُّ لا تقاتلنَّ أحداً حتّى تدعوه وأيم الله لأن يهدى الله على يديك رجلاً خير لك ممّا طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه يا عليُّ[1].

وقد مضى في شرح **«المختار»** الثاني من باب الكتب **(ص ٥٧ ج ١٧)** أنّه عليه السلام بينا يوصي أصحابه في الجمل بقوله: **(لا تبدؤوا القوم بالقتال ولا تقتلوا مدبراً)** ـ إلخ، إذ ظلّهم نبل القوم الناكثين فقتل رجل من أصحابه فلما رآه قتيلاً قال: اللّهمّ أشهد، ثمّ رمى رجل عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقتله فأتى به أخوه عبد الرحمٰن يحمله فقال عليّ عليه السلام: اللّهمَّ أشهد، وتواتر على عمّار بن ياسر الرّمي فقال: ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم إلاّ الحرب، إلخ.

وفي **«الكافي» (الباب الثامن من كتاب «الجهاد»)** بإسناده عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان إذا بعث أميراً له على سريّة أمره بتقوى الله عزَّ وجلَّ في خاصّة نفسه ثمَّ في أصحابه عامّة ثمّ يقول: اغز[2] بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تغدروا، ولا تغلّوا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا وليداً ولا متبتّلاً في شاهق، ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعاً لأنّكم لا تدرون لعلّكم تحتاجون إليه، ولا تعقروا من البهائم ممّا يؤكل لحمه إلاّ ما لا بدّ لكم من أكله وإذا لقيتم عدوًّا للمسلمين فادعوهم إلى إحدى ثلاث فإن هم أجابوكم إليها فاقبلوا منهم وكفّوا عنهم، وادعوهم إلى الإسلام فإن دخلوا فيه فاقبلوه منهم وكفّوا عنهم وادعوهم إلى الهجرة بعد الإسلام فإن فعلوا فاقبلوا منهم، وكفّوا عنهم، وإن أبوا أن يهاجروا واختاروا أديانهم وأبوا أن يدخلوا إلى دار الهجرة كانوا بمنزلة أعراب المؤمنين يجري عليهم ما يجري على أعراب المؤمنين، ولا يجري لهم في الفيء ولا في القسمة شيء إلاّ أن يهاجروا في

---

(١) الكافي: ٢٨/٥ ح ٤. وتهذيب الأحكام: ١٤١/٦ ح ٢٤٠.

(٢) في نسخة: اغزوا.

سبيل الله. فإن أبوا هاتين فادعوهم إلى إعطاء الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، فإن أعطوا الجزية فأقبل منهم وكفّ عنهم وإن أبوا فاستعن الله عزَّ وجلَّ عليهم وجاهدهم في الله حقّ جهاده. وإذا حاصرت أهل الحصن فأرادوك على أن ينزلوا على حكم الله عزَّ وجلَّ فلا تنزل لهم ولكن أنزلهم على حكمهم، ثمَّ اقض فيهم بعد ما شئتم فإنّكم إن تركتموهم على حكم الله لم تدروا تصيبوا حكم الله بهم أم لا. وإذا حاصرتم أهل حصن فإن أذنوك على أن تنزلهم على ذمّة الله وذمّة رسوله فلا تنزلهم ولكن أنزلهم على ذممكم وذم آبائكم وإخوانكم فإنّكم إن تخفروا ذممكم وذمم آبائكم وإخوانكم كان أيسر عليكم يوم القيامة من أن تخفروا ذمّة الله وذمّة رسوله[١].

فهذا هو رسول الله ﷺ يوصي سراياه وعساكره بتقوى الله، ودعوة الكفّار إلى الإسلام فأين هو ﷺ من أن يخوض في دماء الناس وقد طهّره الله من الرجس تطهيراً، وقال له عزَّ من قائل: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾.

وهو ﷺ قد تأدّب بآداب الله وفي الجامع الصغير نقلاً عن ابن عدي في **«الكامل»** عن ابن مسعود أنه ﷺ قال: أدّبني ربّي فأحسن تأديبي. ومن أدبه ﷺ أنه بعد ما لقى في دعوته من قومه ما لقي قال: اللّهمَّ اهد قومي فإنّهم لا يعلمون، وعلى رواية أُخرى: اللّهمَّ اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون[٢].

وفي كتاب **«الحرب من عيون الأخبار»** لابن قتيبة (ص ١٢٣ ج ١) أنَّ النبيّ ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتّى مالت الشمس ثمَّ قام في النّاس فقال: لا تتمنّوا لقاء العدوّ، واسألوا الله العافية[٣] ـ إلخ.

وقال ابن هشام في **«السيرة»**: إنَّ رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه: قفوا ثمَّ قال: اللّهم ربّ السماوات وما أظللن ـ إلى قوله: فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ـ إلخ، وقد نقلناه في شرح **«المختار»** الثاني من باب الكتب والرسائل **(ص ٥٠** ج ١٧).

فإيّاك أن تظنَّ أنَّ مثل حجج الله تعالى كمثل سلاطين الجور، والذين يريقون الدماء نيلاً إلى أغراض دنيويّة وهواجس نفسانيّة.

وهذا هو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يعظ عسكره أن يدعوا الله أين حقن دماءهم ودماء العدوّ، ويصلح ذات بينهما، ويهدي الأعداء من ضلالتهم.

---

(١) الكافي: ٥/ ٣٠، وثلاثيات الكليني: ٢٣٢.
(٢) الجامع الصغير: ١/ ٥١ ح ٣١٠.
(٣) مكاتيب الرسول: ١/ ٤٤٠ ح ١٢.

وكان عليه السلام ينهى جنوده عن أن يسبّوا ويشتموا الأعداء فأين هو عليه السلام والخوض في الدّماء، فقد روى نصر بن مزاحم المنقري في «**صفين**» (**ص ٥٥ من الطبع الناصري**) عن عمر بن سعد، عن عبد الرحمٰن، عن الحارث بن حصيرة، عن عبد الله بن شريك قال: خرج حجر بن عديّ وعمرو بن الحمق يظهران البراءة واللّعن من أهل الشام، فأرسل إليهما عليّ عليه السلام أن كفّا عمّا يبلغني عنكما. فأتياه، فقالا: يا أمير المؤمنين! ألسنا محقّين؟ قال: بلى، قالا فلِمَ منعتنا من شتمهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين، شتّامين، تشتمون، وتتبرّؤون. ولكن لو وصفتم مساوىء أعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا وكذا، ومن عملهم كذا وكذا كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان لعنكم إيّاهم وبراءتكم منهم: اللّهمّ احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتّى يعرِف الحقَّ منهم مَن جَهِلَه، ويرعوي عن الغيّ والعدوان مَنْ لهج به، كان هذا أحبّ إليَّ، وخيراً لكم، فقالا: يا أمير المؤمنين نقبل عظتك ونتأدّب بأدبك[١].

وقد مضى في شرح «**المختار**» الثاني من باب الكتب والرسائل أنه عليه السلام لمّا سار مع عسكره من المدينة إلى البصرة لقتال جند المرأة وأتباع البهيمة بلغ الموضع المعروف بالزاوية فنزلوا وصلّى عليه السلام أربع ركعات وعفّر خدّيه على التربة وقد خالط ذلك دموعه ثمّ رفع يديه يدعو: اللّهمّ رب السماوات وما أظلّت ـ إلى قوله: اللّهمّ احقن دماء المسلمين. (**ص ٥٠ ج ١٧**).

وهذا هو الإمام الحسن بن علي عليه السلام لم يرض أن يهرق في أمره محجمة دم كما علمنا من وصيته عليه السلام يوم حضرته الوفاة وقد تضافرت بنقلها الروايات.

وهذا هو الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام، لمّا رام مسلم بن عوسجة أن يرمي شمر بن ذي الجوشن حين سبّ الحسين عليه السلام بسهم منعه عن ذلك فقال له: لا ترمه فإنّي أكره أن أبدؤوهم[٢] رواه المفيد في «**الإرشاد**» (**ص ٢١٧ طبع طهران ١٣٧٧ هـ**).

وكذا روي في (**ص ٢١٠**) من «**الإرشاد**»: إنَّ الحرّ بن يزيد الرّياحي لمّا أخذهم بالنزول في مكان على غير ماء ولا قرية ـ ساق الكلام إلى أن قال: فقال زهير بن القين إنّي والله ما أراه يكون بعد الذي ترون إلاّ أشدَّ ممّا ترون يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله إنَّ قتال هؤلاء القوم الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم فلعمري ليأتينا بعدهم ما لا قِبَل لنا به فقال الحسين عليه السلام: ما كنت لأبدأهم بالقتال ثمّ نزل.

نعم إنَّ الخوض في دماء النّاس إنّما هو من شأن عبيد الدُّنيا وأسرة الهوى الذين اتّخذوا

---

(١) نهج البلاغة: ٢/ ١٨٦، ومستدرك الوسائل: ١٢/ ٣٠٧ ح ٢.

(٢) الإرشاد: ٢١٧.

دين الله دغلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً، أتباع الشقيّ الجبار الذي يعالن الناس قائلاً: والله إنّي ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتزكّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا، وإنّما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون.

وقد قدّمنا نبذة من الكلام في ذلك في شرحنا على «**المختار**» ٢٣٦ من باب الخطب (**ص ٢٢٧ و٢٥٢ و٣٠٠ ج ١٥**) فراجع.

قوله عليه السلام: «فإذا كانت الهزيمة بإذن الله» الهزيمة وإن كانت بحسب الظاهر على أيديهم ولكنّها ليست متحقّقة إلاّ بإذن الله تعالى وأمره ولمّا كان والله الأعظم عليه السلام موحّداً فانياً في الله لا يرى من نفسه أثراً في البين، ولا يرى في دار الوجود مؤثّراً إلاّ الله، لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، ولا يرى شيئاً إلاّ من عنده تعالى قال عزّ من قائل في قصّة طالوت وما جرى بينه وبين جالـوت: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩ ـ ٢٥١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨].

وقال تعالى مخاطباً لعيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠].

وقال حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقال عزّ من قائل مخاطباً لرسوله الخاتم: ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: ١].

وقال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

والإنسان له وجهة إلٰهيّة بها فاعليّته ووجهة نفسيّة بها ينسب الأفعال إلى نفسه، والمؤمن الموحّد السالك إلى الله قد يرتقي بالرياضات والمجاهدات إلى مرتبة لا يرى لنفسه فيها أثراً، ولا يرى مؤثراً إلاّ الله، وما يشاهد من دونه تعالى على ظاهر الأمر ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ [النور: ٣٩]. ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

از سبب سازيش من سودائيم   وز سبب سوزيش سوفسطائيم

درسبب سازيش سر گردان شدم / در سبب سوزيش هم حيران شدم
اين سببها بر نظر ها پرده هاست / كه نه هرديدار صنعش راسزا است
ديده اى بايد سبب سوراخ كن / تاحُجُب را بر كند از بيخ وبن
تا مسبّب بيند اندر لا مكان / هرزه بيند جهد وأسباب دكان
هرچه خواهد آن مسبّب آورد / قدرت مطلق سببها بر درد

قوله عليه السلام: «فلا تقتلوا مدبراً» نهى عليه السلام أصحابه عن أمور:

نهاهم عن أن يقتلوا المدبر عن القتال كما نهاهم عن أن يتبعوا مولياً، وأن يطلبوا مدبراً على ما رواه الكلينيّ في **«الجامع الكافي»**، والمسعوديّ في **«مروج الذهب»** كما مرّ ذكرهما آنفاً في **«بيان المصادر»**، وما يستفاد من ظواهر الأخبار وفتاوى العلماء في **«المقام»** أنّ هذه الجمل الثلاث تشير إلى معنى فارد وتفيد حكماً واحداً ولذا يوجد واحدة منها في نسخة دون الأُخريين إلاّ أنّ المسعوديّ جمع بين نسختي ولا تتبعوا مولياً، ولا تطلبوا مدبراً.

وما وجدنا في الجوامع الرواية من **«الكافي»** و**«التهذيب»** و**«الوسائل»** و**«البحار»** و**«الوافي»** مع طول الفحص وكثرة الطّلب رواية جامعة لها أو لاثنتين منها.

اللّهمّ إلاّ أن يفسّر قوله مولياً بمن عاد من البغي إلى طاعة الإمام وترك المباينة فإنّه يحرم قتله وقتاله حينئذ فلا تكرار في نسخة المسعوديّ على هذا الوجه ولكنّه كما ترى.

قوله: عليه السلام: «ولا تصيبوا معوراً» قد تفرَّد الرَّضيُّ رضوان الله عليه بنقله وما وجدناه مع كثرة التحرِّي في نسخة أُخرى عن غيره، إلاّ أنَّ ابن الأثير أتى به في **«النهاية»** كما مرّ آنفاً في اللّغة إن لم يكن النهج مأخذه. ولم يتعرَّض الفقهاء على هذا الحكم في أحكام أهل البغي الخارجين على الإمام.

ويمكن أن يفسّر على وجوه: أحدها: أنّه عليه السلام نهى أصحابه عن أن يقتلوا أو يجرحوا من أمكنتهم الفرصة في قتله وجرحه بعد هزيمة العدوّ وانكسارهم كما نصَّ عليه بقوله **(فإذا كانت الهزيمة بإذن الله)** - إلخ وقد بيّن في اللّغة أنّه يقال أعور لك الصيد وأعورك إذا أمكنك والإصابة كناية عن القتل أو الجرح وكأنَّ المعنى الثاني أعني الجرح أنسب بأسلوب الكلام.

ثانيها: أنّه عليه السلام نهاهم أن يقتلوا بعد انهزام العدوّ فارساً منهم أُصيب قبل الإنهزام بجراحة من قولهم أعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب فيه، وهذا الوجه يقرب من قوله: **(ولا تجهزوا على جريح)** معنى بخلاف الأوّل ففيه تكرار.

أمّا لو فسّرت الإصابة بالطّعن والجرح فلا تكرار فيه لأنَّ معنى العبارة حينئذ أنّه نهاهم

عن أن يطعنوا ويجرحوا بعد انهزام العدوّ من كان منهم جريحاً أي لا تصيبوا جريحاً بجراحة أخرى كما فسّره خواندمير بهذا الوجه في «**روضة الصفا**».

ثالثها: أنّه نهاهم عن أن يقتلوا أو يجرحوا بعده العدوّ الذي صار مضطرًّا حتّى أفضاه الإضطرار إلى أن يكشف عورته ويبدي سوءته وقاية لنفسه كما فعله عمرو بن العاص في «**صفين**» حين اعترضه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وقد أعرض عن قتله وتقدّمت الحكاية في شرح المختار ٢٣٦ (ص ٣١٨ ج ١٥).

رابعها: أن يكون المراد بالمعور المريب أي الذي يشك فيه هل هو محارب أم لا؟ أي لا تقتلوا إلاّ من علمتم أنّه محارب لكم.

لطيفة: في كتاب «**الحرب من عيون الأخبار**» لابن قتيبة (**ص ١٦٩ ج ١ طبع مصر**) قال المدائني: رأى عمرو بن العاص معاوية يوماً يضحك فقال له: ممّ تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنّك؟ قال: أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءتك يوم ابن أبي طالب، أما والله لقد وافقته منّاناً كريماً ولو شاء أن يقتلك لقتلك.

قال عمرو: يا أمير المؤمنين أما والله إنّي لَعَنْ يمينك حين دعاك إلى البرازِ فاحولّت عيناك ورباك سَحْرك وبدا منك ما أكره لك فمن نفسك فاضحك أو دَعْ[1].

قوله عليه السلام: «ولا تجهزوا على جريح» نهى عليه السلام جنوده أن يشدّوا بعد انهزام العدوّ على صريعهم ويسرعون إلى قتله أي نهاهم عن قتل المجروح.

وإنّما نهاهم عليه السلام عن أن يقتلوا مدبراً، أو يصيبوا معوراً، أو يجهزوا على الجرحى بعد أن هزموهم لأنّهم على ظاهر الأمر مسلمون، وكان القصد من قتالهم دفع شرّهم وتفريق كلمتهم، فإذا ولّوا منهزمين فقد حصل القصد.

واعلم أنَّ أهل البغي لا يقتل مدبرهم، ولا يصاب معورهم، ولا يجهز على جريحهم إذا لم يكن لهم فئة يرجعون إليها فإذا كان لهم فئة يرجعون ويلتجؤن إليها جاز اتباع مدبرهم والإجهاز على جريحهم وإصابة معورهم لأنّهم ربّما عادوا إلى الفئة واجتمعوا ورجعوا إلى قتال الإمام العادل وهو مذهبنا الإمامية وخالفنا فيه بعض العامّة.

دليلنا قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ الآية وهؤلاء الذين لهم فئة يرجعون إليها ما فاؤوا إلى أمر الله ولذا أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام نادى يوم الجمل أن لا يتبع

(١) الغدير: ٢/ ١٦٣.

مدبرهم ولا يقتل، ولا يجهز على جريحهم لأنَّ أهل الجمل قتل إمامهم ولم تكن لهم فئة يرجعون إليها وإنّما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا مخالفين ولا منابذين، وقتل أهل صفّين مقبلين ومدبرين وأجاز على جريحهم لأنَّ إمامهم كان من المنظرين، وكان لهم فئة يرجعون إليها ويلجئون إليها وأخبار الإماميّة بذلك عن أئمّتهم وردت متظافرة:

ففي البابا لعاشر من كتاب «**الجهاد**» من «**الجامع الكافي**» بإسناده عن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الطائفتين من المؤمنين إحداهما باغية والأخرى عادلة فهزمت العادلة الباغية؟ فقال: ليس لأهل العدل أن يتبعوا مدبراً، ولا يقتلوا أسيراً، ولا يجهزوا على جريح، وهذا إذا لم يبق من أهل البغي أحد ولم يكن لهم فئة يرجعون إليها فإذا كان لهم فئة يرجعون إليها، فإنَّ أسيرهم يقتل، ومدبرهم يتبع، وجريحهم يجهز.

وفي ذلك الباب منه: بإسناده عن عقبة بن بشير، عن عبد الله بن شريك، عن أبيه قال: لمّا هزم النّاس يوم الجمل قال أمير المؤمنين: لا تتّبعوا مولّياً ولا تجيزوا[1] على جريح ومن أغلق بابه فهو آمن[2].

فلمّا كان يوم صفّين قتل المقبل والمدبر وأجاز على جريح. فقال أبان بن تغلب لعبد بن شريك: هذه سيرتان مختلفتان، فقال: إنَّ أهل الجمل قتل طلحة والزبير، وإنَّ معاوية كان قائماً بعينه وكان قائدهم.

رواه المجلسيُّ في المجلّد الحادي والعشرون من «**البحار**» (**ص ٩٨ من الطبع الكمباني**) بسند آخر عن عقبة بن شريك نقلاً عن رجال الكشيّ.

وروى عليّ بن شعبة في «**تحف العقول**» عن الإمام العاشر أبي الحسن الثالث عليّ بن محمّد عليه السلام في باب أجوبته عليه السلام ليحيى بن أكثم عن مسائله (**ص ١١٦ من الطبع الحجري ١٣٠٣ هـ**): أنَّ يحيى بن أكثم قال له عليه السلام: أخبرني عن عليّ. لِمَ قتل أهل صفين وأمر بذلك مقبلين ومدبرين وأجاز على الجرحى، وكان حكمه يوم الجمل أنه لم يقتل مولّياً، ولا يجز على جريح؛ ولم يأمر بذلك وقال: من دخل داره فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، لِمَ فعل ذلك فإن كان الحكم الأوّل صواباً فالثاني خطأ؟

قال عليه السلام: وأمّا قولك: إنَّ عليّاً قتل أهل صفين مقبلين ومدبرين وأجاز على جريحهم، وإنّه يوم الجمل لم يتّبع مولّياً، ولم يجز على جريح، ومن ألقى سلاحه آمنه، ومن دخل داره

(١) في نسخة: لا تجهزوا خ ل.
(٢) الكافي: ٥/ ٣٣ ح ٥، وتهذيب الأحكام: ٦/ ١٥٦.

آمنه فإنَّ أهل الجمل قتل إمامهم، ولم تكن لهم فئة يرجعون إليها وإنّما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا مخالفين ولا منابذين رضوا بالكفّ عنهم فكان الحكم فيهم رفع السيف عنهم والكفّ عن أذاهم إذ لم يطلبوا عليه أعواناً. وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدّة وإمام يجمع لهم السلاحَ الدروعَ والرّماحَ والسيّوف، ويسنى لهم العطاء، ويهنىء لهم الأنزال، ويعود مريضهم، ويجبر كسيرهم، ويداوي جريحهم، ويحمل راجلهم، ويكسو حاسرَهم، ويردّهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم فلم يساو بين الفريقين في الحكم لما عرف من الحكم في قتال أهل التوحيد لكنّه شرح ذلك لهم فمن رغب عُرض على السيف أو يتوب من ذلك[1].

قوله عليه السلام: «ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم فإنّهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول» في نسخة «**الكافي**» وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم، وفي نسخة الطبري: ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وتناولن أُمراءكم وصلحاءكم، وفي روايتي «**الكافي**» و«**صفين**» لنصر فإنّهنّ ضعاف القوى والأنفس والعقول، وفي رواية الطبريّ: فإنهنّ ضعاف القوى والأنفس ولم يأت بالعقول. نهى عليه السلام عسكره أن يثيروا غضب نساء البغاة وشرورها ويحرّكوهنّ ويؤذوهنّ مطلقاً حتّى إنّهن إن شتمن أعراضهم وسببن أمراءهم وجب عليهم الإمساك عن ردّ السبّ إليهنّ والكفّ عنهنّ وعدم الاعتناء بشتمهنّ وسبّهنّ.

وعلّل النهي بقوله فإنّهنّ ضعيفات القوى والأنفس والعقول يعني لا يجوز إثارة من بلغن في الضعف هذه الغاية.

قال الشارح البحراني: قوله: (**لا تهيجوا النساء**) المراد بذلك أن لا تثيروا شرورهنّ بأذى وإن بلغن الغاية المذكورة من شتم الأعراض وسبّ الأُمراء وعلّل أولوية الكفّ عنهم «كذا والصواب الكف عنهنّ» بكونهنّ ضعيفات القوى أي ضعيفات القدر عن مقاومات الرجال وحربهم وسلاح الضعيف والعاجز لسانه، وبكونهنّ ضعيفات الأنفس أي لا صبر لنفوسهنّ على البلاء فيجتهدون في دفعه بما أمكن من سبّ وغيره، وبكونهنّ ضعيفات العقول أي لا قوّة لعقولهنّ أن ترى عدم الفائدة في السبّ والشتم وأنّه من رذائل الأخلاق وأنّه يسلتزم زيادة الشرور وإثارة الطباع التي يراد تسكينها وكفّها. انتهى.

أقول: إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أتى في كلامه هذا بحكمين: الأوّل أن لا يهيج قومه نساء أهل البغي ابتداء، والثاني أن يكفّوا عنهنّ إذا شتمنهم لمكان كلمة (**إن**) الوصلية في قوله:

---

(١) وسائل الشيعة: ١٥/ ٧٥ ح ٢٠٠١٤، وبحار الأنوار: ١/ ٣٩٠.

(وإن شتمن أعراضكم وسببن أُمراءكم) وأسلوب الكلام يدلّ على أنّ قوله **(فإنّهنّ ضعيفات القوى والأنفس والعقول)** دليل للنّهي أعني أنّه متعلّق بقوله ولا تهيجوا وما أتى به الشارح المذكور فإنّما هو بيان لسبب شتمهنّ وسبّهنّ، وفحوى الكلام يأبى عن ذلك.

قوله ﷷ: «إن كنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ وأنّهنّ لمشركات» وفي نسخة الطبري: ولقد كنّا وإنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ - إلخ، يعني أنّا كنّا في عصر رسول الله ﷺ مأمورين بالكفّ عنهنّ والحال أنهنّ كنّ مشركات فالكفّ عنهنّ وعدم التعرّض بهنّ والحال أنّهنّ مسلمات على ظاهر الأمر أولى.

فانظر أنّ الشارع كيف أدّب الرجال في رعاية حقوق النساء وعدم التعرّض بهنّ ولو كنّ مشركات ولعمري ما فرّط الشريعة المحمّديّة بيان حقّ اجتماعي أو نوعي غاية الأمر أنّ النّاس لتوغّلهم في الشهوات النفسانيّة ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون حتّى عموا وصموا وأعرضوا عن الصراط السّوي واتّبعوا الشيطان المردي المغوي واقتفوا آثار الذين سلكوا طريقة عمياء وتعوّدوا قبول كلّ ما سمعوا من أفواه أشباه الرجال وعبيد الدُّنيا من غير بصيرة وفكرة ودليل ونعم ما قاله الشيخ الرئيس ابن سينا: من تعوّد أن يصدق من غير دليل فقد انسلخ عن الفطرة الإنسانية.

وقد رأينا في عصرنا طائفة من منتحلي الإسلام، المتعصّبين غاية التعصّب، الجاهلين عن أحكام الشريعة الإسلاميّة حقيقةً قد تعرّضوا للنساء الكاشفات الرؤوس والوجوه وكانوا يحثون الأسيد (Acide) عليهنّ ويتركونهنّ في الشوارع والأسواق عراة حتّى بلغ عملهم المنكر العلماء ومنعوهم عنه.

وهؤلاء الجهّال ما تفقهوا في الدّين لكي يعلموا أنّ الشريعة الإسلاميّة لم تُجوّز التعرّض على أعراض النّاس وإن كنّ مشركات بل حرّم عليهم أن يقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتلك الرويّة النكراء والطويّة العوراء منها.

لست أقول إنّ فعلهنّ هذا صواب وسيرتهنّ السيّئة المشوهة القبيحة حسنة بل أقول إنّ المنكر لا يدفع بالمنكر وللإسلام في كلّ موضوع منطق صواب وحجّة بيضاء، ولا حاجة في دفع الفواحش وقمع المنكرات إلى فعل عارٍ عن حلية العقل، بعيد عن الحقّ، يستشبعه العقل السليم وتشمئزُ منه الطّباع.

قوله ﷷ: «وإن كان الرجل - إلخ» وفي نسخة الطبري: وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالهراوة أو الحديد بعد الأمر بالكفّ عنهنّ عقّبه بقوله هذا تأكيداً للأمر وتشديداً للكفّ، وتنبيهاً لهم على أنّ هذا العمل يورث أثرين قبيحين: أحدهما في حياة مرتكبه حيث

يعيّر ويلام به، والآخر بعد حياته حيث يعير عقبه به، فمن عرف قدره وأحبّ نفسه وأهله وعقبه لا يعمل ما يوجب شينه ولومه وتعبير عقبه من بعده وبالجملة جعل حال الرجل الذي كان يضرب المرأة في الجاهليّة بالحجر والعصا يورث له ولعقبه تعيير النّاس وملامتهم عبرة لهم، فنفّرهم عن ذلك العمل أشدّ تنفير.

على أنّه ﷺ نبّههم بهذا الكلام ضمناً على أنَّ المرء إذا ارتكب في الجاهلية هذا العمل يؤل أمره إلى كذا واجتنابكم عنه وأنتم المسلمون كان أولى، يعني أنَّ شناعة هذا الأمر بيّنة غاية الوضوح حتّى أنَّ الناس في الجاهليّة كانوا يلومون فاعله، فكيف أنتم لا تكفّون عن أذاهنّ وقد رزقتم الانتحال إلى الشريعة السامية المحمّديّة؟.

ثمَّ أنَّ في حقوق المرأة في الإسلام ووظائفها الإجتماعيّة والانفراديّة وسائر آدابها التي بيّنها الشارع تعالى مبحثاً نأتي به إن شاء الله تعالى في شرح وصيته ﷺ الآتية لابنه المجتبى عند قوله: (**إيّاك مشاورة النساء فإنَّ رأيهنَّ إلى أفن**) . إلخ[1].

(١) قد ذكرنا بعض شؤون النساء وحقوقهم وكيفية تعاملهم مع أبائهم وأزواجهم في كتابنا «فاطمة بنت محمد قدوة للنساء».

الترجمة

یکی از وصیّت های علی امیرالمؤمنین (عليه السلام) است که به سپاه خود در سرزمین صفین پیش از برخوردن به لشکر دشمن (معاویه و پیروانش) و درگرفتن جنگ بیان فرمود:

با ایشان کارزار نکنید تا آنان آغاز جنگ کنند، زیرا بحمدالله شما برحقّید و حجّت با شما است و واگذاشتن شما ایشان را تا آغاز جنگ از آنها بشود حجّتی دیگر مرشما را بر ایشان خواهد بود و چون به خواست خدا بر آنان پیروز شدید و شکستشان دادید آنکه را پشت کرده و روبه فرار گذاشته مکشید و آن که را از در اضطرار به کشف عورت خود پناهنده شد (یا بر آن که بعد از شکست دست یافته اید - یا آن کسی که معلوم نیست که دوست است یا دشمن - یا بر آن که جراحت دیده و زخمی شده) مکشید و زخم مرسانید و زخم خورده ای که در میان کشتگان می بینید بر کشتن او مشتابید و وی را نکشید و زنان را اگرچه عرض شما و بزرگان و پارسایان شما را دشنام دهند و یاوه گویند برمی انگیزانید و اذیت و آزارشان نکنید و به دشنام شان اعتناء نکنید، چه نیرو و جان و خردشان ضعیف است، همانا که ما در زمان پیمبر از پیمبر امر داشتیم که از آنها با این که مشرك بودند خودداری کنیم و دست بداریم (اکنون که به ظاهر مسلمانند) و اگر در زمان جاهلیت مردی زنی را به سنگ و چوب دستی می زد وی را سرزنش می کردند و پس از مرگش فرزندانش را نکوهش می کردند، (زمان جاهلیت که چنین بود، پس مسلمان باید حتماً از این کار ناروا دست بردارد).

وكان يقول عليه السلام إذا لقي العدو محارباً
هذا هو المختار الخامس عشر
من باب المختار من كتبه عليه السلام

أَللّهُمَّ إِلَيْكَ أَفضَتِ القُلُوبُ، وَمُدَّتِ الأَعْناقُ، وَشَخَصَتِ الأَبْصارُ وَنُقِلَتِ الأَقْدامُ، وَأُنْضِيَتِ الأَبْدانُ.

أَللّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ[1] الشَّنَآنِ، وَجاشَتْ مَراجِلُ الأَضْغانِ.

أَللّهُمَّ إِنّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنا، وَتَشَتُّتَ أَهْوائِنا.

رَبَّنا افْتَحْ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ[2].

مصادره وإسناده بطرق عديدة ومدارك
نقله بصور أخرى ممن كانوا قبل الرضي

رواه نصر بن مزاحم المنقري في «صفين» بإسناده عن عمرو بن شمر، عن جابر بن نمير الأنصاري (**ص ٢٥٦ من الطبع الناصري**) وفي نقله زيادة لم يأت بها الرضيُّ في «**النهج**» وقد نقلنا نسخة نصر كاملة في شرح «**المختار**» ٢٣٦ من باب الخطب (**ص ٣٢٦ ج ١٥**) فلا حاجة إلى نقلها ثانية.

ورواه الشيخ الأجلّ المفيد عن الواقدي في «**الجمل**» (**ص ١٦٥ من طبع النجف**) وقد نقلنا نسخته في شرح «**المختار الثاني**» من باب المختار من كتبه ورسائله (**ص ٥٥ ج ١٧**).

ورواه نصر بن مزاحم على وجوه أُخرى تقرب ممّا سبق ذكره في كتاب «**صفين**» أيضاً بطرق عديدة (**ص ١١٨ و١١٩ من الطبع الناصري**) وهي كما يلي:

عن نصر، عن قيس بن الربيع، عن عبد الواحد بن حسان العجليّ، عمّن حدَّثه، عن عليّ عليه السلام أنّه سُمِع يقول يوم صفين: اللّهمّ إليك رفعت الأبصار، وبسطت الأيدي، ودعت الألسن، وأفضت القلوب، وتُحُوكِمَ إليك في الأعمال، فاحكم بيننا وبينهم بالحقّ وأنت خير الفاتحين، اللّهمّ إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا، وقلّة عددنا، وكثرة عدوّنا وتشتّت أهوائنا، وشدَّة الزّمان، وظهور الفِتن، أعِنّا عليهم بفتح تعجّله، ونصر تعزّ به سلطان الحقّ وتظهره.

---

(١) في نسخة: مكتومُ.

(٢) نهج البلاغة: ٣/ ١٥ ح ١٥، ومستدرك الوسائل: ١١/ ١٠٨ ح ١٢٥٥١.

عن نصر، عن عمرو بن شمر، عن عمران، عن سويد قال: كان عليّ عليه السلام إذا أراد أن يسير إلى الحرب قعد على دابّته وقال: الحمد لله ربِّ العالمين على نعمه علينا وفضله العظيم، سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا منقلبون. ثمَّ يوجّه دابّته إلى القبلة ثمَّ يرفع يديه إلى السماء ثمَّ يقول: اللّهمَّ إليك نقلت الأقدام، وأفضت القلوب، ورفعت الأيدي، وشخصت الأبصار، نشكو إليك غيبة نبيّنا، وكثرة عدوّنا، وتشتّت أهوائنا، ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ، وأنت خير الفاتحين، سيروا على بركة الله، ثمَّ يُوردُ وَاللَّهِ من اتّبعه حياض الموت[1].

عن نصر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن تميم قال: كان عليّ إذا سار إلى القتال ذكر اسم الله حين يركب ثمَّ يقول: الحمد لله على نعمه علينا وفضله العظيم سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون، ثمَّ يستقبل القبلة ويرفع يديه إلى الله ثمَّ يقول: اللّهمَّ إليك نقلت الأقدام، واتعبت الأبدان، وأفضت القلوب، ورفعت الأيدي، وشخصت الأبصار، ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين، سيروا على بركة الله، ثمَّ يقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله والله أكبر يا الله يا أحد يا صمد يا ربّ محمّد بسم الله الرَّحمٰن الرحيم لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم إيّاك نعبد وإيّاك نستعين اللّهم كفّ عنّا بأس الظالمين، فكان هذا شعاره بصفّين رضي الله عنه.

أقول: ما نقلنا عن كتاب «**صفين**» لنصر منقول في «**البحار**» أيضاً **(ص ١٠١ ج ٢١، وص ٦٢٨ ج ٨ من الطبع الكمباني)**.

وقال السيّد عليّ بن طاووس قدّس سرّه في «**مهج الدعوات**» **(ص ١٣٨ طبع إيران ١٣٢٩هـ)** نقلاً عن كتاب «**صفين**» لعبد العزيز الجلودي الأزدي البصري المتوفّى سنة ٣٣٢ هـ: كان عليّ عليه السلام إذا سار إلى القتال ذكر اسم الله حين يركب ولما قعد على دابّته قال: سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون الحمد لله على نعمه علينا وفضله العظيم عندنا، ثمَّ استقبل القبلة ورفع يديه وقال: بسم الله الرحمٰن الرَّحيم لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم اللّهمَّ إيّاك نعبد وإيّاك نستعين يا الله يا رحمٰن يا رحيم يا أحد يا صمد يا إله محمّد إليك نقلت الأقدام وأفضت القلوب، وشخصت الأبصار، ومدّت الأعناق، وطلبت الحوائج، ورفعت الأيدي، اللّهمَّ افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين، ثمَّ قال: لا إله إلاّ الله والله أكبر، ثلاثاً[2].

---

(١) نهج السعادة: ٢/١٩٣ ح ٢، وميزان الحكمة: ١/ ٥٦٤ بتفاوت.

(٢) بحار الأنوار: ٩٠/٢٤١ بتفاوت.

اللغة

«أفضت» بسكون (**الفاء**) من الإفضاء، أفضى فلان إلى فلان: وصل إليه، وحقيقته أنه صار في فضائه أي في ساحته، وفي القرآن الكريم: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: ٢١]. قال الشيخ الجليل أبو عليّ في تفسير «**المجمع**»: الإفضاء إلى الشيء الوصول إليه بالملامسة وأصله من الفضاء وهو السعة.

وقال المرزوقيُّ في شرح «**الحماسة**» ٢٤٩ لعديل بن الفرخ العجليّ:

فأوصيكما يا ابنَيْ نزار فتابعا وصيّة مُفضي النُّصح والصِّدق والوُدّ

قوله: ـ مفضى النصح ـ أي واصلٍ نصحه إليكم، وصائرٍ في فضاءٍ وسعة والمعنى انكشافه وخلوصه، وفي القرآن: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾.

أفضى إلى فلان سرَّه، أو بسرّه: أعلمه به.

وقال في «**منتهى الأرب**»: الإفضاء راز را باكسى درميان آوردن.

وكلمة أفضت في نسخة خطية من «**النهج**»، وكذا في بعض روايات كتاب «**صفّين**» لنصر مشكولة بفتح (**الفاء**) وهي وهم والصواب ما بيناه.

«شخصت الأبصار» أي ارتفعت أجفانها ناظرة إلى عفوك ورحمتك وفي رواية من كتاب نصر: (**اللّهمَّ إليك رفعت الأبصار**) وفي رواية أُخرى: (**ورفعت الأيدي**) (**وشخصت الأبصار**)، كما تقدّمت وقد مرَّ البحث عن معنى كلمة شخص في شرح «**المختار الثالث**» من باب الكتب والرسائل (ص ١١١ ح ١٧).

«ونقلت الأقدام» بالنّون، وفي رواية من كتاب «صفين» (ص ٢٥٦ **من الطبع الناصري وقد ذكرناها في شرح «المختار» ٢٣٦ من باب الخطب ص ٣٢٦ ج ١٥**) ثقلت (**بالثاء**) المثلّثة ولكنها محرَّفة لأنّها لا تناسب أُسلوب العبارة في المقام على أنّها لا تفيد معنى صحيحاً، إلاّ أن يتكلف في تأويلها غاية التكلّف.

«أُنضيت الأبدان» أي هزلت، ناقص واوي، قال عارف الطّائي (**الحماسة ٦١٥**).

مَن مُبلغٌ عمرو بن هندٍ رسالةً إذا استحقبتها العيس تُنضى من البُعد

أي إذا حملتها الأبال العيس تهزل لبُعد المسافة.

وقال ابن الأثير في «**النهاية**»: في الحديث أنّ المؤمن ليُنضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره أي يهزله ويجعله نضواً، والنضو الدابّة التي أهزلتها الأسفار وأذهبت لحمها. ومنه حديث

عليّ عليه السلام **(كلمات لو ركبتم فيهنّ المطيّ لأنضيتموهنّ)**، وحديث ابن عبد العزيز انضيتم الظهر أي هزلتموه.

«قد صرّح مكنون الشنآن» قوله عليه السلام: **(اللّهمّ قد صرّح)** - إلى قوله: **(مراجل الأضغان)**، ليس بمذكور في النسخ الأربع التي رواها نصر في «**صفين**»، وكذا في النسخة التي رواها المفيد في «**الجمل**» عن الواقدي.

ثمّ إنّ كلمة **(صرّح)** في بعض النسخ مشكولة بضمّ **(الصّاد)** وكسر **(الرّاء)** المشدّدة وفي بعضها بفتح **(الصاد)** وضمّ **(الراء)** المخفّفة، وفي نسخة مخطوطة عندنا قوبلت بنسخة الرضي بفتح **(الصاد)** وفتح **(الرّاء)** المشدّدة وهذا هو الحق، يقال: صَرَّحَ الحقُّ عن محضه أي كشف عن خالصه، مثل في ظهور الأمر غبَّ استتاره، وفي «**صحاح**» الجوهريّ: وفي المثل صَرَّح الحقُّ عن محضه أي انكشف.

وفي «**أساس البلاغة**» للزمخشري: صَرَّحتِ الخمرةُ: ذهب عنها الزّبد وصَرَّح النّهار ذهب سحابُه وأضاءت شمسه، قال الطُرمّاح في صفة ذئب.

إذا امتلّ يعدو قلتَ ظلّ طَخاءة دَرَى الريحُ في أعقاب يوم مُصَرَّح

وفي «**الحماسة**»: قال شهل بن شيبان الزّماني (**الحماسة ٢**):

فلمّا صَرَّحَ الشرُّ فأمسى وَهْوَ عُريانُ
ولم يبقَ سِوَى العُدوا نِ دِنّاهُم كما دانُوا

وقال المرزوقيُّ في «**الشرح**»: يقال: صرّح الشيء إذا كشفَ عنه وأظهره، وصَرَّح هو إذا انكشف، ومثله بَيَّنَ الشيءَ وبَيَّنَ هو أي تبيّن، وفي المثل «قد بَيَّنَ الصُبحُ لذي عَيْنين» وفَعَّل بمعنى تفعّل واسِعٌ، يقال وَجَّه بمعنى توجَّه، وقَدَّمَ بمعنى تَقدّم، ونَبَّهَ بمعنى تنبّه، ونَكَّب بمعنى تَنَكَّب. انتهى ما أوردنا من نقل كلامه.

وقرىء في النسخة التي عورضت على نسخة الرضيّ مكنون ومكتوم معاً، ومعنى أحدهما قريب من الآخر أي المخفي والمستور والمغطّى ونظائرها يقال: كَنَّ الشيء من باب نصر إذا ستره في كِنّه وأخفاه وغطّاه، والكِنّ وقاء كلّ شيء وستره، وكتم الشيء من باب نصر أيضاً أخفاه والشنآن: العدواة والبغضاء.

«جاشت مراجل الأضغان» جاشت أي غلت، والمراجل القدور جمع المرجل بمعنى القِدْر اسم آلة على وزن مفعل، والأضعان: الأحقاد جمع الضغن.

قال ابن الأثير في «**النهاية**»: يقال: فتح الحاكم بين الخصمين إذا فصل بينهما، والفاتح الحاكم. وفي تفسيري المجمع وغرائب القرآن أنّ ابن عبّاس قال: ما كنت أدري ما الفتح حتّى

سمعت بنت سيف بن ذي يزن وقد جرى بيني وبينها كلام فقالت: انطلق أُفاتحك القاضي أي أُحاكمك إليه[1].

وفي المفردات للراغب: فتح القضيّة فِتاحاً فَصَلَ الأمر فيها وأزال الأغلاق عنها قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ ـ إلخ ومنه الفتّاح العليم، قال الشاعر: وإنّي من فَتاحَتِكم غنيٌّ. وقيل: الفُتاحة بالضمّ والفتح. انتهى.

وقد قال ﷺ في الخطبة التي خطب بها الناس ورواها الكلينيُّ في **«الكافي» (ص ١١ ج ١٤ من «الوافي»)**: (**اللّهمّ فاحكم بيننا بالحقّ وأنت خير الحاكمين**). وكذا في **«خبر دعائم الإسلام»** الآتي ذكره.

الإعراب

«إليك» ظرف لغو متعلّق بكلّ واحد من الأفعال الخمسة قدّم توسّعاً للظرف وجاز أن يكون لقوله (**أفضت**) مفعول محذوف والتقدير (**اللّهمّ إليك أفضت القلوب سرّها أو بسرّها**)، كما علم في «**بيان اللّغة**».

«مكنون» أو «مكتوم» مرفوع فاعل لقوله (**صرّح**) وقد دريت في بيان اللّغة أن فعّل بمعنى تفعّل واسع في لغة العرب، و«مراجل» فاعل لقوله (**جاشت**). «غيبة» منصوبة على المفعوليّة لقوله (**نشكو**). وكلّ واحد من كثرة (**وتشتّت**) منصوب معطوف عليها.

المعنى

قد تظافرت روايات في أنّهم ﷺ كثيراً مّا كانوا يدعون بأدعية إذا لقوا العدوّ محارباً، وكذا عند إرادة القتال كانوا يدعون بأدعية، كما كانوا يوصون عساكرهم بكلمات من تقوى الله، وإماتة الباطل، وإحياء معالم الدِّين والوفاء بالأمان، ودعوة الأعداء إلى الدِّين قبل الشروع بالقتال، وعدم الإبتداء بالقتال وتعاهد الصلاة والحفظ عليها، والخلوص في الجهاد، وعدم التعرض بالنساء، وحفظ أعراض الناس، وتعليم آداب الجهاد والترغيب فيه وغيرها ممّا لا بدّ للمجاهد في سبيل الله من مراعاتها والمحافظة عليها.

قال ابن قتيبة الدينوريّ في كتاب **«الحرب من عيون الأخبار» (ص ١٢٣ ج ١ طبع مصر)**: حدّثني محمّد بن عبيد قال: حدّثنا معاوية عن أبي إسحاق، عن أبي رجاء قال: كان

(١) مجمع البيان: ٤/ ٣٠٥.

النبيُّ ﷺ يقول: إذا اشتدّت حلقة البلاء وكانت الضيقة: «تضيّقي تفرّجي» ثمَّ يرفع يديه فيقول: بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، اللّهمَّ إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، اللّهمَّ كفّ عنّا بأس الذين كفروا إنّك أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً، فما يخفض يديه المباركتين حتّى ينزل الله النصر(١).

قال: وحدَّثني محمّد بن عبيد، عن معاوية، عن أبي إسحاق، عن موسى بن عقبة، عن سالم أبي نصر مولى عمرو بن عبيد الله وكان كاتباً له قال: كتب عبد الله بن أبي أوفى حين خرج إلى الحروريّة أنَّ النبيّ ﷺ في بعض أيّامه التي لقي فيها العدوّ انتظر حتّى مالت الشمس ثمَّ قام في النّاس فقال: لا تتمنّوا لقاء العدوّ واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاثبتوا واصبروا واعلموا أنَّ الجنّة تحت ظلال السيوف ثمَّ قال: اللّهمَّ منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم(٢).

قال: وقال أبو النضر: وبلغنا أنّه دعا في مثل ذلك فقال: اللّهمَّ أنت ربّنا وربّهم وهم عبيدك ونحن عبيدك ونواصينا ونواصيهم بيدك فاهزمهم وانصرنا عليهم.

وقال ابن هشام في «**السيرة**»: إنَّ رسول الله ﷺ لمّا اشرف على خيبر قال لأصحابه: قفوا ثمَّ قال: اللّهمَّ ربَّ السماوات وما أظللن - إلى آخر ما نقلنا عنه في شرح «**المختار الثاني**» من باب كتبه عليه السلام (**ص ٥٠ ج ١٧**) قال ابن هشام: وكان ﷺ يقولها لكلّ قرية دخلها.

وقال المسعودي في «**مروج الذهب**» (**ص ٨ ج ٢ طبع مصر**) إنَّ عليّاً عليه السلام لمّا خرج مع عسكره من مدينة الرسول إلى البصرة فساروا حتّى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية صلّى أربع ركعات وعفّر خدّيه على التربة وقد خالط ذلك دموعه ثمَّ رفع يديه يدعو: اللّهمَّ ربَّ السماوات وما أظلّت إلى آخر ما نقلنا عنه في (**ص ٥٠ ج ١٧**) أيضاً، وقد بيّنا هناك أنَّ كلامه هذا ليس بمذكور في «**النهج**» بما ذكرناه هناك فراجع.

وفي الباب التاسع عشر من كتاب «**الجهاد**» من الجامع الكافي للكلينيّ قدّس سرّه عدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمّد، عن ابن القدّاح، عن أبيه الميمون، عن **أبي عبد الله** عليه السلام أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا أراد القتال قال هذه الدعوات: اللّهمَّ إنّك أعلمت سبيلاً من سبيلك جعلت فيه رضاك، وندبت إليه أولياءك، وجعلته أشرف سبيلك عندك ثواباً، وأكرمها لديك مآباً، وأحبّها إليك مسلكاً، ثمَّ اشتريت فيه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليك حقّاً؛ فاجعلني ممّن

---

(١) المجتنى من دعاء المجتبى: ٤٩، والبحار: ٨٣/ ٢٢ ح ٢٢.

(٢) مكاتيب الرسول: ١/ ٤٤٠ ح ١٢، وتفسير ابن كثير: ٢/ ٣٢٨.

اشترى فيه منك نفسه ثمَّ وفى لك ببيعه الذي بايعك عليه غير ناكث ولا ناقض عهداً ولا مبدّلاً تبديلاً بل استيجاباً لمحبّتك وتقرّباً به إليك فاجعله خاتمة عملي وصيّر فيه فناء عمري وارزقني فيه لك به مشهداً توجب لي به منك الرضا، وتحطّ به عنّي الخطايا، وتجعلني في الأحياءِ المرزوقين بأيدي العداة والعصاة تحت لواء الحقّ وراية الهدى ماضياً على نصرتهم قدماً غير مولٍّ دبراً، ولا محدثٍ شكّاً، اللّهمَّ وأعوذ بك عند ذلك من الجبن عند موارد الأهوال، ومن الضعف عند مساورة الأبطال، ومن الذنب المحبط للأعمال فأحجم من شكّ أو أمضى بغير يقين فيكون سعيي في تباب وعملي غير مقبول(١).

أقول: وكلامه هذا أيضاً ليس بمذكور في «**النهج**».

وفي الباب السادس والأربعين من كتاب «**الجهاد**» من مستدرك الوسائل: صاحب الدعائم في شرح الأخبار عن جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه قال: لمّا توافق النّاس يوم الجمل خرج عليّ عليه السلام حتّى وقف بين الصفّين ثمَّ رفع يده نحو السماء ثمَّ قال: يا خير من أفضت إليه القلوب، ودُعي بالألسن، يا حسن البلاء، يا جزيل العطاء أحكم بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الحاكمين(٢).

وفي كتاب «**صفّين**» لنصر (**ص ١١٨ من الطبع الناصري**): الأبيض بن الأغرّ عن سعد بن طريف، عن الأصبغ قال: ما كان عليّ في قتال قطّ إلاّ نادى يا ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾.

ثمَّ قال نصر: فحدَّثني مالك بن أعين، عن زيد بن وهب أنَّ عليّاً خرج إليهم فاستقبلوه فقال: (**اللّهم ربّ السقف المحفوظ المكفوف**) - إلى آخر ما نقلناه عن أبي جعفر الطبري في شرح «**المختار**» ٢٣٦ من باب الخطب (**ص ٢٥٥ ج ١٥**) وأتى به الرضيُّ في «**النهج**» وهو المختار ١٦٩ من باب الخطب وبين النسخ الثلاث اختلاف في الجملة.

وفي مهج الدَّعوات لسيّد بن طاووس (**ص ١٣٦ طبع إيران ١٣٢٩ هـ**) أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام دعا في يوم الجمل - ويروى أنّه دعا بهذا الدُّعاء يوم الجمل قبل الواقعة: اللّهمَّ إنّي أحمدك وأنت للحمد أهل على حسن صنعك إليَّ وتعطّفك عليَّ وعلى ما وصلتني به من نورك وتداركتني به من رحمتك وأسبغت عليَّ من نعمتك فقد اصطنعت عندي يا مولاي ما يحق لك به جهدي وشكري لحسن عفوك وبلائك القديم عندي، وتظاهر نعمائك عليَّ، وتتابع أياديك لديَّ، لم أبلغ إحراز حظّي ولا صلاح(٣) نفسي: ولكنّك يا مولايَ بدأتني أولاً

---

(١) الكافي: ٥/٤٦ ح ١، ونهج السعادة: ٦/٣١٣ ح ٨٩.

(٢) مستدرك الوسائل: ١١/١٠٨ ح ١٢٥٥٠، ونهج السعادة: ٦/٢٩٤ ح ٧٣.

(٣) في نسخة: إصلاح خ ل.

بإحسانك فهديتني لدينك، وعرَّفتني نفسك، ثبَّتني في أُموري كلّها بالكفاية، والصّنع لي، فصرفت عنّي جهد البلاء، ومنعت منّي محذور الأشياء[١] فلست أذكر منك إلاّ جميلاً، ولم أر منك إلاّ تفضيلاً.

يا إلهي كم من بلاء وجهد صرفته عنّي وأريتنيه في غيري، فكم[٢] من نعمة أقررت بها عيني، وكم من صنيعة شريفة لك عندي.

إلهي أنت الذي تجيب عند[٣] الإضطرار دعوتي، وأنت الذي تنفّس عند الغموم كربتي، وأنت الذي تأخذ لي من الأعداء بظلامتي، فما وجدتك ولا أجدك بعيداً منّي حين أُريدك، ولا منقبضاً عنّي حين أسألك، ولا مُعرِضاً عنّي حين أدعوك.

فأنت إلهي أجد صنيعك عندي محموداً، وحسن بلائك عندي موجوداً، وجميع أفعالك عندي جميلاً، يحمدك لساني وعقلي وجوارحي وجميع ما أقلّت الأرض منّي.

يا مولاي أسألك بنورك الذي اشتققته من عظمتك، وعظمتك التي اشتققتها من مشيئتك، وأسألك باسمك الذي علا أن تمنَّ عليَّ بواجب شكري نعمتك.

ربِّ ما أحرصني على ما زهّدتني فيه وحثثتني عليه إن لم تعنّي على دنياي بزهد وعلى آخرتي بتقواى هلكت.

ربِّ دعتني دواعي الدُّنيا من حرث النساء والبنين فأجبتها سريعاً، وركنت إليها طائعاً، ودعتني دواعي الآخرة من الزهد والإجتهاد فكبوت لها، ولم أُسارع إليها مسارعتي إلى الحطام الهامد، والهشيم البائد، والسّراب الذاهب عن قليل.

ربِّ خوّفتني وشوّقتني واحتجبت عليَّ فما خفتك حقّ خوفك وأخاف أن أكون قد تثبّطت عن السعي لك، وتهاونت بشيء من احتجابك[٤].

اللهمَّ فاجعل في هذه الدُّنيا سعيي لك وفي طاعتك، واملأ قلبي خوفك، وحوّل تثبيطي وتهاوني وتفريطي، وكلّما أخافه من نفسي فرقاً منك، وصبراً على طاعتك، وعملاً به يا ذا الجلال والإكرام، واجعل جُنّتي من الخطايا حصينة، وحسناتي مضاعفة فإنّك تضاعف لمن تشاء.

اللّهمَّ اجعل درجاتي في الجنان رفيعة، وأعوذ بك من رفيع المطعم والمشرب، وأعوذ بك من شرّ ما أعلم ومن شرّ ما لا أعلم، وأعوذ بك من الفواحش كلّها ما ظهر منها وما

(١) في نسخة: القضاء خ ل.
(٢) في نسخة: وكم.
(٣) في نسخة: في.
(٤) في نسخة: احتجاجك.

بطن، وأعوذ بك ربّي أن أشتري الجهل بالعلم كما اشترى غيري أو السفه بالحلم، أو الجزع بالصبر، أو الضلالة بالهدى، أو الكفر بالإيمان، يا ربّ مُنَّ عليّ بذلك فإنّك تتولّى[١] الصاحين ولا تضيع أجر المحسنين والحمد لله ربّ العالمين[٢].

أقول: وإنّما نقلنا الدُعاء بطوله لأنه من الأدعيّة العالية المضامين كما لا يخفى على المتأمّل ولم يأت به الرضيّ في «**النهج**»، وكم من أدعيّة له ﷺ وقد بلغت في الفصاحة والبلاغة درجة رفيعة ومرتبة منيعة غير مذكورة في النهج.

وفي الباب ٤٦ من كتاب «**الجهاد من مستدرك الوسائل**» نقلاً عن الجعفريات: أخبرنا عبد الله بن محمّد قال: أخبرنا محمّد بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن الحسين عن أبيه، عن عليّ بن أبي طالب ﷺ: إنَّ رسول الله ﷺ إذا لقي العدوّ عبّى الرجال وعبّى الخيل، وعبّى الإبل ثمَّ يقول: اللّهمَّ أنت عصمتي وناصري ومانعي اللّهمَّ بك أصول وبك أُقاتل[٣].

قال: وبهذا الإسناد عن عليّ بن أبي طالب ﷺ قال: لمّا كان يوم خيبر بارزت مرحباً، فقلت ما كان رسول الله ﷺ علّمني أن أقوله: اللّهمَّ انصرني ولا تنصر عليَّ، اللهمَّ اغلب لي ولا تغلب عليَّ، اللّهمَّ تولّني ولا تولّ عليَّ، اللّهمَّ اجعلني لك ذاكراً لك شاكراً لك راهباً لك منيباً مطيعاً أقتل أعداءك فقتلت مرحباً يومئذ وتركت سلبه وكنت أقتل ولا آخذ السلب.

قال: وبهذا الإسناد عن عليّ بن أبي طالب ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ دعا يوم الأحزاب: اللّهمَّ منزل الكتاب منشر السحاب واضع الميزان أهْزِمِ الأحزاب عنّا وذلّلهم، وفي نسخة: وزلزلهم[٤].

وقال المفيد رحمه الله في «**الإرشاد**»: **(ص ٢١٧ طبع طهران ١٣٧٧ هـ)** روي عن عليّ بن الحسين زين العابدين ﷺ أنّه قال لمّا أصبحت الخيل تقبل على الحسين ﷺ رفع يديه وقال: اللّهمَّ أنت ثقتي في كلّ كرب، وأنت رجائي في كلّ شدّة وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدّة، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد وتقلّ فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدوّ أنزلته بك وشكوته إليك رغبة منّي إليك عمّن سواك ففرّجته عنّي وكشفته فأنت وليّ كلّ نعمة وصاحب كلّ حسنة ومنتهى كلّ رغبة[٥].

---

(١) في نسخة: تولّى. (٢) مستدرك الوسائل: ١١/ ١١١، وبحار الأنوار: ٩١/ ٢٣٥.

(٣) دعائم الإسلام: ١/ ٣٧١، ومستدرك الوسائل: ١١/ ١٠٧ ح ١٢٥٤٨.

(٤) مستدرك الوسائل: ١١/ ١١٠.

(٥) الكافي: ٢/ ٥٧٩، وتهذيب الأحكام: ٣/ ٨٤.

وقد قال الشيخ قدّس سرّه إنّ أبا القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه قال: حدّثني الحسين بن محمد بن عامر، عن رجل، عن ابن أبي عمير، عن حفص البختري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان من دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله يوم الأحزاب: اللّهمّ أنت ثقتي في كلّ كرب وأنت رجائي في كلّ شدّة وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدّة كم من كرب يضعف عنه الفؤاد وتقلّ فيه الحيلة ويخذل عنه القريب ويشمت به العدوّ وتعنيني فيه الأمور أنزلته بك وشكوته إليك راغباً إليك فيه عمّن سواك ففرّجته شكوته فكفيتنيه فأنت وليُّ كلّ نعمة وصاحب كلّ حاجة ومنتهى كلّ رغبة لك الحمد كثيراً ولك المنّ فاضلاً[1]، انتهى. فكلام سيد الشهداء في كربلاء مقتبس من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عليه السلام تأسّى به صلى الله عليه وآله.

كما أنّ أبا عبد الله الصّادق عليه السلام كان يدعو بهذا الدّعاء متأسّياً بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وقد رواه السيد ابن طاووس رحمه الله في باب أدعية الصادق عليه السلام من **«مهج الدّعوات» (ص ٢٦٩)** ونظائر هذه الأدعيّة والأوراد والأذكار عن أئمّتنا الطّاهرين عليهم السلام إذا لقوا العدوّ كثيرة وما أتينا بها هٰهنا شرذمة وأنموزجة عن ما رويت عنهم عليهم السلام ونقل طائفة منها السيد ابن طاووس في **«مهج الدعوات»** وفي الجوامع الروائية كـ**«البحار»** وغيرها مذكورة بإسنادها وسلسلة رواتها صفحنا عن نقلها بأسرها لئلا يفضي إلى الإسهاب

ومن كان طالب الأمر السديد وسالك النهج الرشيد يجب له أن يدين الله بما أوضحه حماة الدّين ويعبده على سيرة حججه الهادين المهديّين الذين لا يرى في فعلهم غيّ ولا في منطقهم خطأ فإنّهم الحكماء المؤيّدون من عند الله والمؤدّبون بتأديبه تعالى لا يرون في جميع أحوالهم سواء في السرّاء والضرّاء والشدّة والرّخاء والعافية والبلاء إلاّ الله تعالى، ولا يرى منهم عمل إلاّ له تعالى، فطوبى لمن اقتفى أثرهم واقتدى بهديهم.

قوله عليه السلام: «إليك أفضت القلوب ـ إلخ» قد ذكرنا في أبحاثنا السالفة أنّ الجهاد عبادة وأنّه من أعظم العبادات بل أنّه أشرف الأعمال بعد الإسلام كما هو نصّ ما قاله الأمير عليه السلام **(باب ١٥ من كتاب «الجهاد» من «الكافي» ص ٣٣٧ من الطبع على الحجر)**. فلو كان مشوبة بالرياء لم يتقبّل الله وقال عزّ من قائل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

ثمّ عند إقبال الجهاد يمتحن الرجال ويميّز الخبيث من الطيّب فمن استعدّ له فقد انقاد المولى وذلّ له.

ولمّا كان بين النفس والبدن ارتباط تامّ، واتّصال كامل بحيث يتأثّر كلّ واحد منهما عن

---

(١) الكافي: ٢/ ٥٧٩، والأمالي: ٢٧٣ ح ٤.

الآخر كما قدّمنا البحث عنه في شرح «**المختار**» ٢٣٢ من باب الخطب (ص ٥٣ ج ١٥) وأنّ قوى البدن كلّها جنود للنفس فلا جرم ينقاد البدن للنفس ويحكي أحوالها الطارئه لها وإن كان سرّ الحكاية مستوراً عنّا فإنّا نعلم علماً يقيناً أنّ الإنسان إذا تحيّر في أمر أو خجل يطرق رأسه، وإذا أدرك حقيقة واطلع على مبهم معضل يحرّكه علواً وسفلاً، وإذا أدركه كمه يحرّكه يميناً وشمالاً، وإذا صدّق أمراً يؤميه إلى قدّامه وإذا أنكره يؤبيه إلى خلفه، وإذا خاف من شيء ينقبض البدن وتقف القوى عن أعمالها إن كان خوفاً شديداً، أو يدبر ويفرّ إن كان خفيفاً، وإذا غضب على غيره يتسدّل حاجباه وتنقبض ناصيته وتنبسط القوى وتبطش وتقوى على حدّ تخرج الحدقتان محمرّتين ويحمرّ البدن من جهة خروج الدّم إلى ظاهر البدن وقتئذ، وإذا تعجّب من أمر يخرج شفته السفلى ويرفع حاجبيه ويخرج حدقتيه، وإذا تعشق أمراً عرضت له حالة أُخرى وقد يستفاد من حركات اليدين والحاجبين والعينين والشفتين رموز وأُمور لا تحصى، وحالات البدن الحاكية أحوال طارئة للرّوح لا تكاد تمكن أن تحرّر وإذا تأملت في الأحوال المختلفة العارضة للمصلّي في صلاته تنكشف لك أسرار أُخرى فإنّه في تكبيرة الإحرام يرفع يديه إلى حذاء شحمتي أُذنه ويستقبل القبلة ببطون يديه وفي قنوته يرفع يديه على وجه آخر مع ذكر خاصّ وفي ركوعه يمدّ عنقه مع ذكر خاصّ ويفرّج بين أصابعه وجه آخر مع ذكر خاصّ وفي ركوعه يمدّ عنقه مع ذكر خاصّ ويفرّج بين أصابعه ويملأُ بها ركبتيه، وفي سجوده يضمّها ويجعل رأسه بين كفّيه وهكذا حالاته الأخرى في الصلاة لسنا الآن في مقام بيانها ونكتفي بذكر عدّة روايات رواها ثقة الإسلام الكلنيّ رحمه الله في «**الكافي**» ونقلها الفيض رحمه الله في باب الإشارات في الدُّعاء من «**الوافي**» (ص ٢٢٢ ج ٥).

روى الكلينيُّ قدّس سرّه بإسناده عن أبي إسحاق، عن أبي عبد الله ﷺ قال: الرغبة أن تستقبل ببطن كفّيك إلى السماء، والرهبة أن تجعل ظهر كفّيك إلى السماء وقوله: وتبتّل إليه تبتيلاً قال: الدُّعاء بإصبع واحدة تشير بها والتضرّع تشير باصبعيك وتحرّكهما، والابتهال رفع اليدين وتمدّهما وذلك عند الدّمعة ثمَّ ادع[١].

وروى عن مروك بيّاع اللؤلؤ عمّن ذكره، عن أبي عبد الله ﷺ قال: ذكر الرغبة وأبرز باطن راحتيه إلى السماء وهكذا الرهبة وجعل ظهر كفّيه إلى السماء وهكذا التضرّع وحرّك أصابعه يميناً وشمالاً وهكذا التبتّل ويرفع أصابعه مرّة ويضعها مرّة وهكذا الابتهال ومدَّ يديه (يده ـ خ ل) تلقاء وجهه إلى القبلة ولا يبتهل حتى تجري الدّمعة[٢].

---

(١) الكافي: ٢/ ٤٧٩ ح ١، وشرح أصول الكافي: ١٠/ ٢٥٠ ح ١.

(٢) الكافي: ٢/ ٤٨٠ ح ٣، وشرح أصول الكافي: ١٠/ ٢٥١ ح ٣.

وروى بإسناده عن العلاء، عن محمّد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: مرّ بي رجل وأنا أدعو في صلاتي بيساري فقال: يا أبا عبد الله بيمينك فقلت: يا عبد الله إنّ لله تعالى حقّاً على هذه كحقّه على هذه وقال: الرغبة تبسط يديك وتظهر باطنهما، والرهبة تبسط يديك تظهر ظهرهما، والتضرّع تحرّك السبابة اليمنى يميناً وشمالاً، والتبتّل تحرّك السبابة اليسرى ترفعها إلى السماء رسلاً وتضعها، والابتهال تبسط يدك وذراعك إلى السماء، والابتهال حين ترى أسباب البكاء[1].

وروى عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الدعاء ورفع اليدين فقال: على أربعة أوجه، أمّا التعوّذ فتستقبل القبلة بباطن كفّيك، وأمّا الدُّعاء في الرزق فتبسط كفّيك وتفضي باطنهما إلى السماء، وأمّا التبتل فإيماؤك باصبعك السبابة، وأمّا الابتهال فرفع يديك تجاوز بهما رأسك، ودعاء التضرّع أن تحرّك إصبعك السّبابة ممّا يلي وجهك وهو دعاء الخيفة.

وروى عن الخزّاز، عن محمّد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ قال: الاستكانة هي الخضوع والتضرُّع رفع اليدين والتضرُّع بهما[2].

وروى عن محمّد وزرارة قالا: قلنا لأبي عبد الله عليه السلام: كيف المسألة إلى الله تعالى؟ قال: تبسط كفّيك، قلنا: كيف الإستعاذة؟ قال: تفضي بكفّيك، والتبتّل الإيماء بالإصبع، والتضرّع تحريك الإصبع، والإبتهال أن تمدّ يديك جميعاً[3].

أقول: لمّا انجرّ كلامنا إلى هنا أقبلنا شهر رجب المرجّب من سنة ستّ وثمانين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة على هاجرها ألف تحيّة وصلاة وسلام، وقد خلت الشّهر تسع ليالٍ وهذه ليلة الثلاثاء العاشرة منه، وتذكّرت دعاء كلّ يوم من رجب المرجّب المأثور عن الصادق عليه السلام رواه المجلسيّ رحمه الله في المجلّد العشرين من «**البحار**» (**ص ٣٤٢ من الطبع الكمباني**) قال:

ومن الدَّعوات كلَّ يوم من رجب ما ذكره الطّرازي أيضاً فقال: دعاء علّمه أبو عبد الله عليه السلام محمّد السّجادَ وهو محمّد بن ذكوان يعرف بالسّجّاد قالوا: سجد وبكى في سجوده حتّى عمي. روى أبو الحسن عليّ بن محمّد البرسيّ رضي الله عنه قال: أخبرنا الحسين بن

---

(١) الكافي: ٢/ ٤٨٠ ح ٤، وشرح أصول الكافي: ١٠/ ٢٥٢ ح ٤.

(٢) الكافي: ٢/ ٤٨٠، ووسائل الشيعة: ٤/ ١١٠٠ ح ١٢.

(٣) وسائل الشيعة: ٧/ ٤٩ ح ٨٦٨٧.

أحمد بن شيبان قال: حدَّثنا حمزة بن القاسم العلويّ العبّاسي قال: حدَّثنا محمّد بن عبد الله بن عمران البرقي، عن محمّد بن عليّ الهمدانيّ، قال: أخبرني محمّد بن سنان، عن محمّد السجّاد في حديث طويل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلتُ فداك هذا رجب علّمني فيه دعاء ينفعني الله به، قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: اكتب: بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم وقل في كلّ يوم من رجب صباحاً ومساءً وفي أعقاب صلواتك في يومك وليلتك: «يا من أرجوه لكلّ خير، وآمن سخطه عند كلّ شرّ، يا من يُعطي الكثير بالقليل، يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنُّناً منه ورحمة أعطني بمسألتي إيّاك جميع خير الدُّنيا وجميع خير الآخرة، وأصرف عنّي بمسألتي إيّاك جميع شرَّ الدُّنيا وشرَّ الآخرة فإنّه غير منقوص ما أعطيت وزدني من فضلك يا كريم» قال: ثمَّ مدَّ أبو عبد الله عليه السلام يده اليسرى فقبض على لحيته ودعا بهذا الدُّعاء وهو يلوذ بسبّابته اليمنى ثمَّ قال بعد ذلك: «يا ذا الجلال والإكرام يا ذا المنّ والطَّول حرِّم شيبتي على النّار». وفي حديث آخر ثمَّ وضع يده على لحيته ولم يرفعها إلاّ وقد امتلى ظهر كفّه دموعاً. انتهى[1].

فإنَّ في قوله: وهو يلوذ بسبّابته اليمنى إشارة إلى التبتّل والتضرّع والإلتجاء بتحريكها ففي «**النهاية**» الأثيريّة يقال: لاذ به يلوذ إذا التجأ إليه وانضمّ واستغاث. وقال الطُريحي في «**المجمع**»: وقوله: وتلوذ بسبّابتك أي تتضرع بسبّابتك بتحريكها.

ثمَّ إنَّ الجهاد يستلزم المتاعب من نصب السفر، وحمل الأثقال وأوزار الحرب، وسهر اللّيالي لئلا يأتي العدوّ من مكان مخافةٍ أو أمن وغيرها ممّا يقبل للمجاهدين على أنحاء شتّى.

وهو عليه السلام أشار إلى الأوّل بقوله: (**إليك أفضت القلوب**) أي إنَّ هذه العبادة التي هي أشرف الأعمال خالصة لوجهك الكريم، أو أنها أفضت إليك بسرّها وإنّما تشكو بثّها وحزنها إليك ودخلت بفنائك وساحتك ولا تعبد غيرك ولا تعرف إلاّ إيّاك ولا تقرع إلاّ بابك، وقدم الظرف للحصر.

وإلى الثاني بقوله: (**ومدّت الأعناق وشخصت الأبصار**) لما دريت من أنَّ قوى البدن جنود للقلب وأنَّ البدن يحكي الحالات الطارئة عليه فإذا أخلصت القلوب وانقادت له وطارت ووصلت إليه تمدّ الأعناق تبعاً للقلوب اظهاراً للمذلّة والعبوديّة وترفع الأبصار إليها كذلك لا ترى غيرها ولا ترجو الرحمة والفيض إلاّ من عنده.

وإلى الثالث بقوله: (**ونقلت الأقدام وأنضيت الأبدان**) لأنَّ متاعب السفر مستلزم للكلال

---

(١) الكافي: ٢/ ٥٨٥، وإقبال الأعمال: ٣/ ٢١١.

والهزال، ولا يخفى لطائف كلامه عليه السلام حيث جمع بين الافضاء والانضاء، وكذا بين عدّة جوارح البدن.

قوله عليه السلام: «اللّهمّ قد صرّح مكنون الشنآن» بيّن عليه السلام في كلامه هذا أنَّ مقاتلوه كانوا يعاندونه ويبغضونه إلاّ أنّهم كانوا لا يظهرون العداوة والبغضاء لعدم استطاعتهم بالإظهار إمّا لوجود النبيّ عليه السلام وإمّا لفقدانهم أعواناً ولما ارتحل النبيُّ صلى الله عليه وآله أو وجدوا أعواناً أظهروهما وسيأتي قوله عليه السلام في «المختار» السادس عشر في معانديه: **(فوالذي فلق الحبّة وبريء النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر فلمّا وجدوا أعواناً عليه أظهروه)**.

وقد تظافرت الآثار على أنَّ شبل أسد الله أبا عبد الله الحسين عليه السلام لمّا احتجَّ في الطفّ على شذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب بما احتج إلى أن أنهى كلامه لهم بقوله: فبم تستحلّون دمي[1]؟ أجابوه بقولهم: بغضاً لأبيك.

وإنّما استكنّوا في صدورهم عداوة أمير المؤمنين عليه السلام لما رأوا منه في بدر وأُحد وغيرهما من المواطن وقد مضى في الكتاب العاشر قوله عليه السلام لمعاوية: **(فأنا أبو حسن قاتل جدّك وخالك وأخيك شدخاً يوم بدر)** - إلخ، وناهيك في ذلك عمل يزيد برأس ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إبرازاً للعداة المستجنّة في صدره حيث دعا بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين وجعل يتمثّل بأبيات عبد الله بن الزبعري وأضاف بعض أشعاره إليها فقال:

ليت أشياخي ببدرٍ شَهِدوا ... جَزَعَ الخزرج من وَقع الأسَلْ
لأهلّوا واستهلّوا فَرَحاً ... ثمّ قالوا يا يزيدُ لا تُشَلْ
فقتلنا الضّعفَ من أشرافهم ... وعَدَلنا ميلَ بدرٍ فاعتَدَل
لعبت هاشمُ بالملك فلا ... خبرٌ جاءَ ولا وحيٌ نزل
لستُ من خندف إنْ لم أنتقم ... من بني أحمدَ ما كان فعل

وقيل: إنّه قالها بعد وقعة الحرَّة بدليل قوله: جزع الخزرج فإنَّ المراد من الخزرج الأنصار كانوا في المدينة لأنَّ الأنصار كانوا من قبيلتي الأوس والخزرج وقد قتل الأنصار في وقعة الحرة، وأن الأبيات ليزيد نفسه قالها على وزن أبيات ابن الزّبَعْري، ولكنّه وهم، وقد قال المبرِّد في «الكامل» **(ص ٢٥٧ ج ٢ طبع مصر)**: قال ابن الزبعري في يوم أُحد: ليت أشياخي - إلخ. وكذا قال ابن هشام في «السيرة النبوية» **(ص ١٣٦ ج ٢ طبع مصر ١٣٧٥ هـ)** إنّ ابن الزبعري قال في يوم أُحد: ليت أشياخي - إلخ، وقد أتى بستّة عشر بيتاً قالها ابن

(١) الأمالي: ٢٢٣، وصحيفة الحسين: ٣٠٢.

الزبعري في ذلك اليوم ثمّ بعده نقل خمسة عشر بيتاً قالها حسّان بن ثابت الأنصاريّ ردًا على ابن الزبعري وقد استشهد بأحد من الأنصار اثنا عشر رجلاً كما قال ابن هشام في السيرة (**ص ١٢٢ ج ٢**) ولذا قال ابن الزبعريّ: جزع الخزرج.

بيان: قوله: وعدلنا ميل بدر فاعتدل، يعني أنّ أشياخهم الكافرين لمّا قتلوا في بدر بأيدي المسلمين صار قتلهم سبباً لاعوجاج أمرهم وشأنهم وما زال كان معوجّاً حتّى أنّ من بقي منهم قتلوا جماعة من المسلمين في أحد فاستقام أمرهم أي اعتدل الميل والإعوجاج.

وقال أبو عليّ القالي في **«الأمالي» (ص ١٤٢ ج ١ طبع مصر ١٣٤٤ هـ)**: قال يعقوب بن السِّكّيت: العرب تقول: لأقيمنّ مَيْلَك وجَنَفَك ودَرءَك وصغاك وصَدغَك وقَذَلك وضَلَعَك كلّه بمعنى واحد، يقال: ضَلَع فلان مع فلان أي ميله، وقال غيره: فأمّا الضِّلَع فَخِلْقة تكون في الإنسان، وقرأت على أبي بكر بن دريد لأبي كبير الهُذَليّ:

نضع السُّيُوف عَلى طوائفَ منهم فنقيمُ منهم ميلَ ما لم يُعْدَل

الطّوائف: النّواحي: الأيدي والأرجل والرُّؤوس، وقوله: **(ميل ما لم يعدل)**، قال: ميله فضله وزيادته، وإنّما يريد أنَّ هؤلاء القوم كانوا غَزَوْهم فقتلوهم فكأنَّ ذلك القتل ميلٌ على هؤلاء القوم، ثمّ إنَّ هؤلاء القوم المقتولين غَزَوْهم بعدُ فقتلوهم فكأنَّ قتلهم لهم قيامٌ[1] للميل، وهذا كقول ابن الزِّبَعْري:

* وأقَمْنا ميلَ بدر فاعْتَدَل *

يقولها في يوم أُحد، يقول: اعتدل ميلُ بدر إذ قتلنا مثلهم يوم أُحد. انتهى.

أقول: ما أفاد القالي يرجع بالدّقيق من النظر إلى المعنى الذي تبادر إليه ذهننا أوّلاً، ثمّ إنَّ البيت قد نقل هكذا:

قد قتلنا القَرْمَ من ساداتهم وقتلناه ببدر فاعتدل

ولكنَّ المصراع الثّاني محرّف، والصواب ما اخترناه وهو الذي أتى به ابن **هشام** في **«السيرة النبويّة»** والقالي في **«الأمالي»**.

قاله عليه السلام: «وجاشت مراجل أضغانهم» شبّه صدورهم بالقدور وبيّن أنّها أكنان الأضغان أي إنَّ مظروفها الأحقان الكامنة الواغرة فيها في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وقبل وجدان الأعوان وقد غلت الآن بما تيسّر لهم ممّا هي كالنّار الموقدة المغلية لها.

قوله عليه السلام: «اللّهم إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا وكثرة عدوّنا وتشتّت أهوائنا» لمّا كان القوم

---

(١) في نسخة: إقامةٌ.

لم يقدروا في زمن رسول الله ﷺ على إظهار الضغائن وإبراز السرائر وتشتّت الأهواء وبموته اصطلحوا على الشقاق والنفاق والمعاداة على كلمة الله العليا وحجّته على عباده وافتراق الكلمة شكى عليه السلام بلسانه ولسان تابعيه إليه تعالى غيبة نبيّه.

قوله عليه السلام: «ربّنا افتح ـ إلخ» ثمّ انقطع إلى الله تعالى والتجأ إليه واستغاث منه فسأله عن نفسه وعن أتباعه أن يحكم بينه وتابعيه وبين أعدائهم بالحقّ وإن كان عالماً بأنّ الله سيفعله إلاّ أنّه استفتح استنصارٌ من الله ورغبة منه إليه تعالى وإخباراً عن نفسه بأنه على الطريقة المثلى وعن أعدائه بأنّهم على العمياء وأنّهم فريق حقّ عليهم الضلالة.

ثمّ إنّه عليه السلام طلب من الله تعالى أن يفرق بينه وبين أعدائه ويبعدهم عنه ويفصل بينهما لما دريت من أنّ الفتح هو الفصل فإذا حكم بينهما بالفصل يميز الطيب من الخبيث والحقّ من الباطل وعند ذلك يفتضح الباطل ويحلّ إلى دار البوار فكأنّ هذا القول دعاء عليهم، والمراد أنّه عليه السلام دعا عليهم أن ينزل الله عليهم عذاباً يدلّ على كونهم مبطلين وعلى أنّه عليه السلام وقومه محقّين، ولم يصرّح في كلامه هذا أن أيّهما على الحقّ وأيّ فريق على الباطل بل أبهم في ذلك لأنّه أدلّ على المقصود وأشدّ في تبكيت الخصم وأوفق بأسلوب المحاورة.

وهذا الكلام اقتباس من القرآن العظيم حكاه الله تعالى عن نبيّه شعيب صلوات الله عليه مع قومه حيث قال عزّ من قائل: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: ٨٨، ٨٩].

ويُعجبني في «المقام» نقل خطبة من عبد الله بن عبّاس رحمه الله فإنّه أجاد بما أفاد ونطق بالحقّ وهدى إلى الرشاد والسداد وأوصى وصيّة مفضي النُّصح والصّدق والوداد نقلها نصر بن مزاحم في كتاب «صفّين» (ص ١٦٤ من الطبع الناصري) قال نصر: قال عمر: حدّثني خالد بن عبد الواحد الجزري قال: حدّثني من سمع عمرو بن العاص قبل الوقعة العظمى بصفّين وهو يحرّض أصحابه بصفّين فقام محنياً على قوس فقال ـ وبعدما نقل قول عمرو بن العاص قال: ثمّ قام عبد الله بن العبّاس خطيباً فقال: الحمد لله ربّ العالمين الذي دحى تحتنا سبعاً وسمك فوقنا سبعاً ثمّ خلق فيما بينهنّ خلقاً، وأنزل لهم فيها رزقاً، ثمّ جعل كلّ شيء يبلى ويفنى غير وجهه الحيّ القيّوم الذي يحيى ويبقى، ثمّ إنّ الله بعث أنبياء ورسلاً فجعلهم حججاً على عباده عذراً ونذراً، لا يطاع إلاّ بعلمه وإذنه يمنُّ بالطاعة على من يشاء من عباده ثمّ يثيب عليها، ويعصى فيعفو ويغفر بحلمه، لا يُقدَّر قدَره، ولا يبلغ شيء مكانه، أحصى كلّ شيء عدداً وأحاط بكلّ شيء علماً.

ثمَّ إنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمّداً عبده ورسوله صلّى الله عليه إمام الهدى والنبيّ المصطفى وقد ساقنا قدر الله إلى ما قد ترون حتّى كان فيما اضطرب من حبل هذه الأمّة وانتشر من أمرها أنَّ ابن آكلة الأكباد قد وجد من طغام أهل الشام أعواناً على عليّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله وصهره وأوّل ذكر صلى معه بدريّ، قد شهد مع رسول الله ﷺ كلّ مشاهده التي فيها الفضل ومعاوية وأبو سفيان مشركان يعبدان الأصنام.

واعلموا والله الذي ملك الملك وحده فبان به وكان أهله لقد قاتل عليٌّ بن أبي طالب مع رسول الله ﷺ وعليٌّ يقول: صدق الله ورسوله، ومعاوية وأبو سفيان يقولان: كذب الله ورسوله، فما معاوية في هذه بأبرّ ولا أتقى ولا أرشد ولا أصوب منه في تلكم، فعليكم بتقوى الله والجدّ والحزم والصبر، والله إنّكم لعلى الحقّ، وإنَّ القوم لعلى الباطل فلا يكوننَّ أولى بالجدّ في باطلهم منكم في حقكم.

أما والله إنّا لنعلم أنَّ الله سيعذّبهم بأيديكم أو بأيدي غيركم، اللّهمَّ ربّنا أعنّا ولا تخذلنا وانصرنا على عدوّنا ولا تخل عنّا وافتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أقول قولي وأستغفر الله لي ولكم[1].

(١) بحار الأنوار: ٣٢/ ٤٨٩ ح ٤٢١، وشرح النهج: ٥/ ٢٥٢.

الترجمة

اميرالمؤمنين (عليه السلام)با دشمن کارزارکننده روبرو می شد، می گفت: بارخدایا، دل های ما به سوی تو کوچ کرده و در کوی تو آرمیده است و گردن ها در بندگی تو کشیده شده و چشم ها به روی تو گشوده گشت و پاها به جانب تو رهسپار شده و بدنها در راه تو نزار گردیده است. بارخدایا، دشمنان ما دشمنی های دیرینه را آشکار کردند و سینه هایشان که آکنده از کینه بود چون دیگ به جوش آمد. بارخدایا، از نبودن پیغمبر خود و بسیاری دشمنان و پراکندگی و اختلاف اندیشه هایشان به تو شکایت آوریم (که قوم از نبودن پیغمبر میدان گرفتند و درپی اظهار دشمنی نهفته و ابراز کینه نهانی برآمدند).

مـهـر درخـشـنـده چـو پـنـهـان شـود شـب پـره بـازی گـر مـیـدان شـود

پروردگار ما، میان ما و این گروه به حق حکم به فرما (تا محق از مبطل برای همه آشکار شود) که تو بهترین حکم کنندگانی.

وكان يقول عليه الصلاة والسلام لاصحابه عند الحرب وهذا هو المختار السادس عشر من باب المختار من كتبه ورسائله عليه السلام

لا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُم فَرَّةٌ بَعْدَها كَرَّةٌ، وَلا جَوْلَةٌ بَعْدَها حَمْلَةٌ. وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَها. وَوَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصارِعَها. وَاذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ، والضَّرْبِ الطِّلَحْفِيِّ. وَأَمِيتُوا الأَصْواتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ. والذي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ما أَسْلَمُوا ولكِنِ اسْتَسْلَمُوا وَأَسَرُّوا الْكُفْرَ فَلَمّا وَجَدُوا أَعْواناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ[1].

المصدر

قوله هذا على النضد المذكور ما وجدناه فيما حضرني من الكتب والرسائل مع طول الفحص وكثرة الطلب إلاّ أنَّ المجلسي رحمه الله قد نقله في المجلّد الثامن من **«البحار»** (ص ٦٢٦ من الطبع الكمباني) وفي المجلّد الحادي والعشرين (ص ١٠٢ من ذلك الطبع) عن **«نهج البلاغة»** أيضاً ولم يذكر مأخذاً آخر.

وكذا نقله المحدّث النوري في كتاب **«الجهاد»** من المستدرك عن النهج بلا ذكر سند آخر وفيه نقل ـ ازمروا ـ بالزاي ولكنّه تصحيف من الناسخ (ص ٢٥٩ ج ٢) وكذلك في الموضع الثاني من **«البحار»**.

نعم قد وجد متفرقاً في أقواله الأُخرى المرويّة في الجوامع الروائية مما سنتلوها عليك، ولا بعد أن يكون هذا القول ملتقطاً منها لما قد نبّهناك عليه غير مرّة من أنَّ هذه عادة الرضيّ رضوان الله في النهج، فإنَّ غرضه كان التقاط الفصيح والبليغ من كلامه ولعلّه نقله عن مأخذ لم يحضرنا والله تعالى هو العالم، ولكنَّ المتدرّب في أساليب الكلام يعلم أنَّ قوله عليه السلام: «والذي فلق الحبّة ـ إلخ» خارج من أسلوب ما قبله وسيأتي رواية نصر في كتاب «صفين» المتضمّنة هذا القول ويعلم أنّه في رواية على حدة وبالجملة لو لم نقل أنَّ عبارات هذا المختار ملفقة من أحاديث شتّى فيكون ذيلها أعني والذي فلق إلى آخره التقط من رواية آت نقلها ولفّق إلى ما قبله فممّا لا ينبغي أن يرتاب فيه، فنقول:

قد رويت عنه عليه السلام في الجوامع الروائية والمجاميع التي دوّنها القدماء في أمور متنوّعة وعلوم متفنّنة، وكتب المغازي والملاحم والتواريخ والسّير روايات متظافرة ووصايا متكاثرة

(١) نهج البلاغة (محمد عبده): ٣/١٦، ونهج السعادة: ٨/٣٤٩ ح ٥٠.

بطرق عديدة وإسناد كثيرة في آداب الحرب ورسومها وهي سننٌ كليّة لن تجد لها بمضيّ اللّيالي والأيّام وانصرام الشهور والأعوام تبديلاً ولا تحويلاً، اللّهمّ إلاّ في آلات السلاح وأوزار الحرب ونذكر في «المقام» ما وجدناها في مظانٍّ مآخذها بالفحص والطّلب، وفيها توجد ما أتى بها الرضيُّ هٰهنا على أنّ مصادر طائفة ممّا في «**نهج البلاغة**» تعلم بنقلها طائفة من أقوالها التي حرّض بها الناس على الجهاد.

ففي الباب الخامس عشر من كتاب «**الجهاد**» من فروع الكافي لقدوة المحدّثين الكلينيّ قدّس سرّه (**ص ٤٣٩ من الرحلي المطبوع على الحجر**) وفي «**الوافي**» (**ص ٢٠ ج ٩**): وفي كلام له آخر - يعني أمير المؤمنين عليه السلام بقوله له -. وإذا لقيتم هؤلاء القوم غداً فلا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فإذا بدؤوكم فانهدوا إليهم، وعليكم السّكينة والوقار، وعضّوا على الأضراس فإنّه أنبأ للسيوف عن الهام، وغضّوا الأبصار، ومدّوا جباه الخيول ووجوه الرجال وأقلّوا الكلام فإنّه أطرد للفَشَل وأذهب بالوَهَل، ووطّنوا أنفسكم على المبارزة والمنازلة والمجاولة، واثبتوا واذكروا الله عزَّ وجلَّ كثيراً فإنَّ المانع للذِّمار عند نزول الحقائق أهل الحفاظ الذي يحُفُّون براياتهم، ويضربون حافّتيها وأمامها، وإذا حملتم فافعلوا فعل رجل واحدٍ، وعليكم بالتّحامي فإنَّ الحربَ سِجال، لا يَشُدُّون عليكم كرَّةً بعد فرَّةٍ، ولا حملةً بعد جَوْلةٍ، ومن ألقى إليكم السّلام فاقبلوا منه، فاستعينوا بالبصر، فإنَّ بعد الصبر النصر من الله عزّ وجلّ، إنَّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين(١).

أقول: روي قوله عليه السلام في هذه الرّواية بلفظ: «أقلّوا الكلام فإنّه أطرد للفشل» وروي في كلامه المقدّم ذكره من النهج بلفظ «أميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل».

وفي رواية أُخرى من «**الكافي**» أعني حديث مالك بن أعين الذي أتينا به في مصادر الوصيّة الرابعة عشرة من «**المختار**» من باب الكتب والرسائل بلفظ «أميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل».

وفي رواية نصر في «**صفين**» (**ص ١٠٦ من الطبع الناصري**) بصورة: «وغضوا الأبصار واخفضوا الأصوات وأقلّوا الكلام» وقد نقلنا روايته كاملة في شرح «**المختار**» ٢٣٦ من باب الخطب (**ج ١٥ ص ٢٢٢**) وتوافق رواية نصر رواية أبي جعفر الطبري في «**التاريخ**» (**ص ٧ ج ٤**) وقد مضى نقل روايته في شرح «**المختار**» ٢٣٦ من باب الخطب أيضاً (**ج ١٥ ص ٢٣٨**).

ثمّ إنّه عليه السلام على رواية «**الكافي**» نبّه أصحابه بقوله: «لا يشدّون عليكم كرَّةً بعد فرَّة، ولا حملة بعد جولة» على أنّ إدبار الخصم ربّما لا يكون عن هزيمة وذلك لأنّ الأعداء قد يولّون

---

(١) وسائل الشيعة: ١٥/٩٦ ح ٢٠٠٥٨، وبحار الأنوار: ٣٢/٥٦٤ ح ٤٦٩.

الأدبار عن الحرب خدعة لكي يغترّ المقاتلون المقابلون لهم بادبارهم عنها فيحسبون أنهم هزموا فيذهبون في آثارهم متفرّقين وبعدما سلكوا مسافة كذلك يرجع إليهم الأعداء بغتةً ويحملون عليهم حملة يد واحدة ورجل واحدٍ فيهزمونهم.

وعلى رواية النهج وصّى عليه السلام أصحابه كذلك بقوله: «لا تشتدَّنَّ عليكم فرّة بعدها كرّة، ولا جولة بعدها حملة» أي أنّكم إذا رأيتم المصلحة في الفرار لجذب العدوّ إلى حيث تتمكنوا منه فلا يشق عليكم ولا تستصعبوه فإنَّ الحرب خدعة.

أو يقال في تفسير هاتين الجملتين أنّه عليه السلام نبّه أصحابه في الأُولى على أن يواظبوا أنفسهم من الأعداء وإن فرّوا عن هزيمة واقعاً، وذلك لأنَّ الأعداء ربّما ينهزمون ثمَّ يكرّون على الفئة الغالبة لما رأو أنّهم خرجوا من مكامنهم وانتشروا في معسكرهم واطمأنّوا بالغلبة على فرارهم وخرجوا من أوزار الحرب واشتغلوا بأنفسهم وغيرها ممّا لا يحصى كثرة أحوالها وأطوارها.

وفي الثانية حرّضهم بأنّكم إذا اتّفقت لكم الهزيمة من العدوّ وفررتم فلا تستحيوا من الكرة عليهم ثانياً ولا تحسبوها عاراً فإن هذه الكرة تتدارك الغرة ويناسب هذا التفسير الثاني قوله المرويُّ في «**المستدرك**» عن فرات بن إبراهيم الآتي نقله: عاودوا الكرَّ واستحيوا الفرَّ.

وفي «**الإرشاد**» للمفيد رحمه الله (**ص ١٢١ طبع طهران ١٣٧٧ هـ**): ومن كلامه عليه السلام حين دخل البصرة وجمع أصحابه فحرّضهم على الجهاد فكان ممّا قال: عباد الله انهدوا إلى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم بقتالهم فإنّهم نكثوا بيعتي، وأخرجوا ابن حنيف عاملي بعد الضّرب المبرِّح، والعقوبة الشديدة، وقتلوا السّيابجة، ومثلوا حكيم بن جبلة العبدي، وقتلوا رجالاً صالحين، ثمَّ تتبّعوا منهم من نجى يأخذونهم في كلِّ حائط وتحت كلِّ رابية، ثمَّ يأتون بهم فيضربون رقابهم صبراً، ما لهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون؟ انهدوا إليهم وكونوا أشدّاء عليهم، والقوهم صابرين محتسبين تعلمون أنّكم منازلوهم ومقاتلوهم ولقد وطّنتم أنفسكم على الطّعن الدَّعسي، والضرب الطّلحفي، ومبارزة الأقران، وأيُّ امرىء منكم أحسَّ من نفسه رباطةَ جاشٍ عند اللّقاء ورأى من أحدٍ من إخوانه فشلاً فليذبَّ عن أخيه الذي فضل عليكم كما يذبُّ عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله[1].

أقول: إنّه عليه السلام قال في كلامه هذا: «ولقد وطّنتم أنفسكم على الطّعن الدعسي والضرب الطلحفي» وهو يشابه قوله المقدَّم «واذمروا أنفسكم على الطعن الدعسي والضرب الطّلخفي إلاّ أنَّ المفيد روى (**الطلحفي**) بالحاء المهملة، وقد روى قوله عليه السلام في «**الجمل**» (**ص ١٦٢**

(١) نهج البلاغة: ٢/٢ ح ١٢٣، وبحار الأنوار: ١٧١/٣٢.

من طبع النجف) ونسخة في «**الجمل**»: «وقد وطّنتم أنفسكم على الضرب والطعن» من غير ذكر كلمتي (**الدعسي والطلحفي**)، وقد مضى نقل نسخة الجمل هذه في شرح «**المختار**» الثاني من كتبه ورسائله (ص ٥٢ ج ١٧)[١].

وفي كتاب «**صفين**» لنصر (**ص ١٢٠ من الطبع الناصري**) عن عمر بن سعد، عن الرّحيم بن عبد الرّحمٰن، عن أبيه أنّ علياً أمير المؤمنين عليه السلام حرّض النّاس فقال: إنّ الله عزّ وجلّ قد دلّكم على تجارة تنجيكم من العذاب، وتشفى بكم على الخير: إيمان بالله ورسوله، وجهاد في سبيله، وجعل ثوابه مغفرة الذّنوب، ومساكن طيّبةٍ في جنات عدنٍ ورضوان من الله أكبر، فأخبَرَكُم بالذي يُحِبُّ فقال: إنَّ الله يُحبُّ الذين يقاتِلونَ في سبيله صفّاً كأنّهم بنيان مرصوص فسوُّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدِّموا الدّارعَ، وأخّروا الحاسِرَ، وعضُّوا على الأضراس فإنّه أطرد للفشل وأولى بالوقار، والتووا في أطراف الرِّماح فإنّه أمور للأسنّة ورايانكم فلا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلاّ في أيدي شجعانكم المانعي الذّمّار والصّبرُ عند نزول الحقائق، أهل الحفاظ الذين يحُفّون براياتِكم، ويكتنفونها يضربون خلفها وأمامها ولا تُضيّعوها، أجزاء كلّ امرىء منكم رحمكم اللّهِ قِرْنَه وواسى أخاه بنفسه، ولم يكل قِرْنَه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه فيكتسب بذلك لائمةً ويأتي به دناءة، وأنّى هذا وكيف يكون هكذا؟ هذا يقاتل اثنين، وهذا ممسك يَده قد خلّى قرنه إلى أخيه هارباً منه وقائماً ينظر إليه من يفعل هذا يمقته الله فلا تعرَّضوا لمقتِ الله فإنّما مَرَدُّكم إلى الله قال الله لقوم: قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتّعون إلاّ قليلاً، وأيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة، استعينوا بالصّدق والصبر فإنّه بعد الصبر ينزل النصر[٢].

وفيه أيضاً (**ص ١٣٠ من ذلك الطبع**): عن عمر، عن مالك بن أعين، عن زيد بن وهب أنّ علياً لمّا رأى ميمنته قد عادت إلى موقفها ومصافّها وكشف من بإزائها حتّى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزهم فأقبل حتّى انتهى إليهم فقال: إنّي قد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم، وتحوُزكم الجُفاة الطُغاة وأعراب أهل الشام، وأنتم لهها ميم العرب، والسّنام الأعظم، وعُمّار اللّيل بتلاوة القرآن وأهل دعوة الحقّ إذا ضلّ الخاطئون فلولا إقبالكم بعد إدباركم، وكرُكم بعد انحيازكم وجب عليكم ما وجب على المُوَلّي يوم الزّحف دُبُره، وكنتم فيما أرى من الهالكين، ولقد هوّن عليّ بعض وجدي، وشفى بعض حاج نفسي أنّي رأيتكم بآخرة حِزْتموهم كما حازوكم وأزلتموهم عن مصافّهم كما أزالوكم، تحوزونهم بالسيوف ليركب أولهم آخرهم كالإبل المطرودة إليهم فالآن فاصبروا، انزلت عليكم السكينة وثبّتكم الله

(١) مستدرك الوسائل: ١١/٨٦، والإرشاد: ١/٣٦٦.

(٢) مستدرك الوسائل: ١١/٧١ ح ١٢٤٥٥، وبحار الأنوار: ٩٧/٢٨ ح ٣٦.

باليقين، وليعلم المنهزم أنه مُسخِط لِرَبِّه، ومُوبِقٌ نَفْسَه، وفي الفرار مَوْجِدة الله عليه، الذلّ اللازم، وفساد العيش، وأنَّ الفارَّ لا يزيد الفرار في عمره، ولا يرضى ربّه فموت الرجل مُحقّاً قبل إتيان هذه الخصال خيرٌ من الرِّضا بالتلبُّس بها والإقرار عليها[1].

أقول: الرّواية الأُولى قد ذكر طائفة منها العلامة ابن خلدون في الفصل السابع والثلاثين من الباب الثالث من «**المقدمة**» وقال: انظر وصية عليّ ﷺ وتحريضه لأصحابه يوم صفين تجد كثيراً من علم الحرب ولم يكن أحد أبصر بها منه قال في كلام له: (**فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص**) - وفيه: (**واخفتوا الأصوات فإنّه أطرف للفشل وأولى بالوقار) (ص ٢٧٥ طبع مصر)**.

وقد رواها أبو جعفري الطّبري في «**تاريخه**» عن أبي مخنف (**ص ١١ ج ٤**) ولكن بين النسختين تفاوتاً في الجملة وأرى أنَّ نسخة نصر أصحّ وأمتن وقد مضى نقل نسخة الطبري في «**شرح المختار**» ٢٣٦ من باب الخطب (**ص ٢٥٧ ج ١٥**) وقد رواها المفيد في «**الإرشاد**» (**ص ١٢٧ طبع طهران ١٣٧٧ هـ**) وتخالف الأُوليين في الجملة، وهي رواية مالك بن أعين المروية في الباب الخامس عشر من «**جهاد الكافي**» (**ص ٣٣٨ من الطبع الرحلي المطبوع على الحجر ١٣١٥ هـ**) وقد أشرنا آنفاً إلى نقله في مصادر «**المختار**» الرابع عشر من باب الكتب إلاّ أنَّ بين روايتي الكافي ونصر اختلافاً كمّاً وكيفاً وقد أتى الكلينيّ قدّس سرّه بزيادة فيها لم يأت بها نصر في «**صفّين**» وهي من قوله: «ولا تمثّلوا بقتيل - إلى قوله: فيعيّر بها وعقبه من بعده».

والرّواية الثانية مرويّة في «**الكافي**» أيضاً بعد الرّواية الأُولى وإن كان يوجد بينهما اختلاف أيضاً: فعلى نسخة «**الكافي**»: قال ﷺ: إنّي رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاة الطّغاة وأعراب أهل الشام وأنتم لها ميم العرب والسّنام الأعظم وعُمّار اللّيل بتلاوة القرآن، ودعوة أهل الحق إذا ضلّ الخاطئون فلولا إقبالكم بعد إدباركم، وكرّكم بعد انحيازكم لوجب عليكم ما يجب على المُولّي يوم الزّحف دبره، وكنتم فيما أرى من الهالكين ولقد هوّن عليَّ بعض وجدي، وشفى بعض حاج صدري إذ رأيتكم حزتموهم كما حازوكم فأزلتموهم عن مصافّهم كما أزالوكم وأنتم تضربونهم بالسيوف حتّى ركب أوّلهم آخرهم كالإبل المطرودة إليهم الأنّ، فاصبروا نزلت عليكم السكينة، وثبّتكم الله باليقين، وليعلم المنهزم بأنّه مسخط ربّه، وموبق نفسه، إنَّ في الفرار موجدة الله[2] والذلّ اللازم، والعار الباقي، وأنّ الفارَّ لغير مزيد في عمره، ولا محجور بينه وبين يومه، ولا يرضى ربّه، ولموت الرّجل محقّاً قبل إتيان

---

(١) نهج البلاغة: ٢/١٦ ح ١٦، وبحار الأنوار: ٣٢/١٧١ ح ١٣١.

(٢) في نسخة: موجدة الله عليه.

هذه الخصال خير من الرِّضا بالتلبيس بها، والإقرار عليها[1].

قوله: إليهم الآن: فعلى نسخة «صفّين» **ظرف (والنون)** مخففة، وعلى نسخة «**الكافي**» من الأنين وهي مثقلة، والفرق بين سائر العبائر ظاهر.

ورواية نصر الثانية مذكورة في «**جهاد البحار**» أيضاً (**ص ٩٩ ج ٢١ من الطبع الكمباني**) قال: وقال: نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن مالك بن أعين، عن زيد بن وهب أنَّ علياً ـ إلخ، فأسقط عمر بن سعد في الطبع الناصري.

ثمَّ تجد رواية مالك بن أعين في «**الكافي**» والتي نقلناها عن «**الكافي**» أولاً مشتركتين في جملة من الألفاظ والجمل والعبارات، كما أنَّ نسختي نصر والكافي منقولتان عن مالك بن أعين إلاّ أنَّ الأولى منهما ذكرت أنَّ مالك بن أعين روى عن زيد بن وهب، والثانية اكتفت بذكر مالك.

وقد مضى كلامنا في «**شرح المختار**» ٢٣٦ من الخطب (**ص ٢٥٧ ج ١٥**) أنَّ نسخة تاريخ الطبري أعني الرواية الأُولى من كتاب «**صفّين**» لنصر مذكورة في «**النهج**» وهو المختار ١٢٢ من باب الخطب أوّله: (**فقدّموا الدارع وأخّروا الحاسر وعضّوا على الأضراس فإنّه أنبا للسيوف عن الهام**) ـ إلى آخره، ونزيدك هٰهنا بياناً فنقول: ذلك المختار المذكور ملتقط وملفق من عدّة روايات إحداها هي الرواية الأُولى من كتاب «**صفّين**» التي رواها ثقة الإسلام الكلينيّ في «**الكافي**»، وأبو جعفر الطبريّ في «**التاريخ**»، والشيخ الأجلّ المفيد في «**الإرشاد**» كما مرَّ آنفاً وهذه الرّواية التقطت وذكرت في صدر «**المختار**» ١٢٢ المذكور من أوّله إلى قوله عليه السلام: (**لا تسلموا من سيف الآخرة**).

والثانية هي الرِّواية الثانية من كتاب «**صفّين**» لنصر التي رواها الكلينيّ في «**الكافي**» أيضاً وهي قوله عليه السلام: (**إني رأيت جولتكم وانحيازكم**) ـ إلخ، وقد التقط منها قوله عليه السلام: «وأنتم لهاميم العرب ـ إلى قوله: لا محجوز بينه وبين يومه» المذكور في ذلك «**المختار**».

الثالثة ما رواها نصر في «**صفين**» أيضاً (**ص ٢٠٧ من الطبع الناصري**) قال: حدَّثني رجل عن مالك الجهني، عن زيد بن وهب أنَّ علياً عليه السلام مرَّ على جماعة من أهل الشام بصفّين فيهم الوليد بن عقبة وهم يشتمونه ويقصبونه فأخبروه بذلك فوقف في ناس من أصحابه فقال: انهدوا إليهم وعليكم السكينة وسيما الصّالحين ووقار الإسلام والله لأقرب قوم من الجهل بالله عزَّ وجلَّ قومٌ قائدهم ومؤدّبهم معاوية، وابن النّابغة، وأبو الأعور السُّلَمي، وابن أبي معيط شارب الخمر والمجلود حدًّا في الإسلام وهم أولى يقومون فيقصبونني ويشتمونني، وقبل

---

(١) الكافي: ٥/ ٤١، ووقعة صفين: ٢٥٦.

اليوم ما قاتلوني وشتموني وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام، فالحمد لله ولا إله إلاّ الله، وقديماً ما عاداني الفاسقون، إنَّ هذا لهو الخطب الجليل أنّ فسّاقاً كانوا عندنا غير مرضيّين، وعلى الإسلام وأهله متخوّفين حتّى خدعوا شطر هذه الأمّة فأشربوا قلوبهم حُبَّ الفتنة فاستمالوا أهواءهم بالإفك والبهتان، وقد نصبوا لنا الحرب، وجدّوا في إطفاء نور الله والله متمُّ نوره ولو كره الكافرون، اللّهمَّ فإنّهم قد ردّوا الحق فافضض جمعهم، وشتّت كلمتهم، أبسلهم بخطاياهم فإنّه لا يذلّ من واليت، ولا يعزّ من عاديت(١).

وقد أتى بذيلها المفيد قدّس سره في «**الإرشاد**» (**ص ١٢٦ طبع طهران ١٣٧٧ هـ**) ويوجد اختلاف يسير بينهما.

الرّابعة رواية رواها نصر في صفين أيضاً بعد الرّواية الثالثة عن نمير بن وعلة عن عامر الشعبي أنَّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام مرَّ بأهل راية فرآهم لا يزولون عن موقفهم فحرَّض النّاس على قتالهم وذكر أنّهم غسّان فقال: إنَّ هؤلاء القوم لن يزولوا عن موقفهم دون طعنٍ دراك يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام، وتسقط منه المعاصم والأكفّ حتّى تصدع جباههم، وتنثر حواجبهم، على الصّدور والأذقان، أين أهل الصبر وطُلاّب الخير؟ أين من يشري وجهه لله عزَّ وجلّ، فثابت إليه عصابة من المسلمين فدعا ابنه محمّداً فقال له: امش نحو هذه الرّاية مشياً رويداً على هنيأتك حتّى إذا أشرعت في صدورهم الرِّماح فامسك يدك حتّى يأتيك أمري ورأيي(٢).

وقد أتى بشطر من هذه الرواية الشيخ الأجل المفيد في «**الإرشاد**» (**ص ١٢٧ و١٢٨**) من الطبع المقدم ذكره.

وقد التقط من هاتين الروايتين قوله عليه السلام: «اللّهمَّ فإن ردّوا الحقَّ ـ إلى قوله: ويندر السواعد والأقدام» المذكور في ذلك المختار.

الخامسة رواية رواها نصر في «**صفين**» أيضاً (**ص ٢٨٣ من الطبع الناصري**) عن عمر بن سعد، عن إسحاق بن يزيد، عن الشعبيّ أنَّ عليّاً عليه السلام قال يوم صفّين حين أقرَّ النّاس بالصُّلح: إنَّ هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا إلى الحقِّ ولا ليجيبُوا إلى كلمة السّواء حتّى يُرْمَوا بالمناسر تتبعها العساكر، وحتّى يُرجَموا بالكتائب تقفوها الجلائب وحتّى يُجرَّ ببلادهم الخميسُ يتلوه الخميس حتّى يدعق الخيول في نواحي أرضهم وبأحناء مساربهم ومسارحهم، وحتّى تُشنَّ

(١) الإرشاد: ١/ ٢٦٤، وبحار الأنوار: ٣٢/ ٣٩١.

(٢) الإرشاد: ١/ ٣٦٧، وبحار الأنوار: ٣٢/ ٤٩٤ ح ٤٢٦.

عليهم الغارات من كلِّ فجّ، وحتّى تلقاهم قومٌ صُدُوقٌ صُبُرٌ لا يزيدهم من هلك من قتلاهم وموتاهم في سبيل الله إلاّ جدًّا في طاعة الله، وحِرْصاً على لقاءِ الله، ولقد كنّا مع رسول الله ﷺ نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً، ومُضيّاً على أمضّ الألم، وجدًّا على جهاد العدوّ، والإستقلال بمبارزة الأقران، ولقد كان الرَّجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيّهما سقى صاحبه كأس المنون فمَرَّةً لنا من عدوّنا، ومرَّةً لعدوّنا منّا، ولمّا رآنا الله صُبُراً صُدُقاً أنزل الله بعدوّنا الكَبْتَ، وأنزل علينا النَّصر، ولعمري لو كنّا نأتي مثل الذي أتيتم ما قام الدِّين ولا عزَّ الإسلام، أيم الله لتحلبنَّها دماً فاحفظوا ما أقول لكم[1] ـ يعني الخوارج. انتهى.

ورواها الشيخ الأجل المفيد في الإرشاد (**ص ١٢٨ طبع طهران ١٣٧٧ هـ**) وبين النسختين اختلاف يسير، وهي مروية في الكتاب المنسوب إلى سليم بن قيس الكوفي (**ص ١١٨ من طبع النجف**) وهي تخالف روايتي نصر والمفيد.

وقد التقط من هذه الرّواية قوله: «حتّى يرموا بالمناسر ـ إلى قوله: مساربهم ومسارحهم» المذكور في ذيل ذلك المختار من النهج، وإنّما بقي من ذلك المختار قوله عليه السلام: «الرائح إلى الله كالظمآن ـ إلى قوله: إلى ديارهم» فلم نجد مأخذه بعد ولعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً، والعارف بأساليب الكلام المتدرّب فيها يرى تلفيقه وانضمامه من أساليب شتّى وإن كانت كلّها ممّا أفاضها المرتضى روحي له الفداء، وقد مرَّ منّا الإشارة غير مرَّة إلى أنَّ غرض الرّضيّ في النهج كان التقاط الفصيح من كلامه وانتخاب بليغه، ويا ليت الرضيّ أتى في النهج بجميع الروايات المتقدّمة لأنّها فوق كلام البشر ودون كلام الخالق والكلّ فصيح بليغ.

وفي مستدرك الوسائل (**الباب ٣٢ من كتاب الجهاد ص ٢٥٨ ج ٢**) للمحدِّث النوري رحمه الله قال:

فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره عن إبراهيم بن بنان الخثعمي، عن جعفر بن محمّد بن يحيى بن شمس، عن عليّ بن أحمد بن الباهلي، عن ضرار بن الأزور أنَّ رجلاً من الخوارج سأل ابن عبّاس عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأعرض عنه ثمَّ سأله فقال: لقد كان والله عليّ أمير المؤمنين عليه السلام يشبه القمر الزّاهر، والأسد الخادر ـ إلى أن قال: وقد رأيته يوم صفّين وعليه عمامة بيضاء وكأنَّ عينيه سراجان وهو يتوقّف على شرذمة يحضّهم ويحثّهم إلى أن انتهى إليّ وأنا في كنف من المسلمين فقال عليه السلام: معاشر الناس استشعروا الخشية،

(١) نهج البلاغة: ١/١٠٥، وبحار الأنوار: ٢/٢٣٨.

وأميتوا الأصوات، وتجلببوا بالسكينة، واكملوا اللأمة، وقلقلوا السّيوف في الغمد قبل السلّة، والحظوا الشّزر، واطعنوا الخزَز، ونافجوا بالظُّبى، وصِلُوا السّيوف بالخُطا، والرِّماح بالنبال، فإنّكم بعين الله مع ابن عمّ نبيّكم، عاوِدوا الكرَّ، واستحيوا الفرَّ فإنّه عارٌ باقٍ في الأعقاب، ونار يوم الحساب، فطيبوا عن أنفسكم نفساً، واطووا عن الحياة كشحاً وامشوا إلى الموت مشياً ـ إلى أن قال: ألا فسوّوا بين الرُّكب، وعضّوا على النواجد. واضربوا القوابض[1] بالصوارم، واشرعوا الرِّماح بالجوانح شدّوا فإنّي شادّ ما هم (ماحم ـ خ) لا ينصرون[2]. الخبر.

وروي هذا الخبر أعني خبر فرات بن إبراهيم في تفسيره المجلسيُّ في الثامن من البحار (ص ٥١٨ من الطبع الكمباني) بتمامه.

وأتى به الرضيُّ في المختار الرابع والستين من باب الخطب من النهج أوله: **(معاشر المسلمين استشعروا الخشية وتجلببوا السكينة)** ـ إلخ.

وقد رواه المسعودي في مروج الذهب (ص ٢٠ ج ٢ **من طبع مصر ١٣٤٦ هـ**) وقد نقلنا نسخته في شرح المختار ٢٣٦ (ص ٢٥٤ ج ١٥). وأتى به الخواجه نصير الدّين الطوسي قدّس سرّه في الباب السابع والثلاثين من أخلاق محتشمي.

وقال الجاحظ في **«البيان والتبيين»** (ص ٢٨٥ ج ٢ **طبع مصر ١٣٨٠ هـ**): قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه **(يعني يوم صفين) (عضُّوا على النواجذ من الأضراس فإنه أنبَى للسيوف عن الهام)**، انتهى، ولم ينقل من كلامه عليه السلام أكثر من ذلك كما هو دأبه في ذلك الكتاب غالباً من التقاط بعض الجمل وترك الأُخرى.

ونقل ما أتى به الجاحظ ابن قتيبة الدينوري في كتاب الحرب من **«عيون الأخبار» (ص ١٣٣ ج ١ من طبع مصر)** وقال أيضاً (ص ١١٠ ج ١): ذكر ابن عبّاس عليّاً عليه السلام فقال: ما رأيت رئيساً يوزن به، لرأيتُه يوم صفّين وكأنَّ عينيه سراجاً سَليط وهو يحمّس أصحابه إلى أن انتهى إليَّ وأنا في كَنْفٍ فقال: معشر المسلمين استشعروا الخشية، وقلقلوا السُّيوف في أغمادها قبل السَّلّة، والحظوا الشَّزر، واطعنوا النَّبْر، ونافِحُوا بالظُّبا، وصلُوا السُّيوف بالخُطا والرِّماحَ بالنّبل وامشوا إلى الموت مشياً سُجُحاً، وعليكم بهذا السّواد الأعظم، والرَّواق المطنّب فاضربوا ثبجه فإنَّ الشيطان راكد في كسره، نافج خُصييه، مفترش ذراعيه، قد قدَّم للوثبة يداً، وأخَّرَ للنكوص رجلاً[3].

---

(١) في نسخة: للقوانص. (٢) مستدرك الوسائل: ١١/ ٨٤، وبحار الأنوار: ٣٢/ ٦٠٦.

(٣) بحار الأنوار: ٣٢/ ٦٠٦، ونهج السعادة: ٨/ ٣٥٢.

وروى الكلينيّ قدّس سرُّه في آخر الباب الخامس عشر من جهاد الكافي **(ص ٣٣٩ من الطبع على الحجر)** بإسناده عن حريز، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه لأصحابه: إذا لقيتم عدوّكم في الحرب فأقلّوا الكلام واذكروا الله عزَّ وجلَّ ولا تولّوهم الأدبار فتسخطوا الله تبارك وتعالى وتستوجبوا غضبه وإذا رأيتم من إخوانكم المجروح ومن قد نكل به أو من قد طمع عدوُّكم فيه فقوه بأنفسكم[١].

وروى أبو جعفر الطبريّ في **«التاريخ» (ص ٧ ج ٤)** ونصر في **«صفين» (ص ١٠٦)** بإسنادها إلى الحضرميّ قال: سمعت عليّاً عليه السلام عرض في الناس في ثلاثة مواطن في يوم الجمل ويوم صفّين ويوم نهروان فقال: **(عباد الله اتّقوا الله عزَّ وجلَّ وغضّوا الأبصار واخفضوا الأصوات وأقلّوا الكلام)** - إلى آخر ما مضى في شرح المختار ٢٣٦ من باب الخطب **(ص ٢٢٢ و٢٣٨ ج ١٥)**.

فمن هذه الروايات دريت أنّه عليه السلام كان يأمر أصحابه باخفاء الصوت تارةً بقوله: **(أميتوا الأصوات)**، وأُخرى بقوله: **(أميتوا الأصوات فإنه أطرف للفشل)** ومرّةً بأنه أطرد للفشل وأولى بالوقار، وأُخرى بقوله: **(وعنّوا الأصوات)**، وهو من التعنية أي الحبس والأسر، ودفعةً بقوله: **(فعمّوا الأصوات)** كما في نسخة أُخرى، وهو من التعمية بمعنى الإخفاء، وأُخرى بقوله: **(اخفضوا الأصوات)**، وفي نسخة: **(اخفتوا الأصوات)** كما علم من نقلها مصادر صدر هذا المختار الذي نحن بصدد الشرح عليه وإنّما بقي ذكر مأخذ قوله عليه السلام: «والذي فلق الحبّة» - إلخ فنقول:

رواه نصر بن مزاحم في كتاب **«صفين» (ص ١١٠ و١١١ من الطبع الناصري)** عن أبي عبد الرحمٰن المسعودي قال: حدّثني يونس بن الأرقم بن عوف، عن شيخ من بكر بن وائل قال: كنا مع عليّ عليه السلام بصفّين فرفع عمرو بن العاص شقّة قميصة سوداء في رأس رُمح. فقال ناس: هذا لواء عقده له رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يزالوا كذلك حتّى بلغ عليّاً، فقال عليٌّ: هل تدرون ما أمر هذا اللّواء؟ إنَّ عدوَّ الله عمرو بن العاص أخرج له رسول الله هذه الشقة فقال: من يأخذها بما فيها؟ فقال عمرو: وما فيها يا رسول الله؟ قال: فيها أن لا تقاتل به مسلماً، ولا تقربه من كافر، فأخذها فقد والله قربه من المشركين وقاتل به اليوم المسلمين، والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرُّوا الكفر فلمّا وجدوا أعواناً رجعوا إلى عداوتهم منّا إلاّ أنّهم لم يدعوا الصّلاة[٢].

---

(١) الخصال: ٦١٧، وسائل الشيعة: ١٥/ ٩٧ ح ٢٠٠٥٩.

(٢) شرح الأخبار: ٢/ ١٥٥ ح ٤٧٥، وبحار الأنوار: ٣٢/ ١٨٦.

أقول: وقد روي نحو كلامه هذا من أبي اليقظان وعمّار بن ياسر رحمة الله عليهما والظاهر أنّه اقتبس من كلام إمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وقد رواه نصر في صفّين، كما روى نحوه من ابنه محمّد ابن الحنفيّة رضوان الله عليه فدونك ما روي عنهما.

قال بعد نقل كلامه هذا: أخبرني عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت قال: لمّا كان قتال صفّين قال رجل لعمّار: يا أبا اليقظان ألم يقل رسول الله ﷺ: قاتلوا النّاس حتّى يسلموا فإذا أسلموا عصموا منّي دماءهم وأموالهم؟ قال: بلى، ولكن واللّهِ ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر حتّى وجدوا عليه أعواناً.

عن نصر عن قطرب بن خليفة، عن منذر الثّوري قال: قال عمّار بن ياسر: والله ما أسلم القوم ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر حتّى وجدوا عليه أعواناً.

عن نصر، عن عبد العزيز قال حبيب بن أبي ثابت قال: حدَّثني منذر العلوي قال: قال محمد بن الحنفيّة لما أتاهم الله من أعلى الوادي ومن أسفله وملأ الأودية كتائب: استسلموا حتّى وجدوا أعواناً.

اللغة

(اشتدّ عليه الأمر) أي شقّ عليه واستصعبه، يقال: اشتدّ عليه المرض أي زاد وعظم، وهو تفتعل من الشدّ.

(الفرّة): الفرار، فعلة للمرّة، والكرّة: الجوع، والحملة في الحرب.

«الجولة» مصدر، أي الدوران في الحرب يقال: جال القوم جولة إذا انكشفوا ثمّ كرّوا وقال عبد الشّارق بن عبد العزّى الجهني (**الحماسة ١٥٢**).

سمعنا دعوة عن ظهر غيب فجُلنا جولةً ثمّ ارعوينا

وقال الشارح المرزوقي: يقول: قرع أسماعنا في أثناء التهيُّؤ والتَّطالع دعوةٌ تأدّب من مكان غائب عن عيوننا فدُرنا دورة ثمّ رجعنا إلى أماكننا.

وفي منتهى الأرب جال في الحرب جولة بالفتح من باب نصر: گرد بر آمد.

«السّيوف» جمع السيف معروف، وهو مأخوذ من قولهم: ساف إذا هلك لأنه به يقع الهُلْك. قال القلقشندي في «**صبح الأعشى**» (**ص ١٣٩ ج ٢ طبع مصر**): السيف إن كان من حديد ذكر ـ وهو المعبّر عنه بالفولاذ ـ قيل: سيف فولاذ.

وإن كان من حديد أُنثى ـ وهو المعبر عنه في زماننا بالحديد ـ قيل: سيف أنيث، فإن

كان متنه من حديد أُنثى وحدّاه من حديد ذكر كما في سيوف الفِرِنْجَة قيل: سيف مذكّر، ويقال: إنَّ الصّاعقة إذا نزلت إلى الأرض وردّت[1] صارت حديداً، وربّما حفر عليها واخرجت فطبعت سيوفاً فتجيء في غاية الحسن والمضاء.

ثمَّ إن كان عريض الصّفيح قيل له: صفيحة، وإن كان محدقاً[2] لطيفاً قيل له: قضيب؛ فإن كان قصيراً قيل: أبتر؛ فإن كان قِصَره بحيث يحمل تحت الثياب ويشتمل عليه قيل: مِشْمَلٌ ـ بالكسر ـ.

فإن كان له حدّ واحد وجانبه الآخر جاف قيل فيه: صمصامه: ـ وبهذا كان يوصف سيف عمرو بن معدي كرب فارس العرب، فإن كان فيه حُزوز مستطيلة[3] قيل فيه: فقارات ـ بذلك سمّي سيف رسول الله ﷺ: ذا الفقار، يروى أنه كان فيه سبع عشرة فقارة.

ثمَّ تارة ينسب السّيف إلى الموضع الذي طبع فيه، فيقال فيما طبع بالهند: هِنديٌّ ومهنّدٌ، وفيما طبع باليمن: يَمانٍ، وفيما طبع بالمَشارف ـ وهي قرى من قرى العرب قريبة من ريف العراق ـ قيل له: مشرِفيّ؛ فإن كان من المعدن المسمّى بقُساس وهو معدن موصوف بجودة الحديد قيل له: قُساسي.

وتارة ينسب السيف إلى صاحبه كالسيف السُّرَيحي ـ نسبة إلى قين من قيون العرب اسمه: سُرَيح معروف عندهم بحسن الصنعة.

ويوصف السيف بالحُسام وهو القاطع أخذاً من الحسم وهو القطع، وبالصّارم وهو الذي لا ينبو عن الصريبة.

«وطّنوا» بالنّون كما في النسخة الخطيّة التي عندنا قوبلت على نسخة الرضيّ، وفي نسخة الجامع الكافي وغيرها ممّا تلوناها عليك، يقال: وطّن البلد توطينا أي اتّخذه محلاً ومسكناً يقيم به، ووطّن نفسه على الأمر وللأمر أي مهّدها لفعله وذلّلها وحملها عليه، قال سيّار بن قصير الطائي (**الحماسة ٣٠**).

لو شهدت أمُّ القُدَيد طِعاننا ... بمرعَشَ خيلَ الأرمنيِّ أرنَّتِ
عشيّةَ أرمي جمعهم بلَبانه ... ونفسي وقد وطّنتُها فاطمأنّت

وفي «**أساس البلاغة**» للزمخشري: وطّنت نفسي على كذا فتوطّنَتْ. قال:

---

(١) في نسخة: بردت.

(٢) في نسخة: مدقِقاً.

(٣) في نسخة: مطمئنة.

ولا خير فيمن لا يُوطِّن نَفْسَه ... على نائبات الدهر حين تنوبُ

وفي غير واحدة من النسخ المطبوعة والخطيّة كتبت: وطّئوا بالهمزة من التوطئة أي التمهيد يقال وطّأ الأمر إذا مهّده.

(والجنوب) جمع الجنب بالفتح فالسكون كفلس وفلوس يقال بالفارسية: پهلو وقال الراغب في المفرات: أصل الجنب الخارجة وجمعه جُنوب قال الله عزَّ وجلَّ «فتكوى بها جباههم وجنوبهم» وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ وقال عزّ وجلّ: ﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ ثمَّ يستعار في الناحية التي تليها كعادتهم في استعارة سائر الجوارح لذلك نحو اليمين والشمال كقول الشاعر: من عن يميني مرَّة وأمامي.

«المصارع» جمع المصرع، يقال: صرعه على الأرض صَرْعاً من باب منع أي طرحه عليها، والمصرع مكان الصرع، ومصارع القوم حيث قُتلوا.

«اذمروا» **(بالذّال)** المعجمة أُخت **(الدّال)** المهملة، ذمره على الأمر بالتخفيف من باب نصر، وبالتّشديد أيضاً حضّه مع لومٍ ليجدّ فيه يقال: القائد يَذْمُر أصحابه في الحرب أي يسمعهم المكروه ليشحذهم، ورأيتهمْ يتذامرون في الحرب، وأقبل يتذمّر أي يلوم نفسه على التفريط في فعله وهو ينشطها لئلا تفرط ثانية، وفلان يتذّمر ويرفع أذياله ويتشمّر، وهو ذِمْرٌ من الأذمار: شجاع، قاله في الأساس وذَمَرْتُه أذمُرُه ذَمْراً حَثَثْتُه، ذَمار اسم فعل للحضّ على الحرب وتذامَرَ القومُ أي حثَّ بعضهم بعضاً وذلك في الحرب.

«الدعسيّ» الدَّعْس بالفتح فالسكّون: الدفع في الأصل، ثمَّ يستعمل في الطّعن وشدة الوطأ والجماع، قاله المرزوقي في شرحه على الحماسة قال العبّاس بن مرداس **(الحماسة ١٥١)**:

إذا ما حملنا حَمْلةً نصبوا لنا ... صدور المذاكي والرِّماح الدَّواعسا

وقال قتادة بن مسلمة الحنفي **(الحماسة ٢٥٨)**:

وفي النقع ساهمة الوجوه عوابس ... وبهنّ من دَعْس الرِّماح كُلُوم

قال الجوهري في الصحّاح. الدَّعس بالفتح: الأثر، يقال: رأيت طريقاً دَعْساً أي كثير الآثار، والمدعاس الطريق الذي ليّنته المارّة والدّعس: الطعن وقد يكنّى به عن الجماع، ودعستُ الوعاء: حشوتُه، والمدعس: الرُّمح يدعس به، ويقال: المداعس الصمّ من الرّمح، انتهى ما أردنا من نقل كلامه، يقال: بينهم مداعسة أي مطاعنة بالرماح، وفي القاموس: الدَّعس كالمنع: حشو الوعاء.

وبما ذكرنا علمت أنَّ الطّعن بمعنى الضرب بالرِّماح فإنَّ الدعسي صفة للطعن والدعس

والدواعس والمدعس والمداعس قد استعملت في فصيح الكلام للرّماح فقط، وقد قال الأشتر في أبياتٍ آتٍ نقلها:

فاصبروا للطّعان بالأسَل السُّمْـ ـرِ وضَربٍ يجري به الأمثال

والأسل بالتحريك في الأصل نبات دقيق الأغصان تتّخذ منه الغرابيل ويقال للرّماح الأسل على التشبيه والمُستدقّ اللّسان والذّراع الأسَلة.

«الطّلخفيّ» بكسر **(الطاء)** وفتح **(اللام)** وسكون **(الخاء)** المعجمة، قال الجوهريُّ في مادة **(ط خ ف)** من الصّحاح: ضَربٌ طِلَخفٌ بزيادة **(اللام)** مثال جِبَجر أي شديد، وقال الصّفي پورى في منتهى الأرب: ضرب طلخف كهزبر زدگى سخت، لام زائد است.

وجاءت الطلحفي في غير واحدة من النسخ **(بالحاء)** المهملة ولكن نسختنا التي قوبلت على نسخة الرضيّ مضبوطة بالمعجمة والمهملة كالمعجمة معنى يقال: ضربته ضرباً طِلْحيفاً وطِلَحَفاً وطِلْحفاً وطَلَحفى وطِلحفى وطِلحافاً أي شديداً، وقالوا إنَّ **(اللاّم)** في المهملة أصليّة، وقال في القاموس بعد ضروب اللّغات في الطلحفي المهملة: **(واللام)** أصليّة لذكرهم الطّلحفي في باب فعلّى مع حَبرَكى ووهم الجوهري.

أقول: زيادة **(اللام)** أوّل الكلمة وحشوها قليلة جدًّا وأمّا في الآخر فقد ثبت في الأعلام كزيدل وعبدل في زيد وعبد ولكن عدم زيادتها أوّلاً وحشواً، فممّا لم يثبت بل لها نظير والجوهريّ ذهب إلى أنّ **(اللام)** في الطّلخفي المعجمة زائدة ولم يأت بالمهملة في الصحاح وذكر الصفي پوري المعجمة في مادّة **(ط خ ف)** وصرّح بأنَّ **(اللاّم)** زائدة والمهملة في **(ط ل ح ف)** وبين بأنّها أصلية، فإسناد الوهم إلى الجوهري وهم.

ثمَّ إنَّ المعجمة في المعاجم التي عندنا مضبوطة على الوجه المقدّم ذكره إلاّ في أقرب الموارد فإنّه قال في طلخف **(بالخاء)** المعجمة: ضرب طلخيف **(بالخاء)**: **(كالحاء)** في لغاته.

«إماتة الصوت»: إخفاؤه.

«الطّرد»: الإبعاد، تقول طَردته فاطّرد أي أبعدته فابتعد.

«الفشل» بالتحريك: ضعفٌ مع جبن مصدر من فشل الرجل من باب علم إذا جبن وضعف وتراخى عند حرب أو شدّة. قال الفيوميّ في مصباح المنير: فشل فشلاً فهو فشِلٌ عن باب تعب وهو الجبان الضعيف القلب.

تقول: دعي إلى القتال ففشل أي جبن، قوّته فهو فَشِل وفشيل وفشْل وقال الطّرمّاح مستهزءاً برجلٍ:

فقُد بزمام بظر أُمك واحتفر بأير أبيك الفشل كرّات عاسم

وهو من أبيات الحماسة (٦٢٨) وقد يروى في البيت الفسل أيضاً.

وعزم على كذا ثمّ فشل عنه أي نكل عنه ولم يمضه.

وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠]. ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ [الأنفال: ٤٣]. ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٣].

«فلق»: شق، وقال ابن الأثير في النهاية: فيه ـ يعني في الحديث «من أعتق نسمة أو فكّ رقبة» النسمة: النفس والروح أي من أعتق ذا روح، وكلّ دابّة فيها روح فهي نسمة وإنّما يريد النّاس ومنه حديث عليّ عليه السلام **(والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة)** أي خلق ذات الروح وكثيراً ما كان يقولها إذا اجتهد في يمينه، انتهى.

الإعراب

(النون) المثقلة من **(تشتدنّ)** نون تأكيد، **(عليكم)** ظرف لغو متعلّق بالفعل، **(فرّة)** فاعل الفعل، «بعدها كرّة» خبر ومبتدأ قدّم الخبر توسعاً للظروف والجملة صفة **(للفرّة)**، **(ولا جوله بعدها حملة)** عطف على **(فرّة بعدها كرّة)** والكلام فيها كالأولى، ومفعول **(وطّنوا)** محذوف إن أخذ التوطين بمعنى التمهيد على وجه ستعرفه أي وطّنوا أنفسكم، أو أن حرف التعريف في الجنوب بدل من المضاف إليه كما سيعلم وجهه في المعنى، **(على الطّعن)** ظرف لغو متعلّق بقوله: **(اذمروا)**، **(وياء)** الدعسي للنسبة. وقال بعض المتأخرين في تعاليقه على النهج: **(الدّعسيّ)** اسم من الدّعس أي الطّعن الشّديد فإن عني أن كلمة **(الدّعسيّ)** إحدى اللّغات في الدعس غير أنّها اسم للدّعس لا تساعده المعاجم والكتب الأدبيّة، **(والدعسي)** على أيّ نحو كان صفة **(للطعن)**، وكذلك **(الطلخفي)** صفة **(للضرب)** فإن كانت **(بالخاء)** المعجمة **(فالياء)** مشدّدة للنسبة، وإن كانت **(بالحاء)** المهملة في مقصورة إحدى اللّغات الخمس فيها، والضمير في أنه راجع إلى المصدر أعني الإماتة المستفاد من قوله: **(أميتوا)** كقوله تعالى: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، ولا بأس بتذكير الضمير لمكان المصدر، وكلمة **(أطرد)** للتفضيل والمفضّل منه محذوف بقرينة المقام أي أن أماتة الأصوات أطرد للفشل من إعلانها، «والذي» كلمة **(الواو)** للقسم متعلّقه محذوفاً وجوباً فإنّها لا تدخل إلاّ على مظهر ولا تتعلّق إلاّ بمحذوف. **(فلق الحبّة)** صلة للّذي **(وبرأ النسمة)** عظف عليها. «ما اسلموا» جواب للقسم، وكلمة **(ما)**

نافية. (لمّا علم) للظّرف وهو لوقوع الشيء لوقوع غيره والشيء الأوّل في المقام اظهارهم الكفر، والثاني وجود الأعوان عليه.

المعنى

قوله عليه السلام: «لا تشتدَّنَّ عليكم فرَّة بعدها كرَّة ولا جولة بعدها حملة» قد علمت آنفاً أنّه عليه السلام قد كان ينبّه أصحابه على أن لا يغترّوا بفرار الأعداء من المعارك فإنَّ الفرار قد يكون عن حيلة وخدعة فيولّون الأدبار لكي يفرجوا الذين يقاتلونهم ويغرُّوهم ويُغْروهم باتّباعهم آثارهم مهرعين ويخرجوهم من مكامنهم ظنّاً منهم بأنّهم انهزموا وما كان فرارهم عن هزيمة، وبعدما أفرجوهم برهةً من الزّمان يعطفون ويقبلون عليهم ويحملونهم حملة رجل واحد فيهزمونهم، كما كان هذا لتنبيه هو المرويُّ عن الكافي حيث أيقظ عليه السلام أصحابه بقوله: «لا يشدّون عليكم كرّةً بعد فرّة، ولا حملة بعد جولة».

وهٰهنا أرشدهم إلى أنَّ الحرب خدعة، وفرٌّ وكرٌّ فإن علموا أنَّ مقتضى الحال في القتال يوجب أن يولّوهم الأدبار ويخيّلوهم ويروهم بأنّهم منهزمون حتّى إذا أمكنتهم الفرصة من الحملة عليهم كرُّوا عليهم دفعة واحدة فلا يحسبوهُ عارًا ولا يستحيوا منه، ولا يستصعب عليهم هذا النحو من الفرار الظاهري الموجب للظفر على الخصم وإنما الذي ينبغي أن يستصعب ويشق على المجاهد ويستحيي منه هو أن تكون فرّة من غير كرّة، بل لا يجوز الفرار إذا كان العدوُّ على الضِّعف أو أقلّ.

وقد مضى قول ثامن الأئمّة عليّ بن موسى الرِّضا عليه السلام في شرح المختار ٢٣٥ من باب الخطب (ص ١٧٨ ج ١٥) في الفرار عن الزحف حيث قال عليه السلام: وحرّم الله الفرار من الزَّحف لما فيه من الوهن في الدِّين، والاستخفاف بالرُّسل صلوات الله وسلامه عليهم والأئمّة العادلة عليهم السلام، وترك نصرتهم على الأعداء والعقوبة لهم على انكار ما دعوا إليه من الإقرار بالربوبيّة، واظهار العدل، وترك الجور، وإماتة الفساد لما في ذلك من جرأة العدوّ على المسلمين وما يكون في ذلك من السَّبي والقتل وإبطال حق الله تعالى وغيره من الفساد[1]. وكذا في المقام غيره من النصوص المستفاضة المستفاد منها أنَّ الفرار من الزّحف من جملة الكبائر.

وبما قدّمنا علم وجه كون عبارة النهج بعكس ما في الكافي ففي الكافي كانت الكرَّة مقدّمة على الفرَّة والحملة على الجولة وهٰهنا كانت الكرَّة متأخرة من الفرَّة، والحملة من

(١) من لا يحضره الفقيه: ٥٦٦/٢، وبحار الأنوار: ٩٨/٦.

الجولة، وهناك أيقظهم بقوله: (لا يشدُّون عليكم)، وههنا وصّاهم بقوله: (لا تشتدّنّ عليكم).

واعلم أنَّ قوله ﷺ: «لا تشتدّنّ عليكم فرّة بعدها كرّة» قول في تفسير قوله تعالى إلاّ متحرّفاً لقتالٍ في الأنفال حيث قال عزَّ من قائل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٦﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

والزَّحف الجيش الدَّهم الذي يرى لكثرته كأنّه يزحف أي يدبُّ دبيباً، والزَّحف أيضاً الدنوّ قليلاً قليلاً كما قال الأزهريُّ: أصل الزَّحف هو أن يزحف الصّبيُّ على إسته قبل أن يقوم، شبّه بزحف الصبي مشي الطائفتين تتمشّى كلّ فئة مشياً رويداً إلى الفئة الأُخرى تتدانى للضراب، (وزحفاً) منصوب في موضع الحال للكفّار.

وفي تفسير المجمع: التحرُّف: الزّوال عن جهة الاستواء إلى جهة الحرف فالمعنى ـ والله تعالى أعلم ـ إذا لقيتم الكفّار للقتال والحال أنّهم كثير جمّ وأنتم قليلا فلا تولّوهم الأدبار أي لا تجعلوا ظهوركم إليهم أي لا تفرّوا منهم فضلاً عن أن تدانوهم في العدد أو تساووهم، ومن يولّهم يومئذ أي وقتئذ سواء كان نهارٌ أو ليلاً فقد استحقَّ واحتمل غضب الله ومأواه جهنّم وبئس المصير فالآية تدلّ على أنَّ الفرار من الزَّحف من كبائر المعاصي[1].

وفي الكافي بإسناده عن عقيل الخزاعي: أنَّ أمير المؤمنين ﷺ قال: إنَّ الرُّعب والخوف من جهاد المستحقّ للجهاد والمتوازرين على الضّلال، ضلال في الدِّين وسلب للدُّنيا مع الذلّ والصغار، وفيه استيجاب النّار بالفرار من الزَّحف عند حضرة القتال يقول الله عزَّ وجل[2]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝١٥﴾.

واستثنى جلَّ وعلا من حرمة الفرار حالتين إحداهما: إذا كان المجاهد متحرّفاً لقتالٍ، فقال في الكشاف: (وهو الكرُّ بعد الفرّ) يخيّل عدوّه أنّه منهزم ثمّ يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكائدها.

ونحوه النيسابوري في غرائب القرآن، والبيضاويّ في أنوار التنزيل حيث قال في معناه: يريد الكرَّ بعد الفرِّ وتغرير العدوّ فإنّه من مكائد الحربض.

وقال الطبرسيّ في المجمع: وقيل معناه. إلاّ منعطفاً مستطرداً كأنّه يطلب عورة يمكنه إصابتها فيتحرَّف عن وجه ويرى أنّه يفرُّ ثمّ يكرُّ والحرب كرٌّ وفرٌّ.

والقول الآخر في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ هو أن من ولّى دبره يبغي

(١) مجمع البيان: ٤/ ٤٤٤. (٢) الكافي: ٥/ ٣٨، وسائل الشيعة: ١٥/ ٩٤.

موقفاً أصلح للقتال من الموقف الأوّل فهو خارج عن حرمة الفرار من الزّحف والحق إنّه شامل على كلا القولين، أي إنَّ الفارّ عن الزّحف قد باء بغضب من الله إلاّ أن يدبر عن القتال وينحرف عن مضيق إلى اتّساع لتجول الخيل، أو من معاطش إلى مياه، أو كانت الشمس أو الريح في وجهه فاستدبرها، أو كان يوهم باستدباره خصمه أنّه منهزم منه ليغريه بإتّباعه فينفرد عن أشياعه فيكرَّ عليه فيقتله وما أشبه ذلك.

وثانيتهما إذا كان متحيّزاً إلى فئة. والتحيّز طلب حيّز يتمكّن فيه والمعنى أو كان منحازاً ومنقلاً إلى جماعة أُخرى من المسلمين أي غير الجماعة التي كان فيها وهم الذين يريدون قتال الأعداء والجهاد في سبيل الله فهو يريد أن يستعين بهم عليهم.

وعن ابن عبّاس أنَّ الفرار من الزَّحف في غير هاتين الصورتين من أكبر الكبائر كما في الكشّاف وغرائب القرآن.

وقد روى أهل السنّة عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله ﷺ وما هنَّ؟ قال: الشِّرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلاّ بالحقِّ، وأكل الرِّبا، وأكل مال اليتيم، والتَّولّي يوم الزَّحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات[1].

وقد مرّت الإشارة إلى أنَّ مثل ذلك قد روي عن أهل بيت النبوَّة عليهم السلام بروايات متكاثرة متظافرة وتقدَّم نقل شطرٍ ممّا أفاضه أبو الحسن الرِّضا عليه السلام في علل تحريم الكبائر ومنها الفرار عن الزَّحف. كما تقدَّم آنفاً قول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عن الكافي وصفّين لنصر: وليعلم المنهزم أنّه مسخطٌ لربّه وموبق نفسه وفي الفرار موجدة الله عليه والذلّ اللازم[2] - إلخ.

الحرب خدعة

لا كلام في أنَّ الخدعة في نفسها قبيحة تنفر الطباع عنها. روى الكلينيّ في «**الكافي**» بإسناده عن هشام بن سالم رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لولا أنَّ المكر والخديعة في النّار لكنت أمكر النّاس[3] (**الوافي ص ١٥٦ ج ٣**).

وقد رفع قبحها في الحرب فإنَّ الغرض الأسنى من الجهاد قمع أُصول الفساد، وقطع فروعه وقد جوّز الشارع تعالى التوصّل بالخدعة في حضرة القتال إلى ذلك، وتنفذه الأحلام

(١) الكافي: ٢/٢٨٦ ح ٦، وتفسير غريب القرآن: ٣٨٧.
(٢) الخصال: ٣٦٤ ج ٥٧، وسائل الشيعة: ١٥/٢٣ ح ٣٤.
(٣) بحار الأنوار: ٢٨/٩٧ ح ٣٦، ومستدرك الوسائل: ١١/٧١.

وتقبله الطّباع لذلك.

قال العلاّمة قدِّس سرّه في آخر المقصد الثاني من «**جهاد المنتهى**» (**ص ٩١٣ من الطبع الرحلي على الحجر ١٣٣٣ هـ**): تجوز المخادعة في الحرب ويجوز للمبارز أن يخدع قرنه ليتوصّل بذلك إلى قتله إجماعاً، روى الجمهور أن عمرو بن عبدود بارز عليّاً عليه السلام فقال: ما أُحب قتلك يا ابن أخي، فقال عليّ عليه السلام: لكنّي أُحبُّ أن أقتلك فغضب عمرو وأقبل عليه، فقال عليٌّ عليه السلام: ما برزت لأُقاتل اثنين، فالتفت عمرو فوثب عليّ عليه السلام فضربه، فقال عمرو: خدعتني، فقال عليّ عليه السلام: الحرب خدعة[١]، انتهى ما أردنا من نقل كلامه.

وروى الشيخ الطائفة قدِّس سرُّه في باب أنَّ الحرب خدعة من «**جهاد التهذيب**» بإسناده عن إسحاق بن عمّار، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام أنَّ علياً عليه السلام كان يقول: لأن يخطفني الطّير أحبُّ إليَّ من أن أقول على رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يقل، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم الخندق: الحرب خدعة، يقول: تكلّموا بما أردتم[٢]، (**الوافي ص ٢١ ج ٩**).

وفيه بإسناده عن مصعدة بن صدقة قال: حدَّثني شيخ من وُلد عديّ بن حاتم عن أبيه، عن جدِّه عديّ بن حاتم وكان مع عليّ عليه السلام في غزوته أنَّ عليّاً عليه السلام قال يوم التقى هو ومعاوية بصفّين فرفع بهم صوته يسمع أصحابه: واللّهِ لأقتلنَّ معاوية وأصحابه ثمَّ قال في آخر قوله: إن شاء الله خفض بها صوته فكنت منه قريباً فقلت: يا أمير المؤمنين إنّك حلفت على ما قلت ثمَّ استثنيت فما أردت بذلك؟ فقال: إنَّ الحرب خدعةٌ وأنا عند المؤمنين غير كذوب فأردت أن أُحرِّض أصحابي عليهم لكي لا يفشلوا ولكي يطمعوا فيهم فافهم فإنّك تنتفع بها بعد اليوم إن شاء الله.

واعلم أنَّ الله عزَّ وجلَّ قال لموسى حيث أرسله إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ وقد علم أنّه لا يتذكّر ولا يخشى ولكن ليكون ذلك أحرص لموسى عليه السلام على الذَّهاب[٣]، (**الوافي ص ٩٥ ج ٧ وص ٢٢ ج ٩**)، ورواه في «**البحار**» عن تفسير العياشي (**ص ٩٨ ج ٢١ من الطبع الكمباني**).

وفي الباب السابع والثلاثين من «**أخلاق محتشمي**» للخواجة الطوسي قدِّس سرُّه: كان النبيُّ صلى الله عليه وآله إذا أراد سفراً وَرّى إلى غيره وقال: الحرب خدعة[٤].

---

(١) الكافي: ٢/ ٢٣٦ ح ٤، وبحار الأنوار: ٣٣/ ٤٥٤ ح ٦٧٠.
(٢) منتهى المطلب: ٢/ ٩١٣، وجواهر الكلام: ٢١/ ٧٩.
(٣) وسائل الشيعة: ١٥/ ١٣٣ ح ٢٠١٥٠، وميزان الحكمة: ١/ ٥٦٦ ح ٦.
(٤) غريب الحديث: ٢/ ٧٥٩.

وفي **«مروج الذهب»** للمسعودي (ص ٦ ج ٢) قال ابن عبّاس لعليّ عليه السلام: يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الحرب خدعة؟ فقال عليٌّ عليه السلام: بَلى وسيأتي تمام كلامهما في شرح الكتاب السابع عشر إن شاء الله تعالى.

وفي **«الجامع الصغير»** للسّيوطي عن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وآله: الحرب خدعة.

وروى الكلينيّ في **«الكافي»** بإسناده عن صفوان، عن أبي مخلّد[1] السّرّاج، عن عيسى بن حسّان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كلّ كذب مسؤول عنه صاحبه يوماً إلاّ في ثلاثة: رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه، أو رجل أصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا يريد بذلك الاصلاح فيما بينهما، أو رجل وعد أهله شيئاً وهو لا يريد أن يتمّ لهم[2]، **(الوافي ص ١٥٨ ج ٣)**.

وفي **«الكامل»** لأبي العبّاس المبرّد **(ص ١٩٣ ج ٢ طبع مصر)** ناقلاً عن المهلّب قال: أنّه جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «كلّ كذب يكتب كذباً إلاّ ثلاثة: الكذب في الصلح بين الرجلين، وكذب الرَّجل لامرأته يعدها، وكذب الرَّجل في الحرب يتوعّد ويتهدّد[3]».

وقال: وجاء عنه صلى الله عليه وآله إنّما أنت رجل فخذّل عنّا فإنّما الحرب خدعة.

قال: وقال عليه السلام في حرب الخندق لسعد بن عبادة وسعد بن معاذ وهما سيّد الحيّين الخزرج والأوس: «ائتيا بني قريظة فإن كانوا على العهد فأعلنا بذلك؛ وإن كانوا قد نقضوا ما بيننا فالحنا لي لحناً أعرفه ولا تفتّا في أعضاد المسلمين» فرجعا بغدر القوم فقالا يا رسول الله: عضلٌ والقارة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للمسلمين: ابشروا فإنّ الأمر ما تحبّون[4].

قال الأخفش: سألت المبرّد عن قولهما عضلٌ والقارة فقال: هذان حيّان كانا في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله فأرادا أنّهم في الإنحراف عنه والغدر به كهاتين القبيلتين.

قال ابن إسحاق: لمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بدر نزل قريباً منه فركب هو ورجل من أصحابه يتعرّفان أخبار قريش حتّى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش، وعن محمّد وأصحابه، وما بلغه عنهم؛ فقال الشيخ: لا أخبر كما حتّى تخبراني ممّن أنتما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا أخبرتنا أخبرناك، قال: أذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الشيخ: فإنّه بلغني

---

(١) تهذيب الأحكام: ٦/١٦٣ ح ٢٩٩، ووسائل الشيعة: ١٥/١٣٤.

(٢) في نسخة: محمد.

(٣) الكافي: ٢/٣٤٢ ح ١٨، ووسائل الشيعة: ٨/٥٧٩ ح ٥.

(٤) بحار الأنوار: ٢٠/٢٢٣.

أنَّ محمّداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ـ للمكان الذي به رسول الله ﷺ ـ وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ـ للمكان الذي فيه قريش ـ فلمّا فرغ من خبره قال: ممّن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: نحن ماء[1]، ثمَّ انصرف عنه فجعل الشيخ يقول: نحن من ماء! من ماء العراق أو ماء كذا أو ماء كذا، نقله ابن هشام في **«السيرة النبوية» (ج ١ ص ٦١٦ من طبع مصر ١٣٧٥ هـ)**، وابن قتيبة الدينوري في باب الحيل في الحروب من كتاب **«الحرب من عيون الأخبار» (ص ١٩٤ ج ١ طبع مصر ١٣٨٣ هـ)**.

واعلم أنَّ ما قدّمناه من جواز الخدعة في الحرب هو غير الغدر بهم أي قتالهم وقتلهم بغتة بعد الأمان، والغدر ترك الوفاء ونقض العهد، قال شيخ الطائفة قدِّس سرّه في **«جهاد المبسوط»: من أذمَّ مشركاً أو غير مشرك ثمَّ خفره ونقض ذمامه كان غادراً آثماً.**

وإنّما لا يجوز الغدر بهم لقوله تعالى: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ ولقوله ﷺ: «لا تغلوا ولا تمثلوا ولا تغدروا» وغيره من الأخبار الواردة في النهي عن الغدر بهم ففي خبر رواه الكلينيُّ قدِّس سرُّه في جامع الكافي بإسناده عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قريتين من أهل الحرب لكلّ واحدة منهما ملك على حدة اقتتلوا ثمَّ اصطلحوا ثمَّ إنَّ أحد الملكين غدر بصاحبه فجاء إلى المسلمين فصالحهم على أن يغزوا تلك المدينة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا ولا يأمروا بالغدر ولا يقاتلوا مع الذين غدروا ولكنّهم يقاتلون المشركين حيث وجدوهم ولا يجوز عليهم ما عاهد عليه الكفّار[2]. **(جهاد الوسائل الباب ٢٠)** والرِّوايات عن الرسول ﷺ وعن أئمّة الدِّين في التحذير عن الغدر وكراهيته كثيرة.

وقد نقل ابن قتيبة في كتاب **«الحرب من عيون الأخبار» (ص ١١٧ ج ١ طبع مصر)** قضية معجبة في خدعة مستغربة، وسوء عاقبة الغدر والبغي تأبى نفسي إلاّ الإتيان بها، قال: وقرأت في كتاب **«سير العجم»** أن فيروز بن يزدجرد بن بهرام لمّا ملك سار بجنوده نحو خراسان ليغزو اخشنوار ملك الهياطلة ببلخ، فلمّا انتهى إلى بلاده اشتدَّ رعب اخشنوار منه وحذره له، فناظر أصحابه ووزراءه في أمره.

فقال له رجل منهم: أعطني موثقاً وعهداً تطمئنُّ إليه نفسي أن تكفيني أهلي وولدي وتحسن إليهم وتخلفني فيهم، ثمَّ اقطع يديَّ ورجليَّ والقني على طريق فيروز حتّى يمرَّ بي هو

(١) تاريخ الطبري: ٢/ ١٤١، والبداية والنهاية: ٣/ ٣٢٣.
(٢) الكافي: ٢/ ٣٣٧ ح ٤، ووسائل الشيعة: ١٥/ ٦٩ ح ٢٠٠٠٣.

وأصحابه فأكفيك مؤونتهم وشوكتهم وأُورّطهم مورَّطاً تكون فيه هلكتهم.

فقال له له اخشنوار: وما الذي تنتفع به من سلامتنا وصلاح حالنا إذا أنت قد هلكت ولم تشركنا في ذلك؟

قال: إنّي قد بلغتُ ما كنت أُحبُّ أن أبلغه من الدُّنيا وأنا موقن بأنَّ الموت لا بدَّ منه وإن تأخّر أيّاماً قلائل، فأُحبُّ أن أختم عمري بأفضل ما تختم به الأعمار من النّصيحة لإخواني والنكاية في عدوّي فيشرف بذلك عقبي وأُصيب سعادة وحُظوة فيما أمامي.

ففعل به ذلك وأمر به فلمّا مرّ به فيروز سأله عن أمره فأخبره أنَّ اخشنوار فعل ذلك به وأنّه احتال حتّى حمل إلى ذلك الموضع ليدلّه على عورته وغرَّته، وقال: إنّي أدلّك على طريقٍ هو أقرب من هذا الذي تريدون سلوكه وأخفى، فلا يشعر اخشنوار حتّى تهجموا عليه فينتقم الله لي منه بكم، وليس في هذا الطريق من المكروه إلاّ تفويز يومين ثمَّ تفضون إلى كلِّ ما تحبّون.

فقبل فيروز قوله بعد أن أشار عليه وزراؤه بالإتّهام له والحذر منه وبغير ذلك فخالفهم وسلك الطريق حتّى انتهى بهم إلى موضع من المفازة لا صدر عنه ثمَّ بيّن لهم أمره فتفرَّقوا في المفازة يميناً وشمالاً يلتمسون الماء فقتل العطش أكثرهم ولم يخلص مع فيروز منهم إلاّ عدَّة يسيرة فإنّهم انطلقوا معه حتّى أشرفوا على أعدائهم وهم مستعدُّون لهم فواقعهم على تلك الحاله وعلى ما بهم من الضرِّ والجهد فاستمكنوا منهم وأعظموا النكاية فيهم.

ثمَّ رغب فيروز إلى اخشنوار وسأله أن يمنَّ عليه وعلى من بقي من أصحابه على أن يجعل لهم عهد الله وميثاقه ألاّ يغزوه أبداً فيما يستقبل من عمره؛ وعلى أنّه يحدّ فيما بينه وبين مملكته حدًّا لا تجاوزه جنوده، فرضي اخشنوار بذلك وخلّى سبيله وانصرف إلى مملكته.

فمكث فيروز بُرهَةً من دهره كئيباً، ثمَّ حمله الأنف على أن يعود لغزوه ودعا أصحابه إلى ذلك فردّوه عنه وقالوا: إنّك قد عاهدته و نحن نتخوَّف عليك عاقبة البغي والغدر مع ما في ذلك من العار وسوء المقالة.

فقال لهم: إنّي شرطت له ألاّ أجوز الحجر الذي جعلته بيني وبينه فأنا آمر بالحجر ليحمل على عجلة أمامنا.

فقالوا له: أيّها الملك إنَّ العهود والمواثيق التي يتعاطاها النّاس بينهم لا تحمل على ما يسرُّ المعطي لها ولكن على ما يعلن المعطي، وإنّك إنّما جعلت له عهد الله وميثاقه على الأمر الذي عرفه لا على أمر لم يخطر بباله.

فأبى فيروز ومضى في غزاته حتّى انتهى إلى الهياطلة وتصافّ الفريقان للقتال فأرسل اخشنوار إلى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صفّيهم ليكلّمه، فخرج إليه.

فقال له اخشنوار: قد ظننت أنّه لم يدعك إلى غزونا إلاّ الأنف ممّا أصابك ولعمري لئن كنّا احتلنا لك بما رأيت لقد كنت التمست منّا أعظم منه، ما ابتدأناك ببغي ولا ظلم ولا أردنا إلاّ دفعك عن أنفسنا عن حريمنا، ولقد كنت جديراً أن تكون مكافأتنا بمنّنا عليك وعلى من معك من نقض العهد والميثاق الذي وكّدت على نفسك أعظم أنفاً وأشدَّ امتعاظاً ممّا نالك منّا فإنّا أطلقناكم وأنتم أسرى، ومننّا عليكم وأنتم مشرفون على الهلكة، وحقنّا دماءكم وبنا قدرةٌ على سفكها، وإنّا لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت أنت الرّاغب إلينا فيه، والمريد لنا عليه؛ ففكّر في ذلك، وميّلَ بين هذين الأمرين فانظر أيّهما أشدُّ عاراً وأقبح سماعاً: إن طلب رجل أمراً يتح له، وسلك سبيلاً فلم يظفر فيها ببغيته، واستمكن منه عدوّه على حال جهد وضيعة منه وممّن معه فمنَّ عليهم وأطلقهم على شرط شرطوه وأمرٍ اصطلحوا عليه فاضطرّ لمكروه القضاء، واستحيا من النّكث والغدر؛ أم يقال امرؤ نكث العهد وختر الميثاق؟

مع أنّي قد ظننت أنّه يزيدك نجاحاً ما تثق به من كثرة جنودك وما ترى من حسن عدَّتهم وطاعتهم لك وما أجدني أشكّ أنّهم أو أكثرهم كارهون لما كان من شخوصك بهم عارفون بأنّك قد حملتهم على غير الحقّ، ودعوتهم إلى ما يسخط الله فهم في حربنا غير مستبصرين، ونيّاتهم في مناصحتك اليوم مدخولة، فانظر ما قدر غناء من يقاتل على مثل هذه الحال؛ وما عسى أن تبلغ نكايته في عدوّه إذا كان عارفاً بأنّه إن ظفر فمع عارٍ، وإن قتل فإلى النّار؟

فأنا أذكّرك الله الذي جعلته على نفسك كفيلاً، ونعمتي عليك وعلى من معك بعد يأسكم من الحياة وإشفائكم على الممات، وأدعوك إلى ما فيه حظك ورشدك من الوفاء بالعهد والإقتداء بآبائك الذين مضوا على ذلك في كلّ ما أحبّوه أو كرهوه فأحمدوا عواقبه وحسن عليهم أثره.

ومع ذلك إنّك لست على ثقة من الظّفر بنا، والبلوغ لنهمتك فينا وإنّما تلتمس منّا أمراً نلتمس منك مثله، وتناوىء عدوّاً لعلّه يمنح النصر عليك فقد بالغت في الاحتجاج عليك، وتقدَّمت الإعذار إليك، ونحن نستظهر بالله الذي اعتززنا به ووثقنا بما جعلته لنا من عهده إذا استظهرت بكثرة جنودك وازدهتك عدَّة أصحابك، فدونك هذه النّصيحة فوالله ما كان أحد من نصحائك ببالغ لك أكثر منها، ولا زائد لك عليها، ولا يحرمنّك منفعتها مخرجها منّي فإنّه لا يزرى بالمنافع عند ذوي الرأي أن كانت من قبل الأعداء كما لا يحبّب المضارّ إليهم أن تكون على أيدي الأولياء.

واعلم أنّه ليس يدعوني إلى ما تسمع من مقالتي ضعفٌ أحسُّه من نفسي، ولا قلّة من جنودي؛ ولكنّي أحببت أن أزداد بذلك حجّة واستظهاراً، وأزداد به من الله النّصر والمعونة استيجاباً، ولا أوثر على العافية والسلامة شيئاً ما وجدت إليهما سبيلاً.

فأبى فيروز إلاّ تعلّقاً بحجّته في الحجر الذي جعله حدًّا بينه وبينه وقال: لستُ ممّن يردعه عن الأمر يهمٌّ به وعيدٌ، ولا يقتاده التهدّد والترهيب، ولو كنت أرى ما أطلبك غدراً منّي ما كان أحد أنظر ولا أشدّ اتّقاء منّي على نفسي فلا يغرّنّك منّا الحال التي صادفتنا عليها في المرة الأُولى من القلّة والجهد والضّعف.

قال اخشنوار: لا يغرّنّك ما تخدع به نفسك من حملك الحجر أمامك فإنَّ النّاس لو كانوا يعطون العهود على ما تصفُ من إسرار أمرٍ وإعلان آخر إذاً ما كان ينبغي لأحدٍ أن يغترَّ بأمان، ولا يثق بعهدٍ، وإذاً لما قبل النّاس شيئاً ممّا يعطونه من ذلك؛ ولكنّه وضع على العلانية وعلى نيّة من تعقد العهود والشروط له.

فانصرفا يومهما ذلك فقال فيروز لأصحابه: لقد كان اخشنوار حسن المحاورة، وما رأيت للفرس الذي كان تحته نظيراً في الدَّوابِّ فإنّه لم يُزل قوائمه ولم يرفع حوافره عن موضعها ولا صهل ولا أحدث شيئاً يقطع به المحاورة في طول ما تواقفنا.

وقال اخشنوار لأصحابه: لقد واقفت فيروز كما علمتم وعليه السّلاح كلّه فلم يحرِّك رأسه، ولم ينزع رجله من ركابه، ولا حنا ظهره، ولا التفت يميناً ولا شمالاً ولقد تورّكت أنا مراراً، وتمطّيت على فرسي وتلفتُّ إلى من خلفي، ومددت بصري في أمامي وهو منتصبٌ ساكنٌ على حاله، ولولا محاورته إيّاي لظننت أنّه لا يبصرني.

وإنّما أراد بما وصفا من ذلك أن ينتشر هذان الحديثان في أهل عسكريهما فيشغلوا بالإفاضة فيهما عن النظر فيما تذاكراه.

فلمّا كان في اليوم الثّاني أخرج اخشنوار الصحيفة التي كتبها لهم فيروز فرفعها على رمح لينظر إليها أهل عسكر فيروز فيعرفوا غدره وبغيه ويخرجوا من متابعته. فانتقض عسكر فيروز واختلفوا وما لبثوا إلاّ يسيراً حتّى انهزموا وقتل منهم خلقٌ كثير وهلك فيروز، فقال اخشنوار: لقد صدق الذي قال: لارادَّ لما قُدِّر، ولا أشدَّ إحالةً لمنافع الرأي من الهوى واللّجاج، ولا أضيع من نصيحة يمنحها من لا يوطّن نفسه على قبولها والصّبر على مكروهها، ولا أسرع عقوبة ولا أسوأ عاقبةً من البغي والغدر، ولا أجلب لعظيم العار والفضوح من إفراط الفخر والأنفة(١).

---

(١)شرح النهج: ١٥/ ١١١.

وقد مضى وجه آخر في تفسير كلامه هذا في ضمن بيان المصادر، ويحتمل الوجهين قوله عليه السلام المنقول من الكافي ونصر والطّبري والمفيد آنفاً في ذكرا لمصادر: **(فلولا إقبالكم بعد إدباركم وكرُكم بعد انحيازكم وجب عليكم ما وجب على المولّي يوم الزحف دبره وكنتم فيما أرى من الهالكين)**.

والشارح البحراني احتمل في تفسير قوله عليه السلام: «لا تشتدنَّ عليكم فرَّة بعدها كرَّة» وجهاً آخر سوى الوجهين الذين اخترناهما فقال:

ويحتمل أن يريد **(فلا تشتدَنَّ عليكم فرّة من عدوّكم بعدها كرّة منه عليكم)** فإنَّ تلك الكرّة لما كانت عقيب الفرّة لم تكن إلاّ عن قلوب مدخولة ونيّات غير صحيحة وإنّما قدَّم الفرّة في هذا الاحتمال لأنَّ مقصوده تحقير تلك الكرّة بذكر الفرّة وكان ذكرها أهم فلذلك قدّمت وكذلك قوله: **(ولا جولة بعدها حملة)**. انتهى.

وأقول: قد علمت أنَّ أمير المؤمنين عليّاً تارة يوصي عسكره ويوقظهم بأن لا يغرّنكم فرار الخصم فإنّه ربّما يكون من مكائد الحرب لأنَّ الخصم ربّما يولّيكم الدُبر ليخيّلكم أنّه منهزم ثمَّ يعطف ويشدّ عليكم؛ كما رواه الكلينيّ في **«الجامع الكافي»** عنه عليه السلام حيث قال: **(ولا يشدون عليكم كرَّة بعد فرَّة ولا حملة بعد جولة)**.

وتارة يوصيهم ويحثّهم إذا رأيتم المصلحة في أن تولّوهم الأدبار لكي توهموهم الإنهزام حتّى إذا أمكنتهم الفرصة تكرّون عليهم فلا يشتدّ عليكم هذا النحو من الفرار الذي هو من مكائد الحرب أي لا تحسبوه عاراً حتى يستصعب عليكم هذا الفرار كما هو المرويّ في النهج قال عليه السلام: **(لا تشتدنَّ عليكم فرَّة بعدها كرَّة)**، ولذا كانت العبارتان متعاكستين، وقد علمت أنَّ قوله في النهج كان ناظراً إلى قوله تعالى: **(إلاّ متحرّفاً لقتال)**، والرّوايات كالآيات يفسّر بعضها بعضاً، ورواية الكافي هذه والرّواية المتقدّمة الحاوية قوله عليه السلام: **(فلولا إقبالكم بعد إدباركم وكرّكم بعد انحيازكم)** - إلخ، وقوله تعالى: **(إلاّ متحرّفاً لقتال)** تدلّ على أنَّ معنى ما في النهج هو الذي قدّمناه أوّلاً، وكان للجملتان معنى صحيح آخر ذكرناه في ضمن بيان المصادر وكان معنياهما متعاكسين أيضاً، ولا يجري هذا الإحتمال الثالث في قوله المروي في **«الكافي»**، ولو يفسّر ما في النهج به لوجب أن يقال لا تشتدنَّ عليكم كرَّة بعد فرَّة.

على أنَّ لأساليب الكلام معنى يتبادر إليه الذهن من غير تكلّف وما من كلام إلاّ أمكن فيه تقدير وجوه من المعاني البعيدة فيخرج حينئذ عن الفصاحة والجودة وبالجملة إذا تأمّلت فيما قدَّمنا وفي سيرة أهل الحرب يظهر لك أنَّ ما ينبغي أنَّ تفسّر الجملتان هو المعنيان المختاران.

قوله عليه السلام: «وأعطوا السيوف حقوقها» لا يخفى عليك أنَّ هذا الفصل من مختار كلامه عليه السلام يفيد ثلاثة مطالب: الأول: أنَّ الحرب خدعة فالفرار منها إذا كان موجباً لتغرير الخصم وهلاكه لا ينبغي أن يستصعب ويحسب عاراً، الثاني: أنَّ على المجاهد أن يراعي أُموراً، الثالث: أنَّ هؤلاء المحاربين للإمام كانوا كافرين إلاّ أنّهم أسرُّوا كفرهم، أمّا الأوَّل فقد مضى مفصّلاً، وأمّا الثالث فسيأتي بيانه، أمّا الثاني فقد ذكر أربعة منها: الأوَّل: أن يعطوا السّيوف حقوقها هذا تحريض على الجدّ في القتال أي إذا ضربتم بها فاحكموا الضرب، واضربوا ضربة منكرة وإعطاءها حقوقها كناية عن هذا لنحو من الضرب، فجعل للسيف حقاً وهو ما ينبغي أن يستفاد منه ثمَّ أمرهم بإعطاء حقّها فإذا لم يضربوا بها على ما كان الحريّ بها جدٌّ فكأنّهم خانوها، كما يقال أيضاً: إنَّ سيف فلانٍ لم يخنه، أي إنّه لشدَّة حدَّته وجودته فعل ما أراد منه صاحبه كما قال نهشل بن حريٍّ النهشلي في قصيدة يرثى بها أخاه مالكاً رحمة الله وقد قتل بصفين بحضرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قتله الفئة الباغية:

أخ ماجد لم يُخزني يوم مشهدٍ كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه
وهوَّن وجدي عن خليلي إنّني إذا شئت لاقيت امرءً مات صاحبه

قوله عليه السلام: «ووطّنوا للجنوب مصارعها» هذا هو الثاني من الأُمور أمرهم بها، الظاهر من كلامه عليه السلام أنّه حثّهم ونشّطهم على الإحكام في الضّرب، وإن شئت قلت: هذا تأكيد وتشديد في الأمر الأوَّل أي أدّوا حقوق السيوف واضربوا بها ضربة واحكموا الضرب إلى حدّ تطرحوا بها جنوب الأعداء على مصارعهم وتجعلوا مصارعهم أوطاناً لهم أي بحيث لا يقدر الصّرعى أن يقوموا من الأرض، فكأنّهم أخذوها أوطاناً لهم أو مهّدوا مصارعهم لجنوبهم أي اجعلوها ممهدةً لسقوطهم عليها بضروبكم المنكرة والمآل واحد وإن كان الأوَّل ألصق وأنسب بسياق الكلام إن لم يكن متعيّناً، هذا ما ينادي به أُسلوب الكلام.

وقال الشارح البحراني: والمعنى أن يوطّنوا لجنوبهم مصارعها أي يتخذوا مصارع جنوبهم أوطاناً لها وهو كناية عن الأمر بالعزم الجازم على القتل في سبيل الله والإقدام على أهوال الحرب إذا كان اتّخاذ المصارع أوطاناً للجنوب مستلزماً لذلك العزم والإقدام.

واحتذى على مثاله المجلسيّ في «فتن البحار» (ص ٦٢٦ ج ٨ من الطبع الكمباني) حيث قال: أي اجعلوا مصارع الجنوب ومساقطها وطناً لها أو طيئاً لها أي استعدّوا للسقوط على الأرض والقتل كناية على العزم على الحرب وعدم الاحتراز عن مفاسدها. انتهى.

وهذا كما ترى لا يناسب تحريض العسكر على الجهاد وحثّهم على القتال، أرأيت أنَّ

أمر أميرٍ عسكره بالاستعداد للسقوط على الأرض لا يوجب وهنهم؟ ولو سلّم أنَّ فيه تشجيعاً بالعزم الجازم على الإقدام على أهوال الحرب والقتال في سبيل الله تعالى فسوق الكلام يأبى عن ذلك الحمل.

قوله ﷺ: «وادمروا أنفسكم على الطّعن الدَّعسي، والضرب الطّلخفي» هذا ثالث الأُمور أمرهم بها، حثّهم ﷺ أن يحضّوا ويوطّنوا أنفسهم على الجدّ في الطّعن بالرّماح والضّرب بالسّيوف ويوبّخوها على الفشل والضّعف، حتّى يتشمّروا للطّعن بالرّماح على الأعداء بحيث يظهر أثره ويحشي به أجوافهم، ويتهيؤوا لإيقاع الضرب الشديد بالسّيوف عليهم.

ثمَّ بالتأمّل الصحيح في سياق هذه الأمور الثلاثة يعلم أنَّ مساقها واحد، ومفادها فارد، والحقّ أن يقال أنّها ملتقطة من روايات شتّى كما قد أتينا بها في بيان مصادرها.

قوله ﷺ: «وأميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل» هذا رابع الأُمور أمرهم بها، أي اخفضوا الأصوات وعنّوها فإنَّ اخفائها أولى بالوقار وأطرد للفشل وأذهب بالوهل وإنَّ شدَّة الضوضاء في الحرب أمارة الخوف والوجل.

وفي كتاب «**الحرب من عيون الأخبار**» لابن قتيبة (ص ١٠٨ ج ١) أنَّ قوماً استشاروا أكثم بن صيفي في حرب قوم أرادوهم وسألوه أن يوصيهم فقال: أقلّوا الخلاف على أمرائكم، واعلموا أنَّ كثرة الصّياح من الفشل، والمرء يعجز لا محالة تثبتوا فإنَّ أحزم الفريقين الرّكين، وربّة عجلة تعقب ريثاً، واتّزروا للحرب، وادرعوا اللّيل فأنه أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختلف عليه.

وقال ابن قتيبة بعد نقل ما قاله أكثم: قال بعض الحكماء: قد جمع الله لنا أدب الحرب في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦].

وقال: حدَّثني محمّد بن عبيد قال: حدَّثنا معاوية بن عمرو، عن أبي إسحاق عن الأوزاعي قال: قال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه: ألا ترونهم - يعني أصحاب النبيّ ﷺ - جثيّاً على الرُّكب كأنَّهم خرس يتلمظون تلمّظ الحيّات، قال: وسمعتهم عائشة يكبّرون يوم الجمل فقالت: لا تكثروا الصّياح فإنَّ كثرة التكبير عند اللّقاء من الفشل.

قوله ﷺ: «والذي فلق الحبّة - إلخ» هذا هو المطلب الثالث الموعود بيانه وفي بعض النسخ: فالذي (**بالفاء**) وهو من تصرُّفات النسّاخ أتوا (**بالفاء**) ليرتبط الذيل بالصدر وقد غفلوا أنَّ كلامه هذا ليس بمقالة فاردة بل ملتقطة من عدّة مقالات مرويّة عنه ﷺ.

وكان عليه السلام كثيراً مّا يحلف بقوله والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إذا اجتهد في يمينه وهذا ممّا لم يسمع من غيره أن يقسموا به وكان عليه السلام متفرّداً بإنشائه والحلف به.

وقد دريت أنّه عليه السلام قال كلامه هذا في صفّين لمّا رفع عمرو بن العاص شقّة قميصة سوداء في رأس رُمح فقال ناس: هذا لواء عقده له رسول الله صلى الله عليه وآله - إلى آخر ما نقلنا في ذكر مصادر هذا الفصل عن كتاب «صفّين» لنصر بن مزاحم المنقري وأشار عليه السلام بقوله: «فأخذها فقد والله قربه من المشركين وقاتل به اليوم المسلمين» إلى أنَّ القوم كانوا كافرين.

ثمّ إنَّ سياق الكلام يقتضي إفراد الأفعال والضمائر إلاّ أنّه عدل من الإفراد إلى الجمع تنبيها على أنَّ عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وأشياعهما وأشباههما ما أسلموا واقعاً بقلوبهم ولكن استسلموا أي أظهروا الإسلام بألسنتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وانقادوه خوفاً من السيف وكانوا قد أسرُّوا كفرهم لأنّهم لم يجدوا أعواناً عليه حتّى يظهروه فلمّا وجدوهم أظهروه وكان كلامه عليه السلام المروي آنفاً عن «صفّين» لنصر حيث قال؛ «وقد نصبوا لنا الحرب وجدّوا في إطفاء نور الله والله مُتِمّ نوره ولو كره الكافرون» مشعراً بكفرهم كما لا يخفى.

وقد مرَّ كلام ابن الحنفيّة المنقول عن كتاب «صفين» لنصر في ذكر المصادر أنّه قال: لمّا أتاهم الله من أعلى الوادي ومن أسفله وملأ الأودية كتائب استسلموا حتّى وجدوا أعواناً، وكذا كلام عمّار رضوان الله عليه، وسيأتي كلام الأمير عليه السلام في الكتاب التالي إلى معاوية: ولمّا أدخل الله العرب في دينه أفواجاً وأسلمت له هذه الأُمّة طوعاً وكرهاً كنتم ممّن دخل في الدِّين إمّا رغبة وإمّا رهبة - إلخ. وراجع إلى باب ما ورد في كفر معاوية وعمرو بن العاص وأوليائهما من المجلّد الثامن من «البحار» (**ص ٥٦٠ - ٥٧١ من الطبع الكمباني**).

وقال الفاضل الشارح المعتزلي: وهذا يدلّ على أنّه عليه السلام جعل محاربتهم له كفراً. انتهى.

أقول: هذا الكلام من أمير المؤمنين عليه السلام صريح في أنَّ القوم كانوا كافرين ولا يدلّ على أنَّ من حاربه فهو كافر نعم إنَّ محاربتهم له عليه السلام توجب كفراً ومحاربيه كفرة بالأدلّة التي قدّمناها في «**شرح المختار**» ٢٣٦ من باب الخطب (**ص ٣٦٧ - ٣٧٩ ج ١٥**) وفي «**شرح المختار**» الثاني من باب الكتب والرّسائل (**ص ٧٦ - ٨٠ ج ١٦**).

وأرسل معاوية كتاباً إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وذلك كان لمّا دعى النّاس من حيلة عمرو بن العاص وروغانه إلى كتاب الله وكتب فيما كتب فيه: واقطع لهذه الفتن فاتّق الله فيما دعيت له وارض بحكم القرآن إن كنت من أهله والسلام.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كتاباً جواباً عن كتابه، ومن جملته: (**إنك قد دعوتني إلى حكم القرآن ولقد علمت أنك لست من أهل القرآن**) - إلخ. وقد نقلهما نصر في كتاب

«صفين» (ص ٢٦٧).

وروى نصر في «صفين» (ص ١٦٧) عن يحيى، عن عليّ بن حزوّر، عن الأصبغ بن نباتة قال: جاء رجل إلى عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين نقاتلهم الدعوة واحدة والرسول واحد والصّلاة واحدة والحجّ واحد فبما نسمّيهم؟ قال: نسمّيهم بما سمّاهم الله في كتابه، قال: ما كلّ ما في الكتاب أعلمه، قال: أما سمعت الله قال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ - إلى قوله - وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ فلمّا وقع الإختلاف نحن أولى بالله وبالكتاب وبالنبيّ وبالحقّ فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا وشاء الله قتالهم فقاتلناهم هدى بسنّة الله ربّنا وإرادته(١).

أقول: ورواية نصر بن مزاحم في «صفين» عن الأصبغ ظاهرة في أنّ الرّجل سأل الأمير عليه السلام عن القاسطين، وقد روى نحوه الشيخ الأجلّ المفيد في المجلس الثاني عشر من أماليه **(ص ٥٩ طبع النجف)** أنّ الرّجل سأله عليه السلام عن النّاكثين حيث قال: حدّثنا أبو الحسن بلال المهلّبي رحمه الله يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شعبان سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة قال: حدّثنا محمّد بن الحسين بن حميد بن الرّبيع اللحمي قال: حدّثنا سليمان بن الرّبيع النهديّ قال: حدّثنا نصر بن مزاحم المنقريّ قال: حدّثنا يحيى بن يحيى الأسلميّ، عن عليّ بن الحزّور، عن الأصبغ بن نباتة رحمه الله قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالبصرة فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين نقاتلهم - إلخ - على حذوا الرّواية الأولى من نصر في «صفين».

ومن الممكن أنّ السؤال وقع عن كلّ واحدة من الطائفتين فقد سأله رجل عن الناكثين في البصرة، وذلك الرّجل أو آخر سأله عن القاسطين، أو السؤال كان عن إحداهما فاشتبه الأمر على الرّاوي وأسند تارة إلى هؤلاء وتارة إلى هؤلاء أو يقال: إنّ ما في كتاب **«صفين»** مطلق مرسل فإنّه قال يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين نقاتلهم، فهو يشمل الطائفتين ولمّا رأى نصر أنّ السؤال الذي كان من الرّجل عن الناكثين جارٍ في القاسطين أيضاً فما سئل الأمير عليه السلام في البصرة أتى به في صفين لاتّحاد الحكم فيهما والحقُّ أنّ جواب الأمير عليه السلام الرّجل جارٍ في محاربي عليّ عليه السلام سواء كانوامن الطوائف الثلاث الناكثين والقاسطين والمارقين أو غيرهم.

وفي **«بشارة المصطفى»** لشيعة المرتضى **(ص ٢٣٥ من طبع النجف)**: بإسناده عن

(١) الكافي: ٨/ ٢٧٠ ح ٣٩٨، ومستدرك الوسائل: ١١/ ٦٢.

الأصبغ بن نباتة أنه قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في بعض خطبه: **(أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه)** - إلى أن قال: **(لقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد** صلى الله عليه وآله أنّ الناكثين والقاسطين والمارقين ملعونون على لسان النبيّ الأُمّيّ وقد خاب من افترى)[١].

الترجمة

امير (عليه السلام) در هنگام كارزار به لشگريانش تعليم مى داد كه: گريختن و عقب نشينى كه پس از بازگشت و حمله بر دشمن باشد، بر شما سخت و ناگوار نباشد و از آن ننگ نداشته باشيد - يا اگر از دشمن شكست خورديد و رو به گريز گذاشتيد از برگشتن و جنگيدن و تدارك گذشته كردن شرم نكنيد و آن را دشوار مپنداريد، حق شمشيرها را بدهيد و پهلوى دشمنان را بر خاك هلاك جاى دهيد و خودتان را بر نيزه زدنى كه به درون دشمن رسد و كارگر شود و به شمشير زدن سخت بر آنها وادار كنيد و آماده سازيد و آوازها را بميرانيد و صدا بلند نكنيد كه ترس را بهتر و بيشتر راننده تر و دوركننده تر است، سوگند به آن كه دانه را شكافت و آدمى را آفريد اين قوم منافق اسلام نياوردند و از ترس و حفظ جان خود گردن نهادند و به ظاهر دعوى اسلام كردند و كفر را در دل پنهان داشتند تا چون اكنون يارى كنندگان و پشتيبانان بر آن يافتند، آشكارش كردند و پرچم مخالفت برافراشتند.

(١) الأمالي: ٧٠٣، ومستدرك الوسائل: ١٠/ ٢٢٧.

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً عن كتاب منه إليه
وهو المختار السابع عشر
من باب الكتب والرسائل

وَأَمّا طَلَبُكَ إِلَى الشّامَ فَإِنّي لَمْ أَكُنْ لأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ ما مَنَعْتُكَ أَمْسِ.

وَأَمّا قَوْلُكَ إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلا حُشاشاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ أَلا فَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ أَكَلَهُ الْباطِلُ فَإِلَى النّارِ.

وَأَمّا اسْتِواؤُنا في الْحَرْبِ وَالرِّجالِ فَلَسْتَ بِأَمْضى عَلَى الشَّكِّ مِنّي عَلَى الْيَقِينِ. وَلَيْسَ أَهْلُ الشّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيا مِنْ أَهْلِ الْعِراقِ عَلَى الآخِرَةِ.

وَأَمّا قَوْلُكَ إِنّا بَنُوا عَبْدِ مَنافٍ فَكَذلِكَ نَحْنُ وَلكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهاشِمٍ، وَلا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، ولا أَبُو سُفيانَ كَأَبي طالِبٍ، وَلاَ الْمُهاجِرُ كَالطَّليقِ، وَلاَ الصَّريحُ كَالَّلصيقِ، وَلاَ الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ وَلاَ الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ، وَلَبِئْسَ الْخَلَفُ خَلَفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوى في نارِ جَهَنَّمَ.

وَفي أَيْدينا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ التي أَذْلَلْنا بِهَا الْعَزيزَ، وَنَعَشْنا بِهَا الذَّليلَ.

وَلَمّا أَدْخَلَ اللّهُ الْعَرَبَ في دينِهِ أَفْواجاً، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هذِهِ الأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمّا رَغْبَةً وَإِمّا رَهْبَةً على حينَ فازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهاجِرُونَ الأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ. فَلا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطانِ فيكَ نَصِيباً، وَلا عَلَى نَفْسِكَ سَبيلاً(١).

المآخذ

روى الكتابين سليم بن قيس الكوفي المتوفّى حدود سنة ٩٠ هـ كما في الكتاب المنسوب إليه (**١٧٤ من طبع النجف**).

ونصر بن مزاحم المنقريّ الكوفيّ المتوفّى ٢١٢ هـ في كتاب «**صفّين**» (**ص ٢٥٢ من الطبع الناصريّ**).

وابن قتيبة الدّينوري المتوفّى ٢٧٦ هـ في كتاب «**الإمامة والسياسة**» المعروف بتاريخ الخلفاء (**ص ١١٧ و١١٨ ج ١ من طبع مصر ١٣٧٧ هـ**).

وعليّ بن الحسين بن عليّ المعروف بالمسعوديّ المتوفّى ٣٤٦ هـ في «**مروج الذّهب**»

---

(١) نهج البلاغة: ٣/ ١٧، وبحار الأنوار: ٣٣/ ١٠٥.

(ص ٦٠ و٦١ ج ٢ من طبع مصر ١٣٤٦ هـ).

والشيخ الجليل أبو الفتح محمّد بن عليّ المعروف بالكراجكي المتوفّى ٤٤٩ هـ وقد كان عاصر الرَّضي، في كتاب «**كنز الفوائد**» (**ص ٢٠١ من الطبع الحجري في إيران ١٣٢٢ هـ**).

وأتى المجلسيُّ رحمه الله برواية سليم بن قيس في ثامن «**البحار**» (**ص ٥٢٠ من الطبع الكمباني**)، وبرواية نصر في ص ٥٤٥ من ذلك المجلّد.

ولا بدَّ لنا من الإتيان ببعضها والإشارة إلى اختلاف نسخها لأنَّ معنى الكتاب الصحيح يتوقّف عليهما، وبذلك يعرف أيضاً صحة نُسخ، وتحريف أخرى، فدونك ما رواه نصر في «**صفين**» عن عمر في إسناده قال: وكان من أهل الشّام بصفّين رجلٌ يقال له الأصبغ بن ضرار الأزدي، وكان يكون طليعةً ومسلحة لمعاوية، فندب عليٌّ له الأشتر فأخذه أسيراً من غير أن يقاتل، وكان عليٌّ ينهى عن قتل الأسير الكافُ؛ فجاء به ليلاً وشدَّ وثاقه وألقاه مع أضيافه ينتظر به الصّباح، وكان الأصبغ شاعراً مفوهاً، ونام أصحابه، فرفع صوته فأسمع الأشتر فقال:

ألا ليت هذا اللّيلَ أُطبِق سرمداً ... على النّاس لا يأتيهم بنهارِ
يكون كذا حتّى القيامة إنّني ... احاذِرُ في الإصباح ضرمةَ نار
فيا ليلُ طبّق إنَّ في اللّيل راحةً ... وفي الصبح قتلي أو فكاكُ إسارى
ولو كنتُ تحتَ الأرض ستّين وادياً ... لما ردَّ عنّي ما أخاف حِذاري
فيا نفسُ مهلاً إنَّ للموت غايةً ... فصبراً على ما ناب يا ابن ضرار
أأخشى ولي في القوم رحمٌ قريبةٌ ... أبىَ اللّه أن أخشى والأشتر جاري
ولو أنّه كان الأسير ببلدة ... أطاع بها شمّرت ذيل إزاري
ولو كنت جار الأشعث الخير فكنّي ... وقلَّ من الأمر المخوف فراري
وجار سعيدٍ أو عديّ بن حاتمٍ ... وجار شريح الخير قرَّ قراري
وجار المراديّ العظيم وهانيء ... وزحر بن قيس ما كرهت نهاري
ولو أنّني كنت الأسير لبعضهم ... دعوت رئيس القوم عند عثاري
أُولئك قومي لا عدمتُ حياتهم ... وعفوهم عنّي وسترَ عُواري

فغدا به الأشتر على عليّ فقال: يا أمير المؤمنين هذا رجل من المسلحة لقيته بالأمس فوالله لو علمت أنَّ قتله الحقُّ قتلته؛ وقد بات عندنا اللّيلة وحركنا فإن كان فيه القتل فاقتله وإن غضبنا فيه وإن كنت فيه بالخيار فهبه لنا، قال: هو لك يا مالك، فإذا أصبت أسيراً فلا تقتله فإنَّ أسير أهل القبلة لا يفاد، أو لا يقتل، فرجع به الأشتر إلى منزله وقال: لك ما

أخذنا معك ليس لك عندنا غيره.

قال: وذكروا أنَّ عليّاً أظهر أنّه مصبح غداً معاوية ومناجزه فبلغ ذلك معاوية وفزع أهل الشّام لذلك وانكسروا لقوله، وكان معاوية بن الضحّاك بن سفيان صاحب راية بني سليم مع معاوية وكان مبغضاً لمعاوية وكان يكتب بالأخبار إلى عبد الله بن الطفيل العامري ويبعث بها إلى عليّ عليه السلام فبعث إلى عبد الله بن الطفيل أنّي قائلٌ شعراً أذعر به أهل الشام واذعر[1] به معاوية، وكان معاوية لا يتّهمه وكان له فضل ونجدة ولسان فقال ليلاً ليسمع أصحابه:

ألا ليت هذا اللّيل أطبق سرمداً ... علينا وأنّا لا نرى بعده غدا
ويا ليتَهُ إن جاءنا بصباحه ... وجدنا إلى مجرى الكواكب مصعداً
حذار عليّ إنّه غيرُ مُخلفٍ ... مدى الدّهر ما لبّى الملبّون موعداً
فأمّا فراري في البلاد فليس لي ... مقامٌ ولو جاوزت جابلق مصعداً
كأنّي به في النّاس كاشف رأسه ... على ظهر خوّار الرّحالة أجردا
يخوض غمار الموت في مُرجحنّة ... يُنادون في نقع العجاج محمداً
فوارس بدر والنضير وخيبر ... وأُحدٍ يردّون الصّفيح المهنّدا
ويوم حُنين جالدوا عن نبيّهم ... فريقاً من الأحزاب حتّى تبدّدا
هنالك لا تلوي عجوزٌ على ابنها ... وإن أكثرت في القول نفسي لك الفدا
فقل لابن حرب ما الذي أنت صانع ... أتثبت أم ندعوك في الحرب قعددا؟
وظنّي بأن لا يصبر القوم موقفاً ... نقفه وإن لم نجز في الدّهر للمَدا
فلا رأى إلاّ تركنا الشّام جهرة ... وإن أبرق الفجفاج فيها وأرعدا

فلمّا سمع أهل الشام شعره أتوا به معاوية فهمَّ بقتله، ثمَّ راقب فيه قومه وطرده عن الشّام فلحق بمصر وندم معاوية على تسييره إيّاه، وقال معاوية: والله لقول السّلمي[2] أشدّ على أهل الشام من لقاء عليّ ما له قاتله الله لو أصاب خلف جابلق مصعداً نفذه ـ وجابلق مدينة بالمشرق وجابلص مدينة بالمغرب ليس بعدهما شيء.

وقال الأشتر حين قال عليٌّ عليه السلام: إنّني مناجز القوم إذا أصبحت:

قد دنا الفضل في الصّباح ... وللسّلم رجال وللحرب رجال

(١) في نسخة: ارغم.

(٢) في نسخة: لشعر السلمي.

فرجال الحروب كلّ خدبّ ... مُقحم لا تهدُّه الأهوال
يضرب الفارس المدجّج بالسيـ ... ـف إذا فُلّ في الوغا الأكفال
يا ابن هند شدّ الحيازيم للموت ... ولا يذهبَنْ بك الأمال
إنّ في الصّبح إن بقيت لأمراً ... تتفادى من حوله الأبطال
فيه عِزًا لعِراق أو ظفر الشام ... بأهل العراق والزّلزال
فاصبروا للطّعان بالأسَل السّمر ... وضرب يجري به الأمثال
إن تكونوا قتلتم النّفر البيض ... وغالت أُولئك الآجال
فلنا مثلهم وإن عظم الخطب ... قليلٌ أمثالهم أبدال
يخضبون الوشيح طعناً إذا ... جُرّت للموت بينهم أذيال
طلب الفوز في معاد وفي ذا ... تُستهانُ النّفوسُ والأموال

فلمّا انتهى إلى معاوية شعر الأشتر قال: شعر منكر من شاعر منكر رأس أهل العراق وعظيمهم ومسعّر حربهم وأوّل الفتنة وآخرها، وقد رأيت أن أكتب إلى عليّ كتاباً أسأله الشام وهو الشيء الأوّل الذي ردّني عنه وأُلقي في نفسه الشّكَّ والرِّقّة.

فضحك عمرو بن العاص ثم قال: أين أنت يا معاوية من خدعة عليّ؟

فقال: ألسنا بني عبد مناف؟

قال: بلى، ولكنَّ لهم النبوّة دونك وإن شئت أن تكتب فاكتب، فكتب معاوية إلى عليّ مع رجل من السّكسك يقال له عبد الله بن عقبة وكان من ناقلة أهل العراق فكتب:

أمّا بعد، فإنّي أظنّك أن لو علمت أنَّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا لم يجنها بعضنا على بعض، وإن كنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نندم به ما مضى ونصلح ما بقي، وقد كنت سألتك الشّام على أن لا تلزمني لك طاعةٌ ولا بيعة فأبيت ذلك عليّ فأعطاني الله ما منعت؛ وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإنّي لا أرجو من البقاء إلاّ ما ترجو، ولا أخاف من الموت إلاّ ما تخافُ، وقد والله رقّت الأجنادُ وذهبت الرِّجال، ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضلٌ إلاّ فضلٌ لا يستذلّ به عزيزٌ، ولا يسترقُّ بهُ حرٌّ والسّلام.

فلمّا انتهى كتاب معاوية إلى عليّ عليه السلام قرأهُ ثم قال العجب لمعاوية وكتابه ثمَّ دعا عليٌّ عليه السلام عبيد الله بن أبي رافع كاتبه فقال: اكتب إلى معاوية:

أمّا بعد، فقد جائني كتابُك تذكر أنّك لو علمتَ وعلمنا أنَّ الحرب تبلغ بنا وبك ما

بلغت لم يجنها بعضنا على بعض، فإنّا وإيّاك منها في غاية لم تبلغها[1]، وإنّي لو قتلت في ذات الله وحيّيت ثمَّ قتلت ثمَّ حيّيت سبعين مرَّة لم أرجع عن الشّدَّة في ذات الله والجهاد لأعداء الله.

وأمّا قولك: إنّه قد بقيَ من عقولنا ما نندم به على ما مضى فإنّي ما نقضت عقلي، ولا ندمت على فعلي؛ فأمّا طلبك الشّام فإنّي لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس.

وأمّا استواؤنا في الخوف والرَّجاء فإنّك لست بأمضى على الشكّ منّي على اليقين، وليس أهل الشّام بأحرص على الدُّنيا من أهل العراق على الآخرة.

وأمّا قولك: إنّا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل فلعمري إنّا بنو أبٍ واحدٍ ولكن ليس أُميّة كهاشم، ولا حربٌ كعبد المطّلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطّليق، ولا المحقّ كالمبطل، وفي أيدينا فضلُ النبوَّة التي أذللنا بها العزيز، وأعززنا بها الذَّليل. والسّلام[2].

عن نصر، عن عمر بن سعد، عن نمير بن وعلة قال: فلمّا أتى معاوية كتاب عليّ عليه السلام كتمه عن عمرو بن العاص أيّاماً ثمَّ دعاه بعد ذلك فأقرأه الكتاب فشمت به عمرو ولم يكن أحد من قريش أشدَّ تعظيماً لعليّ عليه السلام من عمرو منذ لقيه وصفح عنه فقال عمرو بن العاص فيما كان أشار به على معاوية شعراً.

ألا لِلَّهِ درُّكَ يا ابنَ هندٍ ... ودَرُّ الآمرينَ لكَ الشُّهُودِ
أتطمعُ لا أباً لكَ في عليٍّ ... وقد قُرِعَ الحديدُ على الحديد
وتَرجو أن تُخَبِّره بشكٍّ ... وترجو أن يَهابَك بالوعيدِ
وقد كشف القناع وجرَّ حرباً ... ويَشيبُ لهو لها رأس الوليد
له جأواءُ مظلمةٌ طحُونٌ ... فوارسها تلهّبُ كالأُسُودِ
يقول لها إذا دلفت إليه ... وقد ملّت طعان القوم عودي
فإن وردت فأوَّلُها وُرُوداً ... وإن صدرت فليس بذي صدودِ
وما هي من أبي حسنٍ بنكرٍ ... وما هي من مَسائك بالبعيد
وقلت له مقالة مستكين ... ضعيف الرُّكن منقطع الوريد
دعنَّ الشّام حسبك يا ابن هند ... من السّوءات والرأي الزَّهيد
ولو أعطاكها ما ازددت عزًّا ... ولا لك لو أجابك من مزيدِ
ولم تكسر بذاك الرَّأي عوداً ... لركّته ولا ما دون عودِ

(١) في نسخة: لم نبلغها.
(٢) نهج السعادة: ٤/ ٢٧٢، ووقعة صفين: ٤٧١.

فلمّا بلغ معاوية قول عمرو دعاه فقال: يا عمرو إنّني قد أعلم ما أردت بهذا قال: ما أردت؟ قال: أردت تفييل رأيي وإعظام عليّ وقد فضحك، فقال: أمّا تفييلي رأيك فقد كان، وأمّا إعظامي عليّاً فإنّك باعظامه أشدَّ معرفةً منّي ولكنّك تطويه وأنا أنشره، وأمّا فضيحتي فلم يفتضح امرؤٌ لقي أبا حسنٍ وقد كان معاوية شمت بعمرو حيث لقي من عليّ عليه السلام ما لقي فقال عمرو في شماتة معاوية:

معاوي لا تشمت بفارس بهمة ... لقي فارساً لا تعتريه الفوارس
معاوي إن أبصرت في الخيل مقبلاً ... أبا حسنٍ يهوي دهتك الوساوس
أيقنت أنّ الموت حقٌّ وأنّه ... لنفسك إن لم تمض في الرّكض حابس
فإنّك لو لاقيته كنت بومةً ... أُتيح لها صقرٌ من الجوّ آنسٌ
وماذا بقاءُ القوم بعد اختباطه ... وإنّ امرءاً يلقى عليّاً لا يسّ
دعاك فصمّت دونه الأذن هارباً ... فنفسك قد ضاقت عليها الأمالس
وأيقنت أنّ الموت أقرب موعدٍ ... وأن التي ناداك فيها الدّهارسُ
وتشمت بي أن نالني حدُّ رمحه ... وعضعضني نابٌ من الحرب ناهسٌ
أبى الله إلاّ أنّه ليثُ غابةٍ ... أبو أشبُل تُهدى إليه الفرايس
وإنّي امرؤٌ باقٍ فلم يلف شلوه ... بمعترك تسفي عليه الرّوامس
فإن كنت في شكّ فادهج عجاجه ... وإلاّ فتلك التُرّهات البسابس[(١)]

وكتاب معاوية في نسخة «الإمامة والسياسة» يخالف ما في كتاب «صفّين» في الجملة ففيه: لو علمت أن الحرب تبلغ ولم يأت بلفظة «وعلمنا» كما أتى بها في صفين[(٢)].

وفيه: فلنا منها ما ندمّ به - وكان في صفين «ما نندم به».

وفيه: وقد كنت سألتك ألاّ يلزمني - وكان في صفين «وقد كنت سألتك الشّام على أن لا تلزمني».

وفيه: وإنّي أدعوك إلى - وكان في صفين «وأنا أدعوك اليوم إلى».

وفيه: فإنّك لا ترجو من البقاء إلاّ ما أرجو، ولا تخاف من الفناء إلاّ ما أخاف - وكان في صفين بعكس ذلك، والتأمّل الصحيح يقضي بأن نسخة نصر كانت أمتن وأبلغ.

---

(١) الأمالي: ١٣٥ ح ٣٠، والغدير: ٢/ ١٦٢، ووقعة صفين: ٤٧٣.
(٢) الامامة والسياسة: ١/ ١٣٧.

صورة كتاب أمير المؤمنين علي ﷺ على ما في الإمامة والسياسة

قال الدّينوري: فلمّا انتهى كتابه ـ يعني كتاب معاوية المقدّم نقله ـ إلى عليّ ﷺ، دعا كاتبه عبيد الله بن أبي رافع، فقال: اكتب: أمّا بعد فقد جاءني كتابك تذكر أنّك لو علمت وعلمنا أنَّ الحرب تبلغ ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض، وإنا وإيّاك في غاية لمن بلغها بعد، وأمّا طلبك إليّ الشام فإنّي لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك أمس، وأمّا استواؤنا في الخوف والرّجاء فإنّك لست أمضى على الشّكّ منّي على اليقين، وليس أهل الشام بأحرص من أهل العراق على الآخرة، وأمّا قولك: إنّا بنو عبد مناف فكذلك ولكن ليس أُميّة كهاشم، ولا حرب كعبد المطّلب ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطّليق، ولا المحق كالمبطل، وفي أيدينا فضل النبوّة التي قتلنا بها العزيز، وبعنا بها الحرَّ. والسّلام(١).

نسخة الكتابين على ما في كتاب سليم بن قيس

قال سليم: ثمَّ إنَّ عليّاً ﷺ قام خطيباً فقال: أيّها الناس إنّه قد بلغكم ما قد رأيتم وبعدوكم كمثل فلم يبق إلاّ آخر نفس وإنَّ الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولّها وقد صبر لكم القوم على غير دين حتّى بلغوا فيكم ما قد بلغوا وأنا غادٍ عليهم بالغداة إن شاء الله ومحاكمهم إلى الله، فبلغ ذلك معاوية ففزع فزعاً شديداً وانكسر هو وجميع أصحابه وأهل الشام لذلك فدعا عمرو بن العاص فقال: يا عمرو إنّما هي اللّيلة حتّى يغدوا علينا فما ترى؟

قال: أرى الرّجال قد قلّوا، وما بقي فلا يقرمون لرجاله ولست مثله وإنما يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء وليس يخاف أهل الشام عليّاً إن ظفر بهم ما يخاف أهل العراق إن ظفرت بهم، ولكن ألق إليهم أمراً فإن ردّوه اختلفوا وإن قبلوه اختلفوا، ادعهم إلى كتاب الله وارفع المصاحف على رؤوس الرّماح فإن بالغ حاجتك فإنّي لم أزل أدّخرها لك.

فعرفها معاوية وقال: صدقت ولكن قد رأيت رأياً أخدع به عليّاً طلبي إليه الشام على الموادعة وهو الشيء الأول الذي ردّني عنه.

فضحك عمرو وقال: أين أنت يا معاوية من خديعة عليّ؟ وإن شئت أن تكتب فاكتب.

قال: فكتب معاوية إلى عليّ ﷺ كتاباً مع رجل من أهل السّكاسك يقال له عبد الله بن

(١) كنز الفوائد: ٢٠١، وبحار الأنوار: ٣٢/٦١١.

عقبة: أمّا بعد فإنّك لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمناه نحن لم يجنها بعضنا على بعض وإن كنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي منها ما نرم به ما مضى ونصلح ما بقي، وقد كنت سألتك الشام على أن لا تلزمني لك طاعة ولا بيعة فأبيت ذلك فأعطاني الله ما منعت وأنا أدعوك إلى ما دعوتك إليه أمس فإنّك لا ترجو من البقاء إلاّ ما أرجوه ولا تخاف من الفناء إلاّ ما أخاف، وقد والله رقّت الأكباد وذهب الرِّجال، ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل يستذلّ به عزيز ولا يسترقُّ به ذليل. والسلام.

قال سليم: فلمّا قرأ عليّ عليه السلام كتابه ضحك وقال: العجب من معاوية وخديعته لي فدعا كاتبه عبيد الله بن أبي رافع فقال له: اكتب: أمّا بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنّك لو علمت أنَّ الحرب تبلغ بنا وبك إلى ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض، وإنّا وإيّاك يا معاوية على غاية منها لم نبلغها بعد، وأمّا طلبك الشام فإنّي لم أعطك اليوم ما منعتك أمس، وأمّا استواؤنا في الخوف والرَّجاء فإنّك لست بأمضى على الشّك مني على اليقين وليس أهل الشام أحرص على الدُّنيا من أهل العراق على الآخرة، وأمّا قولك: إنّا بنو عبد مناف ليس لبعضنا فضل على بعض فكذلك نحن ولكن ليس أُميّة كهاشم، ولا حرب كعبد المطّلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا الطليق كالمهاجر، ولا المنافق كالمؤمن، ولا المبطل كالمحق، في أيدينا فضل النبوّة التي ملكنا بها العرب، واستعبدنا بها العجم. والسّلام(١).

وكتاب معاوية على نسخة المسعودي: «وإنّا وإن كنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا ما نردّ به ما مضى» «على أن لا تلزمني لك طاعة وأنا أدعوك اليوم» «وذهبت الرِّجال» «ويسترقّ به حرٌ، والسّلام» وسائر العبارات تطابق نسخة سليم.

وكتاب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على نسخته «وأنا وإيّاك نلتمس منها غاية لم نبلغها بعد»، «وليس أهل الشام على الدُّنيا بأحرص» «وليس أُميّة» «وفي أيدينا فضل النبوّة التي قتلنا بها العزيز و بعنا بها الحرّ والسّلام» وسائر عباراته توافق نسخة سليم.

ونسخة كتاب الأمير عليه السلام من الكراجكي في **«الكنز»** تطابق نسخة المسعودي في **«المروج»**، وأمّا نسخة كتاب معاوية ففي **«الكنز»**: «فقد بقي لنا ما نرم به ما مضى» كما في نسخة سليم «يستذلّ به عزٌ ولا يسترقّ به حد والسلام» والبواقي توافق نسخة المسعودي.

أقول: وبعد اللّتيا والتي فلم نجد مع الجدّ في الطّلب وكثرة الفحص والتتبّع رواية تحوز جميع ما في نسخة الرّضي في **«النهج»** أو توافق لها متناً، أو تطابق أجوبتها ما أتى به معاوية في كتابه وإن كان الاختلاف قليلاً ولا نشكُّ في أنّ الرضيّ نقل كلامه عليه السلام من مآخذ قيمةٍ كانت

(١) كنز الفوائد: ٢٠١، وبحار الأنوار: ٣٣/ ١٣٠.

تحضره، غاية الأمر أن يكون مختار واحد ملفّقاً من ملتقطات عباراته الشتّى.

نعم على ما نقله الفاضل البحراني في شرحه على النهج تطابق أجوبة كتابه عليه السلام كتاب معاوية، قال: كتب إليه معاوية: أمّا بعد فإنّي أظنّك لو علمت أنَّ الحرب يبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا لم يجنها بعض على بعض، وإنّا وإن كنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نندم بها على ما مضى ونصلح به ما بقي، وقد كنت سألتك الشام على أن لا يلزمني لك طاعة ولا بيعة وأبيت ذلك عليَّ فأعطاني الله ما منعت وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإنّك لا ترجو من البقاء إلاّ ما أرجو ولا أخاف من القتل إلاّ ما تخاف وقد والله رقّت الأجناس وذهبت الرجال وأكلت الحرب العرب إلاّ حشاشات نفس بقيت، وأنّا في الحرب والرِّجال سواء ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل إلاّ فضل لا يستذلّ به عزيز ولا يسترقّ به حرّ. والسّلام. فلمّا قرأ عليّ عليه السلام كتابه تعجّب منه ومن كتابه ثمَّ دعا عبيد الله بن أبي رافع كاتبه وقال له اكتب إليه أمّا بعد فقد جاءني كتابك تذكر ـ الفصل.

اللغة

«طلبك إليَّ» قال في أقرب الموارد: طلب إليَّ: رغب، وقال الفاضل الشارح المعتزلي: يقال: طلبت إلى فلان كذا والتقدير طلبت كذا راغباً إلى فلان كما قال تعالى: ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ أي مرسلاً، وفي تعليقة نسخة خطيّة عندنا فسّرت العبارة هكذا: أي طلبك الشام قاصداً إليَّ بذلك، وسيأتي وجه آخر في **«بيان الإعراب»**.

«حشاشات» جمع حشاشة بالضمّ، الحشاش والحشاشة بقيّة الرّوح في المريض قال في **«الأساس»**: وما بقي منه إلاّ حُشاشة، قال ذو الرُّمّة:

فلمّا رأين اللّيل والشمس حيّةً حياة التي تقضي حُشاشة نازِعِ

وفي **«الحماسة»** (٢٠٢):

فهل أنت إلاّ مستعيرٌ حشاشةً لمهجة نفس آذنت بفراقِ

وقال المرزوقي في **«الشرح»**: الحشاشة هي روح القلب، ورمقٌ من حياة النّفس وقد آذنت بالمفارقة، والمهجة: خالصة النفس.

وفي **«منتهى الأرب»**: حشاش بالضمّ كغراب: بقيّه جان دربيمار وجريح، حشاشه **(بالهاء)** كذلك.

«الطّليق» قال ابن الأثير في **«النهاية»**: وفي حديث حنين: وخرج إليها ومعه الطّلقاء، هم الذين خلّى عنهم يوم فتح مكّة وأطلقهم ولم يسترقّهم واحدهم طليق فعيل بمعنى مفعول

وهو الأسير إذ اطلق سبيله، ومنه حديث الطّلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف كأنّه ميّز قريشاً بهذا الإسم حيث هو أحسن من العتقاء.

«الصّريح»: الخالص من كلّ شيء، قال الفيومي في «**المصباح**»: صرح الشيء بالضمّ صراحة صروحة: خلص من تعلقات غيره فهو صريح، وعربيٌّ صريح خالص النّسب والجمع صرحاء، وكلّ خالص صريح، ومنه قولٌ صريح وهو الذي لا يفتقر إلى إضمار أو تأويل.

وفي أقرب الموارد يقال: رجلٌ صريح النسب أي خالصه.

«اللّصيق» أصل اللّصيق: الدَّعيُّ في قوم الملصق بهم وليس منهم من قولك لصق الشيء بغيره من باب تعب لصقاً ولصوقاً: لزق، وقال في «**الأساس**»: ومن المجاز: فلان ملصقٌ ولصيقٌ، دعيٌّ.

«المدغل» اسم فاعل من الإدغال، قال الجوهريُّ في «**الصحاح**»: الدَّغل بالتحريك: الفساد مثل الدَّخل، يقال: قد أدغل في الأمر إذا أدخل فيه ما يخالفه ويفسده.

وفي «**النهاية**» الأثيريّة: فيه ـ يعني في الحديث ـ اتّخذوا دين الله دغلاً أي يخدعون النّاس، وأصل الدَّغل الشجر الملتفّ الذي يكمن أهل الفساد فيه، وقيل: هو من قولهم: أدغلت في هذا الأمر إذا أدخلت فيه ما يخالفه ويفسده ومنه حديث عليّ عليه السلام (**ليس المؤمن بالمدغل**) هو اسم فاعل من أدغل.

«نعشنا» نعشه الله ينعشه من باب منع أي رفعه، قال الجوهريُّ: لا يقال أنعشه الله، وسمّي سرير الميّت نعشاً لارتفاعه وإذا لم يكن عليه ميّت محمول فهو سرير، قاله ابن الأثير في «**النهاية**»، وقال المرزوقي في شرحه على (**الحماسة ٣٦٨**): النعش شبيه بالمحفّة كان يحمل عليه الملك إذا مرض؛ ثم كثر حتّى سمّي النعش الذي فيه الميّت نعشاً.

«رغبة» بالفتح فالسكون مصدر من قولك رغب فيه من باب علم إذا أراده بالحرص عليه وأحبّه.

و«رهبة» كالرغبة أي الخوف مصدر رهب الرّجل منه من باب علم إذا خاف منه.

الإعراب

«وأمّا طلبك إليّ الشام» الواو عاطفة على ما سبق في الكتاب من قوله: (**وأمّا قولك إنّه قد بقي من عقولنا**) ـ إلخ ـ كما دريت في بيان المآخذ، وفي بعض النسخ: (**فأمّا طلبك**)، (**بالفاء**) كما في نسخة نصر المقدّم نقلها، ونسخة الرّضي أصحّ، وياء (**إليّ**) مشدّدة مدغمة من (**ياء**) إلى الجارّة (**وياء**) ضمير المتكلّم المجرور (**والشّام**) منصوب مفعول للطّلب.

والعبارة في بعض النسخ مشكولة بجرّ الشام وتخفيف إلى أي رغبتك إلى الشّام ونحوه، وكأنّها وهم ونسخة الرَّضي وأكثر المتون ما اخترناها وهو أوفق بأسلوب الكلام، وأوثق في تأدية المعنى، وأوجز وأبلغ في الفحوى والمغزى.

وأمكن أن تكون كلمة (إلى) بمعنى (من) أي طلبك منّي الشّام نحو قول عمرو بن أحمر الباهلي في قصيدة قالها بعدما هرب من يزيد بن معاوية لما بلغ عنه شيء إليه.

تقول وقد عاليتُ بالكوُر فوقها ... أيسقى فلا يروى إليّ بن أحمر؟

أي تقول الناقة وقد رفعت الرَّحل ووضعته على ظهرها: أيركبني عمرو بن أحمر فلا يملّ من ركوبي، والبيت في جامع الشواهد.

«اكلت» الضمير يرجع إلى الحرب وهي تؤنّث وتذكّر.

«حشاشات» منصوب بالكسر لأنَّ المستثنى متصل، «ألا» حرف تنبيه.

«فإلى النّار» خبر لقوله (**من الموصولة في من أكله**). (**والفاء**) في (**فإلى**) لتضمّن (**من**) معنى الشّرط، وقال ابن الحاجب في البحث عن المبتدأ والخبر (**من**) الكافية: وقد يتضمّن المبتدأ معنى الشرط فيصحّ دخول (**الفاء**) في خبره وذلك إمّا الاسم الموصول بفعل أو ظرف أو النكرة الموصوفة بهما مثل الذي يأتيني أو الذي في الدّار فله درهم ومثل كلّ رجل يأتيني أو في الدّار فله درهم.

«ما منعتك» (**ما**) موصول اسمي مفعول ثان لأعطيك «منّي على اليقين» الظّرفان متعلّقان بأمضى، (**ومن أهل العراق على الآخرة**) متعلّقان بأحرص «أُميّة» غير منصرف للعلميّة والتأنيث، وكذلك سفيان لمكان (**الألف والنّون**) الزّائدتين كعثمان.

«لبئس» بئس من أفعال الذَّم، (**الخلف**) فاعله وخلف مخصوص بالذمّ وجملة (**يتبع سلفاً**)، في محلّ الرّفع صفة له لأنّه نكرة، (**وجملة هوى في نار جهنّم**) في محلّ الرّفع صفة (**لسلف لذلك**).

(**في أيد**) خبر (**فضل النبوّة**) قدّم توسعاً للظرف (**والواو**) للحال فالجملة حالية بعد مبنيّ على الضمّ حذف المضاف إليه بقرينة المقام كما سيعلم في المعنى، (**نعشنا**) عطف على قوله (**اذللنا**).

«كنتم» جواب (**لمّا**)، وأفرد (**دخل**) لظاهر من، على حين كقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص: ١٥] وقال الفاضل أبو البقاء يعيش بن عليّ بن يعيش في «**تفسير التبيان في إعراب القرآن**»: (**على حين غفلة**) حال من المدينة ويجوز أن يكون حالاً من

الفاعل أي مختلساً. انتهى. ففي المقام جاز أن يكون على حين حالاً من ضمير **(كنتم)** أو من **(الذين)** وإن كالأوّل أنسب بسياق الكلام.

«طوعاً» و«كرهاً» مصدران في موضع الحال وكذا رغبة ورهبة وذوا لحال في الصورة الأُولى **(الأمّة)** وفي الثانية **(من)**.

«وذهب» عطف على **(فاز)**، أي على حين ذهب، **(والباء)** في **(بفضلهم)** للتّعدية أعني صار فعل ذهب بها متعدّياً، وفي باء التعدية معنى المصاحبة أيضاً، ولذلك إذا تعدّى الفعل اللازم بباب الافعال يفيد معنى، وإذا تعدّى بباء لجر يفيد معنى آخر يغاير الأوّل؛ مثلاً إذا قلت أذهبت زيداً جعلت زيداً ذاهباً وما ذهبت معه، وإذا قلت ذهبت بزيدٍ جعلته ذاهباً وأنت أيضاً ذاهب معه لمكان **(الباء)**؛ فتبصّر من لطافة قوله عليه السلام **(وذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم)**.

(والأوّلون) صفة للمهاجرين، **(والباء)** في **(بسبقهم)** سببيّة.

«نصيباً» مفعول **(لا تجعل)**، وللشيطان متعلق به وكذلك فيك **(قدّما عليه)** توسعاً للظّروف.

«ولا على نفسك سبيلاً» معطوف على **(الشيطان)** فسبيلاً مفعول الفعل وعلى نفسك متعلق به **(قدّم عليه)** للظرفيّة.

المعنى

هذا الكتاب كتب قبل ليلة الهرير كما هو الظاهر، قيل بيومين أو ثلاثة جواباً عن كتاب كتبه معاوية إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وإنّما كتبه معاوية إليه بعد ما بلغه قوله عليّ عليه السلام: **(لأُناجزنّهم مصبحاً)**، وتناقل الناس كلمته وفزع أهل الشام لذلك وانكسروا لقوله كما تقدّم الكلام فيه من نصر وغيره آنفاً.

ومعاوية قد أظهر في كتابه الندامة والنفرة على إنارته نارا لحرب وإثارته إيّاها وإقدامه على إقبالها، واعترف بأنه أطاع نفسه في ذلك وأدبر عن فتيا العقل، وفيه أشعار بجزعه من الحرب واضطرابه من القتال وعدم نجدته في الحراب.

وأساء بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام الظنَّ وخرج عن صوب الصواب وطريق الأدب حيث خاطبه عليه السلام بقوله: فإنّي أظنّك ـ إلى قوله: لم يجنها بعض على بعض وأشركه في اتّباعه الهوى وخروجه عن الطريقة المثلى، بقوله: وإنّا وإن كنّا قد غلبنا على عقولنا.

وطلب منه عليه السلام ثانياً أن يترك الشّام، ولا يطلب منه طاعة ولا بيعة كما كان طلبه منه كذلك من قبل.

وشمخ بأنفه وأرعد وأبرق فجعل نفسه خليفة الله بقوله: فإنّك لا ترجو من البقاء ـ إلخ.

واستعطفه ودعاه إلى الشّفقة على النّاس والكفّ من البأس بقوله: وقد والله رقت ـ إلخ.

وخوّفه باستواء الفريقين في الحرب والرّجال بقوله: وإنّا في الحرب ـ إلخ.

ثمَّ تبصبص وأبدى القرابة منه بأنَّ أميّة وهاشم صنوان من أصل واحد.

ثمَّ تغطرس بأنَّ بني عبد مناف ليس لبعضهم على بعض فضل، واستثنى من ذلك فقال: إلاّ فضل لا يستذلُّ به عزيز ولا يسترقّ به حرّ، فأجاب عنها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بما ترى:

أمّا بعد فقد جاءني كتابك تذكر: «أنّك لو علمتَ وعلمنا أنَّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض» نقل كلام معاوية أوّلاً فأجابه بقوله: **(فإنا وإيّاك منها في غاية لم نبلغها، وإنّي لو قتلت في ذات الله وحُييت ثمّ قتلت ثمّ حييت سبعين مرّة لم أرجع عن الشدّة في ذات الله والجهاد لأعداء الله)**.

وضمير **(منها)** يرجع إلى الحرب، وكلمة **(لم تبلغها)** جاءت في نسخة نصر **(بتاء)** الخطاب وفي نخسة كنز الكراجكي **(بياء)** الغيبة وفي سائر النسخ **(بنون)** المتكلّم مع الغير، والأخير أنسب بسياق الكلام، والمراد: أنّا نلتمس وننتظر من الحرب غايةً لم نبلغها بعدُ، أي إنّي أعلم أنَّ الحرب ستشبُّ إلى حدّ يكون ما مضى منها دونه.

وكلامه هذا إذعار معاوية وإرغامه في قبال قوله ذلك، وتهديد وتخويف وإيعاد إيّاه بأنَّ أمره سيؤل إلى أشدُّ من ذلك وأنَّ عاقبته وخيمة وأنَّ عاقبة الذين أساؤوا السّوأى، وإنبائه بنفسه أي إنّي لعلى بصيرة وبيّنة من ربّي وإنّي لعلى الطّريق الواضح، ثمَّ أكّده بقوله: **(وإنّي لو قتلت في ذات الله وحييت ثمّ قتلت ثمّ حييت سبعين مرّة لم أرجع عن الشدّة في ذات الله والجهاد لأعداء الله)**، وأعلمه بذلك ثبات قدمه في الدّين، وكونه على النهج القويم والصّراط المستقيم، وعدم بأسه من القتال والقتل في سبيل الله ولو قتل وحيّي سبعين مرّة، وعرّف في أثناء قوله معاوية ومن سلكوا مسلكه واتّبعوا مأخذه بأنّهم كافرون لأنهم أعداء الله.

واعلم أنَّ أولياء الله لكونهم على بيّنة من ربّهم لا يبالون وقعوا على الموت أو وقع الموت عليهم، ولا يخافون من القتل في سبيل الله ولا من القتال في سبيله، ويعلمون أنّهم لا يتربّصون بالأعداء إلاّ إحدى السوئين، وأنَّ الأعداء لا يتربّصون بهم إلاّ إحدى الحُسنيين إمّا الفتح وإمّا الشهادة كما قال الله تعالى خطاباً لرسوله صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [التوبة: ٥٢].

واقتفى أثره عليه السلام في قوله هذا: (وإنّي لو قتلت في ذات الله) - إلخ، الذين استضاؤوا من مشكاة وجوده، واقتبسوا من نور علمه وربّوا في بيته وحجره، واحتذروا حذوه، واتّبعوا سبيله سلام الله عليهم أجمعين: فهذا هو عمّار بن ياسر فاستمع ماذا يقول رضوان الله عليه: روى نصر في «صفين» عن عمر قال: حدَّثني عبد الرَّحمٰن بن جندب، عن جندب بن عبد الله قال: قام عمّار بن ياسر بصفّين فقال: امضوا عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظّالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله إنّما قتله الصّالحون المنكرون للعدوان الأمرون بالإحسان فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا: لأحداثه، فقالوا: إنَّه ما أحدث شيئاً وذلك لأنّه مكّنهم من الدُّنيا فهم يأكلونها ويرعونها ولا يبالون لو انهدّت عليهم الجبال، والله ما أظنهم يطلبون دمه إنّهم ليعلمون أنّه لظالم ولكنَّ القوم ذاقوا الدُّنيا فاستحبّوها واستمرؤوها، وعلموا لو أنَّ الحقَّ لزمهم لحال بينهم وبين ما يرعون فيهم منها، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقّون بها الطاعة والولاية فخدعوا أتباعهم بأن قالوا قتل إمامنا مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً، وتلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون ولولا هي ما بايعهم من النّاس رجلان، اللّهمَّ إن تنصرنا فطالما نصرت، وإن تجعل لهم الأمر فاذخر لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الأليم، ثمَّ مضى ومضى معه أصحابه فلمّا دنى من عمرو بن العاص فقال: يا عمر وبعت دينك بمصر تبّاً لك وطالما بغيت الإسلام عوجاً ثمّ حمل عمّار وهو يقول:

صدق الله وهو للصّدق أهلٌ ... وتعالى ربّي وكان جليلاً
ربِّ عجّل شهادةً لي بقتلٍ ... في الذي قد أحبُّ قتلاً جميلاً
مُقبلاً غيرَ مُدبرٍ إنَّ للقتلِ ... على كلِّ ميتةٍ تفضيلاً
إنّهم عند ربّهم في جنانٍ ... يشربون الرَّحيق والسلسبيلا
من شراب الأبرار خالطه المسك ... وكأساً مزاجها زنجبيلاً

والأبيات الثلاثة الأخيرة تشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان: ١٧، ١٨].

قال نصر: ثمَّ نادى عمّار عبيد الله بن عمر وذلك قبل مقتله فقال: يا ابن عمر صرعك الله بعت دينك بالدُّنيا من عدوٌ الله وعدوٌ الإسلام، قال: كلاّ ولكن أطلب بدم عثمان الشهيد المظلوم، قال: كلاّ أشهد على علمي فيك أنك أصبحت لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله وأنّك إن لم تقتل اليوم فستموت غداً فانظر إذا أعطى الله العباد على نيّاتهم ما نيّتك؟

ثمَّ قال عمّار: اللّهمَّ إنّك لتعلم أنّي لو أعلم أنَّ رضاك أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلت، اللّهمَّ إنّك تعلم أنّي لو أعلم أنَّ رضاك أن أضع ظبة سيفي في بطني ثمَّ أنحنى عليها حتّى تخرج من ظهري لفعلت، اللّهمَّ وإنّي أعلم ممّا أعلمتني أنّي لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم اليوم عملاً أرضى لك منه لفعلته **(ص ١٦٥ من الطبع الناصري)**.

وقد نقل قوله هذا أبو جعفر الطّبري في تاريخه كما تقدّم في «**شرح المختار**» ٢٣٦ من باب الخطب **(ص ٢٨٤ ج ١٥)**.

وتقدّمت طائفة من كلمات قيّمة من أصحاب عليّ عليه السلام في شرح الكتاب العاشر فراجع.

ولمّا جمع ريحانة رسول الله سيّد الشهداء الحسين بن عليّ عليهما السلام أصحابه عند قرب المساء من يوم التّاسوعاء وقال لهم: إنّي قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم منّي ذمام هذا اللّيل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً[1]، فبعد ما قال أعوانه من إخوته وأبنائه وبني أخيه وبني عقيل وابني عبد الله بن جعفر ما قالوا، قال إليه مسلم بن عوسجة رضوان الله عليه فقال: أنحن نخلّي عنك وبما نعتذر إلى الله في أداء حقّك أما والله حتّى أطعن في صدورهم برُمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمة في يدي ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة والله لا نخلّيك حتّى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسوله فيك، أما والله لو قد علمت أنّي أُقتل ثمَّ أُحيي ثمَّ أُحرق ثمَّ أُحيي ثمَّ أُذرى يفعل ذلك بي سبعين مرّة ما فارقتك حتّى ألقى حمامي دونك وكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة ثمَّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

وقام زهير بن القين رحمة الله عليه فقال: والله لوددت أنّي قتلت ثم نشرت ثمَّ قتلت

---

(١) الإرشاد: ٢/ ٩٢، وبحار الأنوار: ٤٤/ ٣٩٣.

حتّى أُقتل هكذا ألف مرّة وأنّ الله عزَّ وجلَّ يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك.

تومكن تهديدم ازكشتن كه من	تشنه زارم بخون خويشتن
عاشقانرا هر زماني مردني است	مردن عشاق خود يك نوع نيست
اودوصد جان دارد از نور هُدى	وآندو صد را ميكند هردم فدا
هريكى جان را ستاند ده بها	از نبي خوان عشرة أمثالها
آزمودم مرگ من در زندگيست	چون رهم زين زندگى پايندگيست
إنَّ في موتي حياتي يا فتى	كم أُفارق موطني حتّى متى
فرقتي لو لم تكن في ذا السكون	لم يقل إنّا إليه راجعون

قال عليه السلام وأمّا قولك: «أنّه قد بقي من عقولنا ما نندم به على ما مضى» نقل كلام معاوية ثمَّ أجابه بقوله: «فإنّي ما نقضت عقلي ولا ندمت على فعلي» وذلك لأنّه عليه السلام كان مأموراً بقتاله من الله تعالى كما احتجَّ عليه السلام بذلك على معاوية في الكتاب السابع **(ص ٢٢٣ ج ١٦)** حيث قال معاوية: وإنّي أُحذرك الله أن تحبط عملك وسابقتك بشق عصا هذه الأمّة وتفريق جماعتها. فأجابه الأمير عليه السلام: فلعمري لو كنت الباغي عليك لكان لك أن تحذّرني ذلك، ولكنّي وجدت الله تعالى يقول: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ فنظرنا إلى الفئتين ما الفئة الباغية؟ فوجدناها الفئة التي أنت فيها ـ إلخ.

على أنَّ الحجج الإلٰهيّة كما أنّهم معصومون من الذُّنوب كذلك معصومون من أن يفعلوا فعلاً أو يتركوا ما يوجب ندامتهم به لأنّهم ينظرون بنور الله ويحكمون بالعقل النّاصح فإذا سكتوا فسكوتهم هو الصّواب، وإذا نطقوا فنطقهم هم الصّواب وإذا فعلوا ففعلهم هو الصّواب وإذا تركوا وكفّوا فتركهم هو الصّواب، ثمَّ من لم يكن عالماً بعواقب الأمور يندم من فعله لأنّه يفعل فعلاً كان الصواب تركه أو يترك فعلاً كان الصواب فعله، فإذا ظهر له خلافه يندم به فأين هذا ممّن كان بنهاية قربه من الله وكمال الإتّصال بجنابه وتمام الحضور إلى حضرته مصوناً ومعصوماً عن جميع ما تنفر عنها الطباع، وقد تقدَّم البحث عن صفاتهم وعصمتهم في **«شرح المختار»** ٢٣٧ من باب الخطب ولذا قال عليه السلام: **(فإنّي ما نقضت عقلي ولا ندمت على فعلي)**، وفي بعض النسخ: **(فإنّي ما تنقّضت عقلي)**، أي ما أنسبه إلى النقصان.

قال عليه السلام: «وأمّا طلبك إليّ الشّام فإنّي لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس» طلب معاوية من الأمير عليه السلام الشّام غير مرّة كما اعترف به في كتابه المتقدّم إليه، وكان أتباعه أيضاً

يطلبون بأمره من الأمير عليه السلام أن يخلّي بينهم وبين الشام، ويخلّوا بينه وبين العراق وهماً منهم أنَّ خلفاء الله تعالى إنّما يقاتلون أعداء الله لاقتراف الدّيار والعقار وحطام الدُّنيا وقد روى نصر في صفّين **(ص ٢٥٥)** أنَّ رجلاً من أهل الشام ينادي بين الصفّين: يا أبا حسن يا عليّ ابرز إليّ فخرج إليه عليّ عليه السلام حتّى إذا اختلف أعناق دابّتيهما بين الصفّين؛ فقال يا عليُّ إنَّ لك قدماً في الإسلام وهجرة فهل لكل في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدِّماء وتأخير هذه الحروب حتّى ترى من رأيك؟

فقال له عليٌّ عليه السلام: وما ذاك؟

قال: ترجع إلى عراقك فنخلّي بينك وبين العراق ونرجع إلى شامنا فتخلّي بيننا وبين شامنا.

فقال له عليٌّ عليه السلام: لقد عرفت أنّما عرضت هذا نصيحة وشفقة، ولقد أهمّني هذا الأمر وأسهرني وضربت أنفه وعينه فلم أجد إلاّ القتال أو الكفر بما أنزل على محمّد صلى الله عليه وآله إنَّ الله تبارك وتعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فوجدت القتال أهون عليَّ من معالجة الأغلال في جهنّم[1]، فرجع الشاميّ وهو يسترجع.

أقول: وقد مضى كلامنا في ذلك في شرح المختار ٢٣٦ من باب الخطب **(ص ٣٢٢ ج ١٥)**، وهذا من أبناء الدُّنيا يقصر الهمّة في الماء والكلاء ويتمرّغ في الأهواء والأميال الشهوانيّة، وذلك رجل إلهيٌّ وسفير ربّانيٌّ يرشد النّاس من عبارة وجيزة إلى حقيقة أشرقت من صبح الأزل فيها بيان علّة قيام أولياء الله ونهضتهم في قبال أعدائه قائلاً: إنَّ الله تبارك وتعالى لم يرض من أوليائه ـ إلخ. والحريُّ بباغي الرُّشد أن ينظر حقَّ النّظر في قوله عليه السلام فوجدت القتال أهون عليَّ من معالجة الأغلال في جهنّم.

ولقد سبق معاوية في الطّلب المذكور مسيلمة المتنبّي إلاّ أنَّ هذا المفتري الكذّاب طلب من النبيِّ وذاك طلب من الوصيِّ سنّةً بسنّةٍ؛ ففي **«السيرة النبوية»** لابن هشام **(ص ٦٠٠ ج ٢ طبع مصر ١٣٧٥ هـ)**: وقد كان مُسيلمة بن حبيب قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: من مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله سلام عليك، أمّا بعد فإنّي قد أشركت في الأمر معك وإنَّ لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكنّ قريشاً قوم يعتدون.

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب.

---

(١) الغدير: ١٠/ ٤٧، ونهج السعادة: ٢/ ٢٢٧.

قال ابن هشام: قال ابن إسحاق: فحدَّثني شيخ من أشجع عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعيّ، عن أبيه نُعيم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه: فما تقولان أنتما؟ قالا: نقول كما قال، فقال: أما والله لولا أنَّ الرُّسل لا تقتل لضربتُ أعناقكما، ثمَّ كتب ﷺ إلى مسيلمة:

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم: من محمّد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب: السّلام على من اتّبع الهدى، أمّا بعد فإنَّ الأرض للّهِ يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين[1].

وهذه المشابهة بين مسيلمة وبين معاوية في النبيِّ والوصيِّ شبيهة بما وقع بين النبيّ ﷺ وسهيل بن عمرو يوم الحديبيّة، وبين الوصيّ عليه السلام ومعاوية يوم صفّين وذلك أنَّ صحيفة الصلح لمّا كتبت يوم الحديبيّة «هذا ما تصالح عليه محمّد رسول الله وسهيل بن عمرو» قال سهيل: لا أُجيبك إلى كتاب تسمّى رسول الله ولو علمت أنّك رسول الله لم أُقاتلك إنّي إذا ظلمتك إن منعتك أن تطوف ببيت الله وأنت رسول الله ولكن اكتب محمّد بن عبد الله اجيبك.

ولمّا كتبت صحيفة الصلح يوم صفين «هذا ما تقاضى عليه عليٌّ أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان» قال معاوية: بئس الرَّجل أنا إن أقررت أنّه أمير المؤمنين ثمَّ قاتلته فمحوا كلمة أمير المؤمنين، وقد مرَّ تفصيله في «**شرح المختار**» ٢٣٦ ص ٢٤٢ من ج ١٥ فراجع.

والعجب لمعاوية تارة يحرّض النّاس ويألّبهم على قتال الحقِّ مدّعياً الطّلب بدم عثمان، ويتّخذ عمرو بن العاص العاصي الظالم المضلّ عضده وجعل مصراً طعمة له؛ ومرَّةً يطلب من أمير المؤمنين عليه السلام الشّام فأين هذا من ذاك؟ ولا يدري أنّه كان بأيِّ رأي يعيش؟ بلى من كان ميّت القلب وأعماه حبُّ الدُّنيا فهو يهيم في كلّ وادٍ من أودية الأباطيل والأضاليل والأهواء المردية والآراء الرَّدية، قال عزَّ من قائل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩].

ايعجب چون من نبينند اين سپاه ... عالمى پر آفتاب چاشتگاه
چشم باز وگوش باز واين ذكا ... حيرتم از چشم بندى خدا
دو سر انگشت بر دو چشم نه ... هيچ بيني از جهان انصاف ده
ورنه بينى اين جهان معدوم نيست ... عيب جزز انگشت نفس شوم نيست
توز چشم انگشت را بردار هين ... وانگهاني هرچه ميخواهى ببين
نوح راگفتند أُمت كو ثواب؟ ... گفت او زانسوى واستغشوا ثياب

(١) الكافي: ١/٤٠٧ ح ١، وبحار الأنوار: ٩/٣٣٥ ح ٢٠.

روو سر در جامه ها پيچيده اند لا جرم با ديده وبى ديده اند

وقوله: (أمس) إشارة إلى طلبه من أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حين بويع بالخلافة إقراره على إمرة الشّام، ونقل عن ابن عبّاس أنّه قال له عليه السلام: ولّه شهراً واعزله دهراً فإنّه بعد أن يبايعك لا يقدر على أن يعدل في إمرته ولا بدَّ أن يجوز فتعزله بذلك، فقال عليه السلام: كلا وما كنت متّخذ المضلّين عضداً.

وقال المسعوديُّ في «مروج الذّهب» (ص ٥ ج ٢) أتى المغيرة بن شعبة عليّاً فقال له: إنَّ حقَّ الطاعة النصيحة، وإنَّ الرأي اليوم تحوز به ما في غد، وإنَّ التّصارع اليوم تضيع به ما في غد، اقرر معاوية على عمله، واقرر ابن عامر على عمله، واقرر العمّال على أعمالهم حتى إذا أتتك طاعتهم وطاعة الجنود استبدلت أو تركت.

قال عليه السلام: (حتّى أنظر)، فخرج من عنده وعاد إليه من الغد فقال: إنّي أشرت عليك بالأمس برأي وتعقّبته وإنّما الرأي أن تعالجهم بالنزع فتعرف السامع من غيره ويستقلّ أمرك، ثمّ خرج فتلقّاه ابن عبّاس خارجاً وهو داخل فلمّا انتهى إلى عليّ عليه السلام قال: رأيت المغيرة خارجاً من عندك ففيم جاءك؟ قال: جاءني أمس بكيت وكيت، وجاءني اليوم بذيت وذيت، فقال: أمّا أمس فقد نصحك وأمّا اليوم فقد غشّك.

قال: فما الرّأي؟ قال: كان الرّأي أن تخرج حين قتل عثمان أو قبل ذلك فتأتي مكّة فتدخل دارك فتغلق عليك بابك فإنَّ العرب كانت لجائلة مضطرّة في إثرك لا تجد غيرك فأمّا اليوم فإنَّ بني أُميّة سيحسنون الطّلب بأن يلزموك شعبة من هذا الأمر ويشبهون فيك على النّاس، وقال المغيرة: نصحته فلم يقبل فغششته وذكر أنه قال وأمّا أنا فنصحته قبلها ولا أنصحه بعدها.

قال المسعوديُّ: وجدت في وجه آخر من الرّوايات أنَّ ابن عبّاس قال: قدمت من مكّة بعد مقتل عثمان بخمس ليال فجئت عليّاً أدخل عليه فقيل لي عنده المغيرة بن شعبة فجلس بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلّم عليَّ، وقال: متى قدمت؟ قلت: الساعة، و دخلت على عليّ وسلّمت عليه، فقال: أين لقيت الزّبير وطلحة؟ قلت: بالنواصف، قال: ومن معهما؟ قلت: أبو سعيد بن الحرث بن هشام بن قتيبة من قريش فقال عليٌّ: أما إنّهم لم يكن لهم بدٌّ أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان، والله يعلم أنّهم قتلة عثمان.

فقلت: أخبرني عن شأن المغيرة ولم خلا بك؟ قال عليه السلام: جاءني بعد مقتل عثمان بيومين فقال: اخلني، ففعلت؛ فقال: إنَّ النّصح رخيص وأنت بقيّة النّاس وأنا لك ناصح وأنا أشير عليك أن لا تردَّ عمّال عثمان عامك هذا، فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم فإذا بايعوا لك واطمأنَّ أمرك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت، فقلت له: والله لا أداهن في ديني

ولا أعطى الرِّياء في أمري.

قال: فإن كنت قد أبيت فانزع من شئت وأترك معاوية فإنَّ له جراةً، وهو في أهل الشّام مسموع، ولك حجّة في إثباته؛ فقد كان عمر ولاّه الشّام كلّها.

فقلت: لا واللَّهِ لا أستعمل معاوية يومين أبداً، فخرج من عندي على ما أشار به ثمَّ عاد فقال: إنّي أشرت عليك بما أشرت به وأبيت عليَّ فنظرت في الأمر وإذاً أنت مصيب لا ينبغي أن تأخذ أمرك بخدعة ولا يكون فيه دنسة.

قال ابن عبّاس: فقلت له: أمّا أوّل ما أشار عليك فقد نصحك وأمّا الآخر فقد غشّك، وأنا أشير عليك أن تثبت معاوية فإن بايع لك فَعَلَيَّ أن أقلعه من منزله.

قال: لا واللَّهِ لا أعطيه إلاّ السّيف ثمّ تمثّل:

فما منّة إنْ منّها غير عاجز بعارٍ إذا ما غالت النفس غالها

فقال: يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحرب خدعة؟ فقال عليٌّ عليه السلام: بلى، قلت: أمّا والله لأن أطعتني لأصدرنَّ بهم بعد ورودٍ، ولأتركنّهم ينظرون في آثارهم الأمر ولا يدرون ما كان وجهها من غير نقص لك ولا إثم عليك.

فقال: يا ابن عبّاس لست من هُنيّاتك وهُنيّات معاوية في شيء يسير ما لك عندي الطاعة والله وليُّ التوفيق(١).

بيان: (هنيات) جمع هنيّة على التصغير أصلها من (ه ن ه)، أو من (ه ن و)، قال ابن الأثير في «**النهاية**»: وفي حديث ابن الأكوع قال له: ألا تسمعنا من هناتك؟ أي من كلماتك أو من أراجزك؛ وفي رواية من هنياتك على التصغير؛ وفي أُخرى من هنيهاتك على قلب (**الياء**) (**هاءً**).

ثمَّ أردف معاوية قوله: «وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس» بقوله: «فإنّي لا أرجو من البقاء إلاّ ما ترجو، ولا أخاف من الموت إلاّ ما تخاف» إشارةً إلى أنّه مثل عليّ عليه السلام في الخوف من القتل والرّجاء من البقاء يعني أنّه لا يبالي من الموت، ولا يطمع في الحياة بل يقاتل لإحياء حقّ أو إماتة باطل.

وغرضه من هذا القول دفع ما يوهم في طلبه الشام ومواداعته الحرب من حصول الجبن

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٦٢.

والفزع له، أي لا تظنّ من طلبي الشّام إدخال الجبن فيّ فإنّي لا أخاف من الموت والقتل ولا أطمع في الحياة بل أطلب الموادعة لحقن دماء النّاس.

أقول: وقد ظهر صدق قوله حينما قام عليٌّ ﷺ بين الصفّين في صفّين ثمّ نادى يا معاوية يكرّرها؛ فقال معاوية: اسألوه ما شأنه؟ قال: أُحبُّ أن يظهر لي فأُكلّمه كلمة واحدة فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص فلمّا قارباه لم يلتفت إلى عمرو وقال لمعاوية: ويحك علىَ مَ يقتل النّاس بيني وبينك ويضرب بعضهم بعضاً؟ ابرز إليّ فأيُّنا قتل صاحبه فالأمر له[1].

فالتفت معاوية إلى عمرو فقال: ما ترى يا أبا عبد الله فيما هٰهنا أبارزه؟ فقال عمرو: لقد أنصفك الرّجل، واعلم أنّه إن نكلت عنه لم تزل سبّة عليك وعلى عقبك ما بقي عربيٌّ.

فقال معاوية: يا عمرو بن العاص ليس مثلي يخدع عن نفسه والله ما بارز ابن أبي طالب رجلاً قطُّ إلاّ سقى الأرض من دمه، ثمّ انصرف معاوية راجعاً حتّى انتهى إلى آخر الصّفوف وعمرو معه.

هذا هي رواية نصر في «صفين» نقلناها بألفاظها (**ص ١٤٠ من الطبع الناصري**) وقد أتى بقريب منها المسعودي في «**مروج الذّهب**» (**ص ٢٥ ج ٢**) وقد تقدّم نقله في «**شرح المختار**» ٢٣٦ من باب الخطب (**ص ٣١٦ ج ١٥**).

ونقل ابن قتيبة الدّينوريّ في باب أخبار الجبناء من كتاب «**الحرب من عيون الأخبار**» (**ص ١٦٩ ج ١ طبع مصر**) عن المدائني قال: رأى عمرو بن العاص معاوية يوماً يضحك، فقال له: ممَّ تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنّك؟ قال: أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءتك يوم ابن أبي طالب أما والله لقد وافقته منّاناً كريماً ولو شاء أن يقتل لقتلك.

قال عمرو: يا أمير المؤمنين أما والله إنّي لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فاحولّت عيناك، وربا سحرك، وبدا منك ما أكره ذكره لك؛ فمن نفسك فاضحك أودع. ونقله المسعودي في «**مروج الذّهب**» مفصّلاً (**ص ٦٥ ج ٢**).

وحينما قام رجل من أصحاب عليّ ﷺ وقال: والله لأحملنّ معاوية حتّى أقتله فأخذ فرساً فركبه ثمّ ضربه حتّى إذا قام على سنابكه دفعه فلم ينهنهه شيء عن الوقوف على رأس معاوية ودخل معاوية خباءً فنزل الرّجل عن فرسه ودخل عليه فخرج معاوية من الخباء وطلع

(١) بحار الأنوار: ٣٢/٤٧٧ ح ٤١٥، والغدير: ٢/١٦٤.

الرَّجل في أثره فخرج معاوية حتّى أحاط قومه بالرَّجل فقتلوه، على التفصيل الذي ذكره نصّر في **«صفّين»** (ص ١٣٨).

وحينما حمل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأصحابه على القاسطين حملة واحدة فلم يبق لأهل الشام صفّ إلاّ أهمد حتّى أفضى الأمر إلى معاوية وعليّ عليه السلام يضرب بسيفه ولا يستقبل أحداً إلاّ ولّى عنه فدعا معاوية فرسه لينجو عليه فلمّا وضع رجله في الرِّكاب ليفرَّ من الحرب أشار عليه عمرو بن العاص برفع المصاحف على الرِّماح ففعلوا ما فعلوا، نقله الدّينوريّ في **«الإمامة والسياسة»** (ص ١٢٧ ج ١).

فإنّه لو لم يكن صادقاً في قوله: «فإنّي لا أخاف من الموت إلاّ ما تخاف ولا أرجو من البقاء إلاّ ما ترجو» لما أعرض عن المبارزة حين دعاه عليّ عليه السلام إلى البراز، ولم ينصرف راجعاً حتى ينتهي إلى آخر الصفوف أوّلاً، ولما أدبر عن الرَّجل ولم يدخل خباءاً مرَّةً ولم يخرج منه أخرى ثانياً، ولما فرّ من الحرب ولم يدعو فرسه لينجو عليه ثالثاً.

على أنَّ صاحبه عمرو بن العاص كان عارفاً بحاله وقد أمضى قوله ذلك حيث قال له في صفّين: إنَّ رجالك لا يقومون لرجاله **(يعني رجال عليّ عليه السلام)** ولست مثله هو يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء، رواه نصر في **«صفّين» (ص ٢٥٦)** وسليم بن قيس كما تقدَّم نقله في مآخذ هذا الكتاب.

وإنّما قال عليه السلام: **(لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس)**، لأنَّ معاوية في الأمس لم يكن لائقاً بأخذ زمام الأُمور وإعطاء ذلك المقام لكونه على الباطل وهذه العلّة كانت باقية في اليوم فلم يصلح لتولية أُمور المسلمين بعد.

ثمَّ قال أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا قولك: «إنَّ الحرب قد أكلت العرب إلاّ حشاشات أنفس بقيت» «ألا فمن أكله الحقّ فإلى النّار» نقل كلام معاوية أوّلاً ثم أجابه بقوله: **(الا فمن** - إلخ، والنسخ في عبارة الجواب مختلفة: ففي نسخة خطيّة عتيقة من النهج عندنا: **(الا فمن أكله الحقُّ فالنّار أولى به)**، وهي قريبة من نسخة الرَّضي التي اخترناها في المتن.

وفي أكثر النسخ المطبوعة: **(ألا ومن أكله الحق فإلى الجنة ومن أكله الباطل فإلى النار)**.

أقول: الصواب ما اخترناها في المتن من النسخة التي عندنا قوبلت على نسخة الرَّضي رضوان الله عليه، وما في تلك النسخة الخطيّة يؤيّدها فإنّهما بمعنى فارد تقريباً.

وأمّا النسخ المطبوعة فيشبه أن تكون مصحّفة عن أصلها، ولا يخلو حملها على معنى صحيح من تكلّف مثل أن يقل: من قُتل في سبيل الحقِّ والذّبُّ عنه فمصيره إلى الجنّة، ومن هلك في سبيل الباطل والدِّفاع عنه فإلى النّار.

أو يضمر في الجملتين مضافان، والتقدير: ألا ومن أكله أعداءُ الحقِّ فإلى الجنّة، ومن أكله أعداءُ الباطل فإلى النّار، ونحوهما.

والمعنى على نسخة الرَّضي مستقيم لا اعوجاج فيه لأنَّ الأكل في فصيح الكلام العربي كثيراً مّا يؤتى به لإفادته معنى الإفناء والإزالة والظهور على أمر أي من أفناه الحق وغلب عليه فمصيره إلى النار، وإنّما قال ذلك لأنَّ أتباع الحق قد قتلوا في صفّين خلقاً كثيراً من أحزاب معاوية فأشار عليه السلام إلى أنَّ مصيرهم إلى النّار وإن بلغ عددهم ما بلغ ولم يبق منهم إلاّ حشاشات أنفس، يقال: أكلت النار الحطب أي أفنته، وقال أوس بن حجر كما في مادة (ا ك ل) من **«الأساس»**:

وقد أكلت أظفاره الصخر كلّما تعنّى عليه طول مرقى توصّلا

أي أكلت الصّخر أي أفنت الحجارة أظفاره.

وقال الطُّريحيُّ في **«المجمع»**: أكلنا بني فلانٍ أي ظهرنا عليهم، وأصل الأكل للشيء الإفناء له ثمّ استعير لافتتاح البلاد وسلب الأموال.

وقال المرزوقي في **«شرح الحماسة»** عند قول خلف بن خليفة (**الحماسة ٧٩٤**):

لعمري لنعم الحيُّ يدعو صريخهم إذا الجار والمأكول أرهقه الأكل

ومعنى أرهقه الأكل ضيّق عليه وغشيه، وقد قيل: أكلت فلاناً إذا غلبته وغلبته.

وقد جاءت بهذا المضمون من معنى الأكل أعني الإفناء روايات عن أئمّتنا الطّاهرين عليهم السلام ففي باب الحسد من أصول **«الجامع الكافي»** لثقة الإسلام الكلينيّ قدّس سرّه بإسناده عن محمّد بن مسلم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنَّ الرَّجل ليأتي بأيِّ بادرة فيكفر فإنَّ[1] الحسد ليأكل الإيمان كما يأكل النّار الحطب[2].

وروى بإسناده عن جرّاح المدائنيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ الحسد يأكل الإيمان - إلخ، وأتى بهما الفيض قدّس سرّه في **«الوافي»** (ص ١٤٨ ج ٣).

وقد مضى في **«المختار»** ٨٤ من باب الخطب عن الأمير عليه السلام: (**ولا تحاسدوا فإنَّ الحسد يأكل**) - إلخ.

(١) في نسخة: وإنَّ.

(٢) الكافي: ٢/ ٣٠٦ ح ١، ومن لا يحضره الفقيه: ٢/ ١٠٨ ح ١٨٥٧.

وفي «**الجامع الصغير**» للسيوطي عن النبيّ ﷺ: الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب[(١)].

وسيأتي من كتاب أمير المؤمنين ﷺ لابنه الإمام المجتبي قوله له: وإيّاك أن تغترّ بما ترى من إخلاد أهل الدُّنيا إليها وتكالبهم عليها ـ إلى أن قال: فإنّما أهلها كلاب عاوية وسباع ضارية يهرُّ بعضها بعضاً، ويأكل عزيزها ذليلها، ويقهر كبيرها صغيرها[(٢)] ـ إلخ.

قال ﷺ: (**وأمّا استواؤنا في الحرب والرِّجال**) ـ إلى قوله: (**على الآخرة**). قد علمت من نسخ مآخذ الكتاب أنّها كانت متّفقة في قوله: «وأمّا استواؤنا في الخوف والرّجاء» مكان قوله: «وأمّا استواؤنا في الحرب والرجال» إلاّ ما نقلناه أخيراً من نسخة نقلها الشارح البحراني فإنّها كانت موافقة للمتن، ونسخة الرَّضي هي التي اخترناها في المتن وتوافقها نسختنا المذكورة.

وأظنُّ أنَّ الذين نقلوا عبارة «وأمّا استواؤنا في الخوف والرّجاء» نظروا بقول معاوية: «فإنّي لا أرجو من البقاء إلاّ ما ترجو، ولا أخاف من الموت إلاّ ما تخاف» وظنّوا أنَّ قول الأمير ﷺ (**فلست بأمضى**) ـ إلخ، جواب عنه فحرّفوا الحرب والرِّجال بالخوف والرَّجاء، وقد غفلوا أنَّ هذا الجواب لا يوافقه، كما يشهد به التأمّل الصّحيح، وأنَّ قول معاوية: «فإنّي لا أرجو ـ إلخ» إنّما هو تتمّة قوله: «وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك» لما قد عرفت آنفاً، وقد أجابه الأمير ﷺ بقوله: (**وأمّا طلبك إليّ الشّام**) ـ إلخ.

ومعناه أنَّ معاوية خوّف الأمير ﷺ وهدّده باستواء الفريقين في الحرب والرِّجال وأوهم بذلك ثباته في الحرب وبقاءه عليها وعدم تزلزله واضطرابه منها ومن وقوع كثرة القتلى في عسكره فأجابه الأمير ﷺ: بأنّك إنّما على علم في عدم كونك على حقّ، ويقين في أنّك لست بمحقّ، وإنّما تقاتل وتحارب لاقتراف حطام الدُّنيا ولست على يقين في وصولك إلى ما ترجو وتتمنّى بل على شكّ وترديد فيه، لأنّه أمكن أن تظهر علينا فتصل إلى أمانيّك الدنيّة الدُّنيويّة، وأمكن أن نظهر عليكم فتعاق عنها وتحرم، وكذلك الكلام في أحزابك من أهل الشام.

وأمّا أنا فعلى بيّنة من ربّي، ويقين في أنّي على الصّراط المستقيم وليس بعده إلاّ الضّلال والتّباب، وأُقاتل وأُحارب على يقين في ديني وليس إلاّ إحدى الحسنيين إمّا الظفر عليكم فهو جهاد في سبيل الله، وإمّا القتل في سبيل الله فمصيره إلى الجنّة ورضوان الله وهكذا الكلام في أصحابي من أهل العراق.

---

(١) الكافي: ٨/٤٥، وتحف العقول: ٤٩٣.

(٢) نهج السعادة: ٤/٣٠٧، وبحار الأنوار: ٧٠/١٢٣.

ثمَّ من المعلوم أنَّ من يعمل فعلاً على شكّ وترديد فيه ليس بأمضى فيه ممّن يعمله على يقين، ومن يفعل عملاً لاقتراف الدُّنيا وحصول الأمانيّ الفانية الزائلة ليس بأحرص فيه ممّن يفعله للتقرّب إلى الله تعالى، والوصول إلى النعم الأُخروية الدائمة والحياة الباقية والدَّرجات العالية الأبديّة الرّوحانيّة، وأين هذا من ذاك ونعم ما قاله الأشتر رضوان الله عليه في أبياته السالفة آنفاً:

طلب الفوز في المعاد وفي ذا تُستهان النفوس والأموال

فظهر أنَّ أهل الشّك والتّرديد ليسوا في رتبة أهل اليقين وإن كانوا كثيرين عدداً وقد قال عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠] وقال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] فما ادَّعاه معاوية من استواء الفريقين في الحرب والرِّجال اختلاق محض، فإنَّ مثلهما كالأعمى والأصمّ والبصير والسميع هل يستويان؟

وأنَّ تهديده عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام بما نسجه من استوائهما في الحرب والرِّجال أوهن من بيت العنكبوت، بل الخوف به أولى والفزع به أحرى.

قال عليه السلام: وأمّا قولك: «إنّا بنو عبد مناف» **(فكذلك نحن ولكن ليس أُمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطّلب ولا أبو سفيان كأبي طالب)**، وسيأتي نحو كلامه هذا في الكتاب الثامن والعشرين الذي كتبه الأمير عليه السلام إلى معاوية جواباً: منّا النبيُّ ومنكم المكذِّب، ومنّا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف، ومنّا سيّدا شباب أهل الجنّة ومنكم صبية النار، ومنّا خير نساء العالمين ومنكم حمّالة الحطب[١] ـ إلخ.

افتخر معاوية بأنّه من بني عبد مناف، أو أراد بذلك الاستعطاف من أمير المؤمنين عليه السلام، أو قصد الاستواء بقوله هذا تبختراً، حيث قال بعده: وليس لبعضنا على بعض فضل، أو عنى بذلك أنّهما من بيت واحد فليس لبعضهم فضل على بعض أي أنّها في الفضيلة والشرافة سواء فإن استحقَّ هذا منصبا كان ذلك للآخر أيضاً، وإن ادّعى هذا مقاماً كان ذلك للآخر أيضاً، ومآل الوجهين الأخيرين واحد واستفادة الوجه الثاني من الأوّلين من العبارة لا تخلو من تكلّف.

ونقول أوّلاً: إنَّ معاوية وإن كان منتسباً إلى عبد مناف بحسب الظاهر لكنَّ دنيّات أُموره ورذيلات صفاته قد أخرجته من بيت الشرف حقيقةً، وكم من فعال خبيثة وأعمال غير صالحة

---

(١) الاحتجاج: ١/ ٢٦١، وبحار الأنوار: ٣٣/ ٥٨.

أوجبت القطع عن بيت ورحم وفي القرآن الكريم قال: ﴿يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَلِحٍ﴾ [هود: ٥٠]، ولا يخفى عليك أنّ الورد والشّوك من أصل واحد ولكن أين هذا من ذاك؟.

وثانياً: إنّه لمّا افتخر بانتسابه إلى عبد مناف وادّعى الاستواء بينه وبين الأمير عليه السلام وأنكر فضل بعض على بعض من بيت عبد مناف أجابه الأمير عليه السلام بقوله: إنا بنو أب واحدٍ كما في نسخة نصر فعلى هذه النسخة لم يمض الأمير عليه السلام أنّ معاوية من بني عبد مناف كما لا يخفى وفيه نكتة لطيفة نشير إليها عن قريب، وعلى نسخة الرّضي أجابه بقوله: فكذلك نحن أي نسبنا ينتهي إليه أيضاً ولكنّ بين آبائك تفاوتاً فاحشاً، كما أنّ بين صفاتي وصفاتك فرقاً ظاهراً ومسافة كثيرة، وتفصيله أنّ أميّة ليس كهاشم - إلخ، بدأ عليه السلام بذكر الأوصاف الخارجة والفضائل الطارية عليه من جهة آبائه، والرّذائل العارضة على خصمه معاوية من جهة أسلافه، ثمّ أتى بالأوصاف الدّاخلة على أربعة أقسام الآتي شرحها إن شاء الله تعالى، فلا بدّ في المقام من ذكر سلسلتي نسبهما إلى عبد مناف فنقول: عليّ عليه السلام كان ابن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، ومعاوية كان ابن صخر أبي سفيان بن حرب بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

وآباء أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كانوا أهل بيت شرف في قومهم، وكان كلُّ واحد منهم أشرف وأفضل وأعلى من آباء معاوية بمراحل، أمّا أبو طالب عليه السلام فإنّه كان زعيماً حازماً نبيهاً سيّاساً، وله في دفع كيد الأعداء عن النبيّ والذّبّ عنه صلى الله عليه وآله على الإسلام والمسلمين حقٌّ عظيم، وجلالة شأنه وحسن إسلامه أشرق من الشارق وأبلج من الصّبح وقد ذكرنا طائفة من أشعاره السّامية الدالّة على إسلامه، وحمايته عن الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمين، ونبذة من روايات جاءت في فخامة أمره وعلوّ قدره في «**شرح المختار**» التاسع من باب الكتب والرسائل (ص ٣٥١ - ٣٦٤).

وقال اليعقوبي في «**التاريخ**»: وكفل رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاة عبد المطّلب أبو طالب عمّه فكان خير كافل، وكان أبو طالب سيّداً شريفاً مطاعاً مهيباً مع إملاقه، قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أبي ساد فقيراً، وما ساد فقير قبله[1].

وأمّا عبد المطّلب: ففي «**السيرة النبويّة**» لابن هشام (ص ١٤٢ ج ١) أنه ولي السّقاية والرّفادة بعد عمّه المطّلب فأقامها للنّاس وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، وشرُف في قومه شرفاً لم يبلغه أحدٌ من آبائه وأحبّه قومه وعظم خطره فيهم، ثمّ ذكر

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٤، وموسوعة التاريخ الإسلامي: ١/ ٢٨٨.

الرّؤيا التي أريها عبد المطّلب في حفر زمزم، ونذره ذبح ولده وما جرى فيهما، إلى أن قال:

ثمّ لم يلبث عبد الله بن عبد المطّلب أبو رسول الله ﷺ أن هلك وأمُّ رسول الله ﷺ حامل به، فلمّا وضعته أمّه آمنة بنت وهب أرسلت إلى جدّه عبد المطّلب: أنّه قد ولد لك غلام فأته فانظر إليه فأتاه فنظر إليه وحدَّثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسمّيه.

فيزعمون أنَّ عبد المطّلب أخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ثمَّ خرج به إلى أُمّه فدفعه إليها والتمس لرسول الله ﷺ الرُّضعاء فاسترضع له امرأةً من بني سعد بن بكر يقال لها حليمة ابنة أبي ذؤيب.

وكان رسول الله ﷺ مع أُمّه آمنة وجدّه عبد المطّلب بن هاشم في كلاءة الله وحفظه، ينبته الله نباتاً حسناً، لما يريد به من كرامته فلمّا بلغ رسول الله ﷺ ستَّ سنين توفّيت أُمّه آمنة بالأبواء بين مكّة والمدينة فكان رسول الله ﷺ مع جدّه عبد المطلب بن هاشم.

وكان يوضع لعبد المطّلب فراش في ظلِّ الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فَراشه ذلك حتّى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحدٌ من بنيه إجلالاً له، فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلامٌ جفر حتّى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخّروه عنه فيقول عبد المطّلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني، فوالله إنَّ له لشأناً ثمَّ يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده ويسرّه ما يراه يصنع فلمّا بلغ رسول الله ﷺ ثماني سنين هلك عبد المطّلب بن هاشم فكان رسول الله ﷺ بعد عبد المطّلب مع عمّه أبي طالب وكان عبد المطّلب - فيما يزعمون - يوصي به عمّه أبا طالب وذلك لأنَّ عبد الله أبا رسول الله ﷺ وأبا طالب أخوان لأب وأمّ، أمّهما: فاطمة بنت عمرو بن عائذ، وكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ بعد جدّه فكان إليه ومعه.

بيان: السقاية اسقاء الحجيج الماء العذب، والرِّفادة خرج كانت قريش تخرجه في كلّ موسم من أموالها فتدفعه إليه فيصنع به طعاماً للحاج يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد.

وقال اليعقوبي في **«التاريخ»** (ص ٧ ج ٢): وتوفّيت أُمّه ﷺ بنت وهب بالأبواء وكان عبد المطّلب جدُّ رسول الله ﷺ يكفله وعبد المطّلب يومئذ سيِّد قريش غير مدافع قد أعطاه الله من الشَّرف ما لم يعط أحداً، وسقاه زمزم وذا الهرم[١] وحكمته قريشٌ في أموالها، وأطعم في المحلِّ حتّى أطعم الطّير والوحوش في الجبال قال أبو طالب:

(١) ذو الهرم اسم بئر حفرها عبد المطلب بالطائف بعدما حفر زمزم بمكة.

ونطعم حتّى تأكل الطير فضلنا إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد

ورفض عبادة الأصنام، ووحّد الله عزَّ وجلَّ، ووفى بالنّذر، وسنَّ سنناً نزل القرآن بأكثرها وجاءت السنّة من رسول الله بها، وهي: الوفاء بالنذور، ومائة إبل في الدّية، وألاّ تنكح ذات محرم، ولا تؤتى البيوت من ظهورها، وقطع يد السّارق، والنّهي عن قتل الموؤدة، والمباهلة، وتحريم الخمر، وتحريم الزّنا والحدُّ عليه، والقرعة، وألاّ يطوف أحد بالبيت عريان، وإضافة الضّيف، وألاّ ينفقوا إذا حجّوا إلاّ من طيب أموالهم، وتعظيم الأشهر الحرم، ونفي ذوات الرّايات، فكانت قريش تقول: عبد المطّلب إبراهيم الثاني.

وذكر قريباً ممّا نقلنا عن اليعقوبي الحلبيّ في «**السيرة**» ناقلاً عن ابن الجوزي وزيني دحلان بهامشه (**ص ٢١**) أيضاً، وقال دحلان: كان عبد المطّلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ويحثّهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيّات الأُمور وكان يقول: لن يخرج من الدُّنيا ظلوم حتّى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة، إلى أن هلك رجل ظلوم من أرض الشام ولم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطّلب في ذلك ففكر وقال: والله إن وراء هذه الدّار داراً يجزي فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته.

وأوصى عبد المطّلب إلى ابنه الزبير بالحكومة وأمر الكعبة، وإلى طالب برسول الله ﷺ وسقاية زمزم، وقال له: قد خلفت في أيديكم الشرف العظيم الذي تطاوُون به رقاب النّاس، وقال لأبي طالب ـ وكان اسمه عبد مناف أي أنّه كان سميَّ جدّه الأعلى عبد مناف ـ:

أُوصيك يا عبد مناف بعدي بمفرد بيد أبيه فرد
فارقه وهو ضجيع المهد فكنت كالأمِّ في الوجد
تدنيه من أحشائها والكبد فأنت من أرجى بنيَّ عندي
لدفع ضيم أو لشدِّ عقد[1]

وتوفّي عبد المطّلب ولرسول الله ﷺ ثماني سنين ولعبد المطّلب مائة وعشرون سنة وقيل: مائة وأربعون سنة، وأعظمت قريش موته، وغسّل بالماء والسّدر وكانت قريش أوّل من غسل الموتى بالسّدر، ولفَّ في حلّتين من حلل اليمن قيمتهما ألف مثقال ذهب وطرح عليه المسك حتّى ستره، وحمل على أيدي الرّجال عدَّة أيّام إعظاماً وإكراماً وإكبارٌ لتغييبه في

(١) وأسند إلى عبد المطلب هذان البيتان أيضاً؛
وصيف من كنيته بطالب عبد مناف وهو ذو تجارب
بابن الحبيب الأكرم الأقارب بابن الذي قد غاب غير أيب

التُّراب وروي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: إنَّ الله يبعث جدّي عبد المطّلب أُمّة[1] واحدة في هيئة الأنبياء وزيّ الملوك.

أقول: قوله رضوان الله عليه: «فارقه وهو ضجيع المهد» ينافي ما نقلنا آنفاً من ابن هشام من أنَّ عبد الله أبا رسول الله ﷺ مات وقد كانت أُمّ رسول الله حاملاً به، فقد تنوزع في ذلك فمنهم من قال: أنّه مات قبل مولد النبيّ ﷺ، ومنهم من قال: إنّه مات بعد مولده بشهر وقيل: بشهرين، ومنهم من قال: أنّه مات بعد مولده بسنة، وقيل: إنّه مات في السّنة الثانية من مولده، وقيل: بل مات عبد الله ورسول الله ابن ثمان وعشرين شهراً.

وقال الطبرسيُّ في تفسير سورة والضُّحى من «**المجمع**»: كان النبيّ ﷺ مات أبوه وهو ابن سنتين، وقال الكلينيُّ في باب تاريخ مولد النبيّ ووفاته ﷺ: وتوفّي أبوه عبد الله بن عبد المطّلب بالمدينة عند أخواله وهو ابن شهرين، وظاهر الحديث الذي رواه الصدوق في المجلس الخامس والأربعين من أماليه (ص ١٥٨) عن ابن عبّاس أنّه مات قبل مولده حيث قال: فلمّا مات عبد الله وولدت آمنة رسول الله ﷺ أتيته ـ إلخ.

أكثر العلماء من الفريقين على أنَّ عبد الله مات بعد مولد رسول الله ﷺ، وقال اليعقوبيُّ في «**التاريخ**»: توفّي عبد الله بن عبد المطّلب أبو رسول الله ﷺ ـ على ما روى جعفر بن محمّد ـ بعد شهرين من مولده، قال: وقال بعضهم: إنّه توفّي قبل أن يولد وهذا غير صحيح لأنَّ الإجماع على أنّه توفّي بعد مولده، انتهى، فقول الكلينيُّ ومن سلك مسلكه متّخذ من الحديث المروي عن الإمام الصّادق ﷺ.

ثمَّ إنَّ ما نقل اليعقوبيُّ عن النبيّ ﷺ في جدّه عبد المطّلب توافقه عدّة روايات في «**الكافي**» وأتى بها الفيض رحمه الله في باب ما جاء في عبد المطلب وأبي طالب رضي الله عنهما من «**الوافي**» (**ص ١٥٨ ج ٢**) ففي الكافي بإسناده إلى زرارة، عن أبي عبد الله ﷺ **قال**: يحشر عبد المطّلب يوم القيامة أُمّة واحدة عليه سيماء الأنبياء وهيبة الملوك.

وفيه بإسناده عن مقرن، عن أبي عبد الله ﷺ قال: إنَّ عبد المطّلب أوّل من قال بالبدء يبعث يوم القيامة أُمّة واحدة عليه بهاء الملوك وسيماء الأنبياء، وغيرهما من روايات أُخرى.

وما نقل ابن هشام في السيرة من أنّه يوضع لعبد المطّلب فراش في ظلّ الكعبة ـ إلخ، توافقه رواية في «**الكافي**» بهذا المضمون نقلها الفيض في ذلك الباب من الوافي أيضاً: روى الكلينيّ بإسناده إلى رفاعة، عن أبي عبد الله ﷺ قال: كان عبد المطّلب يفرش له بفناء الكعبة

---

(١) أبو طالب حامي الرسول: ٧٣، وتاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٤.

لا يفرش لأحد غيره وكان له وُلدٌ يقومون على رأسه فيمنعون من دنى منه فجاء رسول الله ﷺ وهو طفل يدرج حتّى جلس على فخذيه فأهوى بعضهم إليه لينحّيه عنه، فقال له عبد المطّلب: دع ابني فإنَّ الملك قد أتاه، **(الوافي ص ١٥٩ ج ٢)**(١).

وأمّا هاشم: ففي السيرة لابن هشام نقلاً عن ابن إسحاق **(ص ١٣٥ ج ١)** وَلِي الرِّفادة والسقاية ـ يعني بعد أن توفّي أبوه عبد مناف ـ وذلك أنَّ عبد شمس كان رجلاً سفاراً، قلّما يقيم بمكّة وكان مُقلاً ذا ولدٍ **(كان لعبد مناف بنون خمسة وهم: عبد شمس، وهاشم، والمطّلب، ونوفل، وأبو عمر وعبيد)** وكان هاشم موسراً، فكان ـ فيما يزعمون ـ إذا حضر الحاج قام في قريش فقال: «يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته؛ وإنّه يأتيكم في هذا الموسم زوّار الله وحجّاج بيته وهم ضيف الله، وأحقّ الضّيف بالكرامة ضيفه؛ فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاماً أيّامهم هذه التي لا بدَّ لهم من الإقامة بها فإنّه والله لو كان مالي يسع لذلك ما كلّفتكموه» فيخرجون لذلك خرجاً من أموالهم، كلُّ امرىءٍ بقدر ما عنده فيصنع به للحجّاج طعاماً حتّى يصدروا منها.

قال: وكان هاشم فيما يزعمون أوَّل من سنَّ الرِّحلتين لقريش رحلتي الشتاء والصيف، وأوَّل من أطعم الثريد بمكّة، وإنّما كان اسمه عمراً، فما سُمّي هاشماً إلاّ بهشمه الخبز بمكّة لقومه، فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب **(قيل هو عبد الله بن الزّبعري، وقيل هو مطرود بن كعب)**:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ... قوم بمكّة مسنتين عجاف

سنّت إليه الرِّحلتان كلاهما ... سفر الشتاءِ ورحلة الأصياف

المسنتون: الذين أصابتهم السّنة، وهي الجوع والقحط والجدب، والعجاف جمع عَجِف من العجف بمعنى الضعف والهزال.

ثمَّ توفّي هاشم بغزَّة من أرض الشام تاجراً فولي السقاية والرِّفادة من بعده المطّلب بن عبد مناف وكان أصغر من عبد شمس وهاشم وكان ذا شرف في قومه وفضل وكانت قريش إنّما تسمّيه الفيض لسماحته وفضله.

وذكر أكثر ممّا نقلناه عن ابن هشام اليعقوبي في **«التاريخ» (ص ٢٠٢ ج ١)** فراجع، **قال**: ويقال: إنَّ هاشماً وعبد شمس كانا توأمين فخرج هاشم وتلاه عبد شمس وعقبه ملتصق بعقبه فقطع بينهما بموسى فقيل: ليخرجن بين ولد هاذين من التقاطع ما لم يكن بين أحد.

---

(١) الوافي: ١٥٩/٢، والكافي: ٤٤٨/١ ح ٢٦.

وأمّا بنو أميّة فالتاريخ أصدق شاهد على أنّهم لم يكونوا إلاّ في صدد إثارة فتنة، وإنارة حرب، وأنَّ شيمتهم كانت الخيلاء، والبخل، والنفاق، وأنَّ دأبهم كان الإستيلاء على النّاس والسلطان عليهم ظلماً وجوراً، وأنَّ بينهم وبين بني هاشم في السّجايا الإنسانيّة بوناً بعيداً.

وإنّي كلّما طلبتهم في كتب التواريخ والمغازي والسِّير فما وجدتهم إلاّ أفظاظاً غلاظ القلوب وقُساتها، وما رأيت أمانيّهم إلاّ أن تكونوا جبابرة ملوكاً.

وهذا هو أبو سفيان كان صخراً، وقد حارب رسول الله ﷺ وكان سبباً لإثارة وقعة بدر كما تقدَّم عن اليعقوبي في «**شرح المختار**» التاسع من باب الكتب (ص ٣٦٩ ج ١٧) ففي «**السيرة النبوية**» لابن هشام (ص ٦٧١ ج ١): قال ابن إسحاق: ثمّ قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ـ إلى قوله: إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ يعني النفر الذين مشوا إلى أبي سفيان وإلى من كان له مال من قريش في تلك التجارة فسألوهم أن يقوّوهم بها على حرب رسول الله ﷺ ففعلوا.

وقال ابن الأثير في «**أُسد الغابة**» ناقلاً عن أبي أحمد العسكريّ: هو الذي قاد قريشاً كلّها يوم أُحد ولم يقدمها قبل ذلك رجل واحد إلاّ يوم ذات فكيف قادها المطّلب[1].

وقال اليعقوبيُّ في «**التاريخ**»: كانت وقعة أُحد في شوّال بعد بدر بسنة، اجتمعت قريش واستعدّت لطلب ثارها يوم بدر واستعانت بالمال الذي قدِم به أبو سفيان وقالوا: لا تنفقوا منه شيئاً إلاّ في حرب محمّد إلى أن قال ـ:

وخرج المشركون وعدّتهم ثلاثة آلاف ورئيسهم أبو سفيان بن حرب، وخرج رسول الله ﷺ وخرج المسلمون وعدَّتهم ألف رجل حتّى صاروا إلى أُحد، ووافى المشركون فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل حمزة بن عبد المطّلب أسد الله وأسد رسوله رماه وحشي ومثلت به هند بنت عتبة (**وهند كانت زوجة أبي سفيان**) وشقت عن كبده فأخذت منها قطعة فلاكتها وجدعت أنفه فجزع عليه رسول الله ﷺ جزعاً شديداً وقال: لن أصاب بمثلك ـ إلخ.

وكان أبو سفيان يحرِّض قريشاً على القتال، وقال ابن إسحاق: وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللّواء من بني عبد الدّار يحرِّضهم بذلك على القتال: يا بني عبد الدّار إنّكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وإنّما يؤتى النّاس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا، فإمّا أن تكفونا لواءنا وإمّا أن تخلّوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهمّوا به وتواعدوه وقالوا: نحن

(١) أسد الغابة: ٥/٢١٦.

نسلم إليك لواءنا، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع! وذلك أراد أبو سفيان.

وكانت زوجه هند والنسوة اللاتي معها يحرّضن الكفّار على القتال فإنّه لمّا التقى النّاس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرّجال ويحرّضنهم فقالت هند فيما تقول:

ويهاً بني عبد الدّار ويهاً حماة الأدبار
ضرباً بكلّ بتّار

وتمثّلت بأبيات قالتها هند بنت طارق بن بياضة الإيادية في حرب الفرس لإياد:

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

وكان أبو سفيان يشمت بالمسلمين بعد أحد، كما قال ابن عبّاس وعكرمة لمّا أُصيب المسلمين ما أصابهم يوم أُحد وصعد النبيّ ﷺ الجبل جاء أبو سفيان فقال: يا محمّد لنا يوم ولكم يوم، فقال ﷺ: أجيبوه فقال المسلمون: لا سواء قتلانا في الجنّة وقتلاكم في النّار، فقال أبو سفيان: لنا عُزّى ولا عُزّى لكم؛ فقال النبيّ ﷺ: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم، فقال أبو سفيان: اعل هبل؛ فقال النبيّ ﷺ: قولوا: الله أعلى وأجل[1]، وذكر قريباً منه ابن هشام في **«السيرة» (ص ٩٣ ج ٢)**.

وكان دأب معاوية وشيمته أيضاً كذلك إلى أن أسلم بحسب الظاهر إمّا رغبةً وإمّا رهبة في يوم فتح مكّة وبعد ما أسلم ظاهراً قد سفك دماء المسلمين وأفرط فيه فقد قال المسعودي في **«مروج الذّهب» (ص ٦٦ ج ٢)**: وقد كان بسر بن أرطاة العامري **(كان بسر منصوباً من قبل معاوية على سفك الدّماء)** قتل بالمدينة وبين المسجدين خلقاً كثيراً من خزاعة وغيرهم، وكذلك بالجرف قتل بها خلقاً كثيراً من رجال همذان، وقتل بصنعاء خلقاً كثيراً من الأبناء؛ ولم يبلغه عن أحد أنّه يمالىء عليّاً أو يهواه إلاّ قتله.

ونقل ما أصيب منه المسلمون يطول به الكتاب وينجرّ إلى الإسهاب، ونكتفي بنقل كتاب كتبه محمّد بن أبي بكر إلى معاوية ذكر فيه عليّاً وأباه، ومعاوية وأباه بما تراه، قال المسعوديّ في **«مروج الذّهب» (ص ٥٩ ج ٢)**: لمّا صرف عليّ عليه السلام قيس بن سعد بن عبادة عن مصر وجّه مكانه محمّد بن أبي بكر فلما وصل إليها كتب إلى معاوية كتاباً فيه:

---

(١) الاحتجاج: ١/٤٠٨، وبحار الأنوار: ٢٠/٢٣.

من محمّد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر: أمّا بعد فإنَّ الله بعظمته وسلطانه خلق خلقه بلا عبث منه ولا ضعف في قوّته ولا حاجة به إلى خلقهم لكنّه خلقهم عبيداً وجعل منهم غويًّا ورشيداً وشقيًّا وسعيداً ثمَّ اختار على علم واصطفى وانتخب منهم محمّداً ﷺ فانتخبه لعلمه واصطفاه لرسالته وائتمنه على وحيه وبعثه رسولاً ومبشّراً ونذيراً فكان أوّل من أجاب وأناب وآمن وصدق وأسلم وسلم أخوه وأنب عمّه عليّ بن أبي طالب صدَّقه بالغيب المكتوم وآثره على كلّ حميم ووقاه بنفسه كلَّ هول وحارب حربه وسالم سلمه فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات اللّيل والنّهار والخوف والجوع والخضوع حتّى برز سابقاً لا نظير له فيمن اتّبعه ولا مقارب له في فعله وقد رأيتك تساميه وأنت أنت وهو هو أصدق النّاس نيّةً، وأفضل النّاس ذرّية، وخير النّاس زوجةً وأفضل النّاس ابن عمّ أخوه الشاري بنفسه يوم مؤتة، وعمّه سيّد الشهداء يوم أُحد، وأبوه الذّابُّ عن رسول الله ﷺ وعن حوزته؛ وأنت اللّعين ابن اللّعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله ﷺ الغوائل، وتجهدان في إطفاء نور الله، تجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتؤلّبان عليه القبائل؛ على ذلك مات أبوك وعليه خلفته؛ والشهيد عليك من تدنى ويلجأ إليك من بقيّة الأحزاب ورؤساء النفاق؛ والشاهد لعليّ مع فضله المبين القديم أنصاره الذين معه الذين ذكرهم الله بفضلهم، وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار وهم معه كتائب وعصائب يرون الحقَّ في اتّباعه والشّقاء في خلافه؛ فكيف يالك الويل تعدل نفسك بعليّ وهو وارث رسول الله ﷺ ووصيّه وأبو ولده، أوّل النّاس له اتّباعاً وأقربهم به عهداً، يخبره بسرّه ويطلعه على أمره، وأنت عدوُّه وابن عدوِّه فتمتّع في دنياك ما استطعت بباطلك، وليمددك ابن العاص في غوايتك، فكأنَّ أجلك قد انقضى وكيدك قد وهى، ثمّ يتبيّن لك لمن تكون العاقبة العليا، واعلم أنّك أنّما تكايد ربّك الذي آمنك كيده ويئست من روحه فهو لك بالمرصاد وأنت منه في غرور والسلام على من اتّبع الهدى.

فأجابه معاوية في كتاب أرسله إليه بما خلاصته: فقد كنّا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحقّه لازماً لنا مبروراً علينا فلمّا قبض الله نبيّه كان أبوه وفاروقه أوّل من ابتزَّه حقّه، وخالفه على أمره على ذكل اتّفقا واتّسقا، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ولسلمنا إليه ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثله فعيب أباك بما بدا لك أودع والسلام على من أناب[1].

وأتى بتفصيله المسعوديّ في **«مروج الذهب»** فراجع، فأين أبو سفيان الضّاري بدماء النبيّ ﷺ والمسلمين، وأبو طالب الذي كان كافل الرّسول وحاميه وذابّاً عنه وعن المسلمين.

---

(١) نهج السعادة: ٤/ ١٨٨.

وأين زوجه هند آكلة الأكباد، وامرأة أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم ربّتْ رسول الله ﷺ، وقال اليعقوبي في «التاريخ» (ص ١٠ ج ٢) ويروى عن رسول الله ﷺ لما توفيتْ (يعني فاطمة بنت أسد) وكانت مسلمة فاضلة ـ أنّه قال: اليوم ماتت أمّي، وكفّنها بقميصه، ونزل على قبرها، واضطجع في لحدها؛ فقيل له يا رسول الله لقد اشتدّ جزعك على فاطمة؛ قال ﷺ[1]: إنّها كانت أمّي إذا كانت لتجيع صبيانها وتشبعني، وتشعثهم وتدهنني وكانت أمّي.

وبنو هاشم هم الذين كان النّبي من بيتهم وهو ﷺ ربّي في حجرهم وما بعث الله نبيّاً إلاّ في منعة من قومه ففي المقدّمة السادسة من «مقدّمة ابن خلدون» (ص ٩١ طبع مصر): إنّ الله سبحانه اصطفى من البشر أشخاصاً فضّلهم بخطابه وفطرهم على معرفته وجعلهم وسائل بينهم وبين عباده يعرّفونهم بمصالحهم ويحرّضونهم على هدايتهم ـ ثمّ أخذ في بيان علامات هذا الصّنف من البشر فقال: ومن علاماتهم أيضاً أن يكونوا ذوي حسب في قومهم، وفي «الصحيح» ما بعث الله نبيّاً إلاّ في منْعَةٍ من قومه وفي رواية أُخرى في ثروة من قومه استدركه الحاكم على الصحيحين، وفي مسألة هِرَقْل لأبي سفيان كما هو في «الصحيح» قال: كيف هو فيكم؟ فقال أبو سفيان: هو فينا ذو حسب؛ فقال هرقل: والرُسل تبعث في أحساب قومها، ومعناه أن تكون له عصبة وشوكة تمنعه عن أذى الكفّار حتّى يبلغ رسالة ربّه ويُتمّ مراد الله من إكمال دينه وملّته.

وكلام ابن خلدون هذا قد عنون في الكتب الكلاميّة أيضاً، ثمّ إنّ المهديّ الموعود ظهوره وقيامه من أهل بيت النبيّ ﷺ فهو من بني هاشم كما أنّ آباءه الكرام البررة ﷺ من ذلك البيت.

وقد قاتل أبو سفيان بن حرب الأموي رسول الله ﷺ وفعل ما فعل.

وابنه معاوية قاتل خليفة الرّسول عليّاً المرتضى، وقتل بالسمّ ريحانة الرسول الحسن المجتبى.

وزوجه هند كانت تحرّض المشركين على قتال المسلمين وقتلهم وقد مثلت أسد الله وأسد رسوله حمزة وأكلت أكباد أودّاء الله.

وابن معاوية يزيد قتل سيّد شباب أهل الجنّة ريحانة رسول الله الحسين بن فاطمة وأصحابه أنصار الله بكربلاء، وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء (ص ٣٠٧ طبع مصر): وفي قتله قصّة فيها طول لا يحتمل القلب ذكرها فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. انتهى.

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٤، وموسوعة تاريخ الإسلامي: ١/ ٢٨٨.

وبعد قتله فعل بمدينة الرَّسول ما فعل، فقد قال السيوطي في «التاريخ» المذكور وفي سنة ثلاث وستّين بلغه (يعني يزيد بن معاوية) أنّ أهل المدينة خرجوا عليه وخلعوه فأرسل إليهم جيشاً كثيفاً وأمرهم بقتالهم ثمّ المسير إلى مكّة لقتال ابن الزبير فجاؤوا وكانت وقعة الحرّة على باب طيبة، وما أدراك ما وقعة الحرّة؟ ذكرها الحسن مرّة فقال: والله ما كاد ينجو منهم أحد قتل فيها خلق من الصحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم، ونهبت المدينة وافتُضّ فيها ألف عذراء فإنّا لله وإنّا إليه راجعون؛ قال: قال ﷺ: «من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[1] وكان سبب خلع أهل المدينة له أنّ يزيد أسرف في المعاصي.

وقال عبد الله حنظلة الغسيل: والله ما خرجنا على يزيد حتّى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء إنّه رجل ينكح أمّهات الأولاد والبنات، والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة[2].

قال: قال الذّهبيّ: ولما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل مع شرب الخمر وإتيانه المنكر اشتدَّ عليه النّاس وخرج عليه غير واحد ولم يبارك الله في عمره وسار جيش الحرة إلى مكّة لقتال ابن الزبير وأتوا مكّة فحاصروه وقاتلوه ورموه بالمنجنيق واحترقت من شرارة نيرانهم أستار الكعبة وسقفها ـ إلى آخر ما نقل فراجع إلى الكتاب[3].

والدَّجال الذي يقاتل المهديَّ المنتظر عليه السلام الهاشميَّ سفيانيٌّ أيضاً ففي معاني الأخبار للصدوق رحمه الله عن الصّادق عليه السلام: قال: إنا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله: قلنا صدق الله وقالوا كذب الله، قاتل أبو سفيان رسول الله ﷺ وقاتل معاوية عليَّ بن أبي طالب عليه السلام وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن عليّ عليه السلام والسفيانيّ يقاتل القائم[4]، رواه المجلسي في «البحار» (ج ٨ ص ٥٦٠ من الطبع الكمباني).

وهذه أنموذجة من شيم بني أُميّة، وتلك نبذة من خلال بني هاشم وخُلُقهم العظيم.

ثمَّ إنَّ الفاضل الشارح المعتزلي قال: كان الترتيب يقتضي أن يجعل هاشماً بإزاء عبد شمس لأنّه أخوه في قُعْدُدٍ وكلاهما ولد عبد مناف لصلبه، وأن يكون أُميّة بإزاء عبد المطّلب، وأن يكون حرب بإزاء أبي طالب، وأن يكون أبو سفيان بإزاء أمير المؤمنين عليه السلام لأن كلّ واحد من هؤلاء في قعدد صاحبه إلاّ أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا كان في صفّين بازاء معاوية اضطرَّ إلى أن جعل هاشم بازاء أُميّة بن عبد شمس. انتهى.

---

(١) المحاسن: ١/ ١٠٥ ح ٨٦، والكافي: ٧/ ٥٥.

(٢) وضوء النبي: ٢/ ٤٢٧، ومعالم المدرستين: ٣/ ١٨٢.

(٣) تعجيل المنفعة: ٤٥٣.

(٤) معاني الأخبار: ٣٤٦ ح ١، وبحار الأنوار: ٣٣/ ١٦٥ ح ٤٣٣.

أقول: أوّلاً: إنَّ سلسلتي نسب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ومعاوية إلى عبد مناف ليستا متكافئتين حتّى يجعل كلّ واحد من هذه السلسلة في قعدد صاحبه من السلسلة الأخرى فإنّها في معاوية تجاوز حلقة فعليّ عليه السلام ينتهي إلى عبد مناف بثلاثة آباء ومعاوية ينتسب إليه ظاهراً بآباء أربعة.

وثانياً: إنَّ الأمير عليه السلام جعل نفسه بإزاء معاوية، وأباه أبا طالب بإزاء أبيه أبي سفيان، وجدّه عبد المطّلب بإزاء جدّه حرب، وأبا جدّه هاشم بإزاء أبي جدّه أُميّة فلا يخفى حسن صنيعته عليه السلام.

وثالثاً: إنَّ في صنيعته هذه إشارة لطيفة دقيقة إلى عدم انتهاء نسب الخصم إلى عبد مناف، أي عدم كونه من صميم قريش، فتبصّر.

ورابعاً: إنَّ الأمير عليه السلام كان في بيان فضل أولاد عبد مناف الذين كانوا آباءه عليهم السلام شرافةً وكرامةً ومجداً على أولاده الذين كان معاوية ينتسب بهم إليه وليس للتنظير مزيد اهتمام في المقام.

وخامساً: إنَّ في ما فعل الأمير عليه السلام من جعل أُميّة بإزاء هاشم، وحرب بإزاء عبد المطّلب، وأبي سفيان بإزاء أبي طالب نكتةً تاريخيّة أوجبت تنظير كلّ واحد من الثلاثة قبال صاحبه وقد غفل الشارح المذكور عنها، وهي أنَّ هاشماً بعد أبيه عبد مناف لمّا ولي ما كان إليه من السّقاية والرِّفادة وساد قومه حسده أُميّة ابن أخيه عبد شمس بن عبد مناف فتكلّف أن يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيّرته قريش وقالوا له: أتتشبّه بهاشم؟ ثمَّ دعا هاشماً للمنافرة فأبى هاشم ذلك لسنّه وعلوّ قدره فلم تدعه قريش؛ فقال هاشم لأُميّة: أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكّة، والجلاء عن مكّة عشر سنين، فرضي أُميّة بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وكان بعُسفان فخرج كلّ منهما في نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل أن يخبروه خبرهم: والقمر الباهر، والكوكب الزّاهر، والغمام الماطر، وما بالجوّ من طائر، وما اهتدى بعَلَم مسافر، من منجدٍ وغائرٍ، لقد سبق هاشمٌ أُميّة إلى المفاخر فنصر هاشم على أُميّة فعاد هاشم إلى مكّة ونحر الإبل وأطعم النّاس وخرج أُميّة إلى الشام فأقام بها عشر سنين فكانت هذه أوّل عداوة وقعت بين هاشم وأُميّة وتوارث ذلك بنوهما.

فقد أشار عليّ عليه السلام بقوله: «ولكن ليس أُميّة كهاشم» إلى هذا التنظير، وقد نقلنا هذه النكتة التاريخيّة من «**إنسان العيون**» في سيرة الأمين والمأمون المعروف بالسيرة الحلبيّة (**ص ٥ ج ١ طبع مصر**) وقد نقل قريباً منه أبو جعفر الطبريّ في «**التاريخ**»، وابن الأثير في «**الكامل**».

وأمّا ما أوجبت التنظير بين عبد المطّلب وحرب فهي أنَّ حرباً كان نديم عبد المطّلب في الجاهلية وكان في جوار عبد المطّلب يهوديٌّ فأغلظ ذلك اليهودي القول على حرب في

سوق من أسواق تهامة فأغرى عليه حرب من قتله؛ فلمّا علم عبد المطّلب بذلك ترك منادمة حرب ولم يفارقه حتّى أخذ منه مائة ناقة دفعها لابن عمّ اليهودي ثمّ نادم عبد الله بن جدعان التميمي.

هذا ما نقلنا عن «**السيرة النبوية**» لأحمد زيني دحلان (**هامش السيرة الحلبية ص ٢٢ ج ١**) وتفصيل ذلك ما أتى به أبو جعفر الطبري في «**التاريخ**» وابن الأثير في «**الكامل**» من أنّ عبد المطّلب كان له جار يهوديٌّ يقال له: أُذينة يتّجر وله مال كثير فغاظ ذلك حرب بن أُميّة، وكان نديم عبد المطّلب فأغرى به فتياناً من قريش ليقتلوه ويأخذوا ماله فقتله عامر بن عبد مناف بن عبد الدّار، وصخر بن عمرو بن كعب التيميُّ جدُّ أبي بكرٍ؛ ولم يعرف عبد المطّلب قاتله فلم يزل يبحث حتّى عرفهما وإذا هما قد استجارا بحرب بن أُميّة، فأتى حرباً ولامَه، وطلبهما منه فأخفاهما فتغالظا في القول حتّى تنافرا إلى النجاشي ملك الحبشة فأبى أن ينفر بينهما فجعلا بينهما نفيل بن عبد العزّى بن رياح، فقال لحرب:

يا أبا عمرو أتنافر رجلاً هو أطول منك قامةً، وأعظم منك هامةً، وأوسم منك وسامةً، وأقلّ منك ملامة، وأكثر منك ولداً، وأجزل صفداً، وأطول منك مذوداً؟ وإنّي لأقول هذا وإنّك لبعيد الغضب، رفيع الصوت في العرب، جلد المريرة، جليل العشيرة، ولكنّك نافرت منفراً.

فغضب حرب وقال: إنّ من انتكاس الزّمان أن جعلت حكماً؛ فترك عبد المطّلب منادمة حرب، ونادم عبد الله بن جدعان وأخذ من حرب مائة ناقة فدفعها إلى ابن عمّ اليهودي، وارتجع ماله إلاّ شيئاً هلك فغرمه من ماله.

ثمّ قال زيني دحلان: ويروى أنّ حرباً كان لا يلتقي من أحدٍ من رؤساء قريش أو غيرهم في عقبة أو مضيق إلاّ تأخّروا وتقدّم هو، ولا يستطيع أحد أن يتقدّم عليه فالتقى حرب مع رجل من بني تميم في عقبة فتقدّمه التميمي، فقال حرب: أنا حرب بن أُميّة فلم يلتفت إليه التميمي ومرَّ قبله فقال حرب: موعدك مكّة فبقي التّميمي دهراً ثمّ أراد دخول مكّة فقال: من يجيرني من حرب بن أُميّة؟ فقيل له: عبد المطّلب بن هاشم فأتى التّميمي ليلاً دار الزُّبير بن عبد المطّلب فدقَّ الباب فقال الزُّبير لأخيه الغيداق: قد جاءنا رجل إمّا مستجير أو طالب حاجة أو طالب قرى وقد أعطيناه ما أراد فخرج الزّبير فأنشد الرَّجل:

لاقيتُ حرباً في الثنيّة مقبلاً ... والصبح أبلج ضوءه للساري
فدعا بصوت واكتنى ليروعني ... ودعا بدعوته يريد فخاري
فتركته كالكلب ينبح وحده ... وأتيت أهل معالم وفخار
ليثاً هزبراً يستجار بقربه ... رحب المنازل مكرماً للجار
ولقد حلفت بمكّة وبزمزم ... والبيت ذي الأحجار والأستار

إنّ الزُّبير لما نعي من خوفه ما كبّر الحجّاج في الأمصار

فقال الزُّبير للتميمي: تقدَّم فإنّا لا نتقدَّم على من نجيزه فتقدَّم التميمي ودخل المسجد فرآه حرب فقام إليه فلطمه فعدا عليه الزُّبير بالسَّيف فعدا حرب حتّى دخل دار عبد المطّلب فقال: أجرني من الزُّبير فأكفأ عليه جفنةً كان أبوه هاشم يطعم النّاس فيها فبقي تحتها ساعة ثم قال له عبد المطّلب: اخرج، فقال: كيف أخرج وسبعة من ولدك قد اجتمعوا بسيوفهم على الباب؟ فألقى عليه عبد المطّلب رداءه فخرج عليهم فعلموا أنّه أجاره فتفرّقوا.

وإلى هذه القصّة أشار ابن عبّاس رضي الله عنهما حين دخل على معاوية في أيّام خلافته وعنده وفود العرب ذكره كلاماً فيه افتخار وذكر في كلامه حرب بن أُميّة فقال له ابن عبّاس: فمن أكفأ عليه إناءً وأجاره بردائه؟ فسكت معاوية[١].

وأمّا التنظير بين أبي طالب وأبي سفيان فظاهر ممّا قدّمنا سالفاً من حماية أبي طالب رضوان الله عليه رسول الله ﷺ والمسلمين وذبّه عن الرَّسول ﷺ وحسن تدبيره في دفع كياد القوم عنه، وآنفاً من ايذاء أبي سفيان رسول الله ﷺ والمسلمين وبغيه لهم وتأليبه عليهم القبائل وجهده في إطفاء نور الله وولعه في سفك الدِّماء.

ثمَّ بما بيّنّا من وجه التنظير علم أيضاً أنَّ بني هاشم كانوا يؤمنون الخائفين ويؤدُّون الحقوق، وكان دارهم مأمن النّاس وأنَّ بني أميَّة كانوا على خلافهم.

قال عليه السلام: «ولا المهاجر كالطليق، ولا الصَّريح كاللّصيق، ولا المحقُّ كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل» بعدما بيَّن ما كانت طارئة عليهما من جهة آبائهما أخذ بذكر الصّفات النفسانية، فقال: ولا المهاجر كالطّليق يعني بالمهاجر نفسه وبالطليق معاوية وقد علمت في شرح المختار الرّابع والثلاثين والماءتين من باب الخطب وهو قوله عليه السلام: (**فجعلت أتبع مأخذ رسول الله ﷺ**) ـ إلخ (ص ١٢٦ ج ١٥) أنَّ رسول الله ﷺ لمّا فجأه من الكفّار ما أحوجه إلى الخروج من مكّة استخلف عليّاً في ردِّ الودائع إلى أربابها وقضاء ما كان عليه من دين لمستحقيه وجمع بناته ونساء أهله وأزواجه والهجرة بهم إليه فقام عليّ عليه السلام به أحسن القيام وبات على فراش رسول الله ﷺ ووقاه بنفسه ثمَّ ردّ كلَّ وديعة إلى أهلها وأعطى كلّ ذي حقّ حقَّه وحفظ بنات رسول الله وحرمه وهاجر بهم ماشياً على قدميه يحوطهم من الأعداء ويكلأهم من الخصماء ويرفق بهم في المسير حتّى أوردهم عليه ﷺ المدينة على أتمّ صيانة وحراسة ورفق ورأفة وحسن تدبير.

وكان معاوية وأبوه في زمان مهاجرة الرَّسول والوصيّ عليهما السلام مشركين وقد أسلما يوم فتح

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٢٧/٢٦٧؛

مكّة إمّا رغبة وإمّا رهبة ولما ظهر رسول الله ﷺ على أهل مكّة قال لهم: فاذهبوا وأنتم الطلقاء فمعاوية طليق بن طليق[1]، وسيأتي ذكر فتحها عن قريب.

قوله عليه السلام: «ولا الصَّريح كاللّصيق» يعني بالصّريح نفسه وباللّصيق معاوية و قد علم في بيان لغة الكتاب أن الصَّريح بمعنى خالص النسب، واللصيق بمعنى الدعيّ في قومٍ، الملصق بهم وليس منهم.

قال الفاضل الشارح المعتزلي: إن قلت: ما معنى قوله: **(ولا الصَّريح كاللّصيق)** وهل كان في نسب معاوية شبهة ليقول له هذا؟ قلت: كلاّ إنّه لم يقصد ذلك وإنّما أراد الصّريح بالإسلام واللّصيق في الإسلام فالصّريح فيه هو من أسلم اعتقاداً وإخلاصاً، واللّصيق فيه من أسلم تحت السيف أو رغبة في الدّنيا وقد صرّح بذلك فقال: **(كنتم ممّن دخل في هذا الدين إما رغبة وإمّا رهبة)**. انتهى.

أقول: لو كان شرح عبارة مبنيًا على الرأي من دون دلالة سبكها وأُسلوبها عليه، أو لم يكن له شاهد من خارج لجاز أن تفسر على آراء كثيرة فائلة خارجة عن حيطة المراد قطعاً.

ثمّ يقال له: ما اقتضى عدولك عن ظاهر اللّفظ وارتكابك على هذا التكلّف؟ ولِمَ لا يجوز أن يكون معاوية ملصقاً بقريش ومع ذلك كان ممّن دخل في الدِّين إمّا رغبة أو رهبة، حتّى لا تحمل العبارتان على معنى واحدٍ؟

فإن قلت: إذا كان اللّصيق بهذا المعنى أي إنّه لم يكن من قريشٍ فلم قال الأمير عليه السلام: «وأمّا قولك إنّا بنو عبد مناف فكذلك نحن» ولم يردّه في ادّعائه هذا بأنّه ليس من بني عبد مناف، بل أمضاه وأثبته بقوله فكذلك نحن؟.

قلت: أوّلاً: إنّه عليه السلام على نسخة نصر لم يمضه ولم يعترف بأنَّ معاوية من بني عبد مناف بل قال: وأمّا قولك: «إنّا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فصل» «فلعمري إنّا بنو أب واحد» ولا يخفى عليك أنَّ الكافر والمسلم من أب واحد آدم عليه السلام.

وثانياً: هب أنّه قال: فكذلك نحن، ولكن لا ضير في أن يكون كلامه هذا مبنيًا على المماشاة وفرض التسليم أي سلّمنا أنَّ نسبك ينتهي إلى عبد مناف ولكنّ بين آبائي وآبائك إلى عبد مناف في الشرافة والجلالة فرقاً فاحشاً ثمّ نفى نسبه إليه بقوله: **(وليس الصريح كاللّصيق)**، وهذا الدّأب في المحاورات ليس بعزيز.

وقال سمّينا عماد الدِّين الحسن بن عليّ بن محمّد بن الحسن الطبريّ في الفصل الأوّل من الباب الخامس والعشرين من كتابه كامل اسقيفة المشتهر بالكامل البهائي **(ص ١٦١ ج ٢**

(١) الإرشاد: ١/ ٥٣.

طبع دار العلم قم) وكذا قال صاحب إلزام النواصب: إنَّ بني أُميّة ليسوا بصحيحي النسب إلى عبد مناف، ونقل قولهما المجلسي في المجلّد الثامن من البحار (**ص ٣٨٣ من الطبع الكمباني**) قال:

قال صاحب «**الكامل البهائي**»: إنَّ أُميّة كان غلاماً روميًّا لعبد الشمس فلمّا ألقاه كيّساً فطِناً أعتقه وتبنّاه فقيل أُميّة بن عبد الشمس كما كانوا يقولون قبل نزول الآية: زيد بن محمّد، ولذا روي عن الصّادقين عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ أنّهم بنو أُميّة، ومن هنا يظهر نسب عثمان ومعاوية وحسبهما وأنّهما لا يصلحان للخلافة لقوله صلى الله عليه وآله: الأئمّة من قريش.

وقال مؤلّف كتاب «**إلزام النّواصب**»: أُميّة لم يكن من صلب عبد الشمس وإنّما هو من الروم فاستلحقه عبد الشمس فنسب إليه فبنوا أُميّة ليسوا من صميم قريش وإنّما هم يلحقون بهم ويصدق ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام إنَّ بني أُميّة لصاق وليسوا صحيحي النسب إلى عبد مناف ولم يستطع معاوية انكار ذلك. انتهى[1].

أقول: قوله قبل نزول الآية إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا - إلى قوله عزَّ وجلَّ: مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

ورواية الصادقين قد رواها الشيخ الجليل أبو الفتح الكراجكي معاصر الشريف الرَّضي في «**كنز الفوائد**»، وقد روى عن غيرهما من أئمّتنا عليهم السلام أيضاً أتى بها المجلسي في ثامن البحار (**ص ٣٧٩**) روى الكراجكيّ قدّس سرُّه عن محمّد بن العبّاس، عن ابن عقدة، عن الحسن بن القاسم، عن عليّ بن إبراهيم بن المعلّى، عن فضيل بن إسحاق، عن يعقوب بن شعيب، عن عمران بن ميثم، عن عباية، عن عليّ عليه السلام قال: قوله عزَّ وجلَّ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ هي فينا وفي بني أُميّة[2].

وروى عن محمّد بن العباس، عن الحسن بن محمّد بن جمهور العميّ، عن أبيه، عن جعفر بن بشير، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن تفسير ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ قال: هم بنو أُميّة وإنّما أنزلها الله الم غلبت الرّوم بنو أُميّة في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله عند قيام القائم[3].

---

(١) بحار الأنوار: ٣١/ ٥٤٤. (٢) بحار الأنوار: ٣١/ ٥٤٤. (٣) الكافي: ٨/ ٢٦٩ ح ٣٩٧.

واعلم أنَّ الرّوايتين تشيران إلى بطن من بطون الآية وليس المراد من قوله إنّما أنزلها **(الم غلبت الرّوم)** بنو أميّة، وقوله **(يفرح المؤمنون بنصر الله)** عند قيام القائم، أنَّ الآية نزلت هكذا أوّلاً ثمّ حرّفت وصحّفت؛ وذلك لما علمت من شرحنا على المختار الأوّل من باب الكتب والرّسائل أنَّ القرآن الذي في أيدي النّاس اليوم هو جميع ما أنزله الله تعالى على رسوله وما تطرّق إليه زيادة ونقصان فراجع إلى **(ص ٢٤٩ ـ ٢٩٥)** من المجلّد السادس عشر.

قال عليه السلام: «ولا المحقُّ كالمبطل» أي ليس ذاك كهذا، ويعني بالمحقّ نفسه وبالمبطل معاوية، وكذا قوله عليه السلام: «ولا المؤمن كالمدغل» إنّما يعني بالمؤمن نفسه وبالمدغل معاوية.

فالأمير عليه السلام بدأ بذكر فضائله ورذائل خصمه من آبائهما أوّلاً وأدرج الخصم في سلك قريش على سبيل المماشاة، ثمَّ أتى بأوصاف أربعة كمالية كانت له عليه السلام، وذكر مع كلّ واحدة منها ضدّها الذي كان لخصمه معاوية.

وأفاد الشارح البحراني بأنّه عليه السلام ذكر الفرق بينهما من وجوه خمسة بدأ فيها بالأمور الخارجة أوّلاً من كمالاته وفضائله ورذائل خصمه متدرّجاً منها إلى الأقرب فالأقرب فالأوّل شرفه من جهة الآباء المتفرّعين على عبد مناف بعد أن سلّم الإشتراك بينهما في كونهما من بني عبد مناف.

الثاني: شرفه من جهة هجرته مع الرسول صلى الله عليه وآله وخسّة خصمه من جهة كونه طليقاً وابن طليق وهذه فضيلة وإن كانت خارجية إلاّ أنّها تستلزم فضيلة نفسانية وهي حسن الإسلام والنيّة الصادقة الحقّة وكذلك ما ذكر من رذيلة خصمه بدنيّة عرضت له إلاّ أنَّ هذه الفضيلة والرذيلة أقرب من الاعتبارين الأوّلين لكونهما حقيقيتين بالآباء وهميّتين بالأبناء دون هاتين.

الثالث: شرفه من جهة صراحة النسب وخسّة خصمه من جهة كونه دعيّاً وهذان الاعتباران أقرب ممّا قبلهما لكونهما اعتبارين لازمين لهما دون الأوّلين.

الرابع: شرفه من جهة كونه محقّاً فيما يقوله ويعتقده ورذيلة خصمه من جهة كونه مبطلاً وهذان الإعتباران أقرب لكونهما من الكمالات والرّذائل الذاتية دون ما قبلها.

الخامس: شرفه من جهة كونه مؤمناً، والمؤمن الحقّ هو المستكمل للكمالات الدينيّة النفسانيّة وخسّة خصمه من جهة كونه مدغلاً أي خبيث الباطن مشتملاً على النفاق والرذائل الموبقة وظاهر أنَّ هذين الاعتبارين أقرب الكمالات والرذائل إلى العبد، وإنّما بدأ بذكر الكمالات والرذائل الخارجية لكونهما مشتملة عند الخصم وأظهر له وللخلق من الأمور الدّاخلية.

قال عليه السلام: «ولبئس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنّم» أسلوب الكلام ينادي

بأعلى صوته أن جملة (**يتبع**) صفة للخلف، (**وهوى في نار جهنّم للسلف**) والإتيان بالفعل المضارع في الأُولى، والماضي في الثانية أصدق شاهد لما قلنا فأخبر عليه السلام بأنَّ سلف معاوية ومنهم أبو سفيان هوى بكفره وشركه في نار جهنّم.

على أن السّلف إذا كان على سويّ الصّراط فنعم الخلف خلف يتّبعه فلا يعاب على خلف بهذا الاتّباع ولا يذمّ به بل يمدح ففي هذا الكلام ذمٌّ للخلف والسلف معاً.

فبما حقّقنا دريت وهن ما جنح إليه الفاضل أحمد زكي صفوت في «**جمهرة رسائل العرب**» (**ص ٤٨٠ ج ١**) من أنّه عليه السلام لا يعيب على معاوية بأنّ سلفه كانوا كفّاراً بل بكونه متّبعاً لهم فقد نهج في معاداة عليّ نهج أجداده في معاداة أجداد عليّ.

قال عليه السلام: «وفي أيدينا بعد فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز ونعشنا بها الذليل» هذا ردّ على قول معاوية: «ليس لبعضنا على بعض فضل إلاّ فضل لا يستذلّ به عزيز ولا يسترقّ به حرّ» معناه: والحال أنَّ لنا فضلاً آخر عليكم بعد الفضائل المتقدّمة وهو فضل النبوّة، ولما استثنى معاوية بقوله إلاّ فضل لا يستذلّ به ـ إلخ أجابه الأمير عليه السلام تبكيتاً له وإفحاماً وردّاً لادّعائه الباطل بقوله: (**التي أذللنا بها العزيز**) كأبي سفيان وأبي لهب وأضرابهما، (**ورفعنا بها الذّليل**) كأثر الصحابة والتابعين كانوا خاملي الذكر ولمّا آمنوا رفع الله لهم ذكرهم.

بل كان لآبائه أعني بني هاشم فضل وشرف ومجد كانوا أعواناً للمظلوم وإن كان خاملاً ذليلاً، وخصماء للظالم وإن كان عزيز نبيهاً، وكانوا يؤدّون كلَّ ذي حقّ حقّه ويذلّون العزيز الظالم وينعشون المظلوم الذليل.

وفي قوله عليه السلام: (**وفي أيدينا بعد فضل النبوّة**) إشارة إلى أنّه ربّي في بيت النبوّة واقتبس من مشكاة الرّسالة، وأنَّ نور النبوّة كان في بني هاشم ينتقل عن واحد منهم بعد واحد حتّى انتقل إلى عبد الله بن عبد المطّلب أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وأنَّ بني هاشم كانوا ببركة هذا النّور يذلّون العزيز ويرفعون الذّليل، وكان لهم به شرف وفضل لم يكن لغيرهم، وأنَّ من كان من بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وأهله إنّما كان شأنه إعانة المظلوم وإغاثته، وقمع الظالم ودفع الظالم، والله أعلم حيث يجعل رسالته، ولا يخفى عليك أنَّ هذا الفضل لا يعادله شيء.

قوله عليه السلام: «ولما أدخل الله العرب ـ إلخ» بعدما عرّف عليه السلام نفسه وآباءه بأنّهم من بيت النبوّة ولهم فضل النبوّة وكانوا حماة النّاس ورعاتهم عقّبه بذكر رذيلة للخصم بأنّه وأباه وأتباعهما ـ كما أتى بلفظة الجمع حيث قال كنتم ـ ممّن دخلوا في دين الله لا عن اخلاص بل كانوا متمرّدين عاصين كارهين إلاّ أنّهم لمّا رأوا أنَّ دين الله استولى على النّاس وأظهره الله تعالى على الدّين كلّه لم يجدوا مخلصاً ومحيصاً إلاّ أن يستسلموا إمّا رغبة إلى زخارف

الدّنيا، وإمّا رهبةً من سيوف المسلمين وقد مضى في ذلك كلام عمّار وابن الحنفية في المختار السابق عند قوله عليه السلام: «والذي فلق الحبّة وبرىء النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر فلما وجدوا عليه أعواناً أظهروه» فراجع.

على أنّهم إنّما أسلموا ظاهراً بعدما فاز أهل السبق بسبقهم وذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم، وإنّما الفضل للمتقدّم لأنّه إمام في فعله وداع إلى الخير وللسّابق إلى الإسلام ودعوة الناس إلى الله فضيلة على غيره لا تنكر.

وقوله عليه السلام: «ولمّا أدخل الله العرب في دينه أفواجاً» إشارة إلى سورة النصر.

وقوله عليه السلام: «على حين فاز أهل السبق بسبقهم وذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

قوله عليه السلام: «فلا تجعل للشيطان ـ إلخ» معناه كما أفاده الفاضل الشارح المعتزلي: لا تستلزم من أفعالك ما يدوم به كون الشيطان ضارباً فيك بنصيب لأنّه ماكتب إليه هذه الرّسالة إلاّ بعد أن صار للشيطان فيه أوفر نصيب وإنّما المراد نهيه عن دوام ذلك واستمراره.

في صفّين لنصر بن مزاحم **(ص ١١٠ من الطبع الناصري)** أنّ عمّاراً جعل يقول **(يعني يوم صفّين)**: يا أهل الإسلام أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما وبغي على المسلمين وظاهر المشركين، فلمّا أراد الله أن يظهر دينه وينصر رسوله أتى النبيّ صلى الله عليه وآله فأسلم وهو والله فيما يرى راهب غير راغب وقبض الله رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّا لنعرفه بعداوة المسلم ومودّة المجرم، ألا وإنّه معاوية فالعنوه لعنه الله، وقاتلوه فإنّه ممّن يطفىء نور الله ويظاهر أعداء الله.

حديث فتح مكة وأن أهل مكة الطلقاء

لمّا صالح رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً عام الحديبيّة كان في أشراطهم أنّه من أحبّ أن يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله دخل فيه فدخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وآله وكنانة في عقد قريش فأعانت قريش كنانة فأرسلوا مواليهم فوثبوا على خزاعة فقتلوا فيهم فجاءت خزاعة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فشكوا إليه ذلك وكان ذلك ممّا هاج فتح مكّة فأحلّ الله لنبيّه قطع المدّة التي بينه وبينهم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله قال للناس: كأنّكم بأبي سفيان قد جاء ليشدّ العقد ويزيد في المدّة وسيلقي بديل بن ورقاء، فلقوا أبا سفيان بعسفان وقد بعثته قريش إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ليشدّ العقد ويزيد في المدّة فلمّا لقي أبو سفيان بديلاً قال: من أين أقبلت يا بُديل؟ وظنّ أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سرت في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال: ما أتيت محمّداً؟

قال: لا؛ فلما راح بديل إلى مكّة فقال أبو سفيان: لئن كان جاء من المدينة لقد علف بها النوى فعمد إلى مبرك ناقته وأخذ من بعرها ففتَّه فرأى فيه النوى فقال: أحلف بالله تعالى لقد جاء بديل محمّداً.

ثمّ خرج أبو سفيان حتّى قدم على رسول الله ﷺ فدخل على ابنته أُمّ حبيبة فلمّا ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طَوَتْه عنه؛ فقال: يا بنيّة ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عنّي؟

قالت أُمّ حبيبة: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس ولم أحبّ أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ.

قال: والله لقد أصابك يا بنيّة بعدي شرّ.

ثمّ خرج حتّى أتى رسول الله ﷺ فكلّمه فقال: يا محمّد احقن دم قومك وأجر بين قريش وزدنا في المدَّة.

فقال ﷺ: أغدرتم يا أبا سفيان؟ قال: لا، قال: فنحن على ما كنّا عليه.

فخرج أبا سفيان فلقي أبا بكر فقال: أجر بين قريش.

قال: ويحك وأحد يجير على رسول الله ﷺ؟ ما أنا بفاعل.

ثمّ لقى عمر بن الخطاب فقال له مثل ذلك.

فقال عمر: أأنا أشفع لكم إلى رسول الله فوالله لو لم أجد إلاّ الذّرّ لجاهدتكم به.

ثمّ خرج فدخل على عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعنده فاطمة بنت رسول الله سلام الله عليها وعندها حسن بن عليّ غلام يدبّ بين يديها، فقال: يا عليُّ إنّك أمسُّ القوم بي رحماً، وإنّي قد جئت في حاجة فلا أرجعنَّ كما جئت خائباً فاشفع لي إلى رسول الله ﷺ.

فقال: ويحك يا أبا سفيان! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه.

فالتفت إلى فاطمة عليها السلام فقال: يا بنت محمّد هل لك أن تأمري بُنيّك هذا فيجير بين النّاس فيكون سيّد العرب إلى آخر الدّهر؟

قالت: والله ما بلغ بُنيَّ ذاك أن يجير بين النّاس، وما يجير أحد على رسول الله ﷺ.

وفي مجمع الطبرسيّ: دخل أبو سفيان بعد ما خرج من عند ابنته أمّ حبيبة على

فاطمة عليها السلام فقال: يا بنت سيّد العرب تجيرين بين قريش وتزيدين في المدّة فتكونين أكرم سيّدةٍ في النّاس؟

فقالت: جواري جوار رسول الله ﷺ.

أتأمرين[١] ابنيك أن يجيرا بين النّاس؟ قالت: والله ما بلغ ابناي أي يجيرا بين النّاس وما يجير على رسول الله ﷺ أحد.

فقال: يا أبا الحسن إنّي أرى الأمور قد اشتدّت عليَّ فانصحني.

قال: والله ما أعلم شيئاً يغني عنك شيئاً ولكنّك سيّد بني كنانة فقم فأجر بين النّاس ثمَّ الحق بأرضك.

قال: أو ترى ذلك مغنياً عنّي شيئاً؟

قال: لا والله ما أظنّه ولكنّي لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيّها النّاس إنّي قد أجرت بين النّاس، ثمَّ ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟

قال: جئت محمّداً فكلّمته فوالله ما ردّ عليَّ شيئاً ثمَّ جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً، ثمَّ جئت ابن الخطّاب فوجدته أدنى العدوّ، ثمَّ جئت عليّاً فوجدته ألين القوم وقد أشار عليَّ بشيء صنعته فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئاً أم لا؟

قالوا: وبم أمرك؟

قال: أمرني أن أُجير بين النّاس ففعلت.

قالوا: فهل أجار ذلك محمّد؟

قال: لا؛ قالوا: ويلك! أما والله إن زاد عليّ بن أبي طالب على أن لعب بك فما يغني عنك ما قلت، قال: لا والله ما وجدت غير ذلك.

ثمَّ عزم رسول الله ﷺ على غزو مكّة وقال: اللّهمَّ أعم الأخبار عنهم - يعني قريشاً - فكتب حاطب بن أبي بلتعة مع سارة مولاة أبي لهب إلى قريش بخبر رسول الله ﷺ وما اعتزم عليه فنزل جبرئيل فأخبره بما فعل حاطب فوجّه بعليّ بن أبي طالب والزُّبير وقال خذ الكتاب منها فلحقاها وقد كانت تنكّبت الطريق فوجد الكتاب في مشعرها، وقيل في فرجها فأتيا به

---

(١) في نسخة: فقال: أتأمرين.

إلى رسول الله ﷺ فأسرَّ إلى كلِّ رئيس منهم بما أراد وأمره أن يلقاه بموضع سمّاه رأن يكتم ما قال له فأسرَّ إلى خزاعي بن عبد نهم أن يلقاه بمزينة بالروحاء، وإلى عبد الله بن مالك أن يلقاه بغفار بالسقيا، وإلى قدامة بن ثمامة أن يلقاه ببني سليم بقديد، وإلى الصعب بن جثامة أن يلقاه ببني ـ ليث بالكديد.

وخرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة حين صلّى صلاة العصر لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ثمان، وقيل لعشر مضين من رمضان، واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ولقيته القبائل في المواضع التي سمّاها لهم وأمر النّاس فأفطروا، وسمّى الذين لم يفطروا العصاة ودعا بماء فشربه وتلقّاه العبّاس بن عبد المطّلب في بعض الطريق فلمّا صار بمرِّ الظهران خرج أبو سفيان بن حرب يتجسّس الأخبار ومعه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وهو يقول لحكيم ما هذه النيران؟ فقال خزاعة أحمشتها الحرب، فقال خزاعة: أقل وأذل وسمع صوته العبّاس فناداه يا أبا حنظلة (**يعني به أبا سفيان**) فأجابه فقال له: يا أبا الفضل ما هذا الجمع؟ قال: هذا رسول الله ﷺ فأردفه على بغلته ولحقه عمر بن الخطّاب وقال: الحمد لله الذي أمكن منك بغير عهد ولا عقد فسبقه العبّاس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان قد جاء ليسلم طائعاً فقال له رسول الله ﷺ: قل أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّي محمّد رسول الله، فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وجعل يمتنع من أن يقول وأنّك رسول الله فصاح به العباس، فقال.

وفي نقل آخر أنَّ رسول الله ﷺ قال له: يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلاّ الله؟ فقال: بأبي أنت وأُمّي ما أوصلك وأكرمك وأرحمك وأحلمك والله لقد ظننت أن لو كان معه إله لأغنى يوم بدر ويوم أُحد، فقال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنّي رسول الله؟ فقال: بأبي أنت وأُمّي أمّا هذه فإنَّ في النفس منها شيئاً، قال العبّاس: فقلت له ويحك اشهد بشهادة الحقّ قبل أن يضرب عنقك فتشهّد كما في السيرة لابن هشام (**ص ٤٠٣ ج ٢**).

ثمَّ سأل العبّاس رسول الله ﷺ أن يجعل له شرفاً وقال: إنّه يحبُّ الشرف فقال رسول الله ﷺ: من دخل دارك يا أبا سفيان فهو آمن.

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: يا عبّاس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتّى تمرّ به جنود الله فيراها، قال عبّاس: فخرجت حتّى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه ومرّت القبائل على راياتها، كلّما مرّت قبيلة قال: يا عبّاس من هذه؟ فأقول: سليم، فيقول: ما لي ولسُليم، ثمَّ تمرّ القبيلة فيقول: يا عبّاس من هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: ما لي ولمزينة، حتّى نفدت القبائل ما تمرّ به قبيلة إلاّ يسألني عنها فإذا

أخبرته بهم قال: ما لي ولبني فلان حتّى مرّ رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار في الحديد لا يرى منهم إلاّ الحدق فقال: سبحان الله من هؤلاء يا أبا الفضل - يعني به العباس -؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار؛ قال: ما لأحد بهؤلاء قِبَل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً، قال: قلت: ويحك يا أبا سفيان إنّه ليس بملك إنّما هي النبوّة، قال: فنعم إذن[1].

ومضى أبو سفيان مسرعاً حتّى دخل مكّة فأخبرهم الخبر وقال هو اصطلام إن لم تسلموا وقد جعل أنَّ من دخل داري فهو آمن، فوثبوا عليه وقالوا: ما يسع دارك؟ فقال: ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن.

وفتح الله على نبيّه وكفاه القتال ودخل مكّة ودخل أصحابه من أربعة مواضع وأحلّها الله له ساعة من نهار.

ثمَّ قام رسول الله ﷺ فخطب فحرمها، وأجارت أُمُّ هانيء بنت أبي طالب حموين لها: الحارث بن هشام، وعبد الله بن أبي ربيعة فأراد عليّ ﷺ قتلهما؛ فقال رسول الله ﷺ: يا عليُّ قد أجرنا من أجارت أُمّ هانيء، وآمنهم جميعاً إلاّ خمسة نفر أمر بقتالهم ولو كانوا متعلّقين بأستار الكعبة، وأربع نسوة.

وهم: عبد الله بن عبد العزّي بن خطل من بني تيم الأكرم بن غالب، وكان رسول الله ﷺ وجّهه مع رجل من الأنصار فشدّ على الأنصاري فقتله وقال: لا طاعة لك ولا لمحمّد.

وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري وكان يكتب لرسول الله ﷺ فصار إلى مكّة فقال: أنا أقول كما يقول محمّد والله ما محمّد نبيٌّ ولقد كان يقول لي اكتب «عزيز حكيم» فأكتب «لطيف خبير» ولو كان نبيًّا لعلم فآواه عثمان وكان أخاه من الرضاع وأتى به إلى رسول الله ﷺ فجعل يكلّمه فيه ورسول الله ﷺ ساكت ثمَّ قال: هلا قتلتموه؟ فقالوا: انتظرنا أن تؤميء، فقال: إنَّ الأنبياء لا تقتل بالإيماء.

ومقيس بن صبابة أحد بني ليث بن كنانة وكان أخوه قتل فأخذ الدّية من قاتله ثمَّ شدَّ عليه فقتله.

والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد قصي كان ممّن يؤذي رسول الله ﷺ بمكّة ويتناوله بالقول القبيح.

---

(١) روى المقريزي في أمتاع الأسماع (١/٣٧٦ ط. القاهرة ١٩٤١ م تصحيح محمد شاكر) الرواية ولكن فيها: فَنَعَرَ، وفي الهامش: صوت صوتاً من خيشومة.

والنسوة: سارة مولاة بني عبد المطّلب وكانت تذكر رسول الله ﷺ بالقبيح.

وهند بنت عتبة، وقريبة وفرتا (**كذا**) جاريتا ابن خطل كانتا تغنّيان في هجاء رسول الله ﷺ.

وأسلمت قريش طوعاً وكرهاً، وأخذ رسول الله ﷺ مفتاح البيت من عثمان ابن أبي طلحة وفتح الباب بيده وستره ثمَّ دخل البيت فصلّى فيه ركعتين ثمَّ خرج فأخذ بعضادتي الباب فقال: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له أنجز وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فللّه الحمد والملك لا شريك له.

ثمَّ قال ﷺ: ما تظنّون وما أنتم قائلون؟ قال سهيل: نظنُّ خيراً ونقول خيراً أخ كريم وابن عمّ كريم وقد ظفرت، قال: فإنّي أقول لكم كما قال أخي يوسف «لا تثريب عليكم اليوم».

ثمَّ قال ﷺ: ألا كلُّ دم ومال ومأثرة في الجاهليّة فإنّه موضوع تحت قدميّ هاتين إلاّ سدانة الكعبة وسقاية الحاجّ فإنّهما مردودان إلى أهليهما، ألا وإنَّ مكّة محرَّمة بحرمة الله لم تحلّ لأحد من قبلي ولا تحلّ لأحد من بعدي وإنّما حلّت لي ساعة ثمَّ أغلقت فهي محرمة إلى يوم القيامة لا يختلي خلاها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تحلّ لقطتها إلاّ لمنشد، ألا إنَّ في القتل شبه العمد الدّية مغلّظة، والولد للفراش وللعاهر الحجر.

ثمَّ قال ﷺ: ألا لبئس جيران النبيِّ كنتم لقد كذبتم وطردتم وأخرجتم وآذيتم ثمَّ ما رضيتم حتّى جئتموني في بلادي تقاتلونني فاذهبوا فأنتم الطلقاء، فخرج القوم فكأنّما انشروا من القبور.

ودخل مكّة بغير احرام وأمر بلالاً أن يصعد على الكعبة فأذَّن فعظم ذلك على قريش وقال عكرمة بن أبي جهل وخالد بن أسيد: إنَّ ابن رباح ينهق على الكعبة، وتكلّم قوم معهما فارسل إليهم رسول الله ﷺ فقالوا: قد قلنا فنستغفر الله فقال ﷺ: ما أدري ما أقول لكم ولكن تحضر الصلاة فمن صلّى فسبيل ذلك وإلاّ قدّمته فضربت عنقه[1].

وأمر بكلّ ما في الكعبة من صورة فمحيت وغسلت بالماء، ونادى منادي رسول الله ﷺ من كان في بيته صنم فليكسره فكسروا الأصنام.

ودعا رسول الله ﷺ بالنساء فبايعنه ونزلت عليه سورة إذا جاء نصر الله والفتح فقال: نعيت إلي نفسي.

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٦٠.

واعلم أنّه قد مضى بحثنا الكلامي عن عمل عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطرح بعض روايات وردت فيه فراجع إلى «**شرح المختار**» الأوّل من باب الكتب والرّسائل (ص ٢١٠ ـ ٢١٣ ج ١٦).

وكذا قد تقدَّم وجه دلالة سورة النصر على رحلة رسول الله ﷺ في «**شرح المختار**» ٢٣٣ من باب الخطب (ص ٧٩ ج ١٥).

وقيل لأهل مكّة الطّلقاء لقوله ﷺ لهم: فاذهبوا وأنتم الطّلقاء، ولذا قالت عقيلة بني هاشم الصدّيقة الصغرى زينب بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ في احتجاجها على يزيد بن معاوية: أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا؟

وعن ابن مسعود قال: دخل النبيّ ﷺ يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستّون صنماً فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: جاء الحقّ وما يبدىء الباطل وما يعيد، جاء الحقّ وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً.

وعن ابن عبّاس قال: لمّا قدم النبيّ ﷺ إلى مكّة أبى أن يدخل البيت وفيه الإلهة فأمر بها فأُخرجت صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفي أيديهما الأزلام؛ فقال ﷺ: قاتلهم الله أما والله لقد علموا أنّهما لم يستقسما بها قطُّ[1]، وجاء ابن الزّبعري إلى رسول الله ﷺ وأسلم وقال:

يا رسول المليك إنَّ لساني ... راتق ما فتقت إذ أنا بور
إذ أبارى الشيطان في سنن الغيّ ... ومن مال ميلَه مثبور
آمن اللحم والعظام لربّي ... ثمَّ قلبي الشهيدُ أنت النذير
إنّني عنك زاجرٌ ثمّ حيًّا ... مِن لؤيٍّ وكلّهم مغرور

وابن الزّبعري هذا هو الذي تقدَّم الكلام فيه في شرح المختار الخامس عشر من باب الكتب والرّسائل.

طائفة من احتجاجات ومحاضرات وقعت بين معاوية وغيره يناسب نقلها المقام وتفيد زيادة تبصر في آل أبي سفيان

لما استتمّت البيعة لمعاوية من أهل الكوفة صعد المنبر فخطب الناس، وذكر أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام، ونال منه ونال من الحسن عليه السلام ما نال؛ وكان الحسن والحسين عليهما السلام حاضرين فقام الحسين عليه السلام ليردَّ عليه فأخذ بيده الحسن عليه السلام وأجلسه ثمَّ قام فقال عليه السلام: أيّها

(١) مستدرك سفينة البحار: ٣٩٦/٦، وسبل الهداية والرشاد: ٢٣٨/٥.

الذاكر عليًا أنا الحسن وأبي عليٌّ، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمّي فاطمة وأمك هند، وجدّي رسول الله وجدُّك حرب، وجدّتي خديجة وجدَّتك فتيلة فلعن الله أخمَلَنا ذكراً وألأمنا حسباً وشرَّنا قِدْماً وأقدمنا كفراً ونفاقاً[1]. فقالت طوائف من أهل المسجد: آمين آمين.

وكذلك يقول مؤلّف الكتاب نجم الدِّين الحسن بن الطبريّ الأمليُّ: آمين آمين، ويرحم الله عبداً قال آمينا، ونقل القصّة الشيخ الأجلّ المفيد رحمه الله في **«الإرشاد» (ص ١٧٣ طبع طهران ١٣٧٧ هـ)**.

ومن ذلك أنّه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وعقبة بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة؛ فقالوا: يا أمير المؤمنين ابعث لنا إلى الحسن بن عليّ، فقال لهم: فيمَ؟ فقالوا: كي نوبّخه وتعرفه أنَّ أباه قتل عثمان، فقال لهم: إنّكم لا تنصفون منه ولا تقولون شيئاً إلاّ كذّبكم الناس، ولا يقول لكم شيئاً ببلاغته إلاّ صدَّقه الناس، فقالوا: أرسل إليه فإنّا سنكفيك أمره، فأرسل إليه معاوية، فلمّا حضر قال: يا حسن إنّي لم أُرسل إليك ولكن هؤلاء أرسلوا إليك فاسمع مقالتهم وأجب ولا تحرمني فقال الحسن عليه السلام فليتكلّموا ونسمع.

فقام عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: هل تعلم يا حسن أنَّ أباك أوّل من أثار الفتنة، وطلب الملك؟ فكيف رأيت صنع الله به؟

ثمَّ قام الوليد بن عقبة بن أبي معيط فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: يا بني هاشم كنتم أصهار عثمان بن عفّان فنعم الصِّهر كان يفضلكم ويقرّبكم؛ ثمَّ بغيتم عليه فقتلتموه؛ ولقد أردنا يا حسن قتل أبيك فأنقذنا الله منه، ولو قتلناه بعثمان ما كان علينا من الله ذنب.

ثمَّ قام عقبة فقال: تعلم يا حسن أنَّ أباك بغى على عثمان فقتله حسداً على الملك والدُّنيا فسلبها؟ ولقد أردنا قتل أبيك حتّى قتله الله تعالى.

ثمَّ قام المغيرة بن شعبة فكان كلامه كلّه سبًّا لعليٍّ وتعظيماً لعثمان.

فقام الحسن عليه السلام فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: بك أبدأ يا معاوية لم يشتمني هؤلاء ولكن أنت تشتمني بغضاً وعداوة وخلافاً لجدّي صلى الله عليه وآله ثمَّ التفت إلى النّاس وقال: انشدكم الله، أتعلمون أنَّ الرَّجل الذي شتمه هؤلاء كان أوَّل من آمن بالله، وصلّى للقبلتين، وأنت يا معاوية يومئذ كافر تشرك بالله، وكان معه لواء النبيّ صلى الله عليه وآله يوم بدر ومع معاوية وأبيه لواء المشركين؟

ثمَّ قال: انشدكم الله والإسلام أتعلمون أنَّ معاوية كان يكتب الرسائل لجدّي صلى الله عليه وآله فأرسل إليه يوماً فرجع الرَّسول وقال: هو يأكل فردّ الرَّسول إليه ثلاث مرّات كلّ ذلك وهو

---

(١) الإرشاد: ٢/ ١٥، وبحار الأنوار: ٤٤/ ٤٩.

يقول هو يأكل فقال النبيّ ﷺ: لا أشبع الله بطنه؛ أما تعرف ذلك في بطنك يا معاوية؟

ثمَّ قال: وانشدكم الله أتعلمون أنَّ معاوية كان يقود بأبيه على جمل وأخوه هذا يسوقه فقال رسول الله ﷺ: لعن الله الجمل وقائده وراكبه وسائقه؟ هذا كلّه لك يا معاوية.

وأمّا أنت يا عمرو: فتنازع فيك خمسة من قريش فغلب عليك ألأمهُم حسباً وشرُّهم منصباً، ثمَّ قمت وسط قريش فقلت: إنّي شانيء محمّدٍ فأنزل الله على نبيّه ﷺ «إنَّ شانئك هو الأبتر» ثمَّ هجوت محمّداً ﷺ بثلاثين بيتاً من الشعر فقال النبيّ ﷺ: إنّي لا أحسن الشّعر ولكن العن عمرو بن العاص بكلّ بيت لعنة ثمَّ انطلقت إلى النجاشي بما علمت وعملت فأكذبك الله وردّك خائباً فأنت عدوٌّ بني هاشم في الجاهلية والإسلام فلم نلمك على بغضك.

وأمّا أنت يا ابن أبي معيط فكيف ألومك على سبّك لعليّ وقد جلّد ظهرك في الخمر ثمانين سوطاً، وقتل أباك صبراً بأمر جدّي وقتله جدّي بأمر ربّي، ولمّا قدّمه للقتل قال: مَن للصبية يا محمّد؟ فقال: لهم النّار، فلم يكن لكم عن النبيّ ﷺ إلاّ النار ولم يكن لكم عند عليٍّ غير السّيف والسّوط.

وأمّا أنت يا عقبة فكيف تعد أحداً بالقتل؟ لِمَ لا قتلت الذي وجدته في فراشك مضاجعاً لزوجتك ثمَّ أمسكتها بعد أن بغت.

وأمّا أنت يا أعور ثقيف ففي أيِّ ثلاث تسبُّ عليّاً: أفي بُعده من رسول الله ﷺ؟ أم في حكم جائر؟ أم في رغبة في الدُّنيا؟ فإن قلت شيئاً من ذلك فقد كذبت أكذبك النّاس، وإن زعمت أنَّ عليّاً قتل عثمان فقد كذبت وأكذبك النّاس، وأمّا وعيدك فإنّما مثلك كمثل بعوضة وقفت على نخلة فقالت لها: استمسكي فإنّي أُريد أن أطير؛ فقالت لها النخلة: ما علمت بوقوفك فكيف يشقّ عليّ طيرانك؟ وأنت فما شعرنا بعداوتك فكيف يشقُّ علينا سبّك[1]؟ ثمَّ نفض ثيابه وقام.

فقال لهم معاوية: ألم أقل لكم إنّكم لا تنتصفون منه؟ فوالله لقد أظلم عليّ البيت حتى قام فليس لكم بعد اليوم خير. وقد نقلها أبو بكر بن عليّ القادري الحنفيّ في **«ثمرات الأوراق»** في المحاضرات (**هامش المستطرف ص ٥٥ ج ١ طبع مصر**).

والمراد من الألأم الشانيء الأبتر هو العاص بن وائل السّهمي، وكان عمرو ابنه على النّحو الذي بيّنه المجتبى ﷺ.

ورواية «لا أشبع الله بطنه» منقبة جليلة لمعاوية قد اصطلحت نقلة الآثار بنقلها منهم ابن عبد البرّ في **«الاستيعاب»**، وابن الأثير في **«أسد الغابة»** عن **«مسند أبي داود الطيالسي»** وغيره،

(١) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي: ٢/ ٢٢٠.

وما أنكروا ثبوتها له.

وقد روى الصّدوق رحمه الله في باب السبعة من كتابه «**الخصال**»: قال رسول الله ﷺ: المؤمن يأكل في معاء واحدة والكافر يأكل في سبعة أمعاء، وروى السيوطي في «**الجامع الصغير**» عنه ﷺ: المؤمن يشرب في معي واحدٍ والكافر يشرب في سبعة أمعاء[1].

«المعى» يذكر ويؤنث فالعبارة في الروايتين صحيحة، وسيأتي كلام صعصعة له: اتسع بطن من لا يشبع، ودعا عليه من لا يجمع.

والكلام في حديث اللّعن كالرّواية المتقدّمة في المنقبة المذكورة، وقد مضى نقل روايات أُخرى في سائر مناقبه أيضاً عن كتاب «**صفين**» لنصر بن مزاحم في شرح المختار ٢٣٦ (ص ٣٧٠ ـ ٣٧٤ ج ١٥) منها عن البراء بن عازب قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية، فقال رسول الله ﷺ: اللّهم العن التابع والمتبوع[2].

وروى الصّدوق رحمه الله في باب السبع من الخصاب عن أبي الطفيل عامر بن واثلة أنَّ رسول الله ﷺ لعن أبا سفيان في سبعة مواطن. فراجع.

ومن ذلك أنَّ شريك بن الأعور دخل على معاوية وهو يختال في مشيته، فقال له معاوية: والله إنّك لشريك وليس لله من شريك، وإنّك ابن الأعور والصّحيح خيرٌ من الأعور، وإنّك لدميمٌ والوسيم خيرٌ من الدّميم؛ فبمَ سوَّدك [سدت] قومك؟

فقال له شريك: والله إنّك لمعاوية وما معاوية إلاّ كلبة عَوَتْ فاستعوت فسمّيت معاوية، وإنّك ابن حرب والسّلم خيرٌ من الحرب، وإنّك ابن صخر والسّهل خيرٌ من الصّخر، وإنّك ابن أُميّة وما أُميّة إلاّ أمة صغّرت فسمّيت أُميّة فكيف صرت أمير المؤمنين؟

فقال له معاوية: أقسمت عليك إلاّ ما خرجت عنّي.

نقلها في «**ثمرات الأوراق**» أيضاً (**هامش المستطرف ص ٥٩ ج ١**) ونقلها الأبشيهي في «**المستطرف**» (ص ٥٧ ج ١).

وفي «تاريخ الخلفاء» (ص ١٩٩) للسّيوطي وفي «**المستطرف**» للأبشيهي (ص ٥٨ ج ١): أخرج عن الفضل بن سويد قال: وفد جارية بن قدامة السعدي على معاوية فقال له معاوية: أنت الساعي مع عليّ بن أبي طالب، والموقد النّار في شعلك تجُوسُ قرى عربية تسفك دماءهم؟

(١) كتاب الأربعين: ٦٣٢، وبحار الأنوار: ٦٣/٣٢٥ ح ١.
(٢) معاني الأخبار: ٣٤٥ ح ١، وبحار الأنوار: ٣٣/١٦٤ ح ٤٣١.

قال جارية: يا معاوية دع عنك عليّاً فما أبغضنا عليًا منذ أحببناه، ولا غششناه منذ صحبناه.

قال: ويحك يا جارية! ما كان أهْوَنَك على أهلك إذ سمُّوك جارية! قال: أنت يا معاوية كنت أهون على أهلك إذ سمّوك معاوية وهي الأُنثى من الكلاب، قال: اسكت لا أمَّ لك، قال: أمّ لي ولدتني؛ أما والله إنَّ القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا، وقوائم السيوف التي لقيناك بها بصفّين في أيدينا، قال: إنّك لتهدّدني؟ قال: إنّك لم تملكنا قسرة ولم تفتحنا عنوة، ولكن أعطيتنا عهوداً ومواثيق فإن وفيت لنا وفينا وإن ترغب إلى غير ذلك فقد تركنا وراءنا رجالاً مِداداً، وأدرعاً شداداً، وأسنّةً حداداً، فإن بسطت إلينا فتراً من غدرٍ زلفنا إليك بباع من ختر؛ قال معاوية: لا أكثر الله في النّاس أمثالك يا جارية؛ فقال له: قل معروفاً فإنَّ شرَّ الدُّعاء محيط أهله[1].

وأخرج ابن عساكر عن عبد الملك بن عمير قال: قدم جارية بن قدامة السعدي على معاوية فقال: من أنت؟ قال: جارية بن قدامة، قال: وما عسيت أن تكون؟ هل أنت إلاّ نحلة؟ قال: لا تقل، فقد شبّهتني بها حامية اللّسعة حلوة البصاق؛ والله ما معاوية إلاّ كلبة تعاوي الكلاب، وما أميّة إلاّ تصغير أمة، **(تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٩٩)**.

ودخل عديٌّ بن حاتم الطائي على معاوية فقال له معاوية: ما فعلت الطرفات ـ يعني أولاده ـ؟ قال: قتلوا مع عليٍّ، قال: ما أنصفك على قتل أولادك وبقاء أولاده، فقال عليّ: ما أنصفك عليٌّ [ما أنصفت عليًا] إذ قتل وبقيت بعده؛ فقال معاوية: أما إنّه قد بقي قطرة من دم عثمان ما يمحوها إلاّ دم شريف من أشراف اليمن.

فقال عديّ: والله إنَّ قلوبنا التي أبغضناك بها لفي صدورنا، وإنَّ أسيافنا التي قاتلناك بها لعَلى عواتقنا، ولئن أدنيت إلينا من الغدر فتراً لنُدنينّ إليك من الشرّ شبراً وإنَّ حزّ الحلقوم وحشرجة الحيزوم لأهون علينا من أن نسمع المساءة في علي فسلّم السيف لباعث السيف.

فقال معاوية: هذه كلمات حكم فاكتبوها وأقبل على عديٍّ محادثاً له كأنّه ما خاطبه بشيءٍ، ذكره المسعوديُّ في **«مروج الذّهب»** (ص ٥٤ ج ٢).

وخطب معاوية يوماً فقال: إنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ فعلام تلومونني إذا قصرت في عطاياكم؟

فقال له الأحنف: وإنّا والله لا نلومك على ما في خزائن الله ولكن على ما أنزله الله من

(١) النصائح الكافية: ٤١.

خزائنه فجعلته في خزائنك حلت بيننا وبينه، نقله في «**المستطرف**» (ص ٥٨ ج ١).

ودخل عقيل على معاوية وقد كفّ بصره فأجلسه معه على سريره ثمّ قال له: أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم، فقال له عقيل: وأنتم معشر بني أُميّة تصابون في بصائركم. أتى به في «**المستطرف**» (ص ٥٨ ج ١).

وقال معاوية يوماً: أيّها الناس إنَّ الله حبا قريشاً بثلاث: فقال لنبيّه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ ونحن عشيرته الأقربون، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ ونحن قومه، وقال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾﴾ ونحن قريش.

فأجابه رجل من الأنصار فقال: على رسلك يا معاوية فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ وأنتم قومه، وقال تعالى: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ وأنتم قومه، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ وأنتم قومه ثلاثة بثلاثة. ذكره في «**المستطرف**» (ص ٥٨ ج ١).

ومن ذلك أنَّ معاوية حجَّ سنة ٤٤ ولمّا صار إلى المدينة أتاه جماعة من بني هاشم وكلّموه في أُمورهم فقال: أما ترضون يا بني هاشم أن نقرّ عليكم دماءكم وقد قتلتم عثمان حتّى تقولوا ما تقولون فواللّهِ لأنتم أحلُّ دماً من كذا وكذا وأعظم في القول.

فقال له ابن عبّاس: كلّما قلت لنا يا معاوية من شرّ بين دفّتيك وأنت والله أولى بذلك منّا، أنت قتلت عثمان ثمَّ قمت تغمص على النّاس أنّك تطلب بدمه فانكسر معاوية، فقال ابن عبّاس: والله ما رأيتك صدقت إلاّ فزعت وانكسرت، قال فضحك معاوية، وقال: والله ما أحبّ أنكم لم تكونوا كلّمتموني.

ثمَّ كلّمه الأنصار فأغلظ لهم في القول وقال لهم: ما فعلت نواضحكم؟ قالوا: أفنيناها يوم بدر لما قتلنا أخاك وجدّك وخالك، ولكنّا نفعل ما أوصانا به رسول الله ﷺ؛ قال: ما أوصاكم به؟ قالوا: أوصانا بالصبر؛ قال: فاصبروا ثمَّ ادلج معاوية إلى الشام ولم يقض لهم حاجة.

ذكره اليعقوبي في «**التاريخ**» (ص ١٩٨ ج ٢) ثمّ قال اليعقوبيُّ: وأخرج معاوية المنابر إلى المصلّى في العيدين وخطب الخطبة قبل الصّلاة وذلك أنَّ الناس كانوا إذا صلّوا انصرفوا لئلا يسمعون لعن عليّ عليه السلام فقدَّم معاوية الخطبة قبل الصلاة ووهب فدكاً لمروان بن الحكم ليغيظ بذلك آل رسول الله ﷺ.

قال السيوطي في «**تاريخ الخلفاء**» (ص ٢٠١): وابن عبد البرّ في «**الاستيعاب**» عن عبد الله بن محمد بن عقيل: قدم معاوية المدينة فلقيه أبو قتادة الأنصاري، فقال معاوية: تلقّاني النّاس كلّهم غيركم يا معشر الأنصار، قال: لم يكن لنا دوابٌّ فقال: فأين النّواضح؟ قال:

عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر، قال: نعم يا أبا قتادة!

ثمَّ قال أبو قتادة: إنَّ رسول الله ﷺ قال لنا: إنّكم سترون بعدي أثرة، فقال معاوية: فما أمركم عند ذلك؟ قال: أمرنا بالصبر، قال: فاصبروا حتّى تلقوه، فبلغ عبد الرَّحمٰن بن حسّان بن ثابت ذلك فقال:

ألا أبــلــغ مــعــاويــة بــن حــرب   أمــيــر الــمــؤمــنــيــن نَــبــا كــلامــي
فــإنّــا صــابــرون ومــنــظــروكــم   إلــى يــوم الــتــغــابــن والــخــصــامِ

وفي نسخة «**الاستيعاب**»: ثَنا كلامي، وفي بعضها عنى كلامي.

ومن ذلك أنّه لم يكن أحد أحبُّ إلى معاوية أن يلقاه من أبي الطُّفيل عامر بن واثلة الصّحابي الكناني وكان فارس أهل صفّين وشاعرهم، وكان من أخصّ النّاس بعليّ عليه السلام، فقدم أبو الطفيل الشّام يزور ابن أخ له من رجال معاوية فأُخبر معاوية بقدومه، فأرسل إليه، فأتاه وهو شيخ كبير، فلمّا دخل عليه، قال له معاوية: أنت أبو الطفيل عامر بن واثلة؟ قال: نعم، قال معاوية: أكنت ممّن قتل عثمان؟ قال: لا؛ ولكن ممّن شهده فلم ينصره، قال: ولِمَ؟ قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار، فقال معاوية: أما والله إن نصرته كانت عليهم وعليك حقًّا واجباً، وفرضاً لازماً فقال أبو الطفيل: فما منعك إذ تربّصت به ريب المنون أن لا تنصره ومعك أهل الشام؟ فقال معاوية: أما طلبي بدمه نصرة له؟ فضحك أبو الطفيل وقال: بلى ولكنّك وعثمان كما قال عبيد بن الأبرص.

لا ألــفــيــنّــك بــعــد الــمــوت تــنــدبــنــي   وفــي حــيــاتــي مــا زوّدتــنــي زاداً

فدخل مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وعبد الرَّحمن بن الحكم فلمّا جلسوا نظر إليهم معاوية، ثمَّ قال: أتعرفون هذا الشيخ؟ قالوا: لا؛ فقال معاوية: هذا خليل عليّ بن أبي طالب، وفارس صفّين، وشاعر أهل العراق، هذا أبو الطّفيل، قال سعيد بن العاص: قد عرفناه فما يمنعك منه؟ وشتمه القوم، فزجرهم معاوية، قال: مهلاً فرُبَّ يومٍ ارتفع عن الأسباب قد ضقتم به ذرعاً، ثمَّ قال: أتعرف هؤلاء يا أبا الطّفيل؟ قال: ما أنكرهم من سوءٍ، ولا أعرفهم بخير، وأنشد:

فــإن تــكــن الــعــداوة قــد أكــنّــت   فــشــرُّ عــداوة الــمــرء الــســبــاب

فقال معاوية: يا أبا الطفيل ما أبقى لك الدهر من حبِّ عليٍّ؟ قال: حبّ أُمّ موسى وأشكو إلى الله التقصير. (**وفي مروج الذهب: قال معاوية له: كيف وجدك على خليلك أبي الحسن؟ قال: كوجد أُمّ موسى على موسى وأشكو إلى الله التقصير**) فضحك معاوية، قال: ولكن والله هؤلاء الذين حولك لو سألوا عني ما قالوا هذا فقال مروان: أجل والله لا نقول الباطل، (**الإمامة والسياسة للدينوريّ ص ١٩٣ ج ١، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٠٠، مروج**

الذهب للمسعودي ص ٦٢ ج ٢) وذكره أبو الفرج في «**الأغاني**» على التفصيل فراجع (**ص ١٥٩ ج ١٣ من طبع ساسي**).

ودخل على معاوية ضرار بن الخطّاب فقال له: كيف حزنك على أبي الحسن؟ قال: حزن من ذبح ولدها على صدرها فما ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها، نقله المسعودي في «**مروج الذهب**» (**ص ٦٢ ج ٢**).

وأخرج العسكري في كتاب «**الأوائل**» عن سليمان بن عبد الله بن معمر قال: قدم معاوية مكّة أو المدينة فأتى المسجد فقعد في حلقة فيها ابن عمر وابن عبّاس وعبد الرَّحمٰن بن أبي بكر فأقبلوا عليه وأعرض عنه ابن عبّاس فقال معاوية: وأنا أحقُّ بهذا الأمر من هذا المعرض وابن عمّه، فقال ابن عبّاس: ولم؟ التقدُّم في الإسلام، أم سابقة مع رسول الله ﷺ، أو قرابة منه؟ قال: لا ولكنّي ابن عمّ المقتول، قال: فهذا أحقّ به - يريد ابن أبي بكر - قال: إنَّ أباه مات موتاً، قال: فهذا أحقّ به - يريد ابن عمر - قال: إنَّ أباه قتله كافر، قال: فذاك أدحضُ لحجّتك إن كان المسلمون عتبوا على ابن عمّك فقتلوه (**تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٠١**).

وأخرج ابن عساكر عن الأوزاعي قال: دخل خريم بن فاتك على معاوية ومئزره مشمّر - وكان حسن الساقين - فقال معاوية: لو كانت هاتان الساقان لمرأة! فقال خريم: في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين (**تاريخ الخلفاء ص ٢٠٤**).

وأخرج ابن عساكر عن جعفر بن محمّد، عن أبيه أنَّ عقيلاً دخل على معاوية فقال معاوية: وهذا عقيل وعمّه أبو لهب، فقال عقيل: هذا معاوية وعمّته حمّالة الحطب (**تاريخ الخلفاء ص ٢٠٤**).

وأخرج ابن عساكر عن حميد بن هلال أنَّ عقيل بن أبي طالب سأل عليّاً عليه السلام فقال: إنّي محتاج وإنّي فقير فأعطني، فقال: أصبر حتّى يخرج عطائي مع المسلمين فأعطيك معهم فألحَّ عليه، فقال لرجلٍ: خذ بيده وانطلق به إلى حوانيت أهل السوق فقل: دق هذه الأقفال، وخذ ما في هذه الحوانيت، قال: تريد أن تتّخذني سارقاً؟ قال: وأنت تريد أن تتّخذني سارقاً؟ أن آخذ أموال المسلمين فأعطيكها دونهم، قال: لآتينَّ معاوية، قال: أنت وذاك؛ فأتى معاوية فسأله وأعطاه مائة ألف، ثمَّ قال: اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك به عليٌّ وما أوليتك فصعد فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: أيّها النّاس إنّي أُخبركم أنّي أردت عليّاً على دينه فاختار دينه، وأنّي أردت معاوية على دينه فاختارني على دينه. (**تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٠٤**)[1].

---

(١) الأنوار العلوية: ١٦، وينابيع المودة لذوي القربى: ١٤٩٢ ح ١٦٠.

ومن ذلك أنّه وفد على معاوية عقيل بن أبي طالب منتجعاً وزائراً، فرحّب به معاوية وسرّ بوروده لاختياره إيّاه على أخيه ـ يعني أمير المؤمنين عليًّا ﷺ ـ وأوسعه حلماً واحتمالاً؛ فقال له: يا أبا يزيد ـ يعني عقيلاً ـ كيف تركت عليًّا؟ فقال: تركته على ما يحبُّ الله ورسوله، وألفيتك على ما يكره الله ورسوله، فقال له معاوية: لولا أنّك زائر منتجع جنابنا لرددت عليك أبا يزيد جواباً تألم منه.

ثمّ أحبَّ معاوية أن يقطع كلامه مخافة أن يأتي بشيء يخفضه، فوثب عن مجلسه وأمر له أن ينزل وحمل إليه مالاً عظيماً، فلمّا كان من غدٍ جلس وأرسل إليه فأتاه فقال له: يا أبا يزيد كيف تركت عليًّا أخاك؟ قال: تركته خيراً لنفسه منك وأنت خير لي منه، فقال له معاوية: أنت والله كما قال الشاعر:

وإذا عددت فخار آل محرق فالمجد منهم في بني عتاب

فمحلّ المجد من بني هاشم منوط فيك يا أبا يزيد ما تغيّرك الأيّام واللّيالي، فقال عقيل:

اصبر لحرب أنت جانبها لا بدّ أن تصلي بحاميها

بالحاملين على الموالي عزمهم والضاربين الهام يوم القارع

ولكن أنت يا معاوية إذا افتخرت بنو أميّة فبمن تفخر؟ فقال معاوية: عزمت عليك أبا يزيد لما أمسكت فإنّي لم أجلس لهذا وإنّما أردت أن أسألك عن أصحاب عليّ فإنّك ذو معرفة بهم، فقال عقيل: سل عما بدا لك، فقال: ميّز لي أصحاب عليّ وابدأ بآل صوحان فإنّهم مخاريق الكلام، قال: أمّا صعصعة فعظيم الشأن، عضب اللّسان، قائد فرسان، قاتل أقران، يرتق ما فتق، ويفتق ما رتق، قليل النظير.

وأمّا زيد وعبد الله فإنّهما نهران جاريان يصبّ فيهما الخلجان، ويغاث بهما البلدان، رجلا جدٍّ لا لعب معهما، وأمّا بنو صوحان فكما قال الشاعر:

إذا نزل العدوّ فإنّ عندي أسوداً تخلس الأسد النفوسا

فاتّصل كلام عقيل بصعصعة فكتب إليه: بسم الله الرَّحمٰن الرحيم، ذكر الله أكبر وبه يستفتح المستفتحون، وأنتم مفاتيح الدُّنيا والآخرة. أمّا بعد، فقد بلغ مولاك كلامك لعدوّ الله وعدوّه فحمدت الله على ذلك وسألته أن يفيء بك إلى الدّرجة العليا، والقضيب الأحمر، والعمود الأسود، فإنّه عمود من فارقه فارق الدّين الأزهر، ولئن نزعت بك نفسك إلى معاوية طلباً لماله إنّك لذو علم بجميع خصاله فاحذر أن تعلق بك ناره فيضلّك عن الحجّة فإنّ الله قد رفع عنكم أهل البيت ما أوضعه في غيركم، فما كان من فضل أو احسان فبكم وصل إلينا، فأجلّ الله أقداركم وحمى أخطاركم، وكتب آثاركم، فإنّ أقداركم مرضيّة، وأخطاركم محميّة

وآثاركم بدريّة، وأنتم سُلّم الله إلى خلقه، ووسيلته إلى طرقه، أيدٍ عليّة، ووجوه جليّة، وأنتم كما قال الشاعر:

فما كان من خير أتوه فإنّما | توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطّيّ إلاّ وشيجه | وتغرس إلاّ في منابتها النخل؟

نقله المسعودي في «مروج الذهب» (ص ٧٥ ج ٢).

وحدث أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ، عن محمّد بن حميد الرازي، عن أبي مجاهد عن محمّد بن إسحاق بن أبي نجيح قال: لمّا حجَّ معاوية طاف بالبيت ومعه سعد فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة فأجلسه معه على سريره، ووقع معاوية في عليٍّ وشرع في سبّه فزحف سعد ثمّ قال: أجلستني معك على سريرك ثمّ شرعت في سبّ عليٍّ! والله لأن تكون فيَّ خصلةٌ واحدة من خصال كانت لعليٍّ أحبُ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

والله لأن أكون صهر الرَّسول ﷺ لي من الولد ما لعليٍّ أحبُّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

والله لأن يكون رسول الله ﷺ قال لي ما قاله يوم خيبر: «لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبّه الله ورسوله ويحبُّ الله ورسوله ليس بفرّار يفتح الله على يديه» أحبُّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

والله لأن يكون رسول الله ﷺ قال لي ما قال له في غزوة تبوك: «ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» أحبّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت، ونهض.

نقله المسعودي في «مروج الذهب» (ص ٦١ ج ٢) ثمّ قال المسعودي: ووجدت في وجه آخر من الرّوايات وذلك في كتاب عليّ بن محمّد بن سليمان النوفلي في الأخبار عن ابن عائشة وغيره أنَّ سعداً لما قال هذه لمقالة المعاوية ونهض ليقوم ضرط له معاوية وقال له: اقعد حتّى تسمع جواب ما قلت ما كنت عندي قطُ ألأم منك الآن فهلا نصرته ولم قعدت عن بيعته؟ فإنّي لو سمعت من النبيّ مثل الذي سمعت فيه لكنت خادماً لعليّ ما عشت، فقال سعد: والله إنّي لأحقّ بموضعك منك؛ فقال معاوية: يأبى عليك بنو عذرة ـ وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة ـ قال النوفلي: وفي ذلك يقول السيّد الحميري:

سائل قريش بها إن كنت ذاعمه | من كان أثبتها في الدِّين أوتاداً
من كان أقدمها سلماً وأكثرها | علماً وأطهرها أهلاً وأولاداً

من وحّد الله إذ كانت مكذّبة — تدعو مع الله أوثاناً وأنداداً
من كان يقدم في الهيجاء أن نكلوا — عنها وإن بخلوا في أزمة جادا
من كان أعدلها حكماً وأقسطها — حلماً وأصدقها وعداً وإيعادا
إن يصدقوك فلم يعدوا أبا حسن — إن أنت لم تلق للأبرار حسّادا
إن أنت لم تلق من تيم أخا صلف — ومن عديّ لحقّ الله جحّاداً
أو من بني عامر أو من بني أسد — رهط العبيد ذوي جهل وأوغادا
أو رهط سعد وسعد كان قد علموا — عن مستقيم صراط الله صداداً
قوم تداعوا زنيماً ثمّ سادهم — لولا خمول بني زهر لما سادا

وقال معاوية لعقيل: إنّ فيكم شبقاً يا بني هاشم، فقال له عقيل: منّا في الرّجال ومنكم في النساء، نقله القاضي نور الله الشهيد في المجلس الثالث من مجالس المؤمنين[1].

ومن ذلك ما جرى بين معاوية وبين قيس بن سعد بن عبادة حين كان عاملاً على مصر فكتب إليه معاوية: أمّا بعد فإنّك يهوديّ ابن يهوديّ وإن ظفر أحبّ الفريقين إليك عزلك واستبدل بك، وإن ظفر أبغضهما إليك نكل بك وقتلك؛ وقد كان أبوك أوتر قوسه ورمى غرضه فأكثر الجدّ وأخطأ القصد فخذله قومه وأدركه يومه ثمّ مات بحوران طريداً.

فكتب إليه قيس بن سعد: أمّا بعد فإنّما أنت وثنيّ ابن وثنيّ دخلت في الإسلام كرهاً، وخرجت منه طوعاً لم يقدم إيمانك ولم يحدث نفاقك وقد كان أبي أوتر قوسه ورمى غرضه فشغب به من لم يبلغ عقبه ولا شق غباره، ونحن أنصار الدّين الذين منه خرجت وأعداء الدّين الذي فيه دخلت، نقله المسعوديّ في «**مروج الذّهب**» (ص ٦٢ ج ٢).

ودخل قيس بن سعد بعد وفاة عليّ ووقوع الصلح في جماعة من الأنصار على معاوية فقال لهم معاوية: يا معشر الأنصار بم تطلبون ما قبلي؟ فوالله لقد كنتم قليلاً معي، كثيراً عليّ، ولفللتم حدّي يوم صفّين حتّى رأيت المنايا تلظّىء في أسنّتكم وهجوتموني في أسلافي بأشد من وقع الأسنّة حتّى إذا أقام الله ما حاولتم ميله قلتم ارع وصيّة رسول الله ﷺ هيهات يأبى الحقير الغدرة.

فقال قيس: نطلب ما قبلك بالإسلام الكافي به الله لا بما نمت به إليك الأحزاب وأمّا عداوتنا لك فلو شئت كففتها عنك، وأمّا هجاؤنا إيّاك فقول يزول باطله ويثبت حقّه، وأمّا استقامة الأمر فعلى كره كان منّا، وأمّا فلنا حدّك يوم صفّين فإنّا كنّا مع رجل نرى طاعته لله

---

(١) الأمالي: ١/ ١٩٩، ومواقف الشيعة: ١/ ٢٣٨.

طاعة، وأمّا وصيّة رسول الله بنا فمن آمن به رعاها بعده، وأمّا قولك يأبى الحقير الغدرة فليس دون الله يدٌ تحجزك منّا يا معاوية، فقال معاوية: دعوه ارفعوا حوائجكم[(١)].

نقله المسعودي في «مروج الذهب» (ص ٦٣ ج ٢) ثمّ قال: وقد كان قيس بن سعد من الزهد والدّيانة والميل إلى عليٍّ بالموضع العظيم.

لما قدم معاوية الكوفة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد ذلكم فإنّه لم تختلف أمّة بعد نبيّها إلاّ غلب باطلها حقّها إلاّ ما كان من هذه الأمّة فإنّ حقّها غلب باطلها. ثمّ نزل وأحضر النّاس لبيعته وكان الرّجل يحضر فيقول: والله يا معاوية إنّي لأُبايعك وإنّي لكاره لك فيقول: بايع فإنّ الله قد جعل في المكروه خيراً كثيراً؛ ويأتي الآخر فيقول: أعوذ بالله من نفسك، وأتاه قيس بن سعد بن عبادة فقال: بايع قيس، قال: إن كنت لأكره مثل هذا اليوم يا معاوية؟ فقال له: مه رحمك الله، فقال: لقد حرصت أن أُفرق بين روحك وجسدك قبل ذلك فأبى الله يا ابن أبي سفيان إلاّ ما أحبَّ، قال: فلا يردّ أمر الله، فأقبل قيس على النّاس بوجهه فقال: «يا معشر النّاس لقد اعتضتم الشرَّ من الخير، واستبدلتم الذلَّ من العزِّ، والكفر من الإيمان، فأصبتم بعد ولاية أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وابن عمّ رسول ربّ العالمين، وقد وليكم الطّليق ابن الطّليق، يسومكم الخسف، ويسير فيكم بالعسف، فكيف تجهل ذلك أنفسكم أم طبع الله على قلوبكم وأنتم لا تعقلون» فجثا معاوية على ركبتيه ثمّ أخذ بيده وقال: أقسمت عليك ثمّ صفق على كفّه ونادى النّاس: بايع قيس؛ فقال: كذبتم والله ما بايعت ولم يبايع لمعاوية أحد إلاّ أخذ عليه الإيمان فكان أوّل من استخلف على بيعته[(٢)].

ودخل إليه سعد بن مالك فقال: السّلام عليك أيها الملك. فغضب معاوية فقال: ألاّ قلت السّلام عليك يا أمير المؤمنين؟ قال: ذاك إن كنّا أمّرناك، إنّما أنت منتزٍ، **(نقلهما اليعقوبي في التاريخ ص ١٩٢ ج ٢)**.

حدث أبو الهيثم قال: حدثني أبو البشر محمّد بن بشر الفزاري عن إبراهيم بن عقيل البصريّ قال: قال معاوية يوماً وعنده صعصعة وكان قدم عليه بكتاب عليّ وعنده وجوه النّاس: الأرض لله وأنا خليفة الله فما آخذ من مال الله فهو لي وما تركته منه كان جائزاً لي، فقال صعصعة:

تمنّيك نفسك ما لا يكو ن جهلاً معاوى لا تأثم

فقال معاوية: ما أحوجك إلى أن أُذيقك وبال أمرك! قال: ليس ذلك بيدك ذلك بيد

(١) مواقف الشيعة: ١/ ٩٦. (٢) الغدير: ٢/ ١٠٤، ومواقف الشيعة: ١/ ٩٥.

الذي لا يؤخّر نفساً إذا جاء أجلها، قال معاوية: ومن يحول بيني وبينك؟ قال: الذي يحول بين المرء وقلبه، قال معاوية: اتّسع بطنك للكلام كما اتّسع بطن البعير للشعير، قال: اتّسع بطن من لا يشبع ودعا عليه من لا يجمع، نقله المسعوديّ في «**مروج الذّهب**» (**ص ٧٩ ج ٢**).

ودخل صعصعة بن صوحان على معاوية فقال له: يا ابن صوحان أنت ذو معرفة بالعرب وبحالها فأخبرني عن أهل البصرة وإيّاك والحمل على قوم لقوم فأجابه وأخبره عنهم، ثمَّ قال: فأخبرني عن أهل الكوفة؛ قال: قبة الإسلام وذروة الكلام ـ إلى أن قال: غير أنَّ لهم ثباتاً في الدِّين وتمسكاً بعروة اليقين يتّبعون الأئمّة الأبرار ويخلعون الفسقة الفجّار؛ فقال معاوية مَن البررة والفسقة؟ فقال: يا ابن أبي سفيان ترك الخداع من كشف القناع، عليٌّ وأصحابه من الأئمّة الأبرار وأنت وأصحابك من أُولئك، ثمَّ أحبَّ معاوية أن يمضي صعصعة في كلامه بعد أن بان فيه الغضب فقال: أخبرني عن القبّة الحمراء في ديار مضر فأخبره عنها ثمَّ استخبره عن ديار ربيعة، وعن مضر فأخبره عنهما ثمَّ أمسك معاوية فقال له صعصعة: سل يا معاوية وإلاّ أخبرتك بما تحيد عنه؛ قال: وما ذاك يا ابن صوحان؟ قال: أهل الشام، قال: فأخبرني عنهم قال: أطوع الناس لمخلوق، وأعصاهم للخالق، عصاة الجبار، وخلقة الأشرار، فعليهم الدِّمار، ولهم سوء الدار، فقال معاوية: والله يا ابن صوحان إنّك لحامل مُدْيتك منذ أزمانٍ إلاّ أنَّ حلم أبي سفيان يردُّ عنك، فقال صعصعة: بل أمر الله وقدرته إنَّ أمر الله كان قدراً مقدوراً.

نقله المسعوديّ في «**مروج الذّهب**» مفصّلاً وما أتينا به هٰهنا ملتقط منه.

ومن ذلك أنَّ معاوية حبس صعصعة بن صوحان العبدي، وعبد الله بن الكواء اليشكري ورجالاً من أصحاب عليّ عليه السلام مع رجال من قريش فدخل عليهم معاوية يوماً فقال: نشدتكم بالله إلاّ ما قلتم حقًّا وصدقاً أيُّ الخلفاء رأيتموني؟ فبعد ما تكلّم ابن الكواء في مساويء معاوية قال صعصعة: تكلّمت يا ابن أبي سفيان فأبلغت ولم تقصر عمّا أردت وليس الأمر على ما ذكرت أنّى يكون الخليفة من ملك النّاس قهراً، ودانهم كبراً، واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً؟ أما والله مالك في يوم بدر مضرب ولا مرمى وما كنت فهي إلاّ كما قال القائل «لا حلى ولا سيرى» ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممّن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّما أنت طليق ابن طليق أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وآله فأنّى تصلح الخلافة لطليق؟ فقال معاوية: لولا أنّي أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول:

قابلت جهلهم حلماً ومغفرة — والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

لقتلتكم. (**مروج الذّهب ص ٧٨ ج ٢**).

دخل صعصعة على معاوية أوّل ما دخل عليه وقد كان يبلغ معاوية عنه فسأله عن نسبه فبيّن له نسبه، ثمّ قال له معاوية: أما والله لقد كان يسوءني أن أراك أسيراً! قال: وأنا والله لقد كان يسوءني أن أراك أميراً، نقلهما القالي في «**الأمالي**» والقصّة طويلة عذبة غير مملّة (ص ٢٢٧ ج ٢) وقريب منها ما نقله المسعودي في «**مروج الذهب**» (ص ٧٦ ج ٢) ولصعصعة بن صوحان أخبار حسان وكلام في نهاية البلاغة والفصاحة والإيضاح عن المعاني على إيجاز واختصار وقد جرى بينه وبين معاوية كلام كثير في غير موطن تكلّم فيها بقبائح أعمال معاوية وخبث سريرته وسوء رويته وقد أتى الشيخ الأجلّ الطبرسي في كتاب «**الاحتجاج**» طائفة من احتجاجات الإمامين سيّدي شباب أهل الجنّة وريحانتي الرّسول الحسن والحسين عليهما السلام، وغيرهما من كبار الصحابة والتابعين على معاوية بن أبي سفيان، وما تكلّم القوم بها معاوية من مساوىء أفعاله أكثر من أن تحصى وإنّما نقلنا نبذة منها فإنّ القليل ينبىء عن الكثير.

وفيما نقلناها مواقع للتدبّر والاستبصار في أمر معاوية وأشياعه وأتباعه كيف لعبوا بالقرآن، ورفعوا راية البغي والطغيان فاتّخذوا دين الله دغلاً، ومال الله دُوَلاً، وعباده خولاً والصّالحين حرباً، والفاسقين حزباً، وقد قال السيوطي في «**تاريخ الخلفاء**» إنّه أخرج السلفي في الطيوريات عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال سألت عن عليّ عليه السلام ومعاوية، فقال: اعلم أنّ عليًّا كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه عيباً فلم يجدوا فجاؤوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كياداً منهم له.

فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ويذرون طيباً من القول ويأخذون خبيثاً فبعداً للمفترين وسحقاً للممترين ربِّ نعوذ بك من أماني الأنفس وشرورها.

إشارة: قد احتجَّ صعصعة على معاوية بأنَّ الطّليق لا يصلح للخلافة، وهذا حقٌّ وصعصعة رضوان الله عليه قد استنار من ضياء القرآن، واقتبس من مشكاة النبوّة والولاية وذلك لأنَّ الطّلقاء كانوا مشركين قبل الإسلام وعبدوا الأصنام وقد قال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [القمان: ١٤] وقال الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١١٩] والخلافة عهد الله تعالى فلا يناله الطّلقاء، وتقدّم بحثنا عن ذلك في «**شرح المختار**» ٢٣٧ من باب الخطب فراجع (ص ٤٩ ـ ٥٩ ج ١٦).

الترجمة

نصر بن مزاحم منقری کوفی در کتاب صفّین و دیگر ارباب تاریخ آورده اند که امیرالمؤمنین علی (عليه السلام) روزی در صفین اظهار داشت که فردا به انبوه لشکرم فرمان کارزار دهم و به مقاتلت اقدام نمایم تا کار را یکسره کرده مردم را از جنگ و جوش رهایی داده، امر را به خاتمت رسانم. چون این خبر به معاویه رسید و در شامیان که پیروان او بودند پراکنده شد همگی سخت مضطرب شدند و فزعی تمام در آنها درگرفت.

و از آن سوی معاویة بن ضحاك نیز ابیاتی چند بسرود که بر فزوعشان افزود. معاویه در این خیال افتاد و در خاطر نهاد که نامه ای به امیر (عليه السلام)نویسد و از حضرتش به حیلت و خدیعت و مکر درخواست کند که ایالت شام را - که پیش از این هم از وی خواسته بود - بدو واگذار کند و وی را از بیعت معاف بدارد، باشد که از این درخواست دودلی در علی روی دهد و رقّتی بی اساس بهوی دست دهد که در دام فریب معاویه افتاده، دست از کارزار بردارد.

سپس مکنون خاطرش را به عمرو عاص مکشوف داشت عمرو از بلاهت وی بر عقلش بخندید و گفت: ای معاویه تو کجا تا توانی علی را فریب دهی؟

معاویه گفت: مگر من و او هر دو از دودمان عبدمناف نیستیم؟

گفت: آری ولی ایشان را رتبت و فضیلت نبوّت است و تو را نیست - یعنی امیر (عليه السلام)از مشکات نبوّت اقتباس معارف حقه الهیّه کرده است و هیچگاه اهل نبوّت و وحی گول مردم نخوردند، چه در تمام صفات انسانیّت از دیگران بهتر و برترند و در هوش و زیرکی سرور و سرآمد و بالاتر از همه هستند - و با این همه اگر خواهی نامه ای بنویسی بنویس (تا صدق گفتارم بر تو روشن آید).

معاویه نامه ای نوشت و عبدالله بن عقبه را که از قبیله سَکاسك بود با نامه به سوی امیر (عليه السلام)گسیل داشت، مضمون نامه اش اینکه:

امّا بعد اگر ما و شما می دانستیم که جنگ کار را بدین غایت و خونریزی را

بدين نهایت می رساند، هیچگاه به آن اقدام نمی کردیم ولکن نفوس هردو ما بر عقول ما غلبه کرد - یعنی به خواهش نفسانی و از روی هوا و هوس آتش جنگ برافروختیم و به فرمان خرد ساز جنگ نکردیم - و اکنون وقت آن هست که از گذشته پشیمان شویم و در پی اصلاح آینده برآییم.

و پیش از این از شما خواستم که ایالت شام را به من واگذار و از بیعت و طاعت معافم دار، ولی شما از خواسته من سرباز زدید و نپذیرفتید و آنچه را که از من بازداشتید خداوند به من عطا فرمود و اکنون نیز همان خواسته پیش را خواهانم که تو از بقا نخواهی مگر آنچه را که من خواهم و از فنا نمی ترسی مگر آن چه که من می ترسم. سوگند به خدا که لشکریان نابود شدند و مردان جنگی از بین رفتند و عرب طعمه جنگ گردید و نیم جانی بیش نمانده و ما و شما در جنگ و مردان جنگی برابریم و هردو از دودمان عبدمناف و یکی از ما بر دیگری برتری ندارد و اگر هم دارد نباید بدان ارجمندی را خوار و آزادی را بنده گرداند. والسلام.

چون عبدالله بن عقبه نامه را به امیر (عليه السلام) رسانید و حضرت آن را بگشود و قرائت فرمود بخندید و گفت: شگفتم می آید از معاویه و نامه او و خدیعت و مکری که خواهد با من به کار برد، پس کاتبش عبیدالله بن ابی رافع را پیش خواند و فرمود: پاسخ نامه اش بنویس:

امّا بعد این که گفته ای: "اگر می دانستیم کار جنگ بدین حدّ خواهد رسید هیچ یك به آن تن درنمی دادیم"، همانا که این جنگ را نهایت و سرانجامی است که هنوز بدان نرسیده ایم و اگر من در راه ذات حق هفتاد بار کشته و زنده شوم، از سخت گیری و کوشش در راه خدا و جهاد با دشمنان خدا برنخواهم گشت.

و اما آن که گفته ای: "هوای ما بر خرد ما چیره شد و اینك وقت آن است که از کرده پیش نادم و در راه اصلاح آینده باشیم" همانا که من از دایره فرمان خرد پای به در ننهادم و از کرده خود پشیمان نیستم.

اما این که "شام را از من طلب کرده ای"، همانا که من کسی نیستم که امروز بدهم به تو آن چه را که دیروز تو را از آن بازداشتم. چه در دیروز استحقاق آن نداشت و امروز هم بر آن حال باقی است . .

امّا این که گفته ای: "جنگ عرب را خورده و در چنگش نیم جانی بیش نمانده"، آگاه باش هرکه را حق درربود و خورده و سترده است رخت به دوزخ کشد.

امّا آن که گفته ای: "در جنگ و سپاه جنگی یکسانیم" درست نیست، چه تو به شك و تردید در کار خود استوارتر و گذرانده تر از من که به علم و یقینم نیستی و مردم شام در اکتساب دنیا حریص تر از مردم عراق در کسب آخرت نیستند.

امّا این که گفتی: "ما فرزندان عبدمنافیم"، آری همه ما فرزندان یك پدریم، ولی امیّه پدرجدّ تو به منزلت هاشم پدر جدّ من نیست و حرب جد تو به مرتبت عبدالمطلّب جد من نیست و ابوسفیان پدر تو به پایه ابوطالب پدر من نیست. چه بنی هاشم خانواده ای نجیب و دلسوز و مهربان و یکتاپرست بودند و در شرافت و اصالت سرآمد عرب و همواره ملجا و مأمن مردم، علاوه این که حاملین نور نبوّت و صدفهای در ولایت بودند، امّا بنی امیّه جز خونخواری و بیدادگری و نخوت و حبّ شهوت و دنیا پرستی نمی دانستند. .

و مهاجر مانند طلیق نیست. مهاجر امیر (عليه السلام) که از مکّه به مدینه هجرت فرمود چنان که شرح آن به طور اجمال در شرح خطبه ۲۳٤ گفته شد ص۱۲٦ - ۱٦۷ ج ۱٥ و طلیق یعنی آزادشده و رهاشده از قید اسارت، چون معاویه و پدرش و از این روی معاویه را طلیق ابن طلیق گویند. .

و نه خالص پاکیزه نسب مانند بسته و چسبیده به قومی است. چون بنی امیّه از قریش نیستند، چون امیّه رومی بود و آزادشده عبد شمس بن عبد مناف و عرب او را به قاعده نسبت و محاورت ابن عبدالشمس گفتند. این ابن، یعنی پسرخوانده نه پسر حقیقی، لذا حضرت امیر (عليه السلام)امضاء نکرده که معاویه از عبد مناف است، بلکه در جوابش فرمود: "إنّا بنو اب واحد" چنانکه نصر در کتاب صفیّن روایت کرده بود. و نه صاحب حق مانند طرف دار باطل است و نه مؤمن مثل منافق مفسد ناپاك است، و چه بدفرزندی است فرزندی که گذشتگانش را که اهل جهنّمند تقلید و پیروی کند و راه آنان را پیش بگیرد. یعنی معاویه که گذشتگانش از کفر و شرك و نفاق در آتش دوزخ اند و او راه آنان را پیش گرفت. .

و حال آن که بعد از این همه فضایل، در دست ما فضل نبوّت است. که هیچ

فضیلتی با آن برابری نمی کند. که بدان گردنکشان را خوار و بیچارگان را بلند گردانیدیم.

و چون خداوند عرب را دسته دسته به دینش درآورد و این امّت برخی به رضا و رغبت و برخی به بی میلی و کراهت اسلام آوردند، شما از کسانی بودید که یا به جهت طمع به دنیا و یا از ترس شمشیر داخل در دین شدید. علاوه آن هم در وقتی که سابقان به سبقت شان در دین رستگار شدند و هجرت کنندگانی که پیش از این بودند فضل و بزرگی را برده بودند، پس برای شیطان در خود بهره ای و بر خویشتن راهی قرار مده؛ والسّلام.

ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة وهو المختار الثامن عشر من باب كتبه ورسائله عليه السلام

إِعْلَمْ أن الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ، وَمَغْرِسُ الْفِتَنِ؛ فَحادِثْ أَهْلَها بالإِحْسانِ إِلَيْهِمْ، وَاحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ؛ وَقَدْ بَلَغَني تَنَمُّرُكَ لِبَني تَميم، وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ بَني تَميم لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ، وإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ في جاهِلِيَّةٍ وَلا إِسْلامٍ، وَإِنَّ لَهُمْ بِنا رَحِماً ماسَّةً وَقَرابَةً خاصَّةً، نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلى صِلَتِها، وَمَأْزُورُونَ عَلى قَطيعَتِها، فَارْبَعْ أَبا العَبّاسِ - رَحِمَكَ اللَّهُ - فيما جَرىٰ عَلىٰ يَدِكَ وَلِسانِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَإِنّا شَريكانِ في ذٰلِكَ، وَكُنْ عِنْدَ صالِحِ ظَنّي بِكَ، وَلا يَفيلَنَّ رَأْيي فيكَ، والسَّلامُ[1].

المصدر

روي أنَّ ابن عبّاس كان قد أضرَّ ببني تميم حين ولي البصرة من قبل عليّ عليه السلام لما عرفهم به من العداوة يوم الجمل لأنّهم كانوا من شيعة طلحة والزبير وعائشة فتنكّر عليهم وسمّاهم شيعة الجمل وأنصار عسكر وحزب الشيطان فاشتدَّ ذلك على نفر من شيعة عليّ عليه السلام من بني تميم منهم جارية بن قُدامة فكتب بذلك إلى عليّ عليه السلام يشكو ابن عبّاس فكتب عليه السلام إلى ابن عبّاس: «أمّا بعد فإنَّ خير النّاس عند الله أعملهم بطاعته فيما له وعليه، وأقولهم بالحقّ وإن كان مرًّا ألا وإنّه بالحقّ قامت السماوات والأرض فيما بين العباد فلتكن سريرتك فعلاً، وليكن حملك واحداً، وطريقتك مستقيمة واعلم أنَّ البصرة مهبط إبليس» - إلخ.

أقول: هكذا قال العالم الشارح البحراني قدّس سرّه في شرحه على «**النهج**»، ونقل عنه المحدّث الجليل المجلسيّ رضوان الله عليه في ثامن «**البحار**» (**ص ٦٣٤ من الطبع الكمباني**) وأتى به الفاضل الهادي كاشف الغطا رحمة الله عليه في «**مستدرك نهج البلاغة**»، ومداركه، ولكن روى أبو الفضل نصر بن مزاحم المنقري الكوفيّ المتوفّى (٢١٢ هـ ق) في كتاب «**صفين**» (**ص ٥٧ من الطبع الناصري**) أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كتب إلى عبد الله بن عامر:

بسم اللّه الرَّحمٰن الرَّحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عامر أمّا بعد، فإنَّ خير النّاس عند الله عزَّ وجلَّ أقومهم لله بالطّاعة فيما له وعليه، وأقولهم بالحقّ ولو كان مرًّا، فإنَّ الحقَّ به قامت السماوات والأرض ولتكن سريرتك كعلانيتك، وليكن حكمك

(١) بحار الأنوار: ٣٣/٤٩٣ ح ٦٩٩، ونهج السعادة: ٥/١٧١ ح ١٤٥.

واحداً، وطريقتك مستقيمة، فإنَّ البصرة مهبط الشيطان فلا تفتحنَّ على يد أحدٍ منهم باباً لا نطيق سَدَّه نحن ولا أنت والسّلام[1].

اللغة

(**مهبط**) بكسر الباء كمجلس: موضع الهبوط، يقال: هبط هبوطاً من باب ضرب أي انحدر ونزل؛ قال عزَّ من قائل: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦]، (**ومغرس**) كمجلس أيضاً موضع الغرس، يقال: غرس الشجر غرساً من ذلك الباب أيضاً أي أثبته في الأرض، ويُبنى اسما الزّمان والمكان من الثلاثي الصّحيح المجرّد على وزن مَفْعِل بكسر (**العين**) إذا كانت عين مضارعه مكسورة، وعلى مفعَل بفتح (**العين**) إذا كانت عين المضارع مضمومة أو مفتوحة إلاّ إحدى عشرة لفظة أتت بكسر العين مع أنَّ مضارعها مضموم؛ فالضّابطة قائلة بأنَّ المهبط والمغرس على وزن مفعل بالكسر، ففتح العين فيهما كما اختاره الشيخ محمّد عبده ليس بصحيح، ونسختنا التي قوبلت على نسخة الرضي مشكولة بالكسر فيهما.

(**حادث أهلها بالإحسان إليهم**) أي تعاهدهم تعدهم به، قال ابن الأثير في «**النهاية**» في حديث الحسن: حادثوا هذه القلوب بذكر الله [فإنّها سريعة الدثور] أي اجلوها به واغسلوا الدرن عنها وتعاهدوها بذلك كما يحادث السيف بالصقال، ففي المقام أمره الأمير عليه السلام أن يجلو قلوب أهلها ويغسل درن الأحقاد والضّغائن ورين الوساوس المؤدية عنها بصقال الإحسان وماء البرِّ. (**تنمّرك**) النمر سبع معروف أصغر من الأسد وأخبث وأجرأ منه وهو منقط الجلد نقطاً سوداً وبيضاً سمّي به للنُّمر التي فيه ومنه النمرة بفتح (**النون**) وكسر (**الميم**) وهي كساء فيه خطوط بيض وسود تلبسه الأعراب؛ وفي «**البيان والتبيين**» (**ص ٦٨ ج ٢**) أنَّ عمر بن الخطّاب سأل عمرو بن معديكرب عن سعد، قال: كيف أميركم؟ قال: خير أمير، نبطيٌّ في حبوته، عربيٌّ في نمرته، أسد في تامورته، يعدل في القضية، ويقسم بالسويّة، وينفر في السّريّة، وينقل إلينا حقّنا كما تنقل الذَّرَّة؛ فقال عمر: لشدَّ ما تقارضتما الثناء.

والتنمّر: التشبّه بالنّمر إمّا في لبس ثوب من النمرة ونحوها يشبه جلده، وإمّا في التخلّق بأخلاقه، ويفيد كلا الوجهين قول عمرو بن معديكرب:

قومٌ إذا لبسوا الحديـ ـدَ تنمّروا حلقاً وقدّا

وهذا البيت من أبيات له مذكورة في الحماسة (**الحماسة ٣٤**) يريد بالحديد حلقاً الدروع التي نسجت حلقتين حلقتين، وبالحديد قدّاً اليلب وهو شبه درع كان يُتّخذ من القدّ أي إنّهم إذا

---

(١) بحار الأنوار: ٣٢/٤٠١، ووقعة صفين: ١٠٦.

لبسوا الحديد الدروع واليلب تشبّهوا بالنمر في أفعالهم في الحرب فيكون حلقاً وقدّاً كل واحد منهما بدلاً عن الحديد ويجوز أن يريد بتنمّروا أنهم تلوّنوا بألوان النمر لطول ثباتهم وملازمتهم الحديد، وعلى هذا الوجه يصحُّ أن يكون انتصاب حلقاً وقدّاً على التميز، ويروى خلقاً وقدًا أي أنهم تشبّهوا بالنمر في أخلاقهم وخلقهم فيكون انتصابهما على التميز أيضاً، هذا ما ذكره المرزوقيُّ في شرح الحماسة؛ وقال الجوهريُّ في «**الصحاح**» في معنى البيت: أي تشبهوا بالنمر لاختلاف ألوان القدّ والحديد ولم يذكر الرواية الثانية.

ونقل الجوهريُّ عن الأصمعي قال: تنمّر له أي تنكّر له وتغيّر وأوعده لأنَّ النّمر لا تلقاه أبداً إلاّ غضبان.

وفي «**كنز اللّغة**»: تنمّر - ما نند پلنگ خشمناك شدن، ولبس فلان لفلان جلد النمر إذا تنكّر له وأظهر الحقد والغضب وقيل: كانت ملوك العرب إذا جلست لقتل إنسان لبست جلود النمور ثمّ أمرت بقتل من تريد قتله، ونقل الجاحظ في «**البيان والتبيين**» عن أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني صاحب التفسير قال: سمعت يزيد بن المهلّب يخطب بواسط فقال: «يا أهل العراق، يا أهل السّبق والسّباق، ومكارم الأخلاق، إنَّ أهل الشام في أفواههم لقمة دسمة، زبّبت لها الأشداق، وقاموا لها على ساق، وهم غير تاركيها لكم بالمراء والجدال؛ فالبسوا لهم جلود النّمور».

(**وغم**) الوغم بالفتح فالسكون: الحرب والقتال والترة والذحل الثقيل والحقد الثابت في الصّدر، قال ابن الأثير المتوفّى «٦٠٦ هـ ق» في وغم من النهاية: وفي حديث عليّ عليه السلام: «إنَّ بني تميم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا إسلام» الوغم: الترة، وجمعها أوغام، ووغم عليه بالكسر أي حقد وتوغم إذا اغتاظ. انتهى.

(**رحماً**) قال الراغب في المفردات: الرّحم رحم المرأة منه استعير الرّحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة يقال: رَحِمٌ ورُحْمٌ، قال تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ انتهى، وفي «**الأساس**» للزمخشري: وقعت النطفة في الرّحم «هو الذي يصوّركم في الأرحام» وهي منبت الولد ووعاؤه في البطن وبينهما رَحِمٌ ورُحْمٌ قال الهذلي:

ولم يك فظّاً قاطعاً لقرابة ولكن وصولاً للقرابة ذا رُحم

﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١] وهي علاقة القرابة وسببها.

(**مأزورون**) من الوزر فأصله موزورون (**بالواو**) إلاّ أنه عليه السلام قال: مأزورون، طلباً للمطابقة بين مأجورين ومأزورين، ونحوه قوله عليه السلام لأشعث بن قيس (**إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور**) وسيأتي في الحكمة ٢٩١.

(اربع) **(بالباء)** الموحّدة قال الجوهريُ: ربع الرَّجل يربع - من باب منع - إذا وقف وتحبّس ومنه قولهم أربع على نفسك وأربع على ظلعك أي ارفق بنفسك وكفّ، وفي نسخة مخطوطة من النهج جاءت الكلمة **(بالتاء)** المثناة **(ارتع)** وكأنّها مصحّفة.

(لا يفيلنّ) فال رأيه يفيل فيالةً وفيولةً من باب ضرب أخطأ وضعف، وفيّل رأيه تفييلاً: قبّحه وضعّفه وخطّأه، ورجل فائل الرأي وفيل الرأى أي ضعيفة، قال أبو الفرج محمّد بن الحسين الكاتب:

واعلم أنّي فائل الرأي مخطىء ولكن قضاء لا أُطيق غِلابَه

الإعراب

«فحادث» **(الفاء)** فصيحة.

«وإنَّ بني تميم» **(الواو)** هنا واو الحال ولذا يجب أن تكسر انَّ في المقام لأنَّ وقوع **(إنّ)** بعد **(واو)** الحال من المواضع التسعة التي يجب كسرها كما تقرّر في النحو فراجع إلى شرح صدر الدِّين السيد علي خان الكبير على الصّمدية في النحو للشيخ البهائي العاملي قدّس سرُهما، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ [الأنفال: ٦] وقال أبو البقاء يعيش بن عليّ في تفسيره **«التبيان في إعراب القرآن»**: **(الواو)** هنا - يعني في قوله تعالى وإنَّ فريقاً: للحال، وفي تفسير الجلالين، والنيسابوري، والبيضاوي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ في موضع الحال أي كما أخرجك في حال كراهتهم.

«وإنّهم وإنَّ لهم» معطوفان على قوله **(وإنَّ بني تميم)**، «لم يسبقوا» على صيغة المجهول «ماسّة» صفة لقوله **(رحماً)** لأنّها مؤنثة، «فاربع» **(الفاء)** فصيحة والتقدير إذا كان حال البصرة وشأن بني تميم كذا فاربع، «أبا العباس» منصوب بالنداء وهو كنية لابن عبّاس، «رحمك الله» جملة معترضة، «فيما جرى» متعلّق بقوله اربع «من خير وشرّ» بيان لما، «فإنا شريكان» تعليل لقوله أربع «وكن» عطف على **(اربع)**، «والسلام» خبره محذوف أي والسلام عليك، أو والسّلام على من اتّبع الهدى، ونحوهما.

المعنى

كان ابن عبّاس عامل البصرة وخليفة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فيها بعد وقعة الجمل فإنّه عليه السلام لما أراد الخروج من البصرة بعد أن وضعت الحرب أوزارها استعمله واستخلفه عليها، وقد مضى تفصيل ذلك في شرحنا على المختار الثاني من كتبه عليه السلام (ص ٩٥ ج ١٧)،

وكان عامله عليها قبله عثمان بن حنيف.

والبصرة أحدثها المسلمون ومصّروها أيّام عمر بن الخطّاب، تفصيل ذلك مذكور في كتاب «**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**» للمقدسي المعروف بالبشاري (**ص ١١٧ طبع ليدن**)، وأتى بأكثر منه تفصيلاً وشرحاً البلاذريُّ في كتابه «**فتوح البلدان**» (**ص ٣٤١ ـ ٣٧٠ طبع مصر ١٣٥٠ هـ ق**).

وهذا الكتاب بعض ما كتبه عليه السلام إلى ابن عبّاس وسيأتي نقله على صورته الكاملة.

قوله عليه السلام: (**اعلم أنَّ البصرة مهبط إبليس، ومغرس الفتن**) قد ذمّ عليه السلام البصرة وأهلها من قبل هذا الكتاب أيضاً حين أراد الخروج من البصرة بعد الجمل وقد أشرنا إلى الروايات الواردة فيه في شرحنا على المختار الثاني من كتبه (**ص ٨٦ ـ ٨٩ ج ١٧**)، وقوله عليه السلام (**أنها مهبط إبليس**) يحتمل وجوهاً:

منها: أن تكون فيه إشارة إلى قوله تعالى لإبليس: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤] وقوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٥]، بأنّ إبليس لمّا أخرج من الجنّة وهبط إلى الأرض كانت أرض البصرة مهبطه ولكنَّ الإنصاف أنَّ الكلام يأبى عنه هذا الوجه، وكلمة مهبط لا تدلّ عليه لأنّها أعمّ من ذلك وقد قال تعالى لقوم موسى عليه السلام: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ [البقرة: ٦٠] وفي «**الأساس**» للزَّمخشريّ: هبط من بلد إلى بلد، فالمهبط يأتي بمعنى موضع الورود والنزول ولا يعتبر فيه الانحدار من عالٍ إلى سافلٍ مطلقاً، ثم إنَّ الهبوط إذا استعمل في الإنسان وإبليس ففيه نوع استخفاف بخلاف الإنزال فإنَّ الله تعالى ذكر الإنزال في الأشياء التي نبّه على شرفها كإنزال الملائكة والقرآن والمطر وغير ذلك، والهبط ذكر حيث نبّه على الغضّ نحو: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبّر فيها، اهبطوا مصراً؛ أفاده الراغب في المفردات.

ومنها: أن تكون فيه إشارة إلى أنَّ البصرة قرية بعيدة عن العلماء والقراء ولم تكن مدنية فاضلة وإلا لم تكن مهبطه وذلك لأن العلماء حصون كحصون سور المدينة لها.

ومنها: أن تكون فيه إشارة إلى أنَّ البصرة موطن ومحلّ له بأن تكون لها خواصّ أوجبت له أن يتّخذها موطناً له، وقد مضى في شرح المختار الثاني من باب الكتب قول الأمير عليه السلام فيها: «الحمد لله الذي أخرجني من أخبث البلاد وأخشنها تراباً، وأسرعها خراباً، وأقربها من الماء، وأبعدها من السماء، بها مغيض الماء وبها تسعة أعشار الشرّ، وهي مسكن الجنّ ـ إلخ» (**ص ٨٨ ج ١٧**) وكان إبليس من الجنّ كما مضى البحث عن ذلك في شرح المختار الثامن من باب الكتب (**ص ٢٨٦ ـ ٢٩٥ ج ١٧**) ولمّا كان إبليس وقبيله

وجنوده اتّخذوها موطناً لهم فهي مهبطهم ومغرس الفتن.

ومنها: أن تكون فيه إشارة إلى أنّها مهبط قوم تعلّق إبليس بهم فغرسوا أُصول الفتن في أراضي قلوبهم، ويذروا حبوب آراءٍ رديّة فيها حتّى أثمرت ما أثمرت، ففيه إشارة إلى هبوط جند المرأة وأتباع البهيمة فيها، وإذا تأمّلت فيما جرى على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام منذ خلافته الظاهرية إلى شهادته كلّها مولّدة من هبوط القوم في البصرة فإنّه أثار فتنة الجمل، وهي ولّدت وقعة صفّين، وهي ولّدت وقعة نهروان، وهي ولّدت أمر شهادته عليه السلام فهم غرسوا بهبوطهم فيها شجرة خبيثة أثمرت هذه الثمار السوء فكانت البصرة لذلك مهبط إبليس ومغرس الفتن.

قوله عليه السلام **(فحادث أهلها ـ إلى قوله: عن قلوبهم)** **(الفاء)** فصيحة كما مرَّ أي إذا كانت البصرة حالها كذا فحادث أهلها ـ إلخ ومن **(الفاء)** هذه، ومن قوله واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم يستفاد أنَّ أهل البصرة لم يكونوا بعد آمنين، بل كانوا خائفين، وكانوا يتربّصون بهم ريب المنون، بل يستفاد من قوله أنّها مهبط إبليس ومغرس الفتن، ومن تفريع حادث أهلها عليه ذلك أيضاً فأُسلوب الكلام يدلّ على اضطراب أوضاعها واحتمال إثارة فتنة فيها، وإقبال وقائع هائلة على أهلها ولذلك أمر الأمير عليه السلام ابن عبّاس بالإحسان إليهم وإزالة الخوف عنهم لئلا تحدث فتنة.

ثمَّ إنَّ قوله هذا في البصرة ذمّ على أهلها أيضاً فإنّه يدلّ على اتّباعهم إبليس بخروجهم عن حكومة سلطان العقل، وعلى أنّهم أهل شقاق ونفاق، وعلى أنَّ فيهم أهل التفتين وحزب الشيطان.

قوله عليه السلام **(وإنَّ بني تميم لم يغب لهم نجم إلاّ طلع لهم آخر)** النجم كثيراً ما يراد به في لغة العرب سيّد القوم ومقتداهم والمشهور من النّاس من حيث إنّهم يقتدون ويهتدون به وقال حسّان بن ثابت في قصيدة يذكر فيها عدّة أصحاب اللّواء يوم أُحد:

تسعةٌ تحمل اللّواء وطارت ... في رَعاع من القنا مخزوم

إلى أن قال:

لم تُطِق حمله العواتق منهم ... إنّما يحمل اللّواءَ النُّجوم

أي إنّما يحمله الأشراف المشاهير من النّاس، والقصيدة مذكورة في **«السيرة النبويّة»** لابن هشام **(ص ١٤٩ ج ٢ طبع مصر ١٣٧٥ هـ)**، وأتى الجاحظ في **«البيان والتبين»** أبياتاً منها **(ص ٣٢٥ ج ٢ طبع مصر ١٣٨٠ هـ)**، وفي ديوان لحسان، ولمّا استعار كلمة النجم لهذا المعنى رشح بمناسبة ظاهر اللّفظ بقوله لم يغب وطلع، والمعنى كيف يجوز لنا التنمّر لهم

والغلظة عليهم والحال أنّ لهم هذه الخصال الثلاث:

أحدها: أنّه لم يمت منهم سيّد إلاّ قام لهم آخر منهم مقامه، وكأنّما يريد عليه السلام أنّ لهم سيّداً مطاعاً وأميراً خيّراً مدبّراً يجمع شمل أمورهم ويلمّ شعث آرائهم وأهوائهم، وينقذهم من المهالك، ويمنعهم عن الهوى فيما يوجب شينهم، وهذا التدبير والاتّحاد والاقتداء بقدوة كذا كان لهم في كلّ دورة فلا ينبغي التنمّر على قوم هذا شأنهم.

والثّاني: أنهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا إسلام يعني بهذه الجملة أنّهم كانوا أهل بأس وقوّة وشجاعة وحميّةٍ في الجاهلية والإسلام ويناسبه معنى التميم لغة فإنّه بمعنى الشديد كما في «**نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**» للقلقشندي، فلا ينبغي التنمّر والغلظة على طائفة بلغوا في البأس والقوّة هذه المرتبة أمّا معناها المطابقيّ فالأولى أن يحمل الوغم على الحقد والغيظ لأنّه يناسب المقام وأسلوب الكلام وذلك لأنّ ابن عبّاس ـ كما دريت ـ إنّما تنكّر عليهم باتّباعهم الناكثين ويسمّيهم حزب الشيطان وشيعة الجمل وأنصار عسكر لذلك أوجب عملهم هذا حقداً في صدر ابن عبّاس وكأنّه كان يسمّيهم بها تشفّياً من غيظه، ويتنكّر عليهم انتقاماً منهم بفعلهم المنكر فنهاه الأمير عليه السلام عن ذلك وعرّف له بني تميم بأنّهم لم يسبقوا بوغم في جاهليّة ولا إسلام، أي لم يسبقهم أحد كان له حقد وغيظ عليهم فيتنكّر ويغلظ عليهم تشفّياً منهم ونكايةً فيهم لقوّتهم وقهرهم، هذا هو الوجه الذي ينبغي أن يختار في هذه الجملة في المقام.

وأمكن أن يفسّر بوجوه أُخرى: منها أن يقال: لم يسبقهم أحد بحقد لهم عليه لأنّهم لعلوّ همّتهم وشرافة نفوسهم لا يهتمّون بأذى غيرهم وإساءته عليهم ولذلك لم يكن في قلوبهم ضغن وعداوة على أحدٍ.

ومنها: أن يفسّر (**الوغم**) بالترة فقال الجوهريُّ في «**الصحاح**»: الموتور الذي قُتِل له قتيلٌ فلم يُدرك بدمه تقول منه وتره يتره وتراً وترة، وكذلك وتره حقّه أي نقصه وقوله تعالى: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ أي لن يتنقّصكم في أعمالكم كما تقول دخلت البيت وأنت تريد دخلت في البيت، انتهى؛ فالمعنى أنَّ بني تميم لم يهدر لهم دم، ولم ينقص أحد حقهم.

ومنها: أن يفسّر (**الوغم**) بالحرب والقتال كقول شقيق بن سليك الأسدي يقول معتذراً إلى أبي أنس الضحّاك بن قيس بن خالد الشيباني الفهري (**الحماسة ٢٦١**):

أتاني عن أبي أنسٍ وعيدٌ ... فسُلّ لغيظة الضحّاك جسمي

ولم أعصِ الأمير ولم أربه ... ولم أسبق أبا أنسٍ بوغمِ

وقول شقيق يشابه قول أبي دلامة زند بن الجون شهد مع روح بن حاتم المهلّبيّ الحرب

فقال له روح: تقدَّم وقاتل فقال أبو دلامة:

إنّي أعوذ بروح أن يقدّمني إلى البراز[1] فتخزى بي بنو أسد
إنَّ البراز إلى الأقران أعلمه مما يفرّق بين الرّوح والجسد

إلى آخر الأبيات المذكورة في «**الأغاني**» (**ص ١١٩ ج ٩ طبع ساسي في أخبار أبي دلامة**) وفي «**عيون الأخبار**» (**ص ١٦٤ ج ١**) وفي شرح المرزوقيّ على الحماسة (**ص ٧٧٨ ج ٢**).

الثالث: أنَّ لهم بنا ـ أي ببني هاشم ـ رحماً ماسّة وقرابة خاصّة لأنَّ نسب كلّ واحد من بني هاشم وبني تميم ينتهي إلى إلياس بن مضر: لأنَّ هاشماً هو ابن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النّضر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر، كما في «**السيرة النبوية**» لابن هشام؛ وتميماً هو ابن مرّ بن أُد بن طابخة بن إلياس بن مضر، كما في «**نهاية الأرب في معرفة العرب**» للقلقشنديّ.

ويمكن أن تكون فيه إشارة إلى مصاهرة كانت بين الأمير عليه السلام وبين بني تميم فإنَّ إحدى زوجاته كانت ليلى بنت مسعود الحنظلية من بني تميم وولّدت له عبيد الله وأبا بكر كما في تاريخ اليعقوبي (**ص ١٨٩ ج ٢**).

ثمَّ إنّه عليه السلام أكّد مراعاة حقّ الرَّحم بقوله: نحن مأجورون على صلتها ومأزورون على قطيعتها، وقد قال عزّ من قائل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ٢]، وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٥].

قوله عليه السلام: (**فاربع ـ إلخ**) قد تقدَّم في الإعراب أنَّ (**الفاء**) فصيحة متفرّعة على جميع ما تقدَّم من هذا الكتاب أي إذا كانت البصرة مهبط إبليس ومغرس الفتن وكانت منزلة بني تميم كذا فقف وتثبّت وارفق فيما يجري على لسانك ويدك من خير وشرّ ونافع وضارّ، ولا تعجل به، أمره أن يدارى مع الرّعية في أقواله وأفعاله فإنّ ما يجري على اللّسان واليد كناية عنهما، وسمّى ابن عبّاس بكنيته أبي العبّاس تكريماً له والعرب يقصد بها التعظيم وبعض النفوس تأنّف أن تخاطب باسمها.

قوله عليه السلام: (**فإنّا شريكان في ذلك**) علّل التثبّت بقوله هذا، أي اربع وتثبّت فيما يجري على يدك ولسانك لأنّا شريكان في ذلك أي أنا وأنت شريكان في ما جرى على يدك ولسانك، وإنّما كان الأمير عليه السلام شريكه فيه لأنّه كان سبباً بعيداً فيما جرى على يد ابن عبّاس ولسانه وهو

(١) في نسخة: القتال.

كان نائباً عنه وسبباً قريباً في أفعاله وأقواله وكلّ ما صنع بالرّعية فإنما هو باتّكائه عليه عليه السلام وإلاّ لما كان له مكنة وقدرة على ذلك.

ثمَّ إنَّ قوله هذا يهدينا إلى حقيقة أُخرى وهي أنَّ الفرد الإنسانيّ لمّا كان بمنزلة عضو من هيكل اجتماعه ولم يكن تعيّشه مرتبطاً لشخصه خاصّة بل يؤثّر أثراً من جنس فعله وقوله في الاجتماع فكلّ ما صدر عن يده ولسانه وله بقاء في الاجتماع ويعمل به غيره ولو بعد مماته فهو شريك العامل في ذلك الأثر الصادر منه قال عزَّ من قائل: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النجم: ٣٩ ـ ٤١].

وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الصافات: ٧٩، ٨٠].

وفي «البحار» (ص ١٨١ من الجزء الثاني من ج ١٥) نقلاً عن «ثواب الأعمال» للصّدوق رحمه الله بإسناده عن ميمون القدّاح عن أبي جعفر عليه السلام قال: أيّما عبد من عباد الله سنَّ سنّة هدى كان له أجر مثل أجر من عمل بذلك من غير أن ينقص من أُجورهم شيء، وأيّما عبد من عباد الله سنَّ سنّة ضلالة كان عليه مثل وزر من فعل ذلك من غير أن ينقص من أوزارهم شيء(١).

وقد عقد المجلسيّ باباً في ذلك روى فيه عدّة رواياتٍ عن أهل بيت رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين قريبة بهذا المضمون كلّها تشير إلى هذه الحقيقة.

وقد روى في المجلّد السابع عشر (ص ١٨٨) عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: لا يتكلّم أحد بكلمة هدى فيؤخذ بها إلاّ كان له مثل أجر من أخذ بها، ولا يتكلّم بكلمة ضلالة فيؤخذ بها إلاّ كان عليه مثل وزر من أخذ بها(٢).

قوله عليه السلام **(وكن عند صالح ظني بك)** أي كن مراقباً لنفسك في ما يجري على يدك ولسانك بحيث إنّك ترى نفسك حاضرةً عند صالح ظنّي بك فانظر فيما تفعل وتقول هل هو مرضيٌّ عندي أم لا؟ فإذا رأيت رضاي فيه فافعل.

قوله عليه السلام: **(ولا يفيلنَّ رأيي فيك)** لمّا استعمله الأمير عليه السلام على البصرة، واستصلحه لذلك وكان ابن عبّاس ممّن يثق الأمير عليه السلام به وإلاّ لما كان يستخلفه على البصرة نبّهه على أن لا يعمل ما يوجب سلب وثوقه به وضعف رأيه فيه.

---

(١) ثواب الأعمال: ١٣٢، ووسائل الشيعة: ١٦/ ١٧٤.

(٢) تحف العقول: ٣٧٥، وبحار الأنوار: ٧٥/ ٢٦٠ ح ١٥٣.

الترجمة

این نامه ای است که ولیّ الله الاعظم امیرالمؤمنین علی (عليه السلام) به عبدالله بن عبّاس که عامل و حاکم آن حضرت بر اهل بصره بود فرستاد.

در روایت آمده که ابن عبّاس در بصره بر بنی تمیم درشتی و بدخویی می کرد و آنان را پیروان جمل و یاران عسکر ـ که نام شتر عائشه بود ـ و حزب شیطان می نامید، از آن روی که بنی تمیم در جنگ جمل از طرفداران و اتباع طلحه و زبیر و عائشه بودند.

این رفتار ابن عبّاس بر گروهی از بنی تمیم که از شیعیان امیر (عليه السلام) بودند و از جمله آنان جارية بن قدامه بود گران آمد، نامه ای به امیر نوشته و از دست ابن عبّاس شکایت کردند، امیر (عليه السلام) این نامه را به ابن عبّاس نوشت:

امّا بعد بهترین مردم در نزد خدا آن کسی است که به طاعت او ـ خواه در آن چه به سود او است و خواه در آن چه که به زیان او است ـ عمل کننده تر باشد و به گفتار حق اگرچه برای او ناگوار و تلخ باشد گویاتر. آگاه باش که آسمانها و زمین به حق و عدل برای بندگان برپا است، پس مطابق اندیشه ات کردار داشته باش و با همه یکسان باش و راه راست پیش گیر و بدان که بصره فرودگاه شیطان و جای نشانیدن درخت فتنه است، پس اهل آن را وعده به احسان و نیکی ده ـ یعنی با آنان احسان و نیکی کن و به بخشش و دستگیری آنان را دلشاد دار ـ و گره بیم از دلشان بگشا.

به من خبر رسید که با بنی تمیم پلنگ خویی و درشتی روا می داری، با این که بنی تمیم کسانی هستند که ستاره ای از ایشان غروب نکرد مگر این که دیگری از ایشان طلوع کرد ـ یعنی آنان همیشه دارای بزرگی پیشوا و از اهل شرف و کرامت بودند ـ و کسی بر ایشان، چه در زمان جاهلیت و چه در اسلام سبقت نگرفته که به کینه توزی و خشم گرفتن و دشمنی بر آنان سخت گیرد و درشتی کند، (یعنی آنان مردم شجاعت و حمیّت و قوّت و نبرد بودند) و ایشان را با ما رحامتی پیوسته و

خویشی خاصّی است، (جدّ اعلای بنی هاشم و بنی تمیم الیاس بن مضر است. و دیگر این که امیر (علیه السلام)با بنی تمیم رحامت به مصاهرت داشت) که به صله رحم پاداش خوب یابیم و به قطع آن کیفر بد؛ پس ای ابوالعبّاس. خدا رحمتت کند. در نیك و بدی که از دست و زبانت جاری می شود آهستگی کن و تأنّی و رفق پیشه گیر و هموار باش و با رعیت مدارا کن که من و تو در نیك و بد تو شریکیم (زیرا ابن عبّاس عامل آن حضرت بود و آن چه می کرد به اتّکاء و اعتماد و پشت گرمی به او بود و امیر (علیه السلام) سبب بعید در کارهای او است، چنان که ابن عبّاس سبب قریب و هردو در آنها شریك) و باش در نزد گمان شایسته من به تو و باید رای من درباره تو سست نگردد؛ والسلام.

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله
وهو المختار التاسع عشر من باب كتبه ورسائله

أمّا بَعْدُ فإنَّ دَهاقينَ أهلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ قَسْوَةً وغِلْظَةً وَاحْتِقاراً وَجَفْوَةً؛ فَنَظَرْتُ فَلَمْ أرَهُمْ أهْلاً لأنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِم، ولا أنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ؛ فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْباباً مِنَ اللّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ، وَداوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ والرَّأْفَةِ، وَامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ والادْناء، والابعادِ والاقْصاء إنْ شاءَ اللّهُ(١).

المصدر

قال اليعقوبيّ في تاريخه (**ص ١٧٩ ج ٢ طبع النجف**): كتب عليّ عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة الأرحبي: أمّا بعد فإنَّ دهاقين عملك شكوا غلظة، ونظرت في أمرهم فما رأيت خيراً فلتكن منزلتك بين منزلتين جلباب لين بطرف من الشدَّة في غير ظلم ولا نقص، فإن هم أجابونا صاغرين فخذ مالك عندهم وهم صاغرون، ولا تتّخذ من دون الله وليّاً فقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨]؛ وقال جلَّ وعزَّ في أهل الكتاب: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾؛ وقال جلَّ وعزَّ في أهل الكتاب: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ وقرّعهم بخراجهم وقاتل من ورائهم، وإيّاك ودماءهم والسلام. انتهى.

الظاهر أنّهما كتاب واحد نقل الرّضي طائفة منه في النهج على ما هو دابه من التقاط الفصيح من كلامه عليه السلام ورفض ما عداه، ونقل اليعقوبيّ طائفة أخرى منه في تاريخه، إلاّ أنَّ صدره روي بروايتين مختلفتين في الجملة، ويؤيّده ما في شرح الفاضل البحراني من أنَّ المنقول أنَّ هؤلاء الدهاقين كانوا مجوساً فإنَّ الأمير عليه السلام أمّره على فارس وعلى البحرين كما في «**الاستيعاب**» و«**أُسد الغابة**» فهذا الكتاب إنّما كتبه إليه لما كان عامله على فارس لأنّهم كانوا مجوساً يعبدون النّار، وهذا القول لا ينافي قول الأمير عليه السلام: **(وقال جلَّ وعزَّ في أهل الكتاب)**- إلخ؛ لأنّهم كانوا أهل كتاب لما مرّ في ذلك خبر مرويّ عنه عليه السلام من كتاب التوحيد للصّدوق قدّس سرُّه حيث قال الأشعث بن قيس للأمير عليه السلام: يا أمير المؤمنين كيف يؤخذ من المجوس الجزية ولم ينزل عليهم كتاب ولم يبعث إليهم نبيّ؟ قال: **(بلى يا أشعث قد أنزل الله عليهم كتاباً وبعث إليهم رسولاً)**- إلخ؛ فراجع إلى شرحنا على المختار الثامن من باب الكتب والرسائل (**ص ٣١٢ ج ١٧**).

(١) نهج البلاغة: ٣/ ١٩، ونهج السعادة: ٥/ ٢٩.

ثمَّ إنَّ العامل المذكور قد عرِّف في الكتب الرجاليّة بأبي حفص عمر بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله أمّه أمُّ سلمة هند المخزومية زوج النبيّ صلى الله عليه وآله وشهد مع عليّ عليه السلام الجمل واستعمله على البحرين وعلى فارس وتوفّي بالمدينة أيّام عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وثمانين كما في **«الاستيعاب»** و**«الإصابة»** و**«أسد الغابة»**.

وقد يأتي كتاب آخر من أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إليه المعنون بقول الرَّضي ومن كتاب له عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي وكان عامله على البحرين - إلخ، وهو الكتاب الثاني والأربعون، ولا تنافي ظاهراً بين قولهم بكونه مخزوميّاً وبين قول اليعقوبي بكونه أرحبيّاً لأنّه يمكن أن يكون من المخزومي ثمَّ أحد أرحب بن دُعام من همدان، ولم يذكر في الكتب الرّجالية عمر بن أبي سلمة غيره إلاّ عمر بن أبي سلمة بن عبد الرَّحمٰن بن عوف الزّهري قاضي المدينة ولكن لم يقل أحد بأنَّ الأمير عليه السلام أمّره على بلد أو قرية أو طائفة؛ على أنّه قتل بالشام سنة اثنتين وثلاثين مع بني أميّة كما في **«التقريب»** لابن حجر وقد كانت أمارة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من سنة خمس وثلاثين.

وقد ذكر ابن سعد في **«الطبقات الكبرى» (ص ١٧١ ج ٦ طبع بيروت)** عمرو بن سلمة بن عميرة الهمداني الأرحبي وقال: أنّه روى عن عليّ عليه السلام وعبد الله وكان شريفاً، ولكن الأمير عليه السلام لم يستعمله، ثمَّ أين هو وعمر بن أبي سلمة فالظنّ القويّ المتاخم بالعلم بالفحص والطلب حاصل لنا بأنَّ عمر بن أبي سلمة الأرحبيّ هو عمر بن أبي سلمة المخزومي والكتابان واحد. والله هو العالم.

ثم قد عثرنا في هذه الأيّام والأوان على كتابين أحدهما مترجم بمستدرك **«نهج البلاغة»** ومداركه لمؤلّفه العالم المتضلّع: أحمد زكي صفوت، أمّا الأوّل فقد خصّص للنّهج خاصّة وقد أتى بمدارك كثير من خطب النهج ورسائله وحكمه، وأمّا الثاني فموضوعه عامّ إلاّ أنّه ذكر فيه كتباً ورسائل كثيرة لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام مع الإشارة إلى مآخذه ومصادره غالباً من غير النهج أيضاً؛ ولعمري إنّهما قد بذلا الجهد في تأليفهما وأجادا وأفادا، إنَّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ولكن مصدر هذا الكتاب لأمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض عمّاله، والذي قبله إلى عبد الله بن عبّاس ليس بمذكورٍ فيهما.

وليعلم أنّا ـ لله الحمد ـ قد وفّقنا بالعثور على كثير من مصادر ما في النهج، وخطب ورسائل وحكم للأمير عليه السلام بطرق عديدة وأسانيد كثيرة من الجوامع الروائية التي ألّفها قبل الرَّضي علماؤنا الأقدمون، وهي تزيد على ما في الكتابين المذكورين بأضعاف مضاعفة.

اللغة

(دهاقين) بفتح **(الدال)** جمع دهقان بكسرها، فارسي معرّب أصله دهگان مخفّف ديهيگان ففي برهان قاطع: دهگان با كاف پارسى بر وزن ومعنى دهقان است كه زراعت كننده ومزارع باشد ودهقان معرّب آنست، ومردم تاريخي وتاريخ دان رانيز گفته اند. انتهى. وكثيراً ما تستعمل في الفارسيّة على صورتها المعرّبة قال الشاعر:

دهقان سالخورده چه خوش گفت باپسر كاى نور چشم من بحزاز كشته ندروى

وفي «**البيان والتبيين**» للجاحظ **(ص ٣٤٥ ج ٣)** قال فتى طيّبٌ من ولد يقطين:

ربَّ عُقارٍ باذرَنْجِيَةٍ اصطَدْتها من بيت دِهقانٍ

قال ابن الأثير في «**النهاية**»: في حديث حذيفة أنه استسقى ماء فأتاه دهقان بماء في إناء من فضّة، الدهقان بكسر **(الدال)** وضمّها: رئيس القرية، ومقدم النساء، وأصحاب الزراعة؛ وهو معرّب **(ونونه)** أصلية كقولهم تدهقن الرجل وله دهقنة موضع كذا؛ وقيل: **(النون)** زائدة وهو من الدهق الامتلاء ومنه حديث عليّ عليه السلام أهداها إليَّ دهقان. انتهى.

أقول: قوله الدهقان بكسر (الدال) وضمّها مبنيٌّ على أصلهم في التعريب: عجميٌّ فالعب به ما شئت، وإلاّ فأصله بكسر (الدال)، وتفسيره برئيس القرية مبنيّ على أصل الكلمة فإنها مركبة من **(ده وگان)** وأحد معاني **(گان)** في الفارسية: الأمير والرئيس والملك وقد تطلق على الملك الظالم.

وقال الفيّومي في «**المصباح**»: الدهقان معرب: يطلق على رئيس القرية وعلى التاجر وعلى من له مال وعقار، **(وداله)** مكسورة؛ وفي لغة تضمّ والجمع دهاقين ودهقن الرّجل وتدهقن كثر ماله. انتهى.

(قسوة) قسا قلبه يقسو من باب نصر قَسْوَةً: صلب وغلظ فهو قاسٍ وقسيٌّ فالقسوة: غِلَظ القلب، قال الراغب في المفردات: أصله من حجر قاسٍ، والمقاساة معالجة ذلك، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ [البقرة: ٧٤] ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢] وقال تعالى: ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٣] ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣] وقرىء قسيّة أي ليست قلوبهم بخالصة من قولهم درهمٌ قسيٌّ وهو جنس من الفضة المغشوشة فيه قساوة أي صلابة، قال الشاعر: صاح القسيّات في أيدي الصّياريف.

(الغِلظة) بتثليث الغين: الخشونة وضدّ الرّقة، قال الراغب: أصله أن يستعمل في الأجسام لكن قد يستعار للمعاني كالكبير والكثير، قال تعالى: ﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ وقال: ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وقال: ﴿فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾.

(جفوة) تقول: جفوتُه أجفُوه جَفوةً وجفاءً أي فعلت به ما ساءه ويقال على المجاز: أصابته جفوة الزَّمان وجفاوته كما في «**الأساس**» والجفاء خلاف البرّ كما في «**الصحاح**»، والجفوة: ضدُّ المواصلة والمؤانسة كما في الأقرب.

(يُدنوا) من الإدناء، يقال: أدنى الشيء إذا قرَّبه إليه كثيراً، ومنه قولهم: دخلت على الأمير فرحّب بي وأدنى مجلسي.

(يقصوا) من الإقصاء خلاف الإدناء أي الإبعاد، يقال: أقصاه عنه إقصاءً أي أبعده عنه كثيراً.

(يجفوا) من قولك جفوتُ الرَّجل أجفوه جفاءً أي أعرضت عنه أو طردته فهو مجفوٌ.

(جلباباً) قال في «**فتن البحار**» (**ص ٦٣٣ ج ٨**): الجِلباب: الإزار، والرِّداء أو الملحفة، أو المقنعة. انتهى، وقال الفيّومي في «**المصباح**»: الجلباب ثوب أوسع من الخمار ودون الرِّداء، وقال ابن الأعرابي: الجلباب إزار، وقال ابن فارس: الجلباب ما يغطى به من ثوب وغيره، والجمع جلابيب، وتجلببت المرأة لبست الجلباب، انتهى ما في «**المصباح**»، قال الجوهريُّ في «**الصحاح**»: الجلباب: الملحفة، قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلاً:

تمشي النُسور إليه وهي لاهيةً مشي العَذارى عليهنَّ الجلابيب

والمصدر الجَلْبَبَة ولم تدغم لأنّها ملحقة، وفي «**منتهى الأرب في لغة العرب**»: جِلباب كسِرداب وسنمّار: پيراهن وچادر زنان، ومعجز يا چادرى كه زنان لباس خودرا بدان از بالا بپوشند جلابيب جمع.

(تشوبه) أي تخلطه، يقال: شاب الشيء يشوبه شَوْباً وشِياباً من باب نصر أي خلطه، وفي المثل هو يشوب ويروب يضرب لمن يخلط في القول والعمل.

(طرف) بالتحريك طائفة من الشيء وقطعة منه؛ قال تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [آل عمران: ١٢٤] قال في «**الكشاف**»: ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان من يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم.

(داول) أمر من المداولة، في القرآن الكريم: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٢٤] قال البيضاويُّ أي نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أُخرى كقوله:

فيوماً علينا ويوماً لنا ويوماً نساء ويوماً نسر

والمداولة كالمعاورة يقال: داولت الشيء بينهم فتداولوه، انتهى، دالت الأيّام أي

دارت، والله يداولها بين النّاس أي يديلها، والإدالة الإدارة، الماشي يداول بين قدميه أي يُرواح بينهما، وفي «البحار»: المداولة: المناوبة.

(الرأفة): الرحمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢].

(امزج) أمر من مزج الشيء بالشيء مَزْجاً ومِزاجاً إذا خلطه به، والإدناء أشدّ قرباً من التقريب، والإقصاء أكثر بعداً من الإبعاد.

الإعراب

(فلم أرهم) **(أر)**، فعل للمتكلّم وحده مجزوم بلم أصله أرأى من رأى يرأى لكنّ الهمزة هذه لا تستعمل في غير الماضي ويقال: يرى فالمتكلّم وحده أرى وإذا اسقطت لامه بالجازمة صار أرَ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝﴾ والأمر منه: رَ، رَيا، رَوْا، رَيْ، رَيا، رَيْنَ؛ وقد يستعمل غير الماضي على الأصل، والماضي على غير الأصل للضّرورة كقوله: ومن يتملّى العيش يرأى ويسمع، وقوله آخر: صاح هل رَيْتَ أو سمعت براعٍ.

(أهلاً) مفعول ثان لقوله **(لم أر)**، **(لأن)** الجار متعلّق بالأهل، **(لشركهم)** اللاّم للتعليل، وكذا لعهدهم، والأفعال الثلاثة منصوبة بحذف **(النون)** بأن، **(فالبس)** **(الفاء)** فصيحة أي إذا كان أمرهم على هذا المنوال من الشرك والعهد فالبس ـ إلخ جملة **(تشوبه...)** صفة لقوله جلباباً، **(داول)** معطوف على **(البس)** وكذلك **(امزج)**.

(إن شاء الله) متعلّق بكلّ واحدٍ من أفعال الأمر الثلاثة.

المعنى

تقدّم في المصدر أنّ عمر بن أبي سلمة كان أميراً على فارس من قبل أمير المؤمنين عليه السلام وكان أهل فارس يومئذ مشركين؛ وشكا أكابرهم وأرباب أملاكهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام غلظته وخشونته عليهم واحتقاره واستصغاره إيّاهم فكتب عليه السلام إليه أن يسلك معهم مسلكاً متوسطاً بأن تكون منزلته معهم بين منزلتين جلباب لين بطرف من الشدّة فلا يدنيهم كلّ الدنوّ لأنّهم ليسوا لذلك أهلاً لكونهم مشركين ولا يبعدهم كلّ الإبعاد ولا يجفوهم لكونهم معاهدين، فإنّ معاملتهم بذلك النهج يمنعهم عن التمرُّد والطغيان عن المعاهدة والذّمة، ويحفظ عظمة الدّين وصولته وقوّته في أعينهم، ويوجب تأليف قلوبهم ومراعاة شرائط المعاهدة في حقّهم وعدم خلل في انتظام أُمورهم.

وجعل عليه السلام الاتّصاف بهذا النهج الوسط جلباباً على التجسيم والتشبيه تصويراً له كقوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٤].

وكلامه هذا وزان ما قاله لمعقل بن قيس في الكتاب الثاني عشر: **(فقف من أصحابك وسطاً ولا تدن من القوم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب ولا تباعد منهم من يهاب البأس)**، ووزان قوله: **(الفقيه كلّ الفقيه من لم يقنط النّاس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله)**.

ثمّ قيّد أوامره بالمشيّة إمّا تحريضاً له إلى العمل المطابق لأوامره، كأنّه قال أرجو منك أن تفعل بما أشرنا عليك؛ وإمّا تنبيهاً له على أنّ ما أشرنا عليك من المماشاة معهم ومعاملتهم بذلك النحو إنّما يجب أن تكون على وجه يرضاه الله ويشاءه، كأنّه عليه السلام يقول: إنّي وإن كنت أمرتك بها ولكنّك تعاشرهم وتعيش فيهم وترى أحوالهم وأفعالهم فعليك بعمل معهم يحبّه الله ويرضاه وإمّا طلباً من الله تعالى المدد والتوفيق له بعمل ما أمره بها.

الترجمة

اين نامه اى است كه اميرالمؤمنين على (عليه السلام) به عمر بن ابى سلمة كه از جانب آن حضرت حاكم فارس بود نوشته است - و آن كتاب نوزدهم از باب كتب و رسائل نهج البلاغه است:

امّا بعد، دهقانان شهر تو از درشتى و سنگ دلى و خوار داشتن و بدى تو شكايت كرده اند، پس درباره شان نگريستم و انديشه كردم، نه آنان را شايسته نزديك گردانيدن ديدم، زيرا كه مشرك اند و نه سزاوار دور گردانيدن و ترد كردن، از آن روى كه با ايشان عهد بستيم و در ذمه ما هستند و چون امرشان بدين منوال است، پس بپوش بر ايشان جامه نرمى كه پود آن پاره اى از درشتى باشد و روزگار را بر ايشان ميان سخت دلى و مهربانى بگردان و بياميز با ايشان ميان نزديك گردانيدن و به نهايت نزديكى رساندن و ميان دور ساختن و به غايت دور ساختن، اگر خدا بخواهد (يعنى با اين همه چون تو نزديكى و با آنها حشر دارى و كارشان را از نزديك مى نگرى، آن چنان با آنها رفتار كن كه خدا بخواهد و مرضى او باشد).

ومن كتاب[1] له عليه السلام إلى زياد بن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن العباس على البصرة (وعبد الله عامل أمير المؤمنين عليه السلام يومئذ عليها وعلى كور الاهواز وفارس وكرمان ـ نسخة) وهو المختار العشرون من باب الكتب والرسائل

وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَماً لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً لأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَئِيلَ الأَمْرِ؛ وَالسَّلامُ[2].

المصدر

أتى بالكتاب ابن واضح الأخباري الكاتب المعروف باليعقوبي في تاريخه (ص ١٨٠ ج ٢ طبع النجف ١٣٥٨ هـ ق)، قال: كتب ـ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ـ إلى زياد وكان عامله على فارس: أمّا بعد، فإنّ رسولي أخبرني بعجب، زعم أنّك قلت له فيما بينك وبينه إنّ الأكراد هاجت بك فكسرت عليك كثيراً من الخراج وقلت له: لا تُعْلِم بذلك أمير المؤمنين؛ يا زياد وأُقسم بالله إنّك لكاذب ولئن لم تبعث بخراجك لأشدّنّ عليك شدّة تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر؛ إلاّ أن تكون لما كسرت من الخراج محتملاً، انتهى.

والظّاهر أنّهما كتاب واحد روي على نسختين، وإن أمكن أن يكون كلّ واحد منهما كتاب على حياله.

اللغة

(خنت) مشتق من الخيانة بمعنى نقيض الأمانة، يقال: خانه في كذا يخونه خَوْناً وخِيانةً وخانةً ومَخانةً من باب نصر: إذا أؤتمن فلم ينصح، قال الراغب في المفردات: الخيانة والنّفاق واحد إلاّ أنّ الخيانة تقال اعتبارًا بالعهد والأمانة، والنّفاق يقال اعتبارًا بالدّين ثمّ يتداخلان، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر، ونقيض الخيانة: الأمانة، يقال: خنتُ فلاناً وخنتُ أمانة فلانٍ وعلى ذلك قوله: **﴿لا تخونوا الله والرّسول وتخونوا أماناتكم﴾**.

(فيىء) وقد تقدّم معناه والفرق بينه وبين الغنيمة والأنفال على التفصيل في **«شرح المختار»** ٢٣٠ من باب الخطب **(ج ١٥ ص ٢٣)**.

---

(١) في نسخة: كلام.

(٢) نهج البلاغة: ٣/ ١٩ ح ٢٠، وبحار الأنوار: ٣٣/ ٤٩٠.

(لأشدَّنَّ عليك) شدَّ على العدو شدّاً وشدَّة وشُدُوداً من بابي نصر وضرب أي حمل عليه؛ يقال: شدّوا عليهم شدّة صادقة. **(تدعك)** أي تتركك.

(الوفر) بالفتح فالسكون: المال الكثير الواسع، والغنى، واليسار؛ قال مالك بن الحارث الاشتر النخعي رضوان الله عليه (**الحماسة ٢٥**):

بقيت وفري وانحرفت عن العلا ولقيت أضيافي بوجه عبوسِ

وقال آخر (**البيان والتبيين ص ٣٥٩ ج ٢**):

رأيت النّاس لمّا قلَّ مالي وأكثرتُ الغرامة وَدَّعوني

فلمّا أن غنيت وثابَ وفري إذاهم ـ لا أبا لك ـ راجعوني

(الظهر) خلاف البطن، وهو من الحيوان اعلاه ومن الإنسان من لدن مؤخر الكاهل إلى أدنى العجز، ومن الأرض ظاهرها يجمع على أظهُر وظُهور وظُهْران.

(ضئيل) في **«النهاية»** لابن الأثير: في حديث إسرافيل وإنّه ليتضاءل من خشية الله، وفي رواية لعظمة الله أي يتصاغر تواضعاً له، ويقال: تضاءل الشيء إذا تقبض وانضمَّ بعضه إلى بعض فهو ضئيل أي نحيف دقيق حقير، وقال الطريحي في **«مجمع البحرين»**: ومثله حديث وصفه تعالى: هو إله يتضاءل له المتكبرون، وضؤل الشيء الهمز وزان قرب فهو ضئيل كقريب: صغير الجسم قليل اللّحم، انتهى. قال جوّاس الكلبيّ (**الحماسة ٦٣٢**):

وكنت إذا أشرفت في رأس رامة تضاءلت إنَّ الخائف المتضاءل

يقول: إنّك حينئذ متى أشرفت في رأس هذه الهضبة تخاشعت وتذلّلت لاستشعارك الخوف الشديد واستظهارك بالإتّقاء من أعدائك البليغ؛ والخائف هذا دأبه وعادته قاله المرزوقي في الشرح.

الإعراب

(لإن) (اللاّم) للإيذان وتسمّى **(اللاّم)** المؤذنة والموطّئة أيضاً وهي تؤذن من أوّل الأمر بأنَّ الجواب بعدها مبنيٌّ على قسم قبلها لا على الشرط وسواء كان ذلك القسم مذكوراً كما نحن فيه أو مقدراً كقوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٨] فقوله تعالى: ﴿لَيَمَسَّنَّ﴾ جواب قسم محذوف وسدّ مسدَّ جواب الشرط الذي هو «وإن لم ينتهوا». وكقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ

ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر: ١١، ١٢] (فاللاّم) في (لئن) الأربعة للقسم وفي (ليولنّ) جواب القسم واستغنى به عن جواب الشرط في المواضع الخمسة.

(لأشدنّ) (اللاّم) لام جواب القسم نحو قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾، وفي سورة الأنبياء: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ وكلامه ﷺ كان وزان قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يس: ١٩] وهذا الجواب للقسم سدّ مسد جواب الشرط الذي هو: (لئن بلغني) فاستغنى به عن جواب الشرط.

وحرف (إنْ) في (لإن) من أداة الشرط، وجملة (بلغني) فعل الشرط، (أنك خنت) - إلخ - مأوّل بالمصدر فاعل بلغني، (شيئاً) مفعول به لقول (خنت)، (صغيراً وكبيراً) صفتان له، جملة (تدعك) صفة للمصدر ويرجع ضمير الفعل إليه وكلّ واحد من قليل الوفر وأخويه حال للضمير المنصوب في (تدعك)، خبر (السّلام) محذوف أي والسلام على من اتّبع الهدى، أو السلام لأهله ككتبه الآتية.

المعنى

زياد بن أبيه هو زياد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أُمّية، ويقال زياد بن أبيه وزياد بن أُمّه وزياد بن سُمَيّة، وأمّه سميّة هي جارية الحارث بن كلدة وكان يطؤها بملك اليمين كما في «الاستيعاب» لابن عبد البرّ، و«أسد الغابة» لابن الأثير، و«الإصابة» لابن حجر.

كان يكنّى أبا المغيرة، ليست له صحبة ولا رواية وكان رجلاً عاقلاً في دنياه، داهية خطيباً له قدر وجلالة عند أهل الدُّنيا، كما في «الاستيعاب» وروى بإسناده عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال: بعث عمر بن الخطّاب زياداً في اصلاح فساد وقع باليمن فرجع من وجهه، وخطب خطبة لم يسمع النّاس مثلها فقال عمرو بن العاصي: أما والله لو كان هذا الغلام قرشيّاً لساق العرب بعصاه؛ فقال أبو سفيان: والله إنّي لأعرف الذي وضعه في رحم أُمّه، فقال له عليّ بن أبي طالب: ومن هو يا أبا سفيان؟ قال: أنا - إلخ.

وقال: قال الشاعر:

زياد لست أدري من أبوه ... ولكن الحمار أبو زياد

وقال ابن النديم في أوّل الفن الأول من المقالة الثالثة من «الفهرست» (ص ١٣١ طبع مصر): قال محمّد بن إسحاق: قرأت بخطّ أبي الحسن ابن الكوفي أوّل من ألّف في المثالب كتاباً زياد بن أبيه فإنّه لما ظفر عليه وعلى نسبه عمل ذلك ودفعه إلى ولده وقال: استظهروا به على العرب فإنّهم يكفون عنكم، انتهى كلامه.

وقد روي أنَّ أوّل من دعاه ابن أبيه عائشة حين سئلت لمن يدعى وسيأتي إن شاء الله تعالى تمام الكلام في ذلك في «**شرح المختار**» ٤٤ من باب الكتب المعنون بقول الرّضي ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه وقد بلغه أنَّ معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه.

ثمَّ إنَّ ما جعلناه بين الهلالين في عنوان الكتاب ليس بمذكور في نسخة الرضي وكأنّه هامشة الحقت بالمتن.

وقال أبو جعفر الطبري في «**التاريخ**»: أمّر عليّ عليه السلام ابن عبّاس على البصرة وولّى زياداً الخراج وبيت المال، وأمر ابن عبّاس أن يسمع منه ـ إلى آخر ما تقدَّم في «**شرح المختار**» الثّاني من باب الكتب والرسائل (**ص ٩٦ ج ١٧**).

وقال ابن قتيبة في «**الإمامة والسياسة**» (**ص ٨٥ ج ١**): ذكروا أنَّ عليّاً لما صار من البصرة بعد فراغه من أصحاب الجمل استعمل عليها عبد الله بن عبّاس ـ وقال له: (**أُوصيك بتقوى الله**) ـ إلى أن قال: فلم يلبث عليٌّ عليه السلام حين قدم الكوفة وأراد المسير إلى الشام أن انضمّ إليه ابن عبّاس، واستعمل على البصرة زياد بن أبي سفيان.

وحاصل الفصل أنَّ الأمير عليه السلام لما اطّلع على أنَّ زياداً خان بيت المال وفيىء المسلمين كما في تاريخ اليعقوبي هدّده ورغّبه بأنّه إن لم يبعث إليه ما خان ليحملنَّ عليه حملة صادقة تدعه قليل المال بطرده عن المناصب، أو بأخذه ماله من يده تقاصّاً، وتدعه ثقيل الظهر بأعمال شاقّة وأمور مزمنة مفضحة لا يقدر بها على القيام والإرتقاء إلى معالي الأُمور وكأنَّ من هذا القبيل قول سعد بن أبي وقاص في جواب معاوية:

فإنَّ الشرَّ أصغره كثير وإنَّ الظهر تثقله الدّماء

أو يفقره على حدّ يصعب عليه مؤنة عياله فإنَّ كون ثقل الظهر كناية عن نحو هذا المعنى غير عزيز في محاوراتهم، ومنه حديث أمير المؤمنين عليه السلام: من أراد البقاء ولا بقاء فليباكر بالغداء، وليجود الحذاء، وليخفّف الرّداء، وليقلّ من مجامعة النساء؛ قيل: وما خفّة الرداء؟ قال: قلّة الدين[١]، ولكنّ إرادة هذا الوجه من كلامه هذا لا يخلو من بعد، فتأمّل.

أو تدعه ثقيل الظهر بأوزاره وآثامه أي على أنّه لا مال له ينتفع به، كانت عليه تبعاته وذنوبه فهو في الدُّنيا والآخرة من الخاسرين.

وتدعه ضئيل الأمر أي حقيراً خامل الذكر، دنيّ المرتبة، لا منزلة ولا قدر له عند النّاس؛ لأنّه إنّما كان له شأن ونباهة بتولّيه معالي الأُمور من قبل الأمير عليه السلام فإذا عزله عن

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٥٥٥ ح ٤٩٠٢، ووسائل الشيعة: ٥/ ٦١ ح ٥٩١٤.

منصبه مع كونه قليل المال ومعروفاً بالخيانة فلا قدر له عندهم، بل لا يساوي فردا خامل الذكر لاشتهاره بالخيانة وعزله عن منصبه بخيانته.

الترجمة

این نامه ای است که امیرالمؤمنین علی (عليه السلام)به زیاد بن ابیه نوشت، در حالی که از طرف عبدالله بن عبّاس عامل امیرالمؤمنین (عليه السلام) بر بصره حکومت داشت:

و من سوگند راست به خدا یاد می کنم که اگر به من خبر رسد تو از غنیمت مسلمانان چیزی خرد یا بزرگ خیانت کرده ای چنان بر تو سخت بگیرم که کم مال و گران پشت و ناچیز بمانی؛ والسلام.

ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضاً وهو المختار الحادي والعشرون من باب الكتب والرسائل

فَدَعِ الإِسْرافَ مُقْتَصِداً، وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حاجَتِكَ. أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللّهُ أَجْرَ الْمُتَواضِعينَ وأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ؟ وَتَطْمَعُ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ في النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعيفَ والأَرْمَلَةَ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوابَ الْمُتَصَدِّقينَ؟ وَإِنَّمَا الْمَرْءِ مَجْزِيٌّ بِما أَسْلَفَ، وَقادِمٌ عَلَى ما قَدَّمَ. والسَّلام[1].

المصدر

هذا الكتاب بعض ما كتبه الأمير عليه السلام إلى زياد بن أبيه ونقله كاملاً الفاضل الشارح المعتزلي في «شرح المختار» ٤٤ من باب الكتب والرسائل من الجزء السادس عشر من شرحه وهو المختار المعنون بقول الرَّضي: ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه وقد بلغه أنَّ معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه.

قال: كان عليٌّ عليه السلام أخرج إليه ـ يعني إلى زياد ـ سعداً مولاه يحثُّه على حمل مال البصرة إلى الكوفة، وكان بين سعد وزياد مُلاحاة ومنازعة؛ وعاد سعد وشكاه إلى عليّ عليه السلام وعابه فكتب عليٌّ عليه السلام إليه:

أمّا بعد فإنَّ سعداً ذكر أنّك شتمته ظلماً، وهدَّدته وجبهته تجبُّراً وتكبّراً، فما دعاك إلى التكبُّر؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه قَصَمه»، وقد أخبرني أنّك تُكثر من الألوان المختلفة في الطعام في اليوم الواحد وتدّهِنُ كلَّ يوم، فما عليك لو صُمت لله أيّاماً، وتصدَّقتَ ببعض ما عندك محتسباً، وأكلت طعامك مراراً قفاراً؟ فإنَّ ذلك شعار الصّالحين؛ أفتطمع وأنت متمرِّغ في النّعيم تستأثر به على الجار، المسكين، والضّعيف، والفقير، والأرملة واليتيم أن يُحسب لك أجر المُتصدِّقين؟ وأخبرني أنّك تتكلّم بكلام الأبرار وتعمل عمل الخاطئين فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت، وعملك أحبطت فتُب إلى ربّك يصلح لك عملك؛ واقتصد في أمرك وقدِّم إلى ربّك الفضل ليوم حاجتك وادَّهِنْ غبّاً فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ادهِنوا غبّاً ولا تَدَّهِنوا رَفْهاً»[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٩/٣٣، ونهج السعادة: ١٦٨/٥.

(٢) نهج السعادة: ١٧٠/٥.

فكتب إليه زياد: أمّا بعد يا أمير المؤمنين فإنَّ سعداً قَدِمَ عليَّ فأساء القول والعمل فانتهرته وزجرته وكان أهلاً لأكثر من ذلك، وأمّا ما ذكرت من الإسراف واتّخاذ الألوان من الطعام والنعم، فإن كان صادقاً فأثابه الله ثواب الصالحين، وإن كان كاذباً فوقاه الله أشدَّ عقوبة الكاذبين، وأمّا قوله: إنّي أصف العدل وأُخالفه إلى غيره، فإنّي إذن من الأخسرين؛ فخذ يا أمير المؤمنين بمقالٍ قلتَه في مقام قمته: «الدعوى بلا بيّنة كالسّهم بلا نصل» فإن أتاك بشاهدي عدلٍ، وإلاّ تبيّن لك كذبه وظلمه.

أقول: قد تعرّض الفاضل الشارح بأنَّ ما في **«النهج»** بعض هذا الكتاب، ولا يخفى عليك أنه لا يتضمّن ما في **«النهج»** على صورته وألفاظه، وأنَّ بين النسختين تفاوتاً ظاهراً ونحن لم نظفر به في المآخذ التي حضرتنا، والظاهر أنّهما كتاب واحد، بل ما في **«النهج»** بعض ذلك الكتاب إلاّ أنهما رويا على روايتين كما أنَّ الرّضيَّ نقل في غير موضع في **«النهج»** كلاماً له عليه السلام على روايتين.

اللغة

(الإسراف) السّرَف: ضدُّ القصد، وقال الراغب: السّرف تجاوز الحدّ في كلِّ فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الانفاق أشهر، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان: ٦٧] ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ [النساء: ٦]، ويقال: تارة اعتباراً بالقدر، وتارة بالكيفيّة؛ ولهذا قال سفيان: ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سَرَف وإن كان قليلاً، قال الله تعالى: ﴿**ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين وأن المسرفين هم أصحاب النار**﴾ [غافر: ٤٣] أي المتجاوزين الحدّ في أُمورهم، وسمّى قوم لوط مسرفين من حيث إنّهم تعدّوا في وضع البذر في الحرث المخصوص له المعنيّ بقوله تعالى: ﴿**نساؤكم حرث لكم**﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقوله في القصاص ﴿**فلا يسرف في القتل**﴾ [الاسراء: ٣٣] فسرفه أن يقتل غير قاتله إمّا بالعدول عنه إلى من هو أشرف منه أو بتجاوز قتل القاتل إلى غيره حسبما كانت الجاهليّة تفعله.

قال السيّد نعمة الله الجزائري في **«فروق اللّغات»**: الإسراف والتبذير: قيل التبذير إنفاق المال فيما لا ينبغي، والإسراف صرفه زيادة على ما ينبغي، وبعبارة أُخرى الإسراف تجاوز الحدّ في صرف المال والتبذير إتلافه في غير موضعه فهو أعظم من الإسراف ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ قيل: و ليس الإسراف متعلّقاً بالمال فقط بل بكلِّ شيء وضع في غير موضعه اللائق به، ألا ترى أنَّ الله وصف قوم لوط بالإسراف لوضعهم البذر في غير المحرث فقال: ﴿**إنّكم لتأتون الرّجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون**﴾ [الاعراف: ٨١] ووصف فرعون بالإسراف بقوله: ﴿**إنّه كان عالياً من المسرفين**﴾ [الدخان: ٣١].

أقول: ويفهم من بعض الأخبار أنّ الإسراف على ضربين: حرام ومكروه فالأوّل مثل إتلاف مال ونحوه فيما هو فوق المتعارف، والثاني إتلاف شيء ذي نفع بلا غرض ومنه إهراق ما بقي من شرب ماء الفرات ونحوها خارج الماء وقد روي ذلك عن عليّ عليه السلام. انتهى قوله.

فتحصّل أنَّ الإسراف تجاوز الحدِّ في كلِّ ما يفعلها الإنسان من أفعاله سواء كانت متعلّقة مالاً أو غير مال، والتبذير إتلافه وتضييعه في غير موضعه وإذا لم يكن على سبيل الإتلاف والإفساد بأن يكون صرفه على الإصلاح لا يسمّى تبذيراً.

(مقتصداً) القصد والاقتصاد واسطة الأُمور، قال سالم بن وابطة **(الحماسة ٢٤٤)**:

عليك بالقصد فيما أنت فاعله إنَّ التخلّق يأتي دونه الخلق

قال المرزوقيّ في «**الشرح**»: القصد: واسطة الأمور، فما تعدّاه سَرَف وما انحط عنه قصور، ولذلك قيل لمن ليس بجسيم ولا ضئيل، وليس بقصير ولا طويل: هو قصد ومقتصدٌ، وقال في «**شرح الحماسة**» ٩: القصد ما لا سرف فيه، ولذلك قيل: اقتصد في كذا، وطريقٌ قاصدٌ إذا كان على حدِّ الإستواء ومن كلامهم: ضلَّ عن قَصْد الطريق، كما قيل: ضلَّ عن سواء السبيل قال الراجز الحصين بكير الربعي:

إنّي إذا حار الجبان الهدره ركبت من قصد الطريق منجره

قال ابن الأثير في «**النهاية**»: في الحديث ما عال مقتصد ولا يعيل أي ما افتقر من لا يسرف في الإنفاق ولا يقتر، انتهى وقال الأمير عليه السلام لهمّام في الخطبة ١٩١ من «**النهج**» في وصف المتقين: (**منطقهم الصواب، وملبسهم الإقتصاد**).

(متمرّغ) في «**الصحاح**»: مرّغته في التراب تمريغاً فتمرَّغ أي معّكته وتمعّك، قال ابن الأثير في «**النهاية**»: التمرُّغ: التقلّب في التراب، ومنه حديث عمّار: «أجنبنا في سفر وليس عندنا ماء فتمرَّغنا في التراب» ظنَّ أنَّ الجنب يحتاج أن يوصل التراب إلى جميع جسده كالماء.

قال الزمخشريّ في «**الأساس**»: مرَّغ دابّته فتمرَّغ وهذا مراغ الدوابّ ومراغتها ومتمرَّغها، ومرَّغته تمريغاً إذا أشبعت رأسه وجسده دهناً، وتمرَّغ بالدُّهن ومن المجاز فلانٌ يتمرَّغ في النّعيم؛ يتقلّب فيه.

(الأرملة) قال الجوهريّ في «**الصحاح**»: الأرمل: الرَّجل الذي لا امرأة له والأرملة: المرأة التي لا زوج لها، وقد أرملت المرأة إذا مات عنها زوجها قال الشاعر ـ وهو جرير ـ:

هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الأرمل الذّكر

قال ابن السكّيت: الأرامل: المساكين من نساءٍ ورجالٍ، قال ويقال لهم وإن لم يكن

فيهم نساء، ويقال: قد جاءت أرملةٌ من نساء ورجال محتاجين، قال ويقال للرجال المحتاجين الضعفاء: أرملةٌ وإن لم يكن فيهم نساء، انتهى ما في «**الصحاح**».

وقال المرزوقيّ في «**شرح الحماسة**» (**٥٧٧**) عند قول زياد بن حمل:

ترى الأرامل والهُلّاكَ تتبعه يستنُّ منه عليهم وابلٌ رَذِمِ

الأرامل: جمع الأرمل والأرملة لأنّه يقع على الذكر والأنثى وهم الذين قد انقطع زادهم وضاقت الأحوال بهم.

وقال عند قول كعب بن زهير (**الحماسة ٣٤٨**):

ألا لهفَ الأرامل واليتامى ولَهْفَ الباكيات على أُبَيّ

الأرامل: جمع أرمل، وهذه الصفة يشترك فيها المؤنّث والمذكّر، واشتقاقه من أرمل القوم إذا نفدت نفقاتهم، وحقيقته صاروا من الفقر في الرَّمل، كما يقال أتْرَبَ الرَّجل، والشّهادة في اشتراك الرَّجل والمرأة في هذه الصفة قول جرير: هذي الأرامل ـ البيت.

وقال الزمخشريّ في «**الأساس**»: أرمل: افتقر وفنى زاده وهو من الرمل كادقع من الدَّقعاء، ومنه الأرملة والأرامل، قال: وفي كتاب العين: ولا يقال شيخ أرمل إلاّ أن يشاء شاعرٌ في تمليح كلامه كقول جرير: هذي الأرامل ـ البيت، وأرملت المرأة ورملت من زوجها ولا يكون إلاّ مع الحاجة.

ثمّ في نسخ خطّية عندنا قد ضبط قوله ﷺ هكذا: (**أترجو أن يؤتيك الله**) و: (**مجزيٌّ بما سلف**) ولكنّ ما اخترناه في المتن مطابق لنسخة الرضيّ رضوان الله عليه.

الإعراب

(**مقتصداً**) حال لضمير (**دع**)، (**غداً**) مفعول لقوله (**اذكر**)، قوله (**أن يعطيك**) مأوّل منصوب مفعول لقوله (**ترجو**)، (**وأنت**) الواو حالية والجملة حال لضمير (**ترجو**)، (**وتطمع**) عطف على قوله (**ترجو**)، والجملة استفهاميّة على سبيل الانكار كالمعطوف عليها (**وأنت**) الواو حالية والجملة حال لضمير (**تطمع**)، قوله (**أن يوجب**) مأوّل منصوب مفعول لقوله (**تطمع**) آخر عن الحال بعكس الأُولى، وضمير الفعل يرجع إلى الله.

المعنى

لمّا أخبر سعد أمير المؤمنين عليّاً ﷺ بأنّ زياد بن أبيه يكثر من الألوان المختلفة في الطعام في اليوم الواحد وتدّهن كلّ يوم ـ إلى آخر ما رواه اليعقوبيّ كما مرَّ آنفاً ـ أمره أن يترك رذيلة الإسراف، ويتّصف بفضيلة الاقتصاد الذي هو واسطة الأمور.

وأقول: إنَّ لكلّ شيء حدًّا هو بمنزلة قاعدته فإذا كان على قاعدته فله ثبات وقرار، وإذا جاوز عن حدِّه إمّا إلى الإفراط وإما إلى التفريط فلا بدّ له من أن يسقط منكوساً ومنكوباً وقد قال الأمير عليه السلام: (**اليمن والشمال مضلّة والوسطى هي الجادّة**).

وكما أنَّ الله الحكيم خلق كلّ واحدٍ من قاطبة الأشياء على قدر لائق به لو عدل عنه لاختلّ نظام العالم كذلك جعل لكلّ ما يتعلّق بأفعال بني آدم وأُمور صالح الإنسانيّة حدًّا لو خرج الاجتماع الإنساني عنه لاختلَّ نظامه وهو من الهالكين وذلك الحدّ المتعلّق بهذا النوع هو ما يحتويه الذكر الحكيم وقد قال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾، وذلك الحدّ هو الوسط والقسط والعدل والحقّ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٣٩] وقال: ﴿**لقد أنزلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بالعدل قامت السماوات والأرض، وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: بالحقّ قامت السماوات والأرض[(١)].

ومن تفحّص في ما أتى به خاتم الأنبياء درى أنَّ الله تعالى كتب على النّاس الإقتصاد في مطلق الأمور حتّى في العبادات ففي القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقد روى الصّدوق قدّس سرُّه في الفقيه (**ص ١٢ ج ١٣ من الوافي**): بإسناده عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال عليّ عليه السلام: الحيف في الوصيّة من الكبائر[(٢)].

وروى عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليه السلام: أنَّ رجلاً من الأنصار توفّي وله صبية صغار وله ستّة من الرقيق فأعتقهم عند موته وليس له مال غيرهم فأتى النبيّ صلى الله عليه وآله فأُخبر فقال: ما صنعتم بصاحبكم؟ قالوا دفنّاه، قال: لو علمت ما دفناه مع أهل الإسلام ترك ولده يتكفّفون النّاس[(٣)]؟

وفي باب الاقتصاد في العبادة من «**الوافي**» (**ص ٦٩ ج ٣**) نقلاً عن «**الكافي**» بإسناد عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنَّ هذا الدِّين متين فأوغلوا فيه برفقٍ، ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله فتكونوا كالراكب المنبتّ الذي لا سفراً قطع ولا

---

(١) ميزان الحكمة: ٢/١٣٣ ح ١٨٤٨.

(٢) علل الشرائع: ٢/٥٦٧، ووسائل الشيعة: ١٣/٣٥٩ ح ٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٤/١٨٦ ح ٥٤٢٧، وعلل الشرائع: ٢/٥٦٧.

ظهراً أبقى(١).

ثمَّ إنّه عليه السلام أتى بالحال أعني مقتصداً إشارة إلى أنَّ زياداً كما يجب عليه الإعراض عن الإسراف الذي هو إفراط كذلك يجب عليه أيضاً الإمساك الذي هو تفريط، بل يجب عليه ترك الإسراف الإقتصاد الذي هو وسط الإفراط والتفريط.

قوله عليه السلام: **(واذكر في اليوم غداً)** نبّهه بأن لا تلهيه الآمال ولا تشغله المشاغل في الدُنيا عن التأهّب والتزوُّد لغده وكنّى بالغد عن بعد حياته في هذه الدار من البرزخ ويوم البعث، كما أراد باليوم هذه الدُنيا.

قوله عليه السلام: **(وامسك ـ إلى قوله: ليوم حاجتك)** روى اليعقوبي في تاريخه **(ص ٢٠٢ ج ٢)**: أنَّ رجلاً قال للحسين بن عليّ عليهما السلام: إنّي أخاف الموت؛ قال ذاك أنّك أخّرت مالك ولو قدَّمته لسَرَّك أن تلحق به(٢).

قوله عليه السلام: **(أترجو ـ إلخ)** استفهام على سبيل الإنكار أي كيف ترجو أن يعطيك الله ذلك الأجر والحال أنت عنده كذلك، وكيف تطمع أن يوجب الله لك ذلك الثواب والحال أنت تتقلّب وتتمعّك في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة، وهذا تحريض له على التّواضع وشركة الضعيف والأرملة في عيشه وتنعّمه.

قوله عليه السلام: **(وإنّما المرء ـ إلخ)** بين الإنسان وعمله خيراً كان أو شرًا ارتباط خاصٌ لا يرجع إلاّ إليه ولا يجزى إلاّ به ولا يقدم إلاّ إليه ونعم ما قيل بالفارسية:

نيك وبد هرچه كنى بهر توخوانى سازند　　　جزتوبر خوان بد ونيك تومهمانى نيست

قال الشارح المعتزلي في المقام: قلت قبّح الله زياداً كافأ إنعام عليّ عليه السلام وإحسانه إليه واصطناعه له بما لا حاجة إلى شرحه من أعماله القبيحة بشيعته ومحبّيه والإسراف في لعنه، وتهجين أفعاله، والمبالغة في ذلك بما قد كان معاوية يرضى باليسير منه ولم يكن يفعل ذلك لطلب رضا معاوية كلا بل يفعله بطبعه ويعاديه بباطنه وظاهره وأبى الله إلا أن يرجع إلى أُمّه ويصحّح نسبه وكلُّ إناء ينضح بما فيه، ثمَّ جاء ابنه بعده فختم تلك الأعمال السّيِّئة بما ختم وإلى الله ترجع الأُمور. انتهى. وسيأتي كلامنا أيضاً في قاتلي حجج الله ومعانديهم في شرح المختار ٤٤ من هذا الباب إن شاء الله تعالى(٣).

---

(١) الكافي: ٢/ ٨٦ ح ١، ووسائل الشيعة: ١/ ١١٠.
(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢٢٧.
(٣) شرح النهج: ١٥/ ١٣٩.

الترجمة

اين نيز نامه ای است كه امير (عليه السلام) به زياد بن ابيه نوشت:

پس ترك اسراف گوی و ميانه رو باش و در امروز ياد فردا كن و از مال به قدر ضرورت زندگی نگه دار و زيادی را برای روز نيازت پيش فرست، آيا اميد داری كه خدا به تو پاداش فروتنان دهد با اين كه نزد او از خود بينانی؟ و آيا آزمندی كه برايت ثواب صدقه دهندگان واجب گرداند با اين كه در نعمت قلتيده ای و آن را از ناتوان و بيچارگان و بيوه زنان بازمی داری؟ و همانا كه مرد با آن چه كرده است پاداش يابد و به سوی آن چه پيش فرستاده است روی آورد؛ والسلام.

ومن كتاب له عليه السلام إلى ابن عباس وكان يقول عبد الله ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بهذا الكلاموهذا هو المختار الثاني والعشرون من باب كتب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَرْءَ يَسُرُّهُ دَرَكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَسُوؤُهُ فَوْتُ ما لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ؛ فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِما نِلْتَ مِنَ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ على ما فاتَكَ مِنْها. وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْياكَ فَلا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً، وَما فاتَكَ مِنْها فَلا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فيما بَعْدَ الْمَوْتِ[1].

المصدر

رواه مسنداً أبو الفضل ونصر بن مزاحم المنقري المتوفّى ٢١٢ هـ في كتاب **«صفين»** **(ص ٥٨ من الطبع الناصري)** قال: وفي حديث عمر بن سعد قال: وكتب عليٌّ عليه السلام إلى عمّاله فكتب: بسم الله الرَّحمٰن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عبّاس أمّا بعد، فإنَّ الإنسان قد يسرُّه ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه وإن جهد؛ فليكن سرورك فيما قدَّمت من حكم أو منطق أو سيرة، وليكن أسفك على ما فرَّطت لله فيه من ذلك، ودع ما فاتك من الدُّنيا فلا تكثر به حزناً، وما أصابك فيها فلا تبغ به سروراً؛ وليكن همّك فيما بعد الموت، والسّلام.

ونقله اليعقوبي المتوفّي حدود ٣٠٠ من الهجرة في تاريخه **(ص ١٨١ ج ٢)** وقال: كتب أبو الأسود الدئلي ـ وكان خليفة عبد الله بن عبّاس بالبصرة ـ إلى عامله عليّ عليه السلام يعلمه أنَّ عبد الله أخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم فكتب إليه يأمره بردّها فامتنع فكتب يقسم له بالله لتردنّها فلمّا ردّها عبد الله بن عباس أورد أكثرها كتب إليه عليّ عليه السلام: أمّا بعد فإنَّ المرء يسرّه درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فما أتاك من الدُّنيا فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعاً واجعل همّك لما بعد الموت، والسلام.

قال اليعقوبيّ: فكان ابن عبّاس يقول: ما اتّعظت بكلام قطُّ اتّعاظي بكلام أمير المؤمنين عليه السلام. انتهى.

ورواه ثقة الإسلام الكلينيّ المتوفّى ٣٢٩ هـ في الروضة من **«الكافي»** (ص **٢١٩ الطبع الحجري ١٣٠١ هـ**) وهو حديث ٣٢٧ منها، قال: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن

---

(١) نهج البلاغة: ٣/ ٢٠ ح ٢٢، وخصائص الأئمه: ٩٦.

عليّ بن أسباط رفعه قال: كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى ابن عبّاس: أمّا بعد، فقد يسرّ المرءَ ما لم يكن ليفوته، ويحزنه ما لم يكن ليصيبه أبداً وإن جهد؛ فليكن سرورك بما قدَّمت من عمل صالح أو حكم أو قول، وليكن أسفك فيما فرَّطت فيه من ذلك ودع ما فاتك من الدُّنيا فلا تكثر عليه حزَناً وما اصابك منها فلا تنعم به سروراً وليكن همّك فيما بعد الموت، والسلام[1].

وأتى الفيض برواية الكلينيّ في «الوافي» (ص ٦٣ ج ١٤) في باب مواعظ أمير المؤمنين عليه السلام، والمجلسيُّ في «مرآة العقول» **(ص ٣٥٤ ج ٤ من المطبوع على الحجر)**.

ورواه عليّ بن شعبة المتوفّى ٣٣٢ هـ في «**تحف العقول**» (ص **٤٦ الطبع الحجري ١٢٩٧ هـ وص ١٩٧ من الطبع المترجم بالفارسي في طهران ١٣٨٤ هـ**) وما رواه قريب من «**النهج**» ويخالفه قوله: فليكن سرورك بما نلته من آخرتك وليكن أسفك على ما فات منها، وما نلته من الدُّنيا ولا تكثرنَّ به فرحاً، وما فاتك منها ولا تأسفنَّ عليه حزناً وليكن همّك فيما بعد الموت، انتهى.

ورواه أبو عليّ إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي المتوفّى ٣٥٦ هـ في «**الأمالي**» (ص **٩٤ ج ٢ طبع مصر**) المعنون بقوله: كتاب عليّ بن أبي طالب إلى ابن عبّاس رضي الله عنهما بموعظة من أحسن المواعظ، وحدَّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال حدَّثنا العكلي عن أبيه قال: بلغني عن ابن عبّاس أنه قال: كتب إليَّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بموعظة ما سررت بموعظة سروري بها! أمّا بعد، فإنَّ المرء يسرُّه درك ما لم يكن ليفوته، ويسؤوه فوت ما لم يكن ليدركه، فما نالك من دنياك فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تتبعه أسفاً، فليكن سرورك بما قدَّمت، وأسفك على ما خلّفت، وهمّك فيما بعد الموت.

ونقله القاضي أبو بكر الباقلاني المتوفّى ٤٠٣ هـ في كتاب «**إعجاز القرآن**» (**هامش الاتقان للسيوطي ج ١ ص ١٩٥ طبع مصر ١٣١٨ هـ**) قال: كتب عليٌّ إلى عبد الله بن عبّاس وهو بالبصرة: أمّا بعد، فإنَّ المرء يسرُّ بدرك ما لم يكن ليحرمه ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما قدَّمت من أجر أو منطق، وليكن أسفك فيما فرَّطت فيه من ذلك وانظر ما فاتك من الدُّنيا فلا تكثر عليه جزعاً، وما نلته فلا تنعم به فرحاً وليكن همّك لما بعد الموت.

ونقله العلاّمة الشيخ بهاء الدِّين العاملي في المجلّد الثالث من «**الكشكول**» (ص **٢٨٤ طبع نجم الدولة، وص ٥٦٢ من طبع قم**) قال: قال ابن عبّاس ما اتّعظت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) الكافي: ٨/ ٢٤٠ ح ٣٢٧، وشرح أصول الكافي: ١٢/ ٣٢٧.

بمثل كتاب كتبه إليَّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أمّا بعد فإنَّ الإنسان يسرُّه درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فلا تكن بما نلت من دنياك فرحاً، ولا بما فاتك منها ترحاً؛ ولا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير عملٍ، ويرجو التّوبة بطول الأمل، فكان وقد، والسلام.

ورواه سبط ابن الجوزي في **«التذكرة» (ص ٨٩ من الطبع الرَّحلي الناصري ١٢٨٥ هـ)** قال: «فصل» في ذكر قصة جرت له عليه السلام مع عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه: أخبرنا أبو الحسن بن النجّار المقريّ قال: حدَّثنا محمّد بن أبي منصور قال: حدَّثنا أحمد بن عليّ بن سوار قال: حدَّثنا أبو حامد محمّد بن هارون الحضرمي قال: حدَّثنا إبراهيم بن سعد الجوهريّ قال: حدَّثنا المأمون عبد الله بن هارون عن أبيه هارون، عن أبيه محمّد المهديّ، عن أبيه أبي جعفر المنصور، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن عبد الله، عن أبيه عبد الله بن عبّاس قال: ما انتفعت بكلام أحدٍ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بكلام كتب به أمير المؤمنين كتب إليَّ: سلام عليك أمّا بعد، فإنَّ المرء يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه ويسرّه درك ما لم يكن ليفوته فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك وليكن أسفك على ما فاتك منها وما فاتك من الدُّنيا فلا تأسفن عليه وليكن همّك فيما بعد الموت، والسلام.

قال السبط: وقد روى السديّ هذا عن أشياخه وقال عقيبه: كان الشيطان قد نزغ بين ابن عبّاس وبين عليّ عليه السلام مدّة ثمَّ عاد إلى موالاته - إلخ. انتهى.

وقد نقله الرضيّ رضوان الله عليه في أواخر هذا الباب برواية أُخرى وهو المختار السادس والستّون منه، قال: ومن كتاب كتبه عليه السلام إلى عبد الله بن العبّاس رحمه الله وقد مضى هذا الكتاب فيما تقدَّم بخلاف هذه الرّواية: أمّا بعد، فإنَّ العبد يفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته، ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه، فلا يكن أفضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذّة أو شفاء غيظ ولكن إطفاء باطل أو إحياء حقّ، وليكن سرورك بما قدَّمت، وأسفك على ما خلّفت وهمك فيما بعد الموت[1].

وقد نقل المجلسيّ رحمه الله روايتي **«النّهج»** في المجلّد الثامن من **«البحار» (ص ٦٣٣ و٦٣٤ من الطبع الكمباني)**، وسيأتي ذكر القصّة التي أشار إليها اليعقوبي وسبط ابن الجوزي في شرح المختارين ٤٠ و٤١ من هذا الباب، الأوّل منهما معنون بقول الرّضي ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله: **(أمّا بعد فقد بلغني عنك أمرٌ إن كنت فعلته فقد أسخطت ربّك)** - إلخ، والثاني ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله: **(أمّا بعد فإنّي كنت أشركتك)** - إلخ، وإنّما نقلت

---

(١) نهج البلاغة: ٣/ ١٢٧ ح ٦٦، وبحار الأنوار: ٣٣/ ٤٩٢ ح ٦٩٨.

النسخ التي وجدتها بحذافيرها لما رأيت من الاختلاف فيها، ومن أنّ ذكر مواقع الاختلاف كان أطول من نقلها.

اللغة

(درك) بالتحريك ويسكن أيضاً: اللحاق والوصول إلى الشيء بعد طلبه، قال الزمخشريّ في **«الأساس»**: و«اللّهمّ أعنّي على دَرَك الحاجة» أي على إدراكها وقال ابن الأثير في **«النّهاية»**: في الحديث «أعوذ بك من دَرَك الشقاء» الدَّرَك: اللحاق والوصول إلى الشيء وأدركته إدراكاً ودركا، ومنه الحديث: لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً له في حاجته.

وقال الفيّومي في **«المصباح»**: الدرك **(بفتحتين)** وسكون **(الراء)** لغة من أدركت الشيء وأدركته إذا طلته فلحقته.

(نلت) من النيل يقال: نال من عدوّه ينال وينيل من بابي ضرب وعلم نَيْلاً ونالاً ونالةً بلغ منه مقصوده ومنه قيل: نال من امرأته ما أراد ونال من مطلوبه المراد ويتعدّي بالهمزة إلى اثنين فيقال: أنلته مطلوبه فناله والمطلوب منيل، والرَّجل نائل.

(فلا تأس عليه) أي لا تحزن، يقال: أسِيَ عليه أسَىً من باب علم أي حزن فهو آسٍ وأسيانٌ وهي آسيةٌ وأسيانة، وأسِيَ لفلان أي حزن له.

(ترحاً) على رواية الشيخ في **«الكشكول»**، **(بفتحتين)**: ضدّ الفرح.

الإعراب

الضمير في **(لم يكن)** في الموضعين يرجع إلى **(ما)** وكذا ضمير الفعلين **(يفوت ويدرك)**، والضمير المنصوب فيهما يرجع إلى **(المرء)** بقرينة قوله ما فاتك، وأمكن أن يرجع ضمير الأفعال إلى **(المرء)**، والضميران المنصوبان إلى **(ما)**.

المعنى

قد شرحه العالم الجليل المولى محمّد صالح المازندراني في شرحه على **«روضة الكافي»** بقوله: يعني أنّ المرء يكون من هذه الحالة وهي أنّه تسرّه إصابة ما ينفعه، ويحزنه فواته، وما ينفع على قسمين: أحدهما ما ينفع في الآخرة، وثانيهما ما ينفع في الدّنيا؛ والعاقل اللّبيب ينبغي أن يسرّ بإصابة الأوّل، ويحزن بفواته وإليه أشار بقوله: فليكن سرورك بما قدّمت من عمل صالح أو حكم بالعدل أو قول بالحق وليكن أسفك وحزنك فيما فرّطت فيه من ذلك فإنّ هذا السرور أبديٌّ وهذا الحزن مع كونه ندامة وعبادة موجب للزيادة والتدارك، وأن لا

يحزن بفوات الثاني ولا يسرّ بإصابته وإليه أشار بقوله: ودع ما فاتك من الدُّنيا فلا تكثر عليه حزناً وما أصابك منها فلا تنعم به سروراً كما يسرّ وينعم أهل الدُّنيا يقال: نعم العود كفرح إذا اخضرّ ونضر، ثمّ أمر بما هو كالسبب بجميع ذلك بقوله: **(وليكن همّك فيما بعد الموت والسلام)** لأنّ التذكير بهادم اللّذات والتخويف بذكره تنفير عن محبّة الدُّنيا والحزن بفواتها وترغيب في محبّة الآخرة والعمل لها والحزن بفواتها. انتهى[1].

وأقول: هذا الكتاب مقتبس من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [التغابن: ١٢] وقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣]، نعم كلّ ما أفاده رسول الله وأهل بيته إنّما هو مقتبس من القرآن الكريم وما روى عنهم عليهم السلام فإنّما هو بيان بطون الآيات وحقائقها المستورة عن غيرهم، وأصل الجميع القرآن ولا بدّ من أن يرجع المروي عنهم إليه، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٩٢] وفي «**الكافي**» بإسناده عن المعلّى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما من أمر يختلف فيه اثنان إلاّ وله أصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرِّجال[2]، **(الوافي ص ٦١ ج ١)**.

وفيه بإسناده عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام إذا حدَّثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله، ثمّ قال في بعض حديثه إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال فقيل له: يا ابن رسول الله أين هذا من كتاب الله؟ قال: إنَّ الله تعالى يقول: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾، وقال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾، وقال: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[3] **(الوافي ص ٦١ ج ١)**.

وحاصل الفصل أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أشار فيه إلى حقيقة وفرَّع عليها أمرين، والحقيقة: أنَّ ما يناله الإنسان أو يفوته فإنّما كان بقضاء الله المحتوم المقطوع أن يناله أو يحرمه فلا يصحّ الفرح والجزع بما كان حصوله وفواته كذلك، وقد قال عليه السلام كما يأتي في الحكمة ٤٣٩: الزّهد كلّه بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه.

(١) شرح أصول الكافي: ١٢/٣٢٨ ح ٣٢٨.
(٢) المحاسن: ١/٢٦٨، والكافي: ١/٦٠ ح ٦.
(٣) تهذيب الأحكام: ٧/٢٣٢، وتفسير مجمع البيان: ٣/٤٢٩.

ونحوه ما رواه ثقة الإسلام الكليني في «**الكافي**» بإسناده، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر: لا يجد أحدكم[1] طعم الإيمان حتّى يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، (**الوافي ص ٥٤ ج ٣**)[2].

وبإسناده عن صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لا يجد عبد طعم الإيمان حتّى يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وأنَّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه وأنَّ الضارَّ النّافع هو الله تعالى (**الوافي ص ٥٤ ج ٣**)[3].

وروى بإسناده عن الثمالي، عن سعيد بن قيس الهمداني قال: نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان فحرّكت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع؟ فقال: نعم يا سعيد بن قيس إنّه ليس من عبد إلاّ وله من الله تعالى واقعة معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر فإذا نزل القضاء خلّيا بينه وبين كلّ شيء (**الوافي ص ٥٤ ج ٣**).

وروى نصر بن مزاحم المنقري في كتاب «**صفين**» (**ص ١٢٨ من الطبع الناصري**) عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي إسحاق قال: خرج عليٌّ يوم صفين وفي يده عنزة فمرَّ على سعيد بن قيس فقال له سعيد: أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يغتالك أحد وأنت قرب عدوّك؟ فقال له عليّ عليه السلام: إنّه ليس من أحد إلاّ عليه من الله حفظة يحفظونه من أن يتردّى في قليب أو يخرَّ عليه حائط أو تصيبه آفةٌ فإذا جاء القدر خلّو بينه وبينه.

وقال ابن قتيبة الدينوريّ في «**الإمامة والسياسة**» (**ص ١٦٢ ج ١**) في مقتل أمير المؤمنين عليه السلام جاء رجل من مراد إلى عليّ عليه السلام فقال له يا أمير المؤمنين احترس فإنَّ هنا قوماً يريدون قتلك، فقال: إنَّ لكلِّ إنسان ملكين يحفظانه فإذا جاء القدر خلّياه[4].

وهذه الأخبار في الحفظة مأخوذة من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١﴾ [الأنعام: ٦٢].

والمرويّ أيضاً عن الباقر عليه السلام في قوله: له معقّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من

(١) في نسخة: أحد.
(٢) الكافي: ٢/٥٨ ح ٧، ووسائل الشيعة: ١٥/٢٠١ ح ٢٧٦.
(٣) الكافي: ٢/٥٩ ح ٨، ووسائل الشيعة: ١٥/٢٠٣ ح ٧.
(٤) نهج السعادة: ٧/١١٤.

أمر الله: من أمر الله يقول بأمر الله من أن يقع في ركيّ، أو يقع عليه حائط أو يصيبه شيء حتّى إذا جاء القدر خلّوا بينه وبينه إلى المقادير وهما ملكان يحفظانه باللّيل وملكان بالنهار يتعاقبانه[١].

والمؤمن العارف بسرّ القدر لا يفرح بما ناله ولا يحزن على ما فاته لعلمه بأنّ قضاء الله وقدره في نظام العالم أوجبا وقوع الأوّل وفوت الثاني فلم يكن الأوّل ليفوته ولا الثاني ليدركه وقد قال صلى الله عليه وآله: جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم الدّين[٢].

فالحزن على فوات شيء محتوم عليه أن يفوته، والفرح بحصول شيء مقطوع الحصول لماذا؟ وللعارف قلب مطمئنّ لا يرى إلاّ الله ولا يرجو إلاّ إيّاه ولا يخاف إلاّ منه، ولا يحسد ولا يعادي أحداً ولا يحزن ولا يبطر، وقد ورد الخبر كما في تفسير النيسابوري في سورة الحديث: من عرف سرّ الله في القدر هانت عليه المصائب، ونعم ما في تفسير المجمع من أنّ في قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ إشارة إلى أربعة أشياء: الأوّل حسن الخلق لأنّ من استوى عنده وجود الدُّنيا وعدمها لا يحسد ولا يعادي ولا يشاحّ فإنّ هذه من أسباب سوء الخلق وهي من نتائج حبّ الدُّنيا، وثانيها استحقار الدُّنيا وأهلها إذا لم يفرح بوجودها ولم يحزن لعدمها، وثالثها تعظيم الآخرة لما ينال فيها من الثواب الدائم الخالص من الشوائب، ورابعها الافتخار بالله دون أسباب الدُّنيا.

قال: ويروى أنّ عليّ بن الحسين عليهما السلام جاءه رجل فقال له: ما الزّهد؟ قال: الزّهد عشرة أجزاء: فأعلى درجة الزهد، أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا؛ وأنّ الزهد كلّه في آية من كتاب الله: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[٣].

قال: وقيل لبزرجمهر: مالك أيّها الحكيم لا تأسف على ما فات ولا تفرح بما هو آت؟ فقال: إنّ الفائت لا يتلافى بالعبرة، والآتي لا يستدام بالحبرة.

وعن عبد الله بن مسعود قال: لئن ألحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحبّ إليّ من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن، أو لشيء لم يكن ليته كان. انتهى.

ونعم ما قيل:

---

(١) بحار الأنوار: ٦٧/ ١٥٥، التفسير الأصفى: ١/ ٥٩٧.

(٢) شرح أُصول الكافي للمازندراني: ٨/ ١٥.

(٣) الخصال: ٤٣٧ ح ٢٦، تفسير البيان: ٩/ ٤٠٠.

لا تطل الحزن على فائت فقلّما يجدي عليك الحزن
سيّانَ محزون على ما مضى ومظهرٌ حزناً لما لم يكن

والمروي عن الإمام الصّادق عليه السلام: يا ابن آدم ما لك تأسو على مفقود لا يردّه إليك الفوت، ومالك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت[١].

والتّفريع الأوّل أنَّ ما ينبغي أن يسرّ المرء به هو ما ناله من الحقائق التي تفيده في ما بعد موته وينبغي له أن يأسف على فوتها، والثاني أنَّ ما ناله من الدُّنيا وما فاته منها هو ما لا قدر له أن يفرح به أو يجزع عليه، ثمَّ أكّد الأوَّل بقوله وليكن همّك فيما بعد الموت.

قال الفاضل الشارح المعتزلي في المقام: ولقائل أن يقول: هب أنَّ الأُمور كلّها بقضاء وقدر فلم لا ينبغي للإنسان أن يفرح بالنفع وإن وقع بالقدر، ويساء بفوته أو بالضرر وإن وقعا بقدر؟ أليس العريان يساء بقدوم الشتاء وإن كان لا بدَّ من قدومه، والمحموم غبّاً يساء بتجدّد نوبة الحمّي وإن كان لا بدَّ من تجدُّدها؟ فليس سبب الإختيار في الأفعال ممّا يوجب أن يسرّ الإنسان ولا يساء بشيء منها.

قال: والجواب ينبغي أن يحمل هذا الكلام على أنَّ الإنسان ينبغي أن لا يعتقد في الرزق أنّه أتاه بسعيه وحركته فيفرح معجباً بنفسه معتقداً أنَّ ذلك الرزق ثمرة حركته واجتهاده، وكذلك ينبغي أن لا يساء بفوات ما يفوته من المنافع لائماً نفسه في ذلك ناسباً لها إلى التقصير وفساد الحيلة والاجتهاد لأنَّ الرزق هو من الله تعالى لا أثر للحركة فيه وإن وقع عندها وعلى هذا التأويل ينبغي أن يحمل قوله تعالى: **(ما أصاب من مصيبه)** ـ إلخ، انتهى كلامه[٢].

وأقول: الظاهر أنَّ المراد من الأسى والفرح المنهيّين ما بلغ حدّ الجزع والبطر والإختيال المنسية عن ذكر الله بقرينة قوله تعالى في ذيل الآية: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾. لا ما لا يملك ردّه ولا يستطاع دفعه من الأسى والفرح لا يخلو منهما بشر على الغريزة والفطرة تكويناً، نظير ما رواه الكلينيّ في «**الكافي**» والصّدوق في «**الفقيه**»: لمّا مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله هملت عين رسول الله بالدُّموع ثمَّ قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: تدمع العين ويحزن القلب[٣] **(يحزن القلب وتدمع العين ـ كما في الفقيه)** ولا نقول ما يسخط الربّ **(ص ٨٨ ج ١٣ من الوافي)**.

(١) مستدرك سفينة البحار: ٣/ ٣٥٣، وميزان الحكمة: ٢/ ١١٦٧.
(٢) شرح النهج: ١٥/ ١٤١. (٣) الكافي: ٣/ ٢٦٢ ح ٤٥، ووسائل الشيعة: ٣/ ٢٨٠ ح ٣٦٥١.

ثمَّ إنَّ الأسى والفرح في كلامه عليه السلام وفي قوله عزَّ وجلَّ يعمّان حصول الرزق وفوته وغيره ممّا لم يكن برزق فلا وجه لاختصاصهما بالرزق فقط، اللّهمَّ إلاّ أن يقال: إنَّ الشارح المذكور أراد من الرزق أعمّ ممّا تُربّى به الحيوان من الأغذية والأشربة كما هو مذهب الاعتزال والشارح منهم فإنَّ الرزق عند المعتزلة هو كلّما صحّ انتفاع الحيوان به بالتغذّي أو غيره كما أشار إليه العلاّمة الشيخ البهائي في شرح الحديث الثالث عشر من كتابه الأربعين.

وليعلم أنَّ ما مضى من القول بأنَّ قضاء الله وقدره أوجبا ما أوجبا وأنَّ ما أصاب المرء لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ونظائرها لا تنافي ما ورد في القرآن والأخبار من الحثّ على الدُّعاء والطلب إلى الله تعالى وإلاّ لما أمرنا الله تعالى ورسوله وأهل البيت بالسؤال والدُّعاء وقد قال عزَّ من قائل: ﴿مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [آخر الفرقان]، وقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠] وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويدرّ أرزاقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: تدعون ربّكم باللّيل والنّهار فإنَّ سلاح المؤمن الدُّعاء[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: الدُّعاء ترس المؤمن ومتى تكثر قرع الباب يفتح لك. وقال الصّادق عليه السلام: الدعاء أنفذ من السنان الحديد[٢].

وقال الكاظم عليه السلام: إنَّ الدُّعاء يردّ ما قدّر وما لم يقدّر، قلت **(أي قال الراوي)** ما قدّر فقد عرفته فما لم يقدّر؟ قال عليه السلام حتّى لا يكون[٣].

وقال عليه السلام: عليكم بالدُّعاء فإنَّ الدُّعاء والطلب إلى الله تعالى يردّ البلاء وقد قدِّر وقضى فلم يبق إلا إمضاؤه فإذا دُعي الله وسُئل صَرْفُهُ صَرَفَهُ[٤].

وروى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: ألا أدلكم على شيء لم يستثن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: بلى، قال: الدُّعاء يردّ القضاء وقد أبرم إبراماً وضمَّ أصابعه[٥].

---

(١) الكافي: ٢/ ٤٦٨ ح ٣، وثواب الأعمال: ٢٦.
(٢) الكافي: ٢/ ٤٦٩ ح ٧، ووسائل الشيعة: ٧/ ٣٨.
(٣) الكافي: ٢/ ٤٦٩ ح ٢، ووسائل الشيعة: ٧/ ٣٧.
(٤) عدة الداعي: ١٣. (٥) الكافي: ٢/ ٤٧٠ ح ٦.

وعن سيّد العابدين عليه السلام: إنَّ الدُّعاء والبلاء ليتوافقان إلى يوم القيامة إنَّ الدُّعاء ليردّ البلاء وقد أبرم إبراماً[1].

وعنه عليه السلام: الدُّعاء يدفع البلاء النازل وما لم ينزل.

وقد أتى بهذه الروايات الفقيه الحبر المحقّق أحمد بن فهد الحلّي قدّس سرُّه في أوّل كتاب **«عدة الدّاعي ونجاح الساعي»** والروايات في ذلك كثيرة جدًا والكتب المؤلّفة فيه غير عزيزة، نعم إنَّ القضاء ينقسم إلى قضاء ثابت محتوم لا يتغيّر وقضاء متغيّر وما نحن فيه من الثاني فإيّاك أن تظنَّ أنَّ الدُّعاء ينافي القول بالقضاء فإنّه ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩]، وفي ضمن هذه الآية روايات دقيقة ومطالب أنيقة لعلّنا نبحث عنها في شروحنا الآتية في فصل نعقد في ذلك إن شاء الله تعالى. وقد قدّمنا نبذة من البحث عن استجابة الدُّعاء في شرحنا على **«المختار»** ٢٣٦ من باب الخطب **(ص ٣٥٩ ـ ٣٦٢ ج ١٥)** فراجع.

الترجمة

اين نامه اى است كه امير (عليه السلام) به عبدالله عبّاس نوشت و او مى گفت كه من بعد از گفتار رسول خدا به هيچ گفتارى چون اين كلام امير بهره نبرده ام:

اما بعد، به راستى مرد را رسيدن چيزى به او كه نمى بايستى از او فوت شود شاد مى كند، فوت چيزى كه نمى بايستى آن را به دست آورد اندوهگين مى سازد، پس بايد شادى تو به آن چه باشد كه براى آخرتت اندوختى و اندوه تو به فوت چنان چيزى و آن چه كه از دنيا عايدت شده بسيار به آن شادمانى نكن و آن چه كه از آن از تو فوت شد بى تابى مكن و بايد همّتت براى بعد از مرگت مصروف باشد.

(١) عدة الداعي: ١٣.

ومن كلام له عليه الصلاة والسلام قبيل موته لما ضربه ابن ملجم لعنه الله على سبيل الوصية وهو المختار الثالث والعشرون من باب كتب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله

وَصِيَّتي لَكُمْ أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله فَلا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ أَقِيمُوا هذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ. وَخَلا كُمْ ذَمٌّ ـ أَنَا بِالأَمْسِ صاحِبُكُمْ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَداً مُفارِقُكُمْ، إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمي، وَإِنْ أَفْنَ فَالْفَناءُ ميعادي، وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لي قُرْبَةٌ وَهُوَ لَكُمْ حِسْنَةٌ فَاعْفُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ. وَاللَّهِ ما فَجَأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وارِدٌ كَرِهْتُهُ، وَلا طالِعٌ أَنْكَرْتُهُ؛ وَما كُنْتُ إِلا كَقارِبٍ وَرَد، وَطالِبٍ وَجَدَ، وَما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ للأَبْرارِ[1].

قال الرَّضيُّ رضوان الله عليه: أقول: وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدّم من الخطب إلاّ أنَّ فيه هٰهنا زيادةً أوجبت تكريره، انتهى.

أقول: والعبارة في بعض نسخ «**النهج**» في المقام هكذا: «أقيموا هذين العمودين وأوقدوا هذين المصباحين» كما أنها في نسخة «**الكافي**» كذلك، وفي بعض نسخ «**النهج**»: «وهو لكم حسنة» كما أنها مطابقة لنسخ «**الكافي**» أيضاً، ولكن ما في المتن في كلام الموضعين مطابق لنسخة الرضيّ.

المصدر

كلامه هذا قد روي في «**الجوامع الروائية**» وغيرها على صور مختلفة ووجوه كثيرة وقد مضى بعضه فيما تقدّم من الخطبة ١٤٧ أوّلها: أيها النّاس كلّ امرىءٍ لاقٍ ما يفرُّ منه في فراره، والأجل مساق النفس، والهرب منه موافاته ـ إلخ، وهي في شرح الخوئي رحمه الله أعني «**منهاج البراعة**» جعلت الخطبة ١٤٩ فراجع إلى ص ١١١ من المجلّد التاسع منه، وهذه الخطبة مروية في «**الجامع الكافي**» لثقة الإسلام الكلينيّ قدّس سرّه، ونقلها الفيض رضوان الله عليه في باب الإشارة والنصّ على الحسن بن عليّ عليه السلام (ص ٨٠ ج ٢)، وتجدها في «**مرآة العقول**» في ص ٢٢٢ من المجلّد الأوّل منه، وقد أتى بها الشارح الخوئي في شرح الخطبة المتقدّمة من «**النهج**» ص ١٢٧ ج ٩ من «**المنهاج**» فلا حاجة إلى تكريرها.

وقال المسعوديّ في «**مروج الذهب**» (ص ٤٨ ج ٢): وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن

(١) بحار الأنوار: ٤٢/ ٢٥٤ ح ٥٧، ونهج السعادة: ٧/ ١٣٥.

أبي عبد الله جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ عليهم السلام أنَّ عليّاً عليه السلام قال في صبيحة اللّيلة التي ضربه فيها عبد الرَّحمٰن بن ملجم بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله: كلّ امرىء ملاقيه ما يفرّ منه والأجل تساق النفس إليه، والهرب منه موافاته، وكم اطردت الأيام أتحينها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله عزَّ وجلَّ إلاّ إخفاءه هيهات علم مكنون، أمّا وصيّتي فلا تشركوا به شيئاً، ومحمد لا تضيّعوا سنّته، أقيموا هذين العمودين، حمل كلّ امرىء منكم مجهوده، وخفّف عن الحملة ربّ رحيم ودين قويم وإمام عليم؛ كنّا في أعصار ودى رياح تحت ظلّ غمامة اضمحل راكدها فحطها من الأرض حياً وبقي من بعدي خيرها واستكنه بعد حركة كاظمة بعد نطق لبعضكم هدوئي وخفوت أطرافي إنّه أوعظ لكم من نطق البليغ، ودعتكم وداع امرىءٍ مرصد لتلاق وغدا ترون ويكشف عن ساق عليكم السلام إلى يوم المرام كنت بالأمس صاحبكم، واليوم عظة لكم، غداً أفارقكم إن أفق فأنا ولي دمي، وإن أمت فالقيامة ميعادي والعفو أقرب للتقوى ألا تحبّون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم[(١)]، انتهى ما في «**المروج**».

وسنأتي بطائفة من وصاياه عليه السلام مع بيان مصادرها ومآخذها، وبيان ما فيها من غريب الحديث إن شاء الله تعالى في «**شرح المختار**» السابع والسبعين المعنون بقول الرَّضي: ومن وصيّته عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله: أُوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدُّنيا وإن بغتكما ـ إلخ، ولم نظفر بعد في جامع روائيّ على رواية شاملة على قوله عليه السلام: والله ما فجأني من الموت ـ إلخ، وإن كان الرَّضيُّ في نقله ثقة ثبتاً وكفى بالنهج سنداً أنَّ مثل الرَّضي أسنده إلى أمير المؤمنين عليه السلام ولا إخال أنَّ من كان عارفاً بمقامه الشامخ وجلالة قدره علماً وعملاً أن يتفوّه بنسبة الوضع والاختلاق إليه.

ولا يخفى أنَّ المآخذ التي كانت للرَّضي لم يصل إلينا إلاّ نبذة منها، وبعد نقول إنّا لم نظفر عليه وعدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود ولعلَّ الله يحدث بعد ذلك أمراً ويوفّقنا بالظفر عليه فنذكره في شرح وصيّته الآتية لابنيه عليهما السلام.

على أنَّ ابن الأثير في لغة قرب من النهاية قال: القارب: الذي يطلب الماء ومنه حديث عليّ عليه السلام: (**وما كنت إلاّ كقارب ورد، وطالب وجد**)[(٢)].

---

(١) الكافي: ١/٢٩٩ ح ٦، وبحار الأنوار: ٤٢/٤٠٦ ح ١١.

(٢) لسان العرب: ١/٧٨٣.

المعنى

قوله عليه السلام: **(وهو لكم حِسبةٌ)** ومن كلامه عليه السلام كما أتى به أبو عثمان الجاحظ في **«البيان والتبيين»** **(ص ٧٤ ج ٤ طبع مصر)** وسنذكره إن شاء الله تعالى بتمامه في **«شرح المختار»** ١٩١ في باب المختار من حكمه عليه السلام: إنّما المرء في الدُّنيا غرض تنتضل فيه المنايا، وهو قوله عليه السلام: **(فاستقبل المصيبة بالحسبة تستخلف بها نعمى)**، والحسبة بكسر **(الحاء)** إذا كانت عند المكروهات هي البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر، اسم من الاحتساب، قال الجوهريّ في **«الصحاح»**: احتسب بكذا أجراً عند الله والاسم الحِسْبَة بالكسر وهي الأجر والجمع الحِسَب، انتهى.

وقال ابن الأثير في **«النهاية»**: وفيه **(يعني في الحديث)** من صام رمضان إيماناً واحتساباً أي طلباً لوجه الله وثوابه، والإحتساب من الحسب كالإعتداد من العدّ؛ وإنّما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله احتسبه لأنَّ له حينئذ أن يعتدّ عمله فجعل في حال مباشرة الفعل كأنّه معتدٌّ به، والحسبة اسم من الاحتساب كالعدَّة من الاعتداد، والاحتساب في الأعمال الصالحات وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر أو باستماع أنواع البرّ والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجوّ منها، ومنه حديث عمر: أيّها النّاس احتسبوا أعمالكم فإنَّ من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته، ومنه الحديث من مات له ولد فاحتسبه أي احتسب الأجر بصبره على مصيبته يقال: احتسب فلان ابناً له إذا مات كبيراً وافترطه إذا مات صغيراً ومعناه اعتدّ مصيبته في جملة بلايا الله التي يثاب على الصبر عليها.

ولا يخفى على البصير بأساليب الكلام، والعارف بمواقع اللّغة أنَّ لكلمة الحسبة **(بالباء)** في المقام شأناً ليس للحسنة **(بالنّون)**، والتشابه بين الكلمتين أوجب تصحيف الأُولى بالثانية، ولم يعترض أحد من شراح **«النهج»** و**«الكافي»** لهذه الدقيقة وإنّما كانت نسخهم حسنة **(بالنون)**.

قوله عليه السلام: **(إن أبق فأنا وليُّ دمي)** كانت العبارة على نسخة المسعودي في **«مروج الذَّهب»**: «إن أفق فأنا وليُّ دمي» وكلمة **(أفق)** مشتقة من الإفاقة أصله من **(ف)** و **(ق)**، قال ابن الأثير في **«النهاية»**: أفاق إذا رجع إلى ما كان قد شغل عنه وعاد إلى نفسه ومنه إفاقة المريض والمجنون والمغشى عليه والنائم.

قوله عليه السلام: **(وإن أفن فالفناء ميعادي)** وذلك لأنَّ كلَّ نفس ذائقة الموت، وكلّ الموت ضروريّ أمره والوجه فيه هو كما أفاده المحقق الطوسي قدّس سرُّه قال: إنَّ السبب الموجب للموت في جميع الحيوانات هو أنَّ البدل الذي تورده الغاذية وإن كان كافياً في قيامه بدلاً عمّا يتحلّل فاضلاً عن الكفاية بحسب الكميّة لكنّه غير كاف بحسب الكيفيّة، وبيان ذلك أنَّ الرطوبة

الغريزيّة الأصليّة إنّما تخمّرت ونضجت في أوعية الغذاء أوّلاً، ثمّ في أوعية المني ثانياً، ثمّ في الأرحام ثالثاً؛ والذي توردہ الغاذية لم يتخمّر ولم ينضج إلاّ في الأوّل دون الأخيرين فلم يكمل امتزاجها، ولم يصل إلى مرتبة المبدل عنها فلم يقم مقامها كما يجب بل صارت قوتها أنقص من قوة الأولى وكان كمن يفقد زيت سراج فأورد بدله ماء فما دامت الكيفيّة الأولى الأصليّة غالبة في الممتزج على الثانية المكتسبة كانت الحرارة الغريزيّة آخذة في زيادة الاشتعال موردة على الممتزج أكثر ممّا يتحلّل فينموه الممتزج، ثمّ إذا صارت مكسورة السورة بظهور الكيفيّة الثانية وقفت الحرارة الغريزيّة وما قدرت على أن يورد أكثر ممّا يتحلّل وإذا غلبت الثّانية انحطّ الممتزج وهرم وضعفت الحرارة إلى أن يبقى له أثر صالح الكيفيّة الأولى فيقع الموت ضرورة، وظهر من ذلك أنّ الرطوبة الغريزيّة الأصليّة من أوّل تكوّنها آخذة في النقصان بحسب الكيفيّة، وذلك هو السبب الموجب لفساد الممتزج لا غير فحصل المرام وذلك ما أردنا بيانه. انتهى.

وقيل بالفارسية:

جان قصد رحيل كرد وگفتم كه مرو گفتا چه كنم خانه فرو ميآيد

وقال الشيخ العارف السعديّ:

چار طبع مخالف سر كش چند روزى بوند با هم خوش
چون يكى زين چهار شد غالب جان شيرين بر آيد از قالب

قوله عليه السلام: **(والله ما فجأني من الموت ـ إلخ)** وذلك لأنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وإنّما يكره الموت من تعلّق بالدّنيا ونسي حظّه الأوفر في العقبى وأمّا أولياء الله فهم في الدُّنيا كمن ليس منها كما قاله عليه السلام في بعض الخطب الماضية؛ ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً عن العقاب كما ألقاه عليه السلام على همّام، وقد أخذ من مأدبته الشيخ الرّئيس في قوله في النمط التاسع من الإشارات في مقامات العارفين فكأنّهم وهم في جلابيب من أبدانهم قد نضوها وتجرّدوا عنها إلى عالم القدس.

وقال الشيخ العارف السعديّ:

ازهرچه ميرود سخن دوست خوشتراست پيغام آشنا سخن روح پرور است
هرگز وجود حاضر وغائب شنيده اى من در ميان جمع ودلم جاى ديگر است
ابناى روز گار بصحرا روند وباغ صحرا وباغ زنده دلان كوى دلبر است

ثمّ عقب عليه السلام كلامه بقوله: **(وما عند الله خير للأبرار)** وكأنّه بيان العلّة في عدم خوفه من الموت وهذا اقتباس من قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا

﴿ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عمران: ١٩٩] فقد أشار عليه السلام إلى أنّه من الأبرار وأنّ الآية شاملة عليه، وقد وصف الله الأبرار في عدّة مواضع من القرآن الكريم: ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾ [الإنسان: ٦]، ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار: ١٤]، ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: ١٨ ـ ٢٨].

فمن كان من الأبرار بل قدوتهم وإمامهم وكانت له بعد ارتحاله من سجن الدُّنيا تلك المقامات المنيعة الخالدة والدَّرجات الرفيعة الدائمة فكيف لا يكون مع الموت كقارب ورد وطالب وجد، وحقٌ له أن يقول:

مرگ اگر مرداست گو نزد من آی ... تا در آغوشش بگیرم تنگ تنگ
من از او ملکی ستانم جاودان ... أوزمن دلقی بگیرد رنگ رنگ

ونعم ما نظمه العارف الرُّومي في المثنويّ:

چون بلال از ضعف شد همچون هلال ... رنگ مرگ افتاد بر روی بلال
جفت او دیدش بگفتا وا حَرب ... پس بلالش گفت نی نی وا طَرَب
تاکنون اندر حَرَب بودم ز زیست ... توچه دانی مرگ چه عیشست وچیست
این خمی گفت ورخش در عین گفت ... نرگس وگلبرگ ولا له می شکفت
تاب روو چشم پر أنوار او ... می گواهی داد بر گفتار او
گفت جفتش الفراق ای خوش خصال ... گفی نی نی الوصا لست الوصال
گفت جفت امشب غریبی می روی ... از تبار وخویش غائب میشوی
گفت نی نی بلکه امشب جان من ... میرسد خوش از غریبی در وطن
گفت نی نی بلکه امشب جان من ... میرسد خوش از غریبی در وطن
گفت ایجان ودلم وا حسرتا ... گفت نی نی جان من یا دولتا
گفت آن رویت کجا بینیم ما ... گفت اندر حلقه خاص خدا
گفت ویران گشت این خانه دریغ ... گفت اندر مه نگر منگر بمیغ
کرد ویران تا کند معمور تر ... قومأنبُه بود و خانه مختصر
انبیا را تنگ آمد این جهان ... چون شهان رفتند اندر لا مکان
مرد گانرا این جهان بنمود فرّ ... ظاهرش زفت وبمعنی تنگتر

روح از ظــلــم طــبــيــعــت بــاز رســت مــرد زنــدانــی زفــکــر حــبــس جــســت

وقد مضى بيان باقي كلامه هذا في شرح الخطبة المقدّم ذكرها من الشارح الخوئي رحمه الله، وسيأتي في «**شرح المختار**» ٧٧ من هذا الباب مباحث متعلّقة بالمقام إن شاء الله تعالى.

الترجمة

از سخنان اميرالمؤمنين (عليه السلام) كه پيشترك از بدرود زندگانى، زمانى كه از ضربت پسر ملجم در بستر بيمارى افتاده بود بر سبيل وصيت فرموده است:

وصيّتم به شما اين است كه چيزى را همتاى خدا ندانيد (شرك به خدا نياوريد) و سنّت پيمبر را تباه نكنيد و اين دو ستون دين را كه توحيد و حفظ سنت پيمبر است برپا بداريد. از شما نكوهش دور باد، من ديروز يار شما بودم و امروز مايه پند براى شما و فردا از شما جدا مى شوم، اگر از بيمارى نجات يافتم و در اين جهان باقى ماندم من خود ولّى خونم مى باشم و اگر نماندم مرگ ميعاد من است، اگر قاتلم را عفو كنم، پس عفو براى من موجب غربت است و براى شما موجب پيشگيرى به طلب اجر و تحصيل آن به تسليم و صبر است(٤)، پس عفو كنيد، آيا دوست نداريد كه خدا شما را بيامرزد؟ به خدا قسم از پيش آمد مرگ واردى كه آن را ناخوش داشته باشم به من روى نياورد و چيزى كه آن را بد داشته باشم بر من ظاهر نشد و نيستم من مگر چون جوياى آب كه به آب برسد و چون طالبى كه مطلوبش را يافته است و آن چه كه نزد خدا است بهتر است براى نيكوكاران.

سيّد رضى گويد كه: پاره اى از اين گفتار در باب خطب گذشت، جز اين كه در اين جا كلامى بيشتر بود كه در پيش نياورديم از اين روى تكرار آن واجب شد.

ومن وصية له عليه الصلاة والسلام بما يعمل في أمواله، كتبها بعد منصرفه من صفين وكلامه هذا هو المختار الرابع والعشرون من باب كتبه عليه السلام ورسائله

هذا ما أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللّٰهُ عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبِ في مالِهِ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللّٰهِ لِيُولِجَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَيُعْطِيَهُ بِهِ الأَمَنَةَ.

مِنْها: وَإِنَّهُ يَقُومُ بِذلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْفِقُ مِنْهُ في الْمَعْرُوفِ، فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وَحُسَيْنٌ حَيٌّ قامَ بِالأَمْرِ بَعْدَهُ وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ.

وَإِنَّ لابْنَيْ فاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ الذي لِبَني عَلِيٍّ.

وَإِنّي إِن جَعَلْتُ الْقِيامَ بِذلِكَ إِلَى ابْنَيْ فاطِمَةَ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللّٰهِ وقُرْبَةً إِلى رَسُولِ اللّٰهِ، وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ، وَتَشْرِيفاً لِوُصْلَتِهِ.

وَيَشْتَرِطُ عَلَى الذي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الْمالَ عَلى أُصُولِهِ وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أُمِرَ بِهِ، وَهُدِيَ لَهُ؛ وَأَنْ لا يَبِيعَ مِنْ أَوْلادِ نَخِيلِ هذِهِ الْقُرى وَدِيَّةً حَتى تُشْكِلَ أَرْضُها غِراساً. وَمَنْ كانَ مِنْ إِمائِيَ اللاتي أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ لَها وَلَدٌ أَوْ هِيَ حامِلٌ فَتُمْسَكُ عَلى وَلَدِها وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ فَإِنْ ماتَ وَلَدُها وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتيقَةٌ قَدْ أَفْرَجَ عَنْها الرِّقُّ، وَحَرَّرَهَا الْعِتْقُ[١].

قال الرَّضيُّ رضوان الله عليه: قوله عليه السلام في هذه الوصيّة: «وألاّ يبيع من نخلها وديّة» فإنَّ الوديّة الفسيلة وجمعها ودى.

وقوله عليه السلام: «حتّى تشكل أرضها غراساً» هو من أفصح الكلام والمراد به أنَّ الأرض يكثر فيها غراس النخل حتّى يراها النّاظر على غير تلك الصفة التي عرفها به فيشكل عليه أمرها ويحسبها غيرها. انتهى.

المصدر ونقل الوصية على صورتها الكاملة

رواها ثقة الإسلام الكلينيّ قدَّس سرُّه في كتاب الوصايا من **«الجامع الكافي» (ص ٢٤٧ من الطبع الحجري، باب ٣٥ من كتاب الوصايا)** عن أبي عليّ الأشعري عن محمّد بن عبد الجبار ومحمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن عبد الرّحمٰن بن

(١) بحار الأنوار: ٤٢/ ٢٥٥، ونهج السعادة: ٨/ ٤٦٢.

الحجّاج.

وشيخ الطائفة الطوسي قدّس سرّه في كتاب الوقوف من «**التهذيب**» (ص **٣١٩ من الطبع على الحجر**) عن الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن عبد الرَّحمٰن بن الحجّاج وبينهما اختلاف في الجملة ودونك الوصيّة على نسخة «**الكافي**» قال عبد الرَّحمٰن بن الحجّاج: بعث إليّ أبو الحسن عليه السلام بوصيّة أمير المؤمنين عليه السلام وهي:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

هذا ما أوصى به في ماله عبد الله عليٌّ ابتغاء وجه الله ليدخلني به الجنّة ويصرفني به عن النّار، ويصرف النّار عنّي يوم تبيضّ وجوه وتسوّد وجوه.

أنّه ما كان لي من مال بينبع يعرف لي فيها وما حولها صدقة، ورقيقها غير أنَّ رباحاً، وأبا نيزر، وجبيراً عتقاء ليس لأحد عليهم سبيل فهم مواليّ يعملون في المال خمس حجج وفيه نفقتهم ورزقهم وأرزاق أهاليهم. ومع ذلك ما كان لي بوادي القرى كلّه من مال لبني فاطمة ورقيقها صدقة، وما كان لي بديمة وأهلها صدقة غير أنَّ زريقاً له مثل ما كتبت لأصحابه، وما كان لي بادنية وأهلها صدقة، والفقيرين كما قد علمتم صدقة في سبيل الله.

وإنَّ الذي كتبت من أموالي هذه صدقة واجبة بتلةً حيّاً أنا أو ميّتاً ينفق في كلّ نفقة يبتغي بها وجه الله في سبيل الله ووجهه وذوي الرَّحم من بني هاشم وبني المطّلب والقريب والبعيد فإنّه يقوم على ذلك الحسن بن عليّ يأكل منه بالمعروف وينفقه حيث يراه الله عزَّ وجلّ في حلّ محلّل لا حرج عليه فيه فإن أراد أن يبيع نصيباً من المال فيقضي به الدين فليفعل إن شاء ولا حرج عليه فيه، وإن باع فإنّه يقسم ثمنها ثلاثة أثلاث: فيجعل ثلثها في سبيل الله، ويجعل ثلثاً في بني هاشم وبني المطّلب، ويجعل الثلث في آل أبي طالب، وأنّه يضعه فيهم حيث يراه الله، وإن حدث بحسن حدث وحسين حيّ فإنّه إلى حسين بن عليّ.

وإنَّ حسيناً يفعل فيه مثل الذي أمرت به حسناً له مثل الذي كتبت للحسن وعليه مثل الذي على الحسن.

وإنَّ لبني ابني فاطمة من صدقة عليّ مثل الذي لبني عليّ وإنّي إنّما جعلت الذي جعلت لبني فاطمة ابتغاء وجه الله عزَّ وجلَّ وتكريم حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وتعظيمها وتشريفها ورضاها، وإن حدث بحسن وحسين حدث فإنَّ الآخر منهما ينظر في بني عليّ فإن وجد فيهم من يرضى بهداه وإسلامه وأمانته فإنّه يجعله إليه إن شاء، وإن لم ير فيهم بعض الذي يريده فإنّه يجعله إلى رجل من آل أبي طالب يرضى به، فإن وجد آل أبي طالب قد ذهب كبراؤهم وذوو رأيهم فإنّه يجعله إلى رجل يرضاه من بني هاشم.

وأنّه يشترط على الذي يجعله إليه أن يترك المال على أصوله وينفق ثمره حيث أمرته به من سبيل الله ووجهه وذوي الرَّحم من بني هاشم وبني المطّلب والقريب والبعيد ولا يباع منه شيء ولا يوهب ولا يورث.

وإنَّ مال محمّد بن عليّ على ناحية وهو إلى بني فاطمة.

وإنَّ رقيقي الذين في صحيفة صغيرة التي كتبت لي عتقاء.

هذا ما قضى به عليُّ بن أبي طالب في أمواله هذه الغد من يوم قدم مسكن ابتغاء وجه الله والدار الآخرة والله المستعان على كلِّ حال ولا يحلّ لامرىء مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول في شيء قضيته من مالي ولا يخالف فيه أمري من قريب ولا بعيد.

أمّا بعد فإنَّ ولائدي اللاتي أطوف عليهنَّ السبعة عشر منهنَّ أمّهات أولاد معهنَّ أولادهنَّ، ومنهنَّ حبالى، ومنهنَّ من لا ولد له فقضائي فيهنَّ إن حدث بي حدث أنّه من كان منهنَّ ليس لها ولد وليست بحبلى فهي عتيق لوجه الله عزَّ وجلَّ ليس لأحد عليهنَّ سبيل، ومن كان منهنَّ لها ولد أو حبلى فتمسك على ولدها وهي من حظّه[١] فإن مات ولدها وهي حيّة فهي عتيق ليس لأحد عليها سبيل، هذا ما قضى به عليّ في ماله الغد من يوم قدم مسكن شهد أبو سمر بن أبرهة وصعصعة بن صوحان ويزيد بن قيس وهيّاج بن أبي هيّاج وكتب عليّ بن أبي طالب بيده لعشرة خلون من جمادى الأولى سنة سبع[٢] وثلاثين[٣].

اللغة

(ليولجه) أي ليدخله، ومنه الولجة بالتحريك موضع أو كهف تستتر فيه المارّة من مطر وغيره.

(الابتغاء): الطلب، قال الجوهريُّ في «**الصحاح**»: ابتغيت الشيء وتبغّيته إذا طلبته وبغيته **(حدث)** بالتحريك: الحادث.

(أصدره مصدره) يصح المصدر بفتح **(الميم)** وضمّه معاً، والفتح أصحّ واختاره الرَّضيّ رضوان الله عليه، كما في النسخة التي قوبلت على نسخته، ففي «**الصحاح**»: أصدرته فصدر أي رجعته فرجع، والموضع مصدر ومنه مصادر الأفعال.

(١) في نسخة: حصته.
(٢) في نسخة: تسع.
(٣) تاريخ المدينة: ١/٢٢٨، وبحار الأنوار: ٤١/٤٢.

(**الوصلة**) بالضمّ: الصلة والقرابة.

وفيه (**الوديّ**) على فعيل صغار الفسيل، الواحدة وديّةٌ، والفسيلة والفسيل على فعيلة وفعيل صغار النخل والجمع الفُسْلان، انتهى، وفي العبارة كناية حسنة عن النخيلات التي تنبت من النوى تحت أشجار النخل، أو تنبت من أُصولها، وكأنَّ حملها على ما تنبت من أصولها أولى وأنسب.

(**تشكل**) قال ابن الأثير في «**النهاية**»: وفي وصيّة عليّ عليه السلام: «وأن لا يبيع من أولاد نخل هذه القرى وديّه حتّى تشكل أرضها غراساً» أي حتّى يكثر غراس النخل فيها فيراها الناظر على غير الصفة التي عرفها به فيشكل عليه أمرها. انتهى. وقال الكسائي: أشكل النخل طاب رطبه وأشكل العنب أينع بعضه.

(**الغراس**) بالكسر: فصيل النخل، ويقال للنخلة أوّل ما ينبت غريسَةٌ، ويقال: للجلدة الرقيقة التي تخرج مع الولد إذا خرج من بطن أُمّه غِرس بالكسر.

(**قد أفرج عنها الرقُّ**) كلمة أفرج مشكولة في أكثر النسخ المطبوعة وشروحها بضمّ (**الهمزة**) وكسر (**الراء**) ولكنّها في نسخة الرضيّ بفتحهما ولذا اخترناه في المتن وهذا هو الصحيح ففي «**الصحاح**» للجوهري: أَفْرَجَ الناسُ عن طريقه أي انكشفوا.

الإعراب

(**ابتغاء**) منصوب في كلا الموضعين لأنّه مفعول له للفعلين: أمر وجعلت وكلّ واحد من قربة وتكريماً وتشريفاً منصوب معطوف على الابتغاء الثاني مفعول له.

(**ليولجه**) منصوب (**بأن**) الناصبة المقدّرة، (**ويعطيه**) منصوب معطوف على (**يولج**)، وضمير الفعلين يرجع إليه عليه السلام وفي بعض النسخ من المخطوطة وغيرها (**ليولجني ويعطيني**) ففيه التفات من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلّم وما في المتن مطابق لنسخة الرضي ومختاره، وضمير به في كلا الموضعين الأخيرين يصح أن يرجع إلى (**ما**) كالأوّل أو إلى الابتغاء.

(**يأكل منه بالمعروف**) حال للحسن عليه السلام فإنَّ الجملة الفعليّة إذا كانت مبدوءة بمضارع مثبت بدون (**قد**) فلا بدَّ من ضمير رابط وحده أو معها فمع (**الواو**)، والأُولى كما نحن فيه، والثانية كقوله تعالى: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الصف: ٥].

(**وينفق**) معطوف على (**يأكل**).

(**وحسين حيٌ**) جملة اسميّة حاليّة والرابط هو (**الواو**)، (**قام**) جواب (**إن**)، (**أصدر**) عطف على (**قام**)، والضميران في أصدره ومصدره يرجعان إلى الأمر، (**مثل**) منصوب اسم لأنَّ

(لابني) ظرف مستقرّ خبر لها.

الظاهر أن ضمير **(يشترط)** يرجع إلى الأمير عليه السلام غاية الأمر أنَّ في الكلام التفاتاً من التكلّم إلى الغيبة، أو عطف على أمر به فلا يلزم التفات ويؤيّده ما في النسخة الآتي نقلها من الآتيان بالفعل الماضي: وأنّه شرط، وجاز أن يرجع إلى الإمام الحسن عليه السلام بقرينة يقوم ويأكل أو إلى الإمام الحسين عليه السلام فإنّه أقرب المراجع أو أنّه راجع إلى من يتفوّض الأمور إليه خلفاً بعد سلف، ولكنَّ الصواب هو الأوّل كما يدلّ عليه أُسلوب الكلام وصورة الوصيّة.

جملة **(أن يترك)** مفعول يشترط، وينفق عطف على يترك، وأن لا يبيع عطف على أن يترك.

(تشكل) منصوب **(بأن)** الناصبة المقدَّرة وجوباً، **(أرضها)** مرفوعة على الفاعليّة لتشكل، **(غراساً)** منصوب على التميز، **(من)** موصول اسمي يستوي فيه المذكر والمؤنث **(من)** جارة بيانيّة لمن، **(لها ولد)** حال للإماء وكذلك جملة **(هي حامل)**، ولم يقل حاملة لكونها صفة خاصّة للأنثى، **(فتمسك)** خبر الموصول الاسمي وقد دريت في المباحث السالفة أنَّ **(الفاء)** تدخل في خبر الموصول الاسمي في عدَّة مواضع وهذا منها **(وهي من حظّه)** حاليّة لضمير تمسك، **(وهي حيّة)** أيضاً حال لها، **(فهي عتيقة)** جواب إن، وادخل **(الفاء)** لكون الجملة اسميّة، **(قد أفرج)** صفة للعتيقة لكونها نكرة وكذلك التالية.

المعنى

هذه الوصيّة قد رويت في **«الجوامع الروائية»** بصور مختلفة في الجملة ولعلّنا نأتي بها ونبيّنها مع ذكر مصادرها وأسانيدها في شرح وصيّته الآتية للإمامين الحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم، كما وعدناه في شرح المختار المقدَّم وما أتى بها الرَّضيُّ رضوان الله عليه ملتقط منها كما هو دأبه وعنايته في كلام الأمير عليه السلام.

واعلم أنَّ جميع وصاياه عليه السلام لأولاده وبما يعمل في أمواله على ما استقصيناه إنّما هي كانت بعد منصرفه من صفّين، وذلك لما كان يعلم من دنوّ شهادته، ولعلّك تقول إن كان علم الإمام في زعمك على هذا المنوال فلم قال عليه السلام: «فإن حدث بحسن حدث وحسين حيّ» ولم يجزم بما هو آت وجار في مستقبل الزَّمان؟ قلت: إنّه عليه السلام تكلّم بما هو متعارف النّاس في محاوراتهم وقد مضى بحثنا عن طور علم الإمام في المجلّد الخامس عشر في شرح قوله عليه السلام: «فجعلت أتّبع مأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله فأطأ ذكره حتّى انتهيت إلى العرج» على أنّه يأتي البحث عن ذلك في شرح الوصيّة الآتية زيادة إيضاح في ذلك إن شاء الله تعالى.

قوله عليه السلام: **(يأكل منه بالمعروف ـ إلخ)** لعلَّ كلامه هذا لدفع ما عسى يتوهم من أنَّ هذه

الصدقة حرام على الحسن بن عليّ عليه السلام كالزكاة فقال عليه السلام: أنّه يأكل منها بالمعروف وينفق منها بالمعروف فإنّها مال أبيه وقف عليه قوله عليه السلام: «فإن حدث بحسن حدث» أي إن أدركه الموت بقرينة قوله: وحسين حيٌّ.

قوله: (**وإنَّ لابني فاطمة من صدقة ـ اه**) يعني أنّهم فيها شرع واحد، لا تختصّ ببعض دون بعض ولا مزيّة لابني فاطمة في منافعها على غيرها؛ نعم إنّما جعلت القيام بذلك أي من يتولّى أمرها ويتصدّى عليها إليهما بتلك الوجوه الأربعة من ابتغاء وجه الله ـ إلخ، أو المراد منه دفع التوهّم المتقدّم.

قال الشارح المعتزلي: ثمَّ بيّن لماذا خصّهما بالولاية؟ فقال: إنّما فعلت ذلك بشرفهما برسول الله صلى الله عليه وآله فتقرَّبت إلى رسول الله بأن جعلت لسبطيه هذه الرّياسة وفي هذا رمز وإزراء بمن صرف الأمر عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله مع وجود من يصلح للأمر أي كان الأليق بالمسلمين والأولى أن يجعلوا الرّياسة بعده لأهله قرابة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وتكريماً لحرمته وطاعةً له وأنفة لقدره صلى الله عليه وآله أن تكون ورثته سوقة يليهم الأجانب ومن ليس من شجرته وأصله، ألا ترى أنَّ هيبة الرسالة والنبوّة في صدور النّاس أعظم إذا كان السلطان والحاكم في الخلق من بيت النبوّة، وليس يوجد مثل هذه الهيبة والجلال في نفوس النّاس للنبوّة إذا كان السلطان الأعظم بعيد النسب من صاحب الدَّعوة عليه السلام، انتهى، ونعم من قال.

وكان لأمير المؤمنين عليه السلام فيهما شأن خاصّ وقصد تامّ ومزيد اهتمام وزيادة عناية يخصّهما بها دون سائر بنيه تشريفاً لوصلة رسول الله صلى الله عليه وآله وتنبيهاً واعلاماً بمقامهما الشامخ ومنزلتهما السامية حتّى أنّه عليه السلام كان يضنّ بهما على الحرب والقتال لئلا ينقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الأُمّة فإنَّ نسله من الحسن والحسين وتسعة من أولاد الحسين بعد أبيهم أبي الأئمّة عليّ عليه السلام هم حجج الله تعالى واحداً بعد واحدٍ على عباده ولم تخل الأرض من حجّة الله على عباده قطّ ولا يخرج الحجّة من بيت النبوّة قطّ، وقد روى نصر بن مزاحم في أواخر صفّين عن عبد الرَّحمٰن بن جندب قال: لما أقبل عليّ عليه السلام من صفّين أقبلنا معه فأخذ طريقاً غير طريقنا الذي أقبلنا فيه، ثمَّ أخذ بنا طريق البرّ على شاطىء الفرات حتّى انتهينا إلى هيت وأخذنا على صندودا فبات بها ثمَّ غدا وأقبلنا معه حتّى جزنا النخيلة ورأينا بيوت الكوفة ـ إلى أن قال: ثمَّ مضى غير بعيد فلقيه عبد الله بن وديعة الأنصاري فدنى منه وسأله فقال: ما سمعت النّاس يقولون في أمرنا هذا؟ قال: منهم المعجب به، ومنهم الكاره له؛ والنّاس كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨] فقال له: فما يقول ذوو الرأي؟ قال: يقولون: إنَّ عليّاً كان له جمع عظيم ففرَّقه، وحصن حصين فهدمه وحتّى متى يبنى مثل ما قد هدم، وحتّى متى يجمع مثل ما قد فرّق؟ فلو أنّه كان مضى بمن أطاعه إذ

عصاه من عصاه فقاتل حتى يظهره الله أو يهلك إذاً كان ذلك هو الحزم.

فقال عليّ عليه السلام: أنا هدمت أم هم هدموا؟ أم أنا فرّقت أم هم فرّقوا؟ وأمّا قولهم: لو أنّه مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتّى يظفر أو يهلك إذاً كان هو الحزم، فوالله ما غفلت عن ذلك الرأي وإن كنت سخيّ النفس بالدُّنيا طيّب النفس بالموت ولقد هممت بالإقدام فنظرت إلى هذين قد استقدماني فعلمت أنَّ هذين إن هلكا انقطع نسل محمّد صلى الله عليه وآله من هذه الأمّة فكرهت ذلك وأشفقت على هذين أن يهلكا ولو علمت أنَّ هؤلاء مكاني لم يستقدما - يعني بذلك ابنيه الحسن والحسين - وأيم الله لئن لقيتهم بعد يومي لقيتهم وليس هما معي في عسكر ولا دار[1].

قوله عليه السلام: شرط[2] عليه السلام على من يفوّض الأمر إليه ويتولّي أُمور أموال الصدقة شرطين: الأوّل أن لا يبيعها ولا يوهبها ولا يتصرَّف فيها تصرفات أُخرى تخرجها عن أصلها بل يتركها على أصلها وينفق ثمرها حيث أمره الله من سبيل الله ووجوهه وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب والقريب والبعيد فإنَّ الوقف تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة.

والثاني: أن لا يبيع من صغار النخيل ما لم يكثر غراسها وذلك لأنَّ الحاجة ربّما تسوق إليها بحدوث آفة في النخيل فتغرس الفسيلة مكانها، أو لأنَّ قلع الفسلان ما لم تكثر النخيل ولم تكامل بعد يضرّها بخلاف ما إذا بلغت إلى حدّ تشكل أرضها غراساً، سيّما إذا قلنا أنَّ المراد من أولاد النخيل وفصيلها وغراسها نخيلات تنبت من أُصولها كما هو الظاهر من العبارة، لا ما تنبت من النوى، أو لأنَّ النخيل قبل أن تشكل أرضها غراساً مظنة للفساد من حيث قلّتها وعدم التفافها، وإذا كثرت وكثفت والتفّت لا تسلط عليها آفات من البر والحرّ والجدب ونحوها ولا تضرّها عندئذ قلع الفسلان.

قوله عليه السلام: **(ومن كان من إمائي - إلخ)** الطواف عليهنَّ كناية عن غشيانهنَّ أي نكاحهنَّ يعني أنَّ الأمة التي لها ولد منّي كسائر الإماء من التركة فمن كان من إمائي اللاتي لها ولد منّي، أو هي حامل منّي فهي تتعلّق بولدها لا يجوز لسائر الورثة التصرُّف فيها مطلقاً كما يدلّ عليه قوله عليه السلام **(فتمسك على ولدها)**، فإذا صارت من ميراث ولدها من تركتي تقوّم وتباع على الولد فتتحرّر قهراً لأنَّ الولد لا يملك العمودين ومتى ملكهما عتقا ولا يحتاج في ذلك إلى عتق الولد كما تحكم به الرّوايات الواردة عنهم عليهم السلام في الباب نقلها والبحث عنها يجرّنا إلى الأطناب والخروج عن موضوع الكتاب وكلامه هذا صريح في أنَّ أمّ الولد لا تتحرّر بمجرّد موت

---

(١) بحار الأنوار: ٥٥٢/٣٢، ونهج السعادة: ٢٩٥/٢.

(٢) في نسخة: ويشترط.

مولاها المستولد بل تنعتق من نصيب ولدها من تركة أبيه، وهذا من مذهبنا الإمامية، وللعامّة فيها اختلاف.

قوله عليه السلام: (فإن مات ولدها ـ إلخ) واعلم أنّ أمّ الولد قبل موت مولاها المستولد مملوكة له لا تخرج بمجرّد صيرورتها أُمّ الولد عن الرقيّة ويجوز له التصرُّف فيها بما شاء من وطئها واستخدامها وعتقها في كفّارة وغيرها سوى التصرف الذي يخرجها عن ملكه بغير العتق فلا يجوز له بيعها ولا هبتها ولا نحوهما من الناقلات، ثمّ إن مات ولدها قبل موت مولاها رجعت طلقاً فتعود إلى حكمها الأوّل الذي كان لغير أمّ ولد فيجوز لمولاها التصرُّف فيها مطلقاً، وإن مات ولدها بعد موت مولاها ولو كانت حياته برهة قليلة من الزّمان كما أنّها كانت حاملاً به ووضعته حيّاً ومات بعد ساعة فحكمها حكم أُمّ الولد التي قد دريت آنفاً أنها تجعل من حظّه من تركة أبيه وتعتق عليه لا أنّها ترجع بموته حينئذ طلقاً كالصُورة المتقدّمة حتّى تعود مملوكة إلى الورثة نعم إن ولدته ميّتاً بعد موت مولاها سقطاً كان أو غير سقط فلا يصدق به أنّها أُمّ ولد وأنّ ولدها مات.

فنقول: إنّه عليه السلام أراد بقوله **(فإن مات ولدها وهي حية فهي عتيقة)** ـ إلخ دفع ما عسى يتوهّم بأنّ أمّ الولد إذا مات ولدها بعد موت مولاها سيّما إذا كانت حاملاً به ووضعته بعد موت مولاها ثمّ مات ترجع طِلْقاً كما إذا مات في حياته فقال عليه السلام: ليس حكمها في هذه الحالة كالصورة المتقدّمة بل إنّها عتيقة قد أفرج عنها الرّق وحرّرها العتق وذكر الفعلين على هيئة الماضي إشارة لطيفة إلى أنّها كانت عتيقة منذ موت مولاها، فتأمّل، وفي ما أشرنا إليها أحكام أُخرى خاصّة ومباحث فقهيّة تطلب في الكتب الفقهيّة.

ثمّ إنّ في أصل الوصيّة مواقع للبحث عن مسائل فقهيّة وغيرها أعرضنا عنها خوفاً للإطالة ولعلّنا نأتي بطائفة منها في شروح الوصايا الآتية ونكتفي الآن ببيان بعض اللّغات والعبارات:

(ينبع): قال في القاموس: ينبع كينصر حصن له عيون ونخيل وزرع بطريق حاج مصر، وقال ياقوت في **«معجم البلدان»**: ينبع بالفتح ثمّ السكون **(والباء)** الموحّدة مضمومة **(وعين)** مهملة بلفظ ينبع الماء. قال عَرّام بن الأصبغ السلمي هي عن يمين رضوى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر على ليلة من رضوي من المدينة على سبع مراحل وهي لبني حسن بن عليّ وكان يسكنها الأنصار وجُهينه وليث وفيها عيون عذاب غزيرة وواديها يَلْيَل وبها منبر وهي قرية غنّاء وواديها يصبُّ في غيقة، وقال غيره: **(ينبع)** حصن به نخيل وماء وزرع وبها وقوف لعليّ بن أبي طالب عليه السلام يتولاّها ولده، وقال ابن دُرَيْد: **(ينبع)** بين مكّة والمدينة، وقال غيره: **(ينبع)** من أرض تهامة غزاها النبيّ صلى الله عليه وآله فلم يلق كيداً وهي قريبة من طريق الحاج الشامي أخذ

اسمه من الفعل المضارع لكثرة ينابيعها، وقال الشريف بن سلمة بن عيّاش الينبعي: عددت بها مائة وسبعين عيناً، وعن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: أقطع النبيّ صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام أربع أرضين القفيران وبيرقيس والشجرة وأقطع عمر (ينبع) وأضاف إليها غيرها، انتهى ما في المعجم(١).

(حجج) أي سنوات جمع الحجّة أي السنة، **(بديمة)** وفي **«التهذيب»**: بدعة وهي **(بالعين)** المهملة عين قريب المدينة، **(غير أن زريقاً له مثل ما كتبت لأصحابه)** وفي **«التهذيب»**: غير أن رقيقها لهم مثل ما كتبت لأصحابهم، وفي أوّل كتاب الوقوف من **«التهذيب»** بإسناده عن ربعي بن عبد الله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: تصدَّق أمير المؤمنين عليه السلام بدار له بالمدينة في بني زريق فكتب: بسم الله الرَّحمٰن الرحيم هذا ما تصدَّق به عليّ بن أبي طالب وهو حيّ سويّ تصدَّق بداره التي في بني زريق صدقة لاتباع ولا توهب حتى يرثها الله الذي يرث السماوات والأرض، وأسكن هذه الصدقة خالاته ما عشن وعاش عقبهنَّ فإذا انقرضوا فهي لذوي الحاجة من المسلمين، انتهى، وبني زريق بالتصغير بطن من الأنصار **(بادنيه)** وفي **«التهذيب»**: بأذينة.

(والفقيرين كما قد علمتم) وفي **«التهذيب»**: والقصيرة كما قد علمتم، وقال المجلسيّ رحمه الله في كتاب الوصايا من **«مرآة العقول»** **(ص ١٣٥ ج ٤ من الطبع الحجري)** قوله عليه السلام: العفرتين، وفي بعض النسخ الفقيرتين، وفي بعضها الفقرتين قال في تاريخ المدينة: موضعان بالمدينة يقال لهما الفقران، عن جعفر الصادق عليه السلام أقطع النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام أربع أرضين الفقرين وبئر قيس والشجرة(٢)، وقال: الفقير اسم حديقة بالعالية قرب بني قريظة من صدقة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال ابن شبه في كتاب عليّ عليه السلام: الفقير لي كما قد علمتم صدقة في سبيل الله؛ وأهل المدينة ينطقون مفرداً مصغراً. انتهى ما في **«المرآة»**.

(واجبة بتلةً) بتقديم **(الباء)**، قال في القاموس: صدقة بتلة منقطعة عن صاحبها **(سرى الملك)** السريّ، النفيس والشريف، وفي نسخة **«التهذيب»**: شراء الملك **(ولد عليّ)** جمع الولد كأُسد وأسد.

قوله عليه السلام: **(فليبع إن شاء لا حرج عليه)** قال في **«مرآة العقول»**: ظاهره جواز اشتراط بيع الوقف متى شاء الموقوف عليه وهو خلاف ما هو المقطوع به في كلام الأصحاب إلاّ أن يحمل على أنّه عليه السلام إنّما وهبها لهما وكتب الوقف لنوع من المصلحة قال: قال في الدروس: لو

---

(١) الغارات: ٢/ ٧٠١، ونهج السعادة: ٨/ ٤٤٤.

(٢) نهج السعادة: ٨/ ٤٣٦، ومكاتيب الرسول: ١/ ٣٣٢ ح ١٧٠.

شرط بيعه متى شاء أو هبته أو نقله بوجه من وجوه التملّك بطل.

قوله عليه السلام **(وإن حدث بحسن وحسين حدث - إلى قوله: يرضى به)** وفي **«التهذيب»**: وإن حدث بحسن وحسين حدث فإنّ الآخر منهما ينظر في بني عليّ فإن وجد فيهم من يرضى بهديه[1] وإسلامه وأمانته فإنّه يجعله إليه إن شاء وإن لم ير فيهم بعض الذي يريد فإنّه في بني ابني فاطمة فإن وجد فيهم من يرضى بهديه وإسلامه وأمانته فإنّه يجعله إليه إن شاء، وإن لم ير فيهم بعض الذي يريد فإنّه يجعله إلى رجل من آل أبي طالب يرضى به.

قوله عليه السلام: **(وأنّ مال محمّد بن عليّ على ناحية)** قال بعض شرّاح الحديث: يمكن أن يقرأ أنّ مشدّدة ويكون المراد أنّ مال محمّد بن الحنفيّة ليس داخلاً فيما سبق من أنّ ولد عليّ وأموالهم إلى الحسن، ولعلّه عليه السلام علم أنّه لم يتابع الحسن كباقي أولاده، أو أنّه لا يحتاج إلى معاونة الحسن لرشده وكمال عقله، ويمكن أن يقرأ **(إن)** المخففة ويكون المراد أنّ الأمر إلى الحسن والحسين عليهما السلام في جميع ما سبق وإن مال محمّد بن الحنفيّة إلى جانب ولم يرض بذلك. وقوله: وهو إلى ابني فاطمة أي النظر في الأُمور المذكورة إليهما وهي تأكيد لما سبق والله أعلم، انتهى كلامه.

قوله عليه السلام: **(كتبت لي عتقاء)** وفي **«التهذيب»**: كتبت عتقاء، بدون كلمة لي **(مسكن)** بكسر الكاف موضع من أرض الكوفة، كما في **«الصحاح»**، وقوله عليه السلام: **(هذا ما قضى به عليّ في ماله الغد من يوم قدم مسكن)** يعني أن ذلك كان في غد من يوم ورودنا وقدومنا الموضع الذي يقال له مسكن، أرّخ الكتابة وذكر الشهور وسائر الخصوصيات لأنّها توجب زيادة الوثوق بها.

قوله عليه السلام: **(أبو سمر)** في نسخة **«الكافي»** كان بالسين المهملة، وفي **«التهذيب»** بالمعجمة، وقال في **«مرآة العقول»**: قال ابن حجر في **«التقريب»** في حرف الشين المعجمة: أبو شمر بكسر أوّله وسكون الميم الضبعي المصري.

وليعلم أنّ في العتق فضلاً كثيراً وثواباً جزيلاً، والشارع تعالى جعل لعتق العبيد والإماء أسباباً عديدة لكي يخرج عباد الله عن الرقبة ويكونوا أحراراً، منها: التدبير، ومنها المكاتبة بقسميها، ومنها العتق في كفّارة، ومنها التحرير وهذه الأقسام تعمّهم، ومنها ما يخصّ الإماء وهو صيرورتهنّ أُمّهات أولاد.

وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ الآية، وقد روى شيخ الطائفة في أوّل كتاب العتق من **«التهذيب»** بإسناده عن حفص بن البختري عن

---

(١) في نسخة: بهداه.

أبي عبد الله جعفر بن محمّد ﷺ أنه قال في الرَّجل: يعتق المملوك قال: يعتق الله بكلّ عضو منه عضواً من النار، وقال: يستحب للرَّجل أن يتقرَّب عشية عرفة ويوم عرفة بالعتق وصدقة.

وبإسناده عن زرارة، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من أعتق مسلماً أعتق الله العزيز الجبّار بكلّ عضو منه عضواً من النّار[1].

وبإسناده عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه رفعه قال: قال رسول الله ﷺ: من أعتق مؤمناً أعتق الله العزيز الجبّار بكلّ عضو له[2] عضواً من النّار فإن كانت أُنثى أعتق الله العزيز الجبّار بكلّ عضوين منها عضواً من النّار لأنَّ المرأة نصف الرَّجل[3]، وغيرها من النصوص المرويّة في الجوامع الروائيّة من الفريقين.

(١) تهذيب الأحكام: ٨/٢١٦ ح ٧٦٩، ووسائل الشيعة: ٢٣/٩.

(٢) في نسخة: منه.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٣/١١٣ ح ٣٤٣٣، ووسائل الشيعة: ٢٣/١٣.

الترجمة

از جمله وصيّت اميرالمؤمنين (عليه السلام) است به آن چه كه در اموال او عمل شود و اين وصيّت را بعد از برگشتن از جنگ صفّين فرموده است:

اين است آن چه كه بنده خدا على بن ابى طالب در مال خود براى طلب وجه الله فرموده و حكم كرده است تا خداوند وى را بدين كار به بهشت برد و امن و آسايش بخشد.

از جمله آن وصّيت اينكه: حسن بن على بايد متصدّى آن باشد و به مضمون وقف عمل نمايد، از آن به وجه پسنديده و مطابق دستور شرع بخورد و ببخشد، پس اگر براى حسن پديده مرگ پيش آمد و حسين زنده است بايد حسين مانند او به انجام كار آن قيام كند و توليت را در عهده بگيرد و همانا كه براى اين دو فرزند فاطمه (حسن و حسين) از مال وقف على، مثل آن چيزى است كه براى ديگر فرزندان على است. يعنى بايد همه از آن بهره ببرند نه اين كه چون صدقه و زكاة، بر حسن و حسين حرام باشد و يا آن دو را بر ديگرى مزيّتى از اين حيث باشد. و همانا كه توليت و تصدّى وقف را به دو فرزند فاطمه از جهت طلب وجه الله و تقرّب به رسول خدا و گرامى داشتن حرمت او و بزرگ داشت و تشريف به وصلت او قرار داده ام و آن كه توليت را عهده دار است بايد كه اصل مال را به هيچوجه منتقل نسازد و آن را به همانطور باقى بگذارد و درآمد و ثمره آن را مطابق دستور مصرف كند و بايد كه اولاد نخل را (نهال هاى ريزى كه از ريشه درخت هاى بزرگ يا از خسته خرما مى رويد) نفروشد تا اين كه درخت ها بزرگ و انبوه شوند به حدّى كه كثرت اشجار سبب اشتباه و عدم معرفت به حال سابق آن زمين شود.

و كنيزكانى كه به آنها مباشرت كردم، آن كه از من فرزندار يا باردار است بايد از مال فرزندش كه از تركه من ارث مى برد محسوب شود و آزاد گردد و اگر فرزندش مرد و خود زنده است، آزاد است.

ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وإنما ذكرنا هنا جملا منها ليعلم بها أنه عليه السلام كان يقيم عماد الحق، ويشرع أمثلة العدل في صغير الأمور وكبيرها، ودقيقها وجليلها

انْطَلِقْ عَلى تَقْوَى اللّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَلا تَروعَنَّ مُسْلِماً، وَلا تَخْتارَنَّ عَلَيْهِ كارِهاً، ولا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللّهِ في مالِهِ، فَإذا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخالِطَ أَبْياتَهُمْ، ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقارِ حَتى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ.

وَلا تُخْدِجْ بالتَّحِيَّةِ لَهُمْ ثُمَّ تَقُولَ: عِبادَ اللّهِ أَرْسَلَني إلَيْكُمْ وَلِيُّ اللّهِ وَخَليفَتُهُ لآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللّهِ في أَمْوالِكُمْ، فَهَلْ لِلّهِ في أَمْوالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إلى وَلِيِّهِ؟ فَإنْ قالَ قائِلٌ: لا. فَلا تُراجِعْهُ، وَإنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ؛ فَخُذْ ما أَعْطاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ؛ فَإنْ كانَ لَهُ ماشِيَةٌ أَوْ إبِلٌ فَلا تَدْخُلْها إلا بِإذْنِهِ فَإنَّ أَكْثَرَها لَهُ فَإذا أَتَيْتَها فَلا تَدْخُلْ عَلَيْها دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلا عَنيفٍ بِهِ. وَلا تُنَفِّرَنَّ بَهيمَةً وَلا تُفْزِعَنَّها (وَلا تُفَزِّعَنَّها ـ معاً) وَلا تَسُوءَنَّ صاحِبَها فيها.

وَاصْدَعِ الْمالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإذا اخْتارَ فَلا تَعْرِضَنَّ لِما اخْتارَهُ. ثُمَّ اصْدَعِ الْباقِيَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإذا اخْتارَ فَلا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتارَ، فَلا تَزالُ بِذلِكَ حَتى يَبْقى ما فيهِ وَفاءٌ لِحَقِّ اللّهِ في مالِهِ؛ فَاقْبِضْ حَقَّ اللّهِ مِنْهُ فَإنِ اسْتَقالَكَ فَأَقِلْهُ، ثُمَّ اخْلِطْها (اخْلِطْهُما ـ نسخة) ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الذي صَنَعْتَ أَوَّلاً حَتى تَأْخُذَ حَقَّ اللّهِ في مالِهِ.

وَلاَ تَأْخُذَنَّ عَوْداً، وَلا هَرِمَةً، وَلا مَكْسُورَةً، وَلا مَهْلُوسَةً ذاتِ عَوارٍ، ولا تَأْمَنَنَّ عَلَيْها إلا مَنْ تَثِقُ بِهِ، رافِقاً بِمالِ الْمُسْلِمينَ حَتّى تُوَصِّلَهُ (بالتاء والياء ـ معاً) إلى وَلِيِّهِمْ فَتَقْسِمَهُ (بالياء نسخة) بَيْنَهُمْ، وَلا تُوَكِّلْ بِها إلا ناصِحاً شَفيقاً وَأَميناً حَفيظاً غَيْرَ مُعْنِفٍ وَلا مُجْحِفٍ وَلا مُلْغِبٍ وَلا مُتْعِبٍ.

ثُمَّ احْدُرْ إلَيْنا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ اللّهُ بِهِ، فَإذا أَخَذَها أَمينُكَ فَأَوْعِزْ إلَيْهِ أَلا يَحُولَ بَيْنَ ناقَةٍ وَبَيْنَ فَصيلِها، وَلا يَمْصُرَ لَبَنَها فَيَضُرَّ ذلِكَ بِوَلَدِها، وَلا يَجْهَدَنَّها رُكُوباً، وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَواحِباتِها في ذلِكَ وَبَيْنَها، وَلْيُرَفِّهْ عَلى اللاغِبِ، وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ والظّالِعِ، وَلْيُورِدْها ما تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدُرِ، ولا يَعْدِلْ بِها عَنْ نَبْتِ الأَرْضِ إلى جَوادِّ الطُّرُقِ، وَلْيُرَوِّحْها فِي السّاعاتِ، وَلْيُمْهِلْها عِنْدَ النِّطافِ والأَعْشابِ، حَتّى يَأْتِينا بِإذْنِ اللّهِ بُدْناً مُنْقِياتٍ، غَيْرَ مُتْعَباتٍ وَلا مَجْهُوداتٍ، لِنَقْسِمَها عَلى

كِتابِ اللّٰهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ فَإنَّ ذٰلِكَ أَعْظَمُ لأَجْرِكَ وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ إنْ شَاءَ اللّٰهُ(١).

اللغة

(ولا تروعن) من الروع بالفتح بمعنى الفزع، والكلمة مشكولة في أكثر النسخ بضمّ **(التاء)** وفتح **(الراء)** وكسر **(الواو)** المشدّدة من الترويع، وفي نسخة الرّضي بفتح **(التاء)** وضمّ **(الراء)** من الرَّوع كما اخترناها في المتن، ومعناها على الوجهين واحد ففي **«الصحاح»**: رُعْتُ فلاناً وروّعتُه فارتاع أي أفزعته ففزع.

(ولا تختارنَّ) **(بالخاء)** المعجمة **(والراء)** المهملة من الاختيار على نسخة الرّضي رضوان الله عليه، وفي نسخ **(تجتازنَّ)** **(بالجيم)** **(والزاي)** المعجمة من الاجتياز بمعنى السلوك من قولك جزت الموضع أجُوزه جَوازاً أي سلكته وسرت فيه.

(الحيّ) واحد أحياء العرب أصله من **(ح ى و)**.

(تخدج) **(بالخاء)** المعجمة **(والجيم)**، قال ابن الأثير في **«النهاية»**: خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل أوانه وإن كان تام الخلق وأخدجته إذا ولدته ناقص الخلق وإن كان لتمام الحمل؛ ومنه حديث سعد «أنّه أتى النبيّ ﷺ بمُخدِجٍ سقيم» أي ناقص الخلق، ومنه حديث علي عليه السلام: «تسلّم عليهم ولا تخدج التحيّة لهم» أي لا تنقصها، انتهى، وقال الجوهريّ في **«الصحاح»**: وفي الحديث كلُّ صلاة لا يقرأ فيها بأُمّ الكتاب فهي خداج أي نقصان، وأخدجت الناقة إذا جاءت بولدها ناقص الخلق وإن كانت أيّامه تامّة فهي مُخْدِج والولد مُخْدَجٌ، ومنه حديث عليّ عليه السلام في ذي الثديه مُخدَج اليد أي ناقص اليد. انتهى.

(تخيفه) من الإخافة بمعنى التخويف وأصلها الخوف، يقال: وجعٌ مُخيفٌ أي يُخيفُ من رآه.

(توعده) من الإيعاد يستعمل في الشرّ، قال الجوهريّ في **«الصحاح»**: الوعد يستعمل في الخير والشرّ، قال الفرّاء يقال: وعدته خيراً، ووعدته شرّا، قال الشاعر:

ألا علّلاني كلّ حيّ معلّل ... ولا تَعِداني الشرَّ والخير مقبلُ

فإذا أسقطوا الخير والشرَّ قالوا في الخير: الوعد والعدة وفي الشر: الإيعاد والوعيد، قال الشاعر:

وإنّي وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

---

(١) ميزان الحكمة: ٣/ ١٩٣٤، ووسائل الشيعة: ٩/ ١٣٤.

(تعسفه) من العسف بمعنى الأخذ على غير الطّريق، كما في **«الصحاح»**، وقال ابن الأثير في **«النهاية»**: العسف: الجور، وفي الحديث: لا تبلغ شفاعتي إماماً عَسُوفاً أي جائراً ظالماً، والعسف في الأصل أن يأخذ المسافر على غير طريق ولا جادّة ولا علم، وقيل: هو ركوب الأمر من غير رويّة فنقل إلى الظلم والجور، انتهى.

(ترهقه) من الإرهاق، يقال: أرْهَقَهُ طغياناً أي أغشاه إيّاه، ويقال: أرْهَقَني فلانٌ إثماً حتى رهقته أي حمّلني إثماً حتّى حملته، قال أبو زيد: أرهقه عسراً أي كلّفه إيّاه، يقال: لا تُرْهِقْني لا أرهقك الله أي لا تعسرني لا أعسرك الله، قاله في **«الصحاح»**.

(الماشية) جمعها المواشي وهي اسم يقع على الإبل والبقر والغنم وأكثر ما يستعمل في الغنم، قاله في **«النهاية»**.

(عنيف به) العنف بالضمّ فالسكون ـ ضدّ الرفق تقول: منه عَنُفَ عليه بالضمّ وعَنُفَ به أيضاً، والعنيف الذي ليس له رفق بركوب الخيل والجمع عُنُق، قاله في **«الصحاح»**.

وفي **«النهاية»**: في الحديث إنَّ الله يعطي على الرفق ما لا يعطى على العنف هو بالضمّ: الشدّة والمشقّة وكلّ ما في الرفق من الخير ففي العنق من الشرّ مثله.

(تنفّرن) نفرت الدابّة من كذا نفوراً ونفاراً من بابي نصر وضرب: جزعت وتباعدت فهي نافر ونفور ونَفّره جعله نافراً.

(لا تفزعنّها) أصلها من الفزع بمعنى الذُّعر، ورويت في نسخة الرّضي على وجهين بضمّ **(التاء)** وكسر **(الزاء)** من الإفزاع وبضمّ **(التاء)** وفتح **(الفاء)** وكسر **(الزاء)** المشدّدة من التفريع، والإفزاع بمعنى الإخافة والإغاثة من الأضداد وكذلك التفزيع، يقال: فزّعه أي أخافه، وفُزّع عنه أي كشف عنه الخوف، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي كشف عنها الفزع، قاله في **«الصحاح»**.

(واصدع) الصدع: الشق، **(استقالك)** الإستقالة طلب الإقالة أصلها من (ق ي ل)، يقال: أقالَه يُقيله إقالةً وتقايلاً إذا فسخا البيع وعاد المبيع إلى مالكه والثمن إلى المشتري إذا كان قد ندم أحدهما أو كلاهما.

(عوداً) بفتح **(العين)** المهملة وسكون **(الواو)**، قال في **«الصحاح»**: العَوْد: المسنّ من الإبل وهو الذي جاوز في السنّ البازِل والمُخلفَ، وجمعه عِوَدَة، وقد عوّد البعير، وفي المثل: إن جرجر العَود فزده وقراً، والناقة عَودةٌ، ويقال: راحم بَعودٍ أودَعْ أي استَعِنْ على حربك بأهل السنّ والمعرفة فإنّ رأي الشيخ خيرٌ من مشهد الغلام، انتهى.

(هرمة) مؤنثة هَرِم من الهرم بالتسكين بمعنى كبر السنّ.

(مهلوسة) الهلاس بالضمّ السّلُ وقد هلسه المرض يهلسه هلساً أي أضعفه ورجل مهلوس العقل أي مسلوبه، ويقال: السُلاس في العقل والهُلاس في البدن.

(عوار) قال في «**النهاية**» في حديث الزكاة: «لا يؤخذ في الصدقة هرمة ولا ذات عوار» العوار بالفتح: العيب وقد يضمّ.

(ملغب) فاعل من الإلغاب بمعنى الإتعاب والإعياء.

(أوعز إليه) وعز إليه في كذا أن يفعل أو يترك يعز وعزاً ـ من باب ضرب ـ تقدّم وأشار، وأوعز إليه إيعازاً بمعنى وعز إليه.

(الفصيل) ولد الناقة إذا فصّل عن أُمّه والجمع فُصلان الأصابع، قال ابن السُكيّت: المصر حَلَب كلّ ما في الضرع، والتَمَصُّر حلب بقايا اللّبن في الضرع.

وقال ابن الأثير في «**النهاية**»: وفي حديث عليّ عليه السلام «ولا يمصر لبنها فيضرّ ذلك بولدها» والمصر الحلب بثلاث أصابع يريد لا يكثر من أخذ لبنها.

(لا يجهدنّها) من الجهد بالفتح أي المشقّة يقال: جهد دابّته وأجهدها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها.

(اللاغب) فاعل من اللّغوب بمعنى التعب والإعياء.

(ويستأن) من الأناة أصلها الوني يقال: استأنيتُ بكم أي انتظرتُ وتربصتُ.

(النقب) يقال: نقب البعيرُ بالكسر إذا رقّت أخفافه، وقال ابن الأثير في «**النهاية**»: النّقب: رقّة الأخفاف ومنه حديث عليّ عليه السلام: «ويستأن بالنقب والضالع» أي يرفق بهما ويجوز أن يكون من الجرب.

أقول: يعني أن يكون النقب مشتقاً من النقبة بالضمّ وهي أوّل ما يبدو من الجرب وقال في مادّة ظلع منها: الظلع بالسكون العرج وقد ظلع يظلع ظلعاً فهو ظالع، ومنه حديث الأضاحي: ولا العرجاء البيّن ظلعها، وفي حديث عليّ عليه السلام: وليستأن بذات النقب والظالع أي بذات الجرب والعرجاء، انتهى، وسيأتي البحث عن ذلك في المعنى.

(الغدر) بضمّتين جمع الغدير، وفي «**الصحاح**» الغدير: القطعة من الماء يغادرها السيل وهو فعيل في معنى مُفاعَل من غادره، أو مُفْعل من أغدره، ويقال: هو فعيل بمعنى فاعل لأنّه يغدر بأهله أن ينقطع عند شدة الحجة إليه، قال الكميت:

ومـــن غـــدره نـــبـــز الأوّلـــون إذ لـــقّـــبـــوه الـــغـــديـــرَ الـــغـــديـــرَ

والجمع غُدْران وغُدُر.

(جوادّ) بتشديد **(الدال)** جمع الجادَّة بتشديدها أيضاً بمعنى معظم الطّريق.

(النّطاف) جمع النطفة بمعنى الماء الصافي قلّ أو كثر، وأما النطفة بمعنى ماء الرّجل فجمعها نُطَف.

(الأعشاب) جمع العشب بالضمّ فالسكون وهو الكلاء الرطب.

(بدّنا) البدَّن كطُلّب جمع بادِن كطالب، يقال: بدن بَدناً وبُدناً من باب نصر إذا عظم بدنه بكثرة لحمه فهو بادن للمذكّر والمؤنث، وقد يقال في المؤنث بادنة، والبُدْن: السمن، والبدنة بالفتحات ناقة أو بقرة تنحر بمكّة سميّت بذلك لأنهم كانوا يُسمّنونها.

الإعراب

(على تقوى الله) متعلّق بمقدّر أي اذهب معتمداً على تقوى الله، مثلاً، **(وحده)** حال لله أي موحّداً، **(امض إليهم)** في بعض النسخ: امض عليهم **(بالتحية)** قرئت بالوجهين **(بالباء)** وعدمها **(صدعين)** مفعول مطلق عدديٌّ **(بذلك)** في أكثر النسخ: كذلك، وما في المتن مطابق لنسخة الرّضي، **(ولا يمصر)** منصوب **(بأن)** لأنّه معطوف على قوله لا يحول أي أوعز إليه أن لا يمصر لبنها وفي سائر النسخ مجزومة وهي وَهم **(ركوباً)** بضمّ **(الراء)** وفتحها تميز **(منقيات)** وأخواتها صفات للبدن لأنّها تذكر وتؤنّث.

محتوى الجزء الثامن عشر من كتاب منهاج البراعة شرح نهج البلاغة

[تتمّة المختار التاسع من كتبه عليه السلام ورسائله] ٧
خاتمة ١١
الترجمة ١٤
ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضاً وهو الكتاب العاشر من باب المختار من كتبه ورسائله ٢١
سند الكتاب ونقل صورته الكاملة ٢١
اللغة ٢٤
الإعراب ٢٧
المعنى ٢٨
كلام هاشم بن عتبة له عليه السلام ٢٨
كلام عمار بن ياسر له عليه السلام ٢٨
كلام قيس بن سعد له عليه السلام ٢٩
كلام سهل بن حنيف له عليه السلام ٢٩
كلام اربد الفزاري له عليه السلام وقتله ٢٩
كلام الاشتر له عليه السلام ٣٠
كلام ابن المعتم وحنظلة العبسي المعروف بحنظلة الكاتب له عليه السلام وكانا كاتبين لمعاوية ومخالفين لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وما قال لهما قوم علي عليه السلام وأمره بهدم دار حنظلة وما جرى في ذلك ٣٠
كلام عدي بن حاتم الطائي له عليه السلام ٣٢
كلام زيد بن حصين الطائي له عليه السلام ٣٢
كلام أبي زبيب بن عوف له عليه السلام ٣٣
كلام يزيد بن قيس الأرحبي ٣٣
كلام زياد بن النضر له عليه السلام ٣٣
كلام عبد الله بن بديل له عليه السلام ٣٤
سب أصحاب علي عليه السلام معاوية وأتباعه وبراءتهم عنهم ومنعه عليه السلام إياهم عن السب ٣٤
كتابه عليه السلام إلى مخنف بن سليم وقد كان عامله عليه السلام على أصفهان وهمدان ٣٥
وهذا الكتاب لم يأت به الرضي رضوان الله عليه في النهج ٣٥
كتابه عليه السلام إلى عبد الله بن عباس وقد كان عامله على البصرة وهذا الكتاب أيضاً ليس في النهج ٣٦

كتابه عليه السلام إلى الأسود بن قطنة ٣٦
كتابه عليه السلام إلى عبد الله بن عامر، وهذا الكتاب أيضاً لا يوجد في النهج ٣٧
رؤية النبي صلى الله عليه وآله بني أمية في المنام على صور قرود تصعد منبره وترد الناس عن الإسلام القهقرى ٤٣
جميع ملك بني أمية كان ألف شهر كاملة ٤٦
الترجمة ٥٢

ومن وصية له عليه السلام وصى بها جيشاً بعثه إلى العدو وكلامه هذا هو المختار الحادي عشر من باب الكتب والرسائل ٥٦
سندها ونقلها على صورتها الكاملة على رواية نصرفى صفين والحسن بن علي بن شعبة في تحف العقول ٥٦
كتاب زياد بن النضر إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام ٥٧
كتاب شريح بن هاني إليه عليه السلام ٥٧
كتابه عليه السلام إلى زياد بن النضر وشريح بن هاني في جواب كتابهما وهذا الكتاب هو الذي أتى به الرضى في النهج وعنونه بقوله ومن وصية له عليه السلام وصى بها جيشاً بعثه إلى العدو أعني تلك الوصية التي نحن بصدد شرحها الآن على صورتها الكاملة على رواية نصر ٥٨
صورة الكتاب على رواية ابن شعبة ٥٩
اللغة ٦٠
الإعراب ٦٥
المعنى ٦٥
الترجمة ٧٠

ومن وصية له عليه السلام لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له وكلامه هذا هو المختار الثاني عشر من باب كتبه ورسائله وعهوده ووصاياه عليه السلام ... ٧٢
ذكر سندها والكلام في تلفيقها ٧٢
اللغة ٧٣
الإعراب ٧٥
المعنى ٧٥
صورة صفحة ٩٣
الترجمة ١٠١

ومن كتاب له عليه السلام إلى أميرين من أمراء جيشه وهو المختار الثالث عشر من باب كتبه ورسائله عليه السلام ١٠٢
مصدر الكتاب وسنده ١٠٢

اللغة ١٠٣
الإعراب ١٠٥
المعنى ١٠٥
الترجمة ١٠٨

ومن وصيته عليه السلام لعسكره بصفين وكلامه هذا هو المختار الرابع عشر من باب كتبه ورسائله عليه السلام ١٠٩
بيان مصادر الوصية وإسنادها بطرق كثيرة من الفريقين ونقل نسخها ١٠٩
اللغة ١١١
الإعراب ١١٥
المعنى ١١٦
الترجمة ١٤٦

وكان يقول عليه السلام إذا لقى العدو محارباً هذا هو المختار الخامس عشر من باب المختار من كتبه عليه السلام ١٤٧
مصادره وإسناده بطرق عديدة ومدارك نقله بصور أخرى ممن كانوا قبل الرضي ١٤٧
اللغة ١٤٩
الترجمة ١٦٤

وكان يقول عليه الصلاة والسلام لاصحابه عند الحرب وهذا هو المختار السادس عشر من باب المختار من كتبه ورسائله عليه السلام ١٦٥
المصدر ١٦٥
اللغة ١٧٥
الإعراب ١٧٩
المعنى ١٨٠
الحرب خدعة ١٨٢
الترجمة ١٩٤

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً عن كتاب منه إليه وهو المختار السابع عشر من باب الكتب والرسائل ١٩٥
المآخذ ١٩٥
صورة كتاب أمير المؤمنين علي عليه السلام على ما في الإمامة والسياسة ٢٠١
نسخة الكتابين على ما في كتاب سليم بن قيس ٢٠١
اللغة ٢٠٣
الإعراب ٢٠٤

المعنى ٢٠٦
حديث فتح مكة وأن أهل مكة الطلقاء ٢٣٧
طائفة من احتجاجات ومحاضرات وقعت بين معاوية وغيره يناسب نقلها المقام وتفيد زيادة تبصر في آل أبي سفيان ٢٤٣
الترجمة ٢٥٧

ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة وهو المختار الثامن عشر من باب كتبه ورسائله عليه السلام ٢٦١
المصدر ٢٦١
اللغة ٢٦٢
الإعراب ٢٦٤
المعنى ٢٦٤
الترجمة ٢٧٠

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله وهو المختار التاسع عشر من باب كتبه ورسائله ٢٧٢
المصدر ٢٧٢
اللغة ٢٧٤
الإعراب ٢٧٦
المعنى ٢٧٦
الترجمة ٢٧٨

ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه وهو خليفة عامله عبد اللّٰه بن العباس على البصرة (وعبد اللّٰه عامل أمير المؤمنين عليه السلام يومئذ عليها وعلى كور الاهواز وفارس وكرمان ـ نسخة) وهو المختار العشرون من باب الكتب والرسائل ٢٧٩
المصدر ٢٧٩
اللغة ٢٧٩
الإعراب ٢٨٠
المعنى ٢٨١
الترجمة ٢٨٣

ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضاً وهو المختار الحادي والعشرون من باب الكتب والرسائل ٢٨٤
المصدر ٢٨٤
اللغة ٢٨٥
الإعراب ٢٨٧
المعنى ٢٨٧

الترجمة ٢٩٠

ومن كتاب له عليه السلام إلى ابن عباس وكان يقول عبد الله ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بهذا الكلاموهذا هو المختار الثاني والعشرون من باب كتب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله ٢٩١

المصدر ٢٩١

اللغة ٢٩٤

الإعراب ٢٩٤

المعنى ٢٩٤

الترجمة ٣٠٠

ومن كلام له عليه الصلاة والسلام قبيل موته لما ضربه ابن ملجم لعنه اللّه على سبيل الوصية وهو المختار الثالث والعشرون من باب كتب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله .. ٣٠١

المصدر ٣٠١

المعنى ٣٠٣

الترجمة ٣٠٦

ومن وصية له عليه الصلاة والسلام بما يعمل في أمواله، كتبها بعد منصرفه من صفين وكلامه هذا هو المختار الرابع والعشرون من باب كتبه عليه السلام ورسائله ٣٠٧

المصدر ونقل الوصية على صورتها الكاملة ٣٠٧

بسم اللّه الرحمٰن الرحيم ٣٠٨

اللغة ٣٠٩

الإعراب ٣١٠

المعنى ٣١١

الترجمة ٣١٨

ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وإنما ذكرنا هنا جملا منها ليعلم بها أنه عليه السلام كان يقيم عماد الحق، ويشرع أمثلة العدل في صغير الأمور وكبيرها، ودقيقها وجليلها ٣١٩

اللغة ٣٢٠

الإعراب ٣٢٣

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١١ ٤ ٤
التاريخ ٢٩ / ١ / ٢٠٠٥